

١٧١

الجزء الأول

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب بفتح الماكرونات وغرائب لآياتها

تأليف

الأستاذ الحاج محمد شيخ ططاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين ببيان آياته

الجزء الثاني من عشرة

طبع مطبعة

مطبعة السباني الحسيني وأولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة لهم

وباشطبعة محمد أمين عمران

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

١٧١



في تفسير القرآن الكريم

استعمل في جواب أبي المكارم وأبو المكارم وأبو المكارم

تأليف

الأستاذ أحمد الحكيم شيخ طنطاوى جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متبع الله المسلمين بخير أمين

المجلد الثاني عشر

طبع بطبعة

مصطفى الشاذلي الشاذلي وأولاده بمصر

وتفوق طبع بمصر

وباشطبعة محمد أمين عمران

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الأحزاب

(هي مدنية)

(وآياتها ثلاث وسبعون — نزلت بعد آل عمران)

(وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول) في تفسير البسملة

(القسم الثاني) في مقدمة السورة ، وفي مناسبتها لما قبلها ، وفي غزوة الأحزاب من أول السورة الى قوله تعالى - وأرضا لم تطوها وكان الله على كل شيء قديرا -

(القسم الثالث) في أحكام أزواج النبي ﷺ وما أشبه ذلك من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى آخر السورة

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

سأذكر هنا تفسيرها من ﴿ وجهين في الوجه الأول ﴾ بيان كيف كانت الرجة فيها ملخص سورة السجدة السابقة على هذه لتوازن الرجة فيها هناك بالرجة في هذه السورة وأن ذكرها في أول كل منهما لمناسبة الرجة التي جاءت في أثناء آيات السورة وما قدمناه في أول سورة السجدة في تفسير البسملة لم نذكر فيه بيان هذا المعنى بل ذكرنا هناك أولا الفرق بين صفة العبد وصفة الرب وضررنا مثلا بالحقول والشمس وأبنا الرجة في الحقول والطيور والأنعام والأشجار في البر والبحر ومعاني أسماء الله الحسنى في نفس الحقول ، وأن الانسان يدهش من عجائب المادّة ، وأن الشرور كلها مقدمات للرجات ، وأن الشرور لم تكن إلا بالقصد الثاني لا الأول وأن العداوات وامتلاء الحق بالموادّ الفاسدة إنما ذلك لينفترق الناس على الأرض فتكون الحياة والسعادة . هذا هو الذي تقدم في تفسير البسملة في سورة السجدة . ولما تم الكلام على سورة السجدة وجب أن نبين

كيف كانت الرحمة في البسملة مثيرة لما فيها من الرحمت والنعمة لذلك نقول
تقدم في تفسير البسملة في أول سورة الروم ما يشرح به النفوس ، وتشرح له الصدور ، وتطمئن له الأبواب
من الحكمة الهيبة والآيات البديعة إذ استبان هناك أن آلام الكسر والضرب وآلام الجرح والجوع وآلام
سائر الأمراض إن هي إلا مذكرات ومنبهات لما يجب عمله من الدواء والفناء . وأقول الآن إن ذلك البيان
هناك مناسب لاستباره قتال الأمم في تلك السورة بجراح وأضرارا لها

وتقدم في سورة لقمان في تفسير البسملة هناك أن العقول آلاما وأضرارا كما للأجسام فكما أن الأجسام
في ذوبان وسيلان مستمر هكذا العقول مضطربات اضطراب الأجسام فالجسم والروح فرسانان في التوبان
والملاشاة والأغذية والأدوية للأجسام والعلوم السكونية أغذية الروح وعلوم الأخلاق وتهذيب النفوس أدواتها
وهذا هو الذي جاء في سورة لقمان ، أمافي سورة السجدة المتقدمة فاقول ما يناسب ما جاء فيها من الرحمت .
ابتداء سبحانه بذكر أن الكتاب لا ريب فيه ، ويذكر خلق العوالم في أيام معدودات . ثم انه أخذ يدبر تدبير
الملك المستوى على عرشه لرعيته . العظيم الجلال فلا يعوزه نصير وليس شفيع عنده مقام إلا باذنه ، واسع العلم
وقد استوى عنده الباطن والظاهر والغائب والحاضر بخلاف ملوك الأرض فهم لا يعلمون الغيب وهو غالب قاهر
عزيز الجانب ، ذورجه واسعة ، لم يدع في ملكه مخلوقا إلا أحسن صورته وزوقه وجهنمه وسواء ، ومن أعجب
العجب أن هذا الانسان البديع الصنع . الجين الوجه ، الواسع النقل ، الحسن الاقتان ، لم يكن إلا من طين
وذلك الطين عجن بماء وامتزج به الهواء والنور وعناصر كشمسية ، وبارسال أنوار السكواكب المشرقات وأهمها
الشمس ودورانها حالا بعد حال سويت خلقتها ونظمت أعضاؤه ، فالسموات والأرض المذكورات في أول
السورة ودوران السكواكب بتدبير من استوى على عرشها ، ذلك كله مقدمات وأسباب جعلت لبداع النظام
واظهار الحسن والجمال في صور الانسان ، ومن هذه الأجسام الانسانية اتخذت خلاصة مائة بها كان النسل
أجيالا وأجيالا ، ومن أبدع ما في تلك الصورة الانسانية الحواس التي جعلت في هذه الأجسام في مقابلة السكواكب
في السماء فالسكواكب تشرق بنورها فتضيء السبل والحواس بها يمتاز الظلام من النور والحواس المر والطيب
من الخبيث ، فتدبر الملك المستوى على عرش هذه الأكوان قضى أن يكون في جسم الانسان نظير ما في الجسم
العام . الجسم السكلي مشرق بالنور والأرواح العالية وهذا الجسم الحيواني والانساني له مشرقات مبنات لما
هو في حاجة اليه ومن أهمها الاسماع والابصار

ولا عجب في ذلك فإن الاصول تتبعها الفروع . فكما كان في السكواكب أنوار هكذا في أرضنا أنوار إما من
الأرض بالنور والغاز ، وإما من النبات كالزيت ، وإما من الحيوان كالشمع والشحم ، وإما من السكر بآء
وهكذا فهذه أنوار جزئية تحاكي الأنوار الكلية المشرقة من الشمس . فهنا شبه الفرع وهي الأرض أصله
وهي الشمس بعض المشابهة ، وهكذا ما في الأرض من صناعة غالبا إلا وهي في حاجة الى آلات بدورات كما
تدور الأرض حول الشمس . الأرض تدور حول الشمس (كما تدور الشمس) وتدور حول نفسها لتقبس
الأنوار منها ليحيا ما عليها ، فهكذا نرى الانسان يدبر أنواعا وسواقي ومجالات القطر الجارية في الطرق الحديدية
ومجالات أخرى في آلات الحرث والطحن والدرس والخياطة ، وهكذا جميع أحوال الحياة آلاتها كلها دائرات
دوران الأرض حول نفسها ، فالأرض تدور لأجل اعتماد الحياة لما عليها والآلات تدور لا كمال تلك الحياة
بالصناعات المختلفة ، إذن لا عجب إذا قلنا ان في جسم الانسان والحيوان حواس مشاكلة لما في السماء ولكن
المشاكلة هنا لحواس الملائكة . ومعنى هذا أن الأرض كما كان فيها أنوار كأنوار الشمس تضيء بالليل كالسكر بآء
هكذا فيها نفوس مدبرات لها حواس مشاكلة لما في تلك العوالم السكونية من ملائكة مدبرات لها ، وكل
هذه المعاني تؤخذ من قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - فهناك شمس مدورات دائرت تدبرها

أرواح عالية أصواتها مستمرة لا يتجدد واستعداد مخلوقات على أمثال أرضنا هكذا هنا مناسب كل تقدم وتوسيع
بنى آدم مدبرات وآلات مبدورات دارات لأحداث مستأنس ، فالتهدير الثاني يشبه التهدير الأول ، فالتهدير إذن
من السماء إلى الأرض

ومن عرف الأنوار السكالية في السموات والأنوار الجزئية في الأرض في جسم الإنسان فهو حري أن يشكر
مبدعها بالعلم والحكمة أولاً ثم بالعمل بحيث يكون هو نفسه مشرق نور للناس نافعاً لهم والآن الحكمة ، روحه
أدنى مرتبة وأخص من حاسة من حواسه التي تبين له ما هي منقطة به من الفرق بين الخير والبر والبر والخير والخير
وما يدهش له اللب وتعارفيه العقول أن هذا النوع الانساني قليل الشكر لجهله بهذه النعم وغفلته التامة
عن هذا الإبداع ، وقد ظن هذا الجهول أننا خلقناه وخلقنا السموات والأرض عبثاً بلا فائدة . كلا .
فالمنعمات لها نتائجها فإذا أنكر البعث فذلك اضلاله ، وسيقتل هذا المسكين خاضعاً ذليلاً خاشعاً أمام خالقه ، وهو
كليل الطرف حسير وهناك يقول « هاأنذا أبصرت وسمعت فأرجعني لأعمل صالحاً » ولكن ليعلم الناس في
وضعت كلا في مركزه وجعلت له سبيلاً يسلكها وطريقاً يسير فيها ، فالؤمن نفسه استعانت للإيمان
والكافر لا يخالف استعداداً وأنا عدل أضع كل امرئ فيما استعمله ولو كان هذا ظلماً لكانت المعونة والأحسان
في الحيوان مظلومة بالنسبة للحواس . كلا . فكل رتبة وخاصة بها انتظم العالم وللمؤمنين علامات منها أنهم
يحبونني ولذلك يودون أن تراح الأستار بيني وبينهم فلذلك يقوون بالليل ليأجوني وهناك أساليبهم في حال
التهجد أنواراً وأسراراً وحبا لا يعرفه سواهم وقد أخفيت لهم ما لا يعلم أحد بخلاف أصحاب النار وهذا قانون
عام في الأمم . ويقول « ألم تر إلى بني إسرائيل وقد كان منهم هداة صبروا فأنابوا إذ أيقنوا »

فلما اطلع على هذا صاحي العالم قال حسن ما خلصت به أكثر هذه السور ولكن أين أهم ما يدور البحث عليه
فيها . قلت (ثلاث مسائل) تسوية خلق الإنسان وموته وبعثه ، ولا جرم أن هذه الثلاث ملاحظات متصلات
أخذ بعضها برقاب بعض . فلأحدثك عن التسوية أولاً ثم عن أخواتها ، الله أكبر ، ها هوذا جسمي رمى ركب ؟
أهم ما ركب منه الفحم والاكسوجين والهيدروجين والنيوتروجين وهو الأوزون ، هذه الأربع أعمدة تقام عليها
هياكل كل حيوان ونبات في الأرض وما هو الفحم (الكربون) ؟ إن هو إلا جسم إذا عرضناه للنار اتحد
مع الاكسوجين فأصبحا جسماً غازياً يشبه الهواء في أنه غاز ولا يشبهه في طبعه فهو جسم سام محرق ، وأما
الأكسوجين فهو جسم غازي يشبه الهواء من حيث هيئته ولا يشبهه من حيث طبعه ، فادخل أي معمل من
معامل الطبيعة في الشرق والغرب وقل لهم أروني الأكسوجين خفيئد يرونك زجاجات فيها غاز كالهواء تماماً .
فهناك إذا أوقدت شمعة وأدخلتها في زجاجة من تلك الزجاجات انقادت حالا وأضاءت ضوءاً مشرقاً وإذا أدخلت
هذه الشمعة المتقدة في قارورة لاشئ فيها سوى الهواء فانها يقل ضوءها لا أنه يزدهي كما هي الحال في زجاجة
الأكسوجين ، وأما الهيدروجين فهو شفاف كالأكسوجين ولكنه أخف منه بل أخف من جميع العناصر
المعروفة ومتى اتحد بالأكسوجين تكوّن الماء ، وأما النيوتروجين فهو مثلهما معاً من حيث أنه غاز شفاف ولا سكن
خواصه تخالفهما معاً ، وإذا اتحد بالأكسوجين تكوّن من اتحادهما حوامض شديدة الفعل ومن أهمها
وأعظمها (الحامض النتريك) أي ماء الفضة أي الذي يذيب الفضة ويذيب أكثر المعادن ويميت الأنسجة
الحيوانية والنباتية ، هذا هو النيوتروجين فهو بالتحاطب مع الأكسوجين يكون متلفاً مهلكاً بخلاف الهيدروجين
فانه بالتحاطب مع الأكسوجين يعطي الحياة وذلك هو الماء . الله أكبر . سبحانه اللهم خلقتنا وعلمتنا من أجل
التعليم ، فإذا سمعنا في الآثار أن لك ملكاً نصف جسمه من نلج ونصفه من نار فلا تلج يطفى النار ولا النار
تذيب التلج ، فهذه أجسامنا معاشر أهل الأرض فيها عناصر منها ما يهلك ومنها ما يحيي وهي مجتمعات في
جسمي ، ولا جرم أن شرط الأحياء والإماتة موجود وهو الاتحاد ، فهذه العناصر الأربع بصفة متحدة في جسمي .

قالا كسوجين متعدد بالهيدروجين وبهما معا كان الماء في جسمي والنيوتروجين متعدد بالا كسوجين وبهما معا ماء الفضة ، وهذا هو الكنز الذي كشفه الألمان أيام الحرب العظمى فانهم استعملوا هذا المركب وهو (حامض النيتريك) في المفرقات والمهاجمات في الحرب ثم حوّلوا ذلك كله بعد الحرب الى سماد

عجبا يارب ، جسمي فيه مائه الحياة وهو الماء من أ كسوجين وأودروجين ، وجسمي فيه مائه الموت وهو الاكسوجين المتحد مع النيتروجين فكان منهما ماء الفضة وهو (حامض النيتريك) ذلك المهلك للميت مخرب الحصون والقلاع ثم انه يحوّل الى سماد فيكون مسلحا للزرع جاليا للرزق . وعاك ملخص تلك المركبات

- (١) الاكسوجين مع الهيدروجين يكون منهما الماء
- (٢) الاكسوجين مع النيتروجين يكون منهما ماء الفضة
- (٣) الاكسوجين مع الفحم يكون منهما غاز سام
- (٤) الهيدروجين بالكربون يتكوّن منهما غاز قابل للاشتعال

فليس في هذه المتحدات مافيه حياة إلا حال واحدة وهي اتحاد الاكسوجين بالاودروجين والبقية مهلكة سامة محرقة ، فلما اجتمعت الأربعة حدث منها أمر عجيب . حدثت حياة دائمة بالتناسل والنظام المدهش ، فيا عجبا تسرية والنظام وابداع وبهجة منظر وحسن اتساق نشأ كله من مواد سامة مهلكة . إذن الحياة مشتقة مما به الموت . فيا للعجب غازات سامة تتحد وتنكاثف فتصير أشكالا منظمة فيها عقول منظمة لهذا العالم . هذه تسوية الانسان وهذا قوله تعالى - ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه - وأنا أيها الذكي بعد هذا البيان لم أعطك سرا من أسرار التكوين لأن ذلك السر لم أطلع عليه ولواطلت عليه لمنعت من افشائه لك لأنه فوق متناول العقول . فما علاقة الروح الحية المشرقة النور المنبعثة من جانب ذي الجلال القدسي بهذه المواد السامة وأى شيء هو غاز الاكسوجين والاودروجين والاوزوت والفحم حتى تظمئن النفس فيها وتسكن . سبعتان من عالمنا وأنظمتنا على عجائب أجسامنا ، أنا أكتب هذه الساعة وأنا أعجب من جسمي المجموع من أجسام هوائية غازية لا تستقر على حال مهلكة ، فيأيتها الروح الساكنة في جسمي هاأنذا خاطبك وأنا القائل وأنا السامع لأن لى لسانا ولى أذنين ، فأنا القائل باللسان وأنا السامع بالأذن . فأقول لك أنت لست من هذا العالم ، انه عالم مضطرب قد استقررت في هذا الجسم المضطربة الملهية أجزاءه ، وهل هو إلا تلك العناصر المفرقة المهلكة جنسيتها ونظميتها يد قاهرة غالبة الى حين ثم ترجع هذه العناصر الى حالها مع جنسها ، ثم انك أنت ترجعين الى عالمك تستقرين هناك فسمعتك وبصرك اللذان جعلاك مائسا لإبصيص نور من نورك قد أضاء لك في الأرض وتمام نورك يكون بعد الموت ، ألم تسمعي قوله تعالى - وجعل لكم السمع والأبصار - الخ وقوله حكايته من الأرواح في تلك الحال إذ تقول - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحا إنا موقنون - إذن سمعتك وبصرك الآن ليسا كسمعتك وبصرك هناك . فالسمع والبصر هناك يورثان اليقين لأن السمع ثم والبصر أتم لا تنزعهما من هذه العناصر المتشاكسة المتحاربة المهلكة

هذه ياروحى أسرار ماتحسين فيك من لذة وألم . الألم واللذة احساسان ناربان . تألمين بالجوع وبالعطش وبايذاء الأعداء وبالأفراض وتستلذين بالفضاء والماء والنصر المبين ، وما اللذة والألم إلا لغتان من اللغات التي أنزلت في هذه الأجسام ولها نطق وافصح أصح وأبين من افصح اللسان ، اجتمعت هذه العناصر في جسمي وأسكنت فيها فأخذت هذه العناصر تنطق لك بنطق فصيح بعد أن كانت بكاء خرساء وهي ملقاة في الأرض فتالت لك تارة احسدرى البعد ونارة احسدرى الحر فاحساسك بالبرد فطلق أفصح من نطق اللسان واحساسك بالحر كذلك وهكذا ذوقك الطعام والشراب واستلذاذك بهما افصح وتبيان لك فهذا استبان أن كل ذلك رحبات لأنها بان وكلام فاللذة كلام والألم كلام وجميع النعم والنعم والموت

والحياة كلها كلمات مفصحات مبيّنات مذكرات . وأى رحمة أجل من الذكرى والبيان إذ حياتنا كلها رحمة استوى فيها الألم واللذة وموتنا رحمة لا تخربنا من هذه المواد المضطربة ، هذا هو بعض سر التسمية في أول هذه السورة ، فهذه العوالم في جسمك وفي خارجك ناطقات اليوم مفصحات مبيّنات ، ألم تفرق . قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ . هذا نوع من النطق ، نطق جاء من الكائنات بلا حرف ولا صوت ونحن نسمعه لامن طريق الأذن بل نسمعه من سائر أجسامنا

اللهم انك علمتنا وأرقتنا نطق الناطقات ، وأفهمتنا نورا يبرأ من كتابك وفهمنا ذلك الكلام الفصح الذى أودعته في أجسامنا وفي الطبيعة وأدركنا بعض سر ما نطق به الجاود والأيدى والأرجل إذ يقال للجاود . لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ . فهاهى ذه الأشياء تنطق للبار والفاجر منا وكل يسمع ذلك النطق ولكن لا يعقل إلا الأفقون . وهذا سر قولك . قليلا ما تشكرون .

لا يحيط بما تنطق به هذه العناصر إلا أرواح أرقى من أرواحنا القاصرة لأنها أرواح جزئية فلذلك احتجنا لمن يذكرنا من الأنبياء ولمن يعلموننا من الحكماء ولمن يداوون أجسامنا من الأطباء وهكذا قد خص كل طائفة بعمل عسى أن يقرّبوا من الحكال وما هم به بالغيد في هذه الأرض فكان لابد عندنا من كل علم ولابد من طوائف تخصص لها كإتانه لابد بعد الموت من نفوس أعلى منا تقرأ نفوسنا وأخلاقنا وتعلمنا على مقتضى ذلك في تلك الدار بأمر خالقها وعلمها بسبب ضعفنا عن الاستيعاب لأننا محبوسون في أقفاص نارية سمية منعنا عن تمام الحرية والاستقلال ، ومنا في هذه الأرض من اختصوا بدرس الجاود والأيدى فعرفوا مساهمهما وخطوطهما فشهدت على المجرمين في هذه الحياة الدنيا كما تقدم في هذا التفسير . وهذا أمر شائع في جميع حكومات العالم ومنها حكومتنا المصرية . شهدت جاودنا في حياتنا الدنيا وشهدت خطوط أيدينا وذلك من التسوية الخفية . أليس أمر هذا القرآن عجيبا . يذكر التسوية في خلق الإنسان هنا ويذكرها في ﴿سورة القيامة﴾ في قوله تعالى . بلى قادرين على أن نسوي بنانه . ويقرأ هذه الآية أحد علماء الألمان في هذه السنين فيسأل لم أسلمت أيها العالم ؟ فيجيب قائلا قرأت في القرآن المنزل على ذلك النبي العربي الأُمّي . بلى قادرين على أن نسوي بنانه . وقد أصبحت جميع الحكومات لا يستقر قرار الأمن فيها إلا بدراسة نظام البنان ومسامحه ، ولم يجد الناس رجلين في السكر الأرضية تشابه أناملهما في مسامحه ونظامها ، فلم اختص البنان بالذكر ؟ وعلم البنان لم يكن يعرفه الناس إذ ذاك ولم تدرك الحكومات السابقة بل وعرفوا ذلك لم يعرفه أهل الجاز ومنهم هذا النبي الأُمّي ، فهذا القول إنما جاء من مصدر أعلى من عقولنا التي في الأرض فلذلك آمنت به وصدقت . انتهى كلامه

وهذا الإفصاح والبيان من العناصر في أجسامنا يدخل فيه جميع خواص العقاقير في الأدوية ونواميس الوجود ، فإذا خرجنا من هذه المدّة أشرقت عقولنا وظهرت لها الحقائق على ما هي عليه كل على قدر طاقته الفاجر والصالح وهذا قوله . ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحا انا موقنون . أى أما في الحياة فإنا كنا محجوبين ولم ندرك سر الوجود ولذلك يقال هناك أيضا . فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . ويقال . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

هذه شذرة من قصة هذا الإنسان ومبدأ خلقته وأحواله وموته وبعثه والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأربعاء (٦) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ م انتهى الكلام على البسملة مع تلخيص سورة السجدة فلننظر في الكلام الآن على تفسير البسملة في أول «الأحزاب» للموازنة بين السورتين من حيث الرحمة التي تضمنتها البسملة وتحلّت آيات السورة

لقد تكررت البسملة في أول كل سورة ودرج المسلمون قديما وصايا على التسمية في طعاهم وشرابهم ثلثائة وألف سنة فترى جهلاءهم وعلماءهم ، كبارهم وصغارهم لا يعملون عملا إلا بالتسمية سنة محمدية وشرعية اسلامية طلبا لثواب الله وتقربا اليه وزا في لديه ، فذلك سنة من خير السنن ، وخاصة من أجل الاتصال

لقد تقدم الكلام على البسملة في الفاتحة وفي غيرها من السور مثل (لرؤم ونقمان والسجدة) ولكن يبقى لها بقية لا بد من تداركها . وحكمة يجب اظهارها ، ونعمة حتى على ايديها هذه الأمة المستكنة المضطهدة لغشوة الجهالة وظهور الخطل في آراء عاقتها ، والفلة في نظام دراستها ، والنوم على التقليد الأعمى ، وتقيؤ ظل التكسل والجهل المبين الذي هو من محموم لا بارد ولا كريم ، أبت النبوة المحمدية الشريفة أن تتركنا تتخطى في ديجور الظلام فعميتنا أن الأعمال لاتصح إلا بالنيات وأن لكل امرئ ما نرى ، وما هي النية ؟ هي رغبة العلم وولادة الفهم فمن تعلم فهم ومن فهم أحب ومن أحب الكمال ومحاسن الفضائل شاقته ومن اشتاق هم بالعمل ونواه وهناك تكون الأعمال على مقتضى تلك النيات والمعارف السابقة ، فليس في مجرد التسمية (بلا علم بمواطن الرحمت ومحاسن الجلال في المخلوقات ، وبهجة العوالم الربانية والآيات الحكيمة والابداع وحسن التصوير والتدقيق) منتهى مقاصد النبوة ولا مبلغ ما تزيده من العلماء العاملين . لأن اكتفينا من العاين في صلاته وصيامه وما كله ومشربه بالتسمية والحمدلة المفضلين لنقول لعلماء الأمة وعقلائها ونابغها ليسكن الدرس واعمال الفكر ومعرفة الجلال في هذه العوالم حتى توقروا بالرحمت ايماننا علميا تفصيليا كالذي في هذا التفسير

علم الله أن المسلمين سينامون نحو ألف سنة عن التفكير في مخاوفه وينسون جيل صنعه فأنزل البسملة في أول كل سورة وكررها مائة وأربع عشرة مرة في القرآن ويكررها المسلمون في صلاتهم فقرأناها تعبدنا وقلنا كفى ، لا تقوم الأمم بمجرد السكومات وإنما قيامها بما تضمنته من المعاني وما حوته من حكمة ومعنى جليل . لما وقف أكثر المتقدمين من العاكة وصغار العلماء على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معينا نسي أكثر الناس في العصور المتأخرة روح معنى التسمية واكتفى الخطباء على المنابر والوعاظ في المساجد بذكر نعيم الجنة وعذاب جهنم حتى استقر لدى كثير منهم أن ربنا نجب العبادة له خوفا من ناره وخشية من سطوته فحسب لاحبا فيه ولا ابتهاجا برحمته الواسعة فأصبح المسلم إذ ذاك ما بين ما كرم يسطو عليه لاختافته مثل ما حصل بمصر أيام المماليك البرية والبحرية وغيرهم من أبنائهم الذين فتكوا بأبناء البلاد أيام حكم الترك إلى أن أبادهم المغفور له محمد علي باشا ، وما بين خطيب لا يجد سبيلا للوعظ غير جهنم في الآخرة بحيث لا يرى ما أمامه من الرحمت ولا ما حوله من النعم التي أسبغها الله على الانسان والحيوان ، وما بين المسلم والمؤدب الذي يضربه بالعضا أيام التعليم ، ياسبحان الله أن الأمة أيام تعقرها يكون أساوبها في الدين وفي الحكومة وفي نظام التعليم على وتيرة واحدة فلقصور الحكومات عن تمام النظام لا تجد لها مناصا من الاضطهاد . ولجهل المعلم لا يعرف غير العصا وسوء المملكة وقلة العلم يقتصر الوعاظ في أكثر أقوالهم على التحذير من عذاب جهنم وبئس القرار علم الله ذلك لأنه قدره قبل أن يخلق العالم فأنزل البسملة في أول كل سورة وعممها بالسنة الشريفة المحمدية

ليقول لنا اليوم

« أيها المسلمون . لأن كنت أنا ذا رحمة وغضب في الآخرة بالجنسة والنار لقد أسبغت النعم عليكم في الدنيا ظاهرا وباطنا وأحطتكم فيها بالمنذرات والخواف والآخرة في أعيدها وجميعها نتيجة حياتكم هذه فمن غفل عن رحمتي الواسعة في الدنيا وجهل ما أحطته به من الجلال والنعم فاني عدل حكيم أدله في الدنيا جزاء وفاقا ، وليس هذا الاذلال للانتقام . كلا . وإنما هو نتائج ، ألم تقرأوا ... ويعطى كل ذي فضل فضله - فكيف أهب رحمتي لمن لم يكن أهلا لها ، بل كيف أسبغ نعمتي على من لم يطلبها ؟ ولا طلب إلا بنية . ولا نية إلا بالعلم ، فالعلم بالمخلوقات حولكم يجعلكم لها عاشقين والعشق تبعه نية التحصيل والنية يتبعها العمل »

هذا سر من أسرار تكرار البسملة في أول كل سورة ، وأنه ليخيل إلى الآن أن عقلا كبيرا من العقول العظيمة في البرزخ اطاع على هذه الأمة الإسلامية فقال عجباً أليس في هؤلاء رجل رشيد ، كرّر الله البسملة وكررها عائلتهم وخاصتهم ، ألم يتفكر منهم رجل في حكمة هذا التكرار ، أليس التكرار لعظم المغفار والمحابة إلى هذا المكرر ، تكرار القرآن ليس كتكرار كلام البشر . فإين الباحثون عن حكمته ؟ هذا كررت آية - ويل يومئذ للكذابين - في ﴿ سورة المرسلات ﴾ . ذلك لأن جرم التكذيب عظيم . وكررت آية - فبأى آلاء ربكما تكذبان - في ﴿ سورة الرحمن ﴾ لأن أمر النعم عظيم وهو تكرار البسملة في أول السور . تهويل العقاب على التكذيب ناسبه تكرار الآية المقدمة قبل النعم والرحمات عظمت العناية بها في ﴿ سورة الرحمن ﴾ وغيرها تكررت آية الآلاء وجعلت البسملة في أول كل سورة من القرآن

رتب الامام الشافعي رضي الله عنه أعضاء الوضوء كما رتب في الآية وهذه دقة في الملاحظة واستمسك بالدين فهل في خطة الانصاف ومهيج العدل ونور العقل أن يحرض أوائلنا هذا الحرص على آي التزبل حتى انهم يوجبون فرائض لأمر مبنوى وهو التقديم والتأخير . ثم اننا نحن المتأخرين نرى آلاء الله قد عمت الكرة الأرضية ونسمع البسملة وآية الآلاء تكرر تكراراً كثيراً ثم لانفكر في الحكمة ولا نقول لماذا هذا التكرار ولم يقف مسلم عالم من أهل الاسلام يوماً ويقول تقديم وتأخير في آية الوضوء أنتج وجوباً شرعياً ، وتقديم وتأخير في آية ذكر الله فيها المهاجرين والأنصار احتجاج بها أبو بكر الصديق يوم ستيف بنى ساعدة وقال « أسألتكم قبلكم وقد تمنا في القرآن عليكم فنجح المهاجرون وأنتم الأنصار ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » . وبني على ذلك أصراً واقفاً وهو خلافة الخلفاء الأربعة والأمويين والعباسيين وبنى الحسن والحسين وغيرهم من آل البيت وبقية قریش . كل ذلك لتقديم وتأخير . يحصل هذا كله أيام آبائنا الأولين . ثم اننا اليوم نسمع البسملة نذكر فيها الرحمة مكررة مرتين وفيها كلمة الرحمن التي لا تطلق إلا على الله . ونسمع آية سورة الرحمن المكررة . ومن عجب أن آية الآلاء المكررة عشرات المرات لم تكن إلا من السورة المبنونة باسم (الرحمن) والرحمن مذكورة في البسملة . إذن هذه النعم المذكورة في (سورة الرحمن) ايضاح لمعنى البسملة كأن الله يقول « البسملة المكررة في غدوكم ورواحكم تفسيرها يكون بنعمي » . وابتدأها بأعظم نعمة وهي

(١) تعليم القرآن ، فأعظم نعمة إذن هو العلم

(٢) ثم خلق الانسان والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والفاكهة والنخل والحب والمشارق والمغارب والبحار واللؤلؤ والمرجان والفلك في البحر

يا عجباً . أيها المسلمون . أليست هذه النعم في ﴿ سورة الرحمن ﴾ والرحمن اسم من أسماء ثلاثة في البسملة فوا أسفاه على أمة ضاعت ودول هلكت ونعم ذهبت . الرحمة التي في البسملة فصلت في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ولقد ابتدأها الله بنعم الدنيا ثم أتبع ذلك بنعم الآخرة وتحلل ذلك التخويف بالعذاب في آيات قليلة ليدلنا أولاً أن نبتدئ بتعليم الناس هذه النعم الدنيوية مثل ما في هذا التفسير . أقول أنا بأعلى صوتي أيها المسلمون يجب وجوباً لا شبهة فيه أن أول تعليم المسلم من الآن يكون في كتب يذكر فيها جلال هذه العلوم بحيث يلد الطالب منظرها وجمالها من شجر وحجر وكوكب ونهر . هذا واجب في الكتب وفي الحقول وعلى شطوط الأنهار كما أنزل الله في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ففي سورة الرحمن ذكر الله نعم السموات والأرض والبحار وليس معنى هذا أن نكتفي بمعاني هذه الآيات . كلا . وانما المقصد أن ندرس علوم السموات والأرض بهيئة جميلة لاسيما لأطفالنا الصغار لاننا نقول لهم أيها الأطفال المساكين احفظوا سورة الرحمن ونحوها فحسب بل نريهم صور ما ذرأ الله من الجبال والبهاء والأزهار والأنهار ونفهمهم ذلك بمبارة رشيقة جميلة ثم نتبع ذلك بذكر الآية واذن نكون أدبنا ما وجب علينا . الله أكبر . أفليس تكرار البسملة في أول السور وتكرار آية الآلاء في (سورة الرحمن)

وسرد نعم الدنيا أولاً ثم نعم الآخرة في نفس السورة التي ابتدئت بالرحمن . ثانياً أقول أليس ذلك كله يوجب علينا أن نفعل ما تقدم في تعليم الناشئين ويكون ذلك الوجوب ألزم وألزم بحسب الدليل وبحسب النتيجة من وجوب ترتيب أعضاء الوضوء ومن وجوب كون الأسماء من قریش الذين استنجا من مجرد التقديم والتأخير وإذا وجب ذلك اليوم بهذا الدليل فليس لنا فضل في استنجا لأنه آيات واضحات لا يعوزها إهمال فكرر . في آيات ﴿سورة الرحمن﴾ مسندات إلى ذلك الاسم الذي في البسملة يكرره المسلم صلباً ومساءً في غسوه ورواحه . فلما أبو بكر رضي الله عنه والشافعي فقد أتيا بما يصدق عن الأفهام أعظم منحة الله لهما والله ذو الفضل العظيم

اللهم إنك أنت الذي صرفت عقول الأمم الإسلامية المتأخرة المتفرقة في الأرض بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون عن الخلطة المثلثي في التعاليم التي يقتضيها القرآن لأنك عدل فانك أبحث الغنائم لهم ليصرفوها في منافع أهل الأرض ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح فلم يفعلوا ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من التجاني عن المال والزهد فيه وصرفه في مصارفه الحققة وهي إسعاد أهل الأرض وعمارتها لأنهم خلفاؤه فيها . وعكف الذين سموا أنفسهم خلفاء بعد تلك القرون وكذلك الأمراء التابعون لهم على الخمر والفسوق وأشاعوا ذلك وأذاعوه في أواخر دولهم في الشرق وفي بلاد الأندلس في الغرب . لذلك صرفت عقول العلماء عن هذه المباحث العالية غالباً لأن الأمم التي تقرأ العلوم الأرضية والسمائية تفتتح لها أبواب الرجات على مقدار ما يتعلمون ويعملون فأعطينهم نعماً علمية وعملية على مقدار أخلاقهم ولم تفتح الباب لهم على مصراعيه لئلا يستبدوا بعبادك فانطبق على كثير من متأخريهم آية . نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . ، وتعادوا في ذلك حتى أحرق (علي بن تاشفين) من المرابطين كتب الإمام وأذى المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين ببلاد المغرب ابن رشد . ذلك الذي نادى بأعلى صوته بين المسلمين يقول « أيها المسلمون . علم التوحيد على هذا النمط ضار بكم أجمعين لماذا حدثتم عن طريق القرآن الذي وصف هذه الأفلاك والأشجار ، وما هذه الطرق العقيمة في التوحيد وهل من جادة الصواب أن يكون التعريف أخفى من المعرفة والله يدركه العاوي بغريزته . وهذا التوحيد الممزوج بالفلسفة الصعبة ينكك المسلم في دينه » ثم أخذ ينشر آيات من القرآن من ﴿سورة النبأ﴾ ليدلهم على طريق التوحيد الحق . وقد نقلت ذلك بالتطويريل في كتابي ﴿نظام العالم والامم﴾ فاقراء هناك

فهذا العالم المخلص للأمة الإسلامية هو وأمثاله اضطهد هم المسلمون ، فلما مات بعد أن أخرج من محبسه بسنة طاق المسلمون علوم الحكمة وصاروا غالباً صوفية ذوى وجدان منذ سبعة قرون . ذلك ان تلاميذ ذلك العالم سجدوا علمه إلى أوروبا كما أوضحته في غير هذا المقام من هذا التفسير حتى اننا نحن الآن قد حرمانا من أكثر كتبه فانه وان عثرنا على خمسة كتب مطبوعة بالعربية مثل (التهافت) و (فصل المقال) و (الكشف عن مناهج الأدلة) والقسم الرابع من كتاب (ما وراء الطبيعة) و (بداية المجتهد) فانا حرمانا من كتبه التي باللاتينية أو العبرية وهي (٢٨) كتاباً كلها في الحكمة ذكرها الاستاذ (لطفي جعه) المحامي في كتابه ﴿تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب﴾ لا نطيل بذكرها . انشرت كتبه في أوروبا إذ ذاك وأخذ القوم يدرسونها ثم انتقلوا من هذه الكتب إلى أصولها وهي باللغة اليونانية ثم ارتقوا بعد ذلك فأخذوا يفكرون بعقولهم ويستخرجون من نفس الطبيعة . الله أكبر . هذا مقصود القرآن وهذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم

ترك متأخرو المسلمين النظر في جلال الله ولم يسموا نصيح حكماهم فهربت الحكمة إلى أوروبا فاعتقلوها وفهموها وانتقلوا إلى أصولها في اليونان ثم إلى الأصل الحقيقي وهو هذا العالم الذي خلقه الله فربنوا تعاليمهم على مقتضاه ودرسوا لصبيانهم في مدارسهم على مناهج هي دينها التي ذكرها الله في سورة الرحمن وهي الآلاء أي آلاء الله

في الأرض والسماء من شجر ونبات ونهر وحجر ونجم . فهذا هو الذي يدرسه الأمريكي والانجليزى والألمانى والجرى واليونانى والسبىنى الآن . لماذا هذا كله ؟ لأنهم فكروا في الدنيا ، ولماذا لأنهم اطلعوا على أصول فلسفة اليونان التى نبى عليها فلسفته (ابن رشد) التى استبهرت من مكانها بسبب ظهور خاتم الأنبياء الذى أرسل رحمة للعالمين . يا عجباً . نبينا ﷺ رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . فهو رحمة لأنه علمنا وتعليمه آثار فلسفة أهل الأرض وامتدت الحركة العلمية الى وقتنا الحاضر فقرأنا كتب أوروبا فوجدنا تعاليمهم على مقتضى سورة الرحمن . فقرأنا فيها الذكى كتبهم تجددها كسورة الرحمن التى هى فى الحقيقة كبيان لاسم الله الرحمن التى يتبرك بها المسلم كل صباح وكل مساء ، فهو ﷺ رحمة من الله الرحمن الذى علم القرآن وشرح فى نفس هذه السورة عجائب السموات والأرض

انى أنا وأنا أكتب هذا القول فى غاية العجب ، فوالله لم تسكن هذه الموافقات وعجائب الحكمة القرآنية لتخطر لى عند ما أمسكت بالقلم ولكن الله عز وجل هو الملمم المتفضل ، بأمثال هذا عرفت أن فى القرآن من السر ما لم نحلم به الآن . إن ربى لطيف لما يشاء .

ومن أظن ما فى القرآن والعبادات أن الفاتحة مبتدأة بالثناء على الله وذكر رحمة وهو كابتداء (سورة الرحمن) والرجات المفصلة فيها ، وتجدد المسلم فى الشهد صلى على نبينا ﷺ وعلى ابراهيم ليكون ذلك أولاً مزرعة للشواب الراجع للعباد من طريق العبادة للخاصة والعوام وتذكرة عند العلماء باتجاه ابراهيم الذى فطر السموات والأرض بعد نظره فى السكواكب ، فهو على منهج (سورة الفاتحة) نظر أولاً وعبادة آخرى وبهذا كسر الأصنام وهذه الملة ابراهيم ولذلك درج على طريقه نبينا ﷺ فكسر الأصنام ، فهذا تذكرة بأمرين الابتداء بمحاسن الطبيعة كالخليل ونبد العادات الجاهدة والارتقاء بالعقل كالخليل ومحمد ﷺ

﴿ تلخيص ما تقدم ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذى اعتاد مناقشتى فى التفسير فقال لقد أجدت فيما شرحت هنا فانك قد أثبت أن النظام عند متأخرى المسلمين كان استبدادياً غالباً ، فظلم من حكمهم وجهل من خطابهم وغباوة من دعاة المعلمين ، يضربون صغارهم بالعصى وأن هؤلاء لم يفتح لكثير منهم باب الرحمة على مصراعيه لأنهم حادوا عن طريق آباؤهم لأنهم جعلوا أن حكم الأمم لشهوات أنفسهم ، وانهم تمادوا فى الجهل حتى أذلوا حكماءهم . وأن ابن رشد أفاد كيف يتعلم الأطفال فى مدارسهم وأن تعليمه على نمط القرآن وأن علمه انتقل الى أوروبا ولما قرؤء فهموا وقرؤوا أصله باليونانية ثم فكروا بأنفسهم ، وهأى ذه تعاليمهم الآن أصبحت هى نفس ما طلبه (ابن رشد) من المسلمين بقراءة هذه العوالم المحيطة بأهل الأرض وهى هى نفس ما جاء فى سور كثيرة ومنها سورة الرحمن ، والله تعالى جعل النبى ﷺ رحمة للعالمين ، وهذه هى الرحمة العامة إذ تتعلم أوروبا بالآن وأمريكا واليابان بالطريقة الحديثة بسبب ابن رشد وغيره من المسلمين الذين لولاهم لم يرجع هؤلاء القوم الى كتب اليونان والى العقل الانسانى والاجتهاد الفردى وهذه من أجل المجزات فى زماننا . وكل هذا تقتضيه البسطة ولماذا تكررت فى سور القرآن وما فعلوه موافق لما فهمته أنت الآن من وجوب ابتداء التعليم شرعاً فى الاسلام فى كتب جيلة فيها صور العوالم السماوية والأرضية تبياناً لمعنى سورة الرحمن وسورة النبأ وغيرهما وهذه الكتب تكون فيها مواضيع مختلفة جيلة يفرح بها الشبان ثم يخرجهم الأساتذة فينظرون نفس هذه المناظر بأنفسهم فى الخلوات وشطوط الأنهار والحقول . هذا يؤخذ من كلامك ، ولقد جعلت لك فى ذلك امامين أبابكر الصديق رضى الله عنه والشافعى بما استنتجا من تقديم وتأخير ﴿ مسألتين ﴾ سياسية وعملية وافدت أن دليلك أنت لا يعوزه طول تفكير لوضوحه . أماد ليلهما ففهما دقة لا يعرفها إلا من على شاكلتهما أقول ، والله ان هذا كله حسن ونعمة عظيمة لأن المسلمين اليوم هم الأمة الوحيدة فى العالم التى تباعدت

عن طريق كتاب الله تعالى في أساليب التعاليم ، وأنا أقول والله مامن عالم أو أمير أو عاقل في أمة الاسلام يقرأ هذا إلا وهو يسارع حالا الى هذا النظام لأن هذا القول بحجة قائمة ونتائجه واضحة ولكني أسألك ﴿سؤالين﴾ الأول ﴿انك قلت ان الفرنجة لما قرؤوا فلسفة (ابن رشد) رجعوا الى أصلها باليونانية ، والرجوع لليونانية جعلهم ينظرون بمقوطين . فهل الرجوع الى هذه الأحوال لا بد منه﴾ الثاني ﴿انك قلت ان كتب الفرنجة في تعليم أطفالهم جيلة ترجع الى سور القرآن بوجه عام والى (سورة الرحمن) بوجه خاص . وهى مبتدأة بالرجعة المذكورة في البسملة التى كلامك الآن فيها ، وأن من قرؤا على هذا النقط يفتح الله لهم أبواب رحته في الدنيا على مقتضى ما وصلوا اليه ، فأريد أن تذكر نموذجاً من كتبهم ، نعم ان المقام طال ولكن المقام يحتاج ايضاحه الى إجابة على هذين السؤالين . فقلت أما رجوع الفرنجة الى الفلسفة اليونانية فهو واجب على كل من قرؤا الفلسفة العربية . فقال ولماذا ؟ قلت لأن كتبهم كثيرة وعلماءهم أكثر والترجمة يدخلها التحريف بل التخريف ، فلذلك وجب الرجوع الى أصل اليونانية على من درس الفلسفة بالعربية (متى أمكن ذلك) في ذلك الزمان . فقال هل تذكر مثلاً واحداً مما جاء في العربية ضاراً بالعقول مع انه باليونانية كان نافعا . فقلت أظن ان هذا يخرجنا عن الموضوع . فقال ولكن هو حسن ومفيد الآن . فقلت أنت تعلم أن الفلسفة التى نقلت الى العربية من اليونانية قد جاء فيها ان العالم قديم . فقال هذه محور فلسفتهم . فقلت هذا من مخزبات الدهر . فقال وكيف ذلك . قلت ألم تقرأ ما ذكرته سابقاً عن طيماسوس الحكيم مع سقراط فانه برهن على أن العالم حادث مع ان الرجل قبل الميلاد بخمسمائة سنة . ولأن هذا القول نقل الى اللغة العربية لم يكن هذا الخلط في علم التوحيد والجدال ، ولم نسمع أباً العلاء يقول وهو لا يعلم برهان طيماسوس ماعناه

قالوا إله بلا مكان * ولا زمان ألا فتولوا

هذا كلام له خبيء * معناه ليست لنا عقول

فقال أى والله هذان البيتان أسمعهما من جميع الشبان في الأندلس ومحال شرب القهوة والخمر والمطاعم الفرنجية في مصر والشاب منهم مهجوب بملابسه وما كلبه الفرنجية وفسوقه وخمره فهو فرح طرب لأنه عثر على كنز ثمين وهو أن الديانات كلها خاطئة بسبب هذين البيتين . فقلت ولكن هذا القول الذى قاله علماء التوحيد هو نفسه الذى قاله طيماسوس فيما تقدم وقد رأيتنا نحن في كلام الفرنجة الذين اطلعوا على الفلسفة باليونانية . ألم ترى طيماسوس فيما تقدم كيف يقول « ان العالم حادث » . والله لم يكن في زمان ولا في مكان لأن الزمان ماهو إلا بحركات الأفلاك فان الليل والنهار نعرفهما بالشمس والشمس ولا قر قبل خلق الأفلاك وهكذا لا مكان لأن المكان ماهو إلا سموات وأرضون ولا سموات هناك ولا أرضين . وهذه المسألة أصبحت اليوم معروفة لأن علماء العصر الحاضر كلهم أجعوا على أن هذه العوالم كلها كانت غازاً منتشرة ثم صارت سموات وأرضين . فرأى طيماسوس هو رأى علماء العصر الحاضر . إذن كون الله لا يحكم عليه زمان وليس في مكان قضية واضحة ظاهرة لأنه لم يكن زمان قبل هذه الأفلاك ولا مكان . إذن هذان البيتان اللذان جعلنا للتكم والسخرية خاطئان خياليان والعقل هو الذى يحكم على أرباب الخيال . فلولاً اطلع القوم على آراء اليونان باللغة اليونانية لم نعرف ماذا قالوه وبه أدركنا الحقيقة ودفعنا تلك الآراء التهكمية التى يتسلى بها صغار العقول من الشبان والنشابات في بلاد الاسلام . هذا جواب سؤالك الأول

وأما نموذج كتب المطالعة لأطفالهم تطبيقاً على ماتقدم وموافقة للقرآن وسورة الرحمن وببسملة لكون نبينا ﷺ رجة للعالمين . فان ماتقدم في هذا التفسير فيه غنية لأولى الألباب . وسترى في ﴿سورة يس﴾ عند آية - سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - رسم ورقة شجرة وكيف كان فيها آلاف وآلاف آلاف من الفتحاح وتحتها ما يشبه الحجرات . وأن الحيطان الشفافة

والسقوف المرصوفة بما يشبه المسننات في أبنيتها المعتادة . وفي وسط تلك الحجرات مادة سائلة يعموم فيها مادة خضراء تأتون تلك السقوف . فهناك شاشات تلك الحجرات البهيجة التي تعد بمئات الألوف في الورقة الواحدة وترى أن الورقة هي رثة النبات وابداعها في غاية الاتقان والجمال . والغراب فكيف تكون عشرات الملايين منها في ورقة واحدة ؟ ثم كيف تكون هي معدة لتغذية الشجرة بالمواد السكرية على شرط أن يساعدها ضوء الشمس

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا أمر عجيب جدا ولكني الآن أسألك في أمر غير هذا . أسألك في نفس كتب الأطفال وأما ههنا فاعلم هي تعاليم الكبار تناسب أمثال هذا التفسير فلترجئها إلى أن نطلع عليها في ﴿سورة يس﴾ فقلت هاك نموذجاً وهو كتاب صغير يسمى ﴿الفراة الموكية﴾ كان يدرسه التلاميذ في بلادنا المصرية في عهد الاحتلال على أساليب تعاليمهم في بلادهم . ولست أذكره إلا على سبيل المثال فاني أريد أن توضع كتب الدراسة في بلاد الاسلام بعد الدرس والتحجيص من ذوى العقول الكبيرة الذين اصطفاهم الله من قراء أمثال هذا التفسير . فهناك مواضع ذلك الكتاب بحسب ترتيبها

(١) العنكبوت (٢) الصبي والعصفور (٣) الأرنب (٤) العنكبوت (٥) التبريد في الاستيقاظ من النوم (٦) النحل (٧) نظم في النحل (٨) الأوز (٩) قل الصدق (١٠) أنعم صباحاً أيها الطائر (١١) الذئب (١٢) صدى الصوت (١٣) أنعم صباحاً أنعم مساء (١٤) القطوط طائر الكناري (١٥) الزنبار والنحلة (١٦) الحصان (١٧) الكلب والمصباح (١٨) معلومات عامة نافعة في الحيوان (١٩) الجمل (٢٠) تاريخ كلب (٢١) القانون الذهبي (٢٢) الحمار (٢٣) قصة النحلة والحمل ولدها (٢٤) الدب الأسمر (٢٥) الأسد والفأر (٢٦) الحروف (٢٧) الغراب والاربع (٢٨) الجندي والحسان (٢٩) الدب الأبيض (٣٠) الثعلب والعنبر (٣١) معارف نافعة (٣٢) الدب في المدرسة (٣٣) القيطس وهو حوت عظيم جدا (٣٤) الأرنب والسحفاة (٣٥) السريع والبطيء (٣٦) الصبي والخوخ « البرقوق » (٣٧) العصفور الدوري (٣٨) الأسد (٣٩) الغر (٤٠) الفهد (٤١) جمل الحبشة (٤٢) المعادن (٤٣) الأطفال (٤٤) الملكة (٤٥) طائر بحري (٤٦) نبات الشاي والقهوة

هذه المواضع هي مواضع الكتاب الانجليزي المذكور ولم أترك منه إلا عدد الأصابع لعدم أهميته . فهذا أيها الأخ هو النهج الذي نهجه القوم في مدارسهم لأطفالهم بحيث يشرحون الحيوان أو النبات ثم يستخرجون بعض حكمه كأن يذكرهم بنشاط النحلة واتسكال الأرنب على سرعة جريه واجتهاد السحفاة وكأن يذكرهم عند ذكر عوم صفار الطيران الله هو الذي علمهم بالأستاذة وهكذا فلا يتخون كتاباً صغيراً مثل هذا حتى يكونوا قد علموا مبادئ العلوم بحكايات ومناظر مشوقة وأجوا الحيوان والبحث فيه وعطفوا عليه وتعلموا أخلاقاً مما يذكرهم به المدرسون

فلما سمع ذلك صاحبي قال لقد أحسنت أيها احسان وشرحت صدرى واسكني أسألك آخر سؤال وهو لم اخترت هذا الموضوع في هذه السورة في تفسير بسملتها . فقلت ان في هذه السورة آية - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وفيها آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً - وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً - وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً - وفي سورة التوبة انه ﷺ - بالمؤمنين رؤوف رحيم - فهو ﷺ رحيم بالمؤمنين ومبرج للناس منير وأول السورة بسم الله الرحمن الرحيم . فانه رحمن رحيم وهو ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين بل هو خاتم الأنبياء مرسل للناس قاطبة وباب رسالته مفتوح لجميع الأمم فيكون لهم رحمة . فتفسير الرحمة في هذه السورة باظهار العلوم المخزونة في خزائن الأمم الأوروبية منذ أيام اليونان ونشرها بين المسلمين وتعليم المسلمين للاوروبيين ثم تنقيح هؤلاء لها بالبحث

ثم رجوعها ، نيا لنا الآن لتسقط بعد نوحنا الميق . كل ذلك رجة بنا نحن المؤمنين بن رجة بالعالم قاطبة فهو في آية أخرى يقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

فقال صاحبي . هذه رحمة للناس ﷺ فأريه الساعة أن تذكر لي رحمة بالحيوان حتى يعلم المسلمون أن درس المسلمين على منهج يشرب من المنهج المتقدم خبر وأعظم فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول الى جامع الأصول » مانصه

﴿ كتاب الرحمة * وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في الحث عليها ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الراجون يرحمهم الله تعالى . ارجوا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجرة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله تعالى » أخرجه أبو داود الى قوله من في السماء والترمذي بنامه (الشجرة) بكسر الشين الموحدة وفتحها بعدها جيم القرابة المشبهة كاشتباك العروق

وعن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذي . وفي أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ « لا تنزع الرحمة إلا من شقي »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الخمسة إلا النسائي . وزاد رزين « وأمالك إن كان الله تزع منك الرحمة »

﴿ الفصل الثاني في ذكر رجة الله تعالى ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق ، وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش . ان رحمتي تغلب غضبي » أخرجه الشيخان والترمذي . وعند البخاري رجة الله في أخرى « ان رحمتي غلبت غضبي » وعند الشيخين في أخرى « سبقت غضبي » وعنه رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذي

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن لله مائة رحمة ، ففيها رحمة يتراحم بها الخلائق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم . وله في أخرى « ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكلها الله تعالى بهذه الرحمة » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تسمى قد تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرذعته . فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ؟ قال فأنه تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان

﴿ الفصل الثالث فيما جاء من رحمة الحيوان ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش

فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج وإذا كلب يابئ يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الثلاثة وأبوداود . وفي أخرى « إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلج لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به » . ثم الكلب وغيره إذا أخرج لسانه من شدة العطش والجحر وكذا أدلج لسانه والثرى التراب الندي والمراد هنا التراب طاقا ، والكلب الرطبة كل ذات روح ولا تكون رطبة إلا إذا كان صاحبها حيا ، والبئر المرأة الزانية ، والموق الخف

وعن ابن عمر رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » أخرجه الشيخان . (خشاش الأرض) هوامها وحشراتنا وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما . قال « كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل ، فدخل حائشا لرجل من الأنصار فإذا فيه جل فلما رأى النبي ﷺ حتى وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فسح ذفراه فسكت ، فقال من رب هذا الجل ؟ فقال فتي من الأنصار هو لي يا رسول الله . فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فانه شكى إلى انك تجيعه وتدئبه » أخرجه أبوداود . الهدف ما ارتفع من الأرض من بناء وغيره ، وحائش النخل نخلات مجتمعات ، والحائط البستان وذفرى البعير الموضع الذي يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفران ، وتدئبه تتبعه بكثرة استعماله

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر انما سخرها الله لكم لتبلفسكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشئ الأنفس ، وجعل لكم الأرض فمليها فاقضوا حاجتكم » أخرجه أبوداود . (شئ الأنفس) مجهدها وشدة ما نالقيه عند مقاساة الأمور الصعبة وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حجرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحرة تعرش ، فلما جاء رسول الله ﷺ قال من جفع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقها فقال من أحرق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار . أخرجه أبوداود

(الحرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم نوع من الطير في شكل العصفور ، وقوله (تعرش) بالعين المهملة والشين المهملة أى ترفرف وترخى جناحيها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولا تقع ، وروى تفرش بالفاء من فرش الجناح وبسطه

وعن محمد بن اسحق ، عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه عن عاصم الرام أخى الخضر قال انا لببلادنا إذ رفعت لماريات وألوية فقلت ما هذا ؟ قالوا لواء رسول الله ﷺ فأتيته وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع اليه أصحابه فجلست اليهم فذكر النبي ﷺ الأسقام والأمراض . فقال ان المؤمن اذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل . وان المنافق اذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقاوه ولم أرسلوه . فقال رجل من حوله يا رسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط ؟ فقال له قم فليست منا . أخرجه أبوداود . والألوية جمع لواء وهى الراية الكبيرة دون الأعلام . وأعفاه وعافاه بمعنى واحد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « قرصت نملة نبييا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فجرت فأوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح » أخرجه الخمسة إلا الترمذى

(وقرية المثل) مسكنها . انتهى ما جاء في الكتاب المذكور

ثم قال صاحبي . لقد استوفيت هذا المقام وشرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة الخميس (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م . وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة

(القسم الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَقْتُمُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْمُسَاعِدِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلْ يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كَمِ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَافَاتُوا إِلَّا قَلِيلًا * أَفَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ سَلَفُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِخَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا *

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) أي يأيها انخبرنا المؤمن على أسرارنا أثبت على تقوى الله ودم عليها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شئ واحترس منهم * روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزرا على عبد الله ابن أبي وأعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا أرفض ذكر آلهتنا وقل أنها تنفع وتشفع وساعدهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فزلات أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا ولذلك لما قال عمر ابن الخطاب في قتلهم قال في أعطيتهم الأمان قال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه (ان الله كان عليا) بالمصالح والمفاسد (حكما) لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك)

في الثبات على التقوى (إن الله كان بما تسمعون خبيراً) أي لم يزل عالماً بأعمالكم وأعمالكم (وتوكل على الله) وكل أمرك إلى تدبيره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً إليه الأمور كلها أي اكتف به الله وكيلاً . وإذا كان الله لك وكيلاً فلا تخف من أحد فهو ناصرك فاست في حاجة إلى المنافقين والكافرين إذ لا يجمع بين المتضادين طاعة غير الله والطاعة لله إذ ليس الإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويعصى بالآخر . وإذا كان للإنسان قلب فني اتجه لأحد الشقين صمد عن الآخر ، فطاعة الله تصد عن طاعة سواه وهو يقوم بأمر من توكل عليه ، هكذا ليس يجمع الزوجية والامومة في امرأة والبنوة الحقيقية والبنى في إنسان واحد فإذا ظهر الرجل زوجته أي قال لها أنت علي كظهي أي فذلك حكم سيأتي في ﴿سورة المجادلة﴾ فلما أن تحرم عليه إلى أداء الكفارة ولما أن تعلق ، فهذا القول ليس بجنى إذ لا يجمع كونه زوجها وكونها أما ، فلما أن تكون زوجة ولما أن تكون أما ، هكذا المتبنى لا يكون ابناً حقيقة . وذلك أن زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج ﷺ زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فقال الله ليس يجمع النقيضان بنوة لابنوة فزيد ليس ابناً بل هو دعي مجسد أدعياء وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولداً وهذا الجمع شاذ لأن بابه ما كان بمعنى فاعل كشي وثق وأتقياء وأتقياء وهذا قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن في تظاهرون قراآت وفيها معنى التجنب فعدي بمن (أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له في الأعيان كما يقول الهاذي (والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل) والله يقول ماله حقيقة مطابقة له وهو يهتدى السبيل إلى الحق . وسيأتي بعد تمام السورة في الرسالة المسماة ﴿السر العجيب﴾ حكمة زواج النبي ﷺ زينب وحل زواجها وما يترتب على ذلك من نظام التشريع مع الحكمة في تعدد الزوجات في الإسلام وزوجات النبي ﷺ (ادعوهم لآبائهم) أي انسبهم إليهم (هو أقسط عند الله) وهذا تعليل له (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم) أي فهم إخوانكم (في الدين ومواليكم) أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وأوليائكم فيه وقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده نسياناً أو سبق لسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن فيما تعمدت قلوبكم الجناح (وكان الله غفوراً رحيماً) لغفوه عن الخطي ، ولما كان المؤمن أخاً للمؤمن في الدين كما صرنا وكان ﷺ ليس أباً لزيد بن حارثة أعقب ذلك ببيان منزلة النبي ﷺ من الأمة كلها . يقول الله ليس محمد أباً مختصاً بواحد منكم بل أبوة عامة وأنتم أخوة في الدين وأزواجه أمهاتكم بل هو أولى بكم من أنفسكم لأن أهل الأرض خلقوا فيها وهم غافلون عن العالم العلوي الذي هو الحياة الحقيقية فأنزل الملائكة بالوحي على الأنبياء فهم في الحقيقة آباء لكم ومحمد ﷺ منهم وأبوة الأنبياء أشرف من أبوة الآباء إذ بها الحياة الحقيقية والأخرى بها الحياة الفانية ، لذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهي منزلة لم ينلها الآباء الجاهليون ، فإذا حضهم على الجهاد فذلك لارتقاءهم الروحي وهذا قوله تعالى (الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لما تقدم بيانه فإذن كيف يستأذن الناس آباءهم وأمهاتهم لما أسره ﷺ بغزوة تبوك وهو أشفق من الآباء بل هو أولى بالمؤمنين الخ (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فأما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليتره الضاد أي عيالا فليأتني فأنا مولاه » ومعنى عصبته الميت من يرثه سوى من له فرض متدر . وقد تقدم في ﴿سورة النساء﴾ وهذا قوله تعالى

(وأولوا الأرحام) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث (في كتاب الله) أي فيما فرضه الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي وأولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة وذلك نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة في الدين فهذه الآيات فيها رجعت الأمر إلى نصابها فليس للإنسان وجهتان معا مع أن له قلبا واحدا ، وليس للمرأة أن تكون أما وزوجة ، وليس الدعوى ابنا ، وليس المهاجر والمؤمن أولى بالميراث من ذوي الأرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا) لما نسخ الله الميراث بالخلف والموالاتة والهجرة وأصبحت التوارث بالقرابة أباح الودية هؤلاء كما أباحها لغيرهم بالثلث فقال ولكن أن توصوا لمن تتولونهم من المعاقدين أي ولكن توصيتكم هؤلاء مشروعة أوجازة (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح المحفوظ . ولما كان ما تقدم مفيدا أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه يرفعهم إلى عالم الأرواح أعقبه بذكر الأنبياء السابقين الذين هم آباء للأمم السابقين فقال (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما جاءوا (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) فهؤلاء أشهر أرباب الشرائع وآباء الأمم وقدم عليهم إيدانا بأن أمته ستكون أرق الأمم أدبا وأخلاقا لأن رقي الأمة تبع لنبيها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) مؤكدا ، وانما فعلنا ذلك (لسأل الصادقين عن صدقهم) فيسأل الأمم كما يسأل الأنبياء ، فلا أنبياء صادقون في التبليغ والأمم التابعة لهم صادقة في تصديق الأنبياء . فكل هؤلاء مسئول . فلا أنبياء عما قالوه لقومهم والمصدقون لهم عن تصديقهم وهل قاموا بما وجب عليهم ؟ فأتاب المؤمنين (وأعد للكافرين عذابا أليما) واعلم أن سؤال الأمم عن صدقها يدعو إلى السؤال عن أعمالها لأن الإيمان وحده لا يكفي كما قال تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - وعليه لا بد من الأعمال والجد ومن أهمها الجهاد والجهاد أمر عام يشمل فروع الحياة كلها . فالعلم جهاد والأعمال كلها جهاد وقتال العدو جهاد . لذلك أعقبه بذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب . والكلام عليها منحصر في ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في ملخص الكلام عليها ﴾ (الفصل الثاني) ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ربط هذه الغزوة بما قبلها من الآيات وانها أشبه بما كان في الأمم السابقة من امتحان الأمم وتذكيرها وفقا لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن

﴿ الفصل الأول ﴾

ان نذرا من اليهود قدموا على قريش في شوال سنة أربع من الهجرة بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم ان دينكم خير من دينه ثم جاؤا غطفان وقيسا وعيلان وحالفوا جميع هؤلاء أن يكونوا معهم عليه فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وغطفان وقائدها عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والحارث ابن عوف ومسر بن ربيعة بن نوبة بن طريف وغيرهم . فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خط الخندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي وهو يومئذ حرّ إذ قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وأحكموه وقد أقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فخرجت لهم صخرة بيضاء من بطن الخندق فكسرت حديدهم وشقت عليهم . فلما علم بها رسول الله ﷺ أخذ المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعتها و برق منها برق أضاء ما بين لابلها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير ففتح وكبر المسلمون وهكذا مرة ثانية وثالثة فكانت تضيء وكان التكبير . ثم قال رسول الله ﷺ ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء له منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب السكّاب . وأخبرني جبريل أن أمّني ظاهرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أبواب السكّاب فأخبرني جبريل أن

أمتى ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا . فاستبشروا المسلمون . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده . فقال المنافقون ألا تعجبون عنيكم ويسدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تخفرون الخندق من الفرق لانستطيعون أن تبرزوا فنزل ما سياتى . وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض . الخ ونزل . قل اللهم مالك الملك . الآية

ولما اجتمع هؤلاء الأحزاب الذين حاربهم اليهود وآتوا الى المدينة رأوا الخندق حائلا بينهم وبينها فقالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . وهناك كانت مصادمات بين القوم كرا وفرا . فن المشركين من كان يقتحم الخندق فىرمى بالحجارة ويقتل . ومنهم من كان يقتحمه بفرسه فيصيبه الموت وهكذا . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فأعلمه انه أسلم وأن قومه لم يعلموا بذلك فقال إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فأتى قريظة وقال لهم لا تحاربوا مع قريش وغطفان إلا اذا أخذتم منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم تقيّة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا لأنهم رجعوا وسئموا حربه فانكم لا تقدرون عليه . وذهب الى قريش والى غطفان فقال لهم ان اليهود يريدون أن يأخذوا منكم رهنا يدفعونه لمحمد فيضرب أعناقهم وهم يتحدون معه على قتالكم لأنهم ندموا على ما فعلوا معه من نقض العهد وتابوا وهذا هو المخرج الذى اتفقوا عليه . فهناك تحاذل اليهود والعرب وحصل الفضل بسبب ذلك . وفى ذلك الوقت بعث الله رجا فى ليل شانية شديدة البرد جعلت تكفأ قدورهم وأطرح آنيهم وقد قام ﷺ يصلى هونا من الليل ثم يلتفت ويقول هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم فعل ذلك ثلاث مرات ولم يقم رجل واحد من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فدعا حذيفة بن اليمان فذهب الى القوم فسمع أباسفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فأتى صرحتل . فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود) أى الأحزاب المتقدم ذكرها وهم نحو اثني عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) هى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة وقد خرج النبي ﷺ اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينهم ومضى على الفريقين شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أرسل الله عليهم الريح كما تقدم فأخصرتهم وسفت الغراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض فقال طليحة الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجاء التجاء كما تقدم (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق (بصيرا) رائيا . وقوله (إذ جاءكم) بدل من . إذ جاءكم . (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش (وإذ زاغت الأبصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) هذا إما تمثيل أو أن الرثة تفتح من شدة الروع فتكاد ترتفع الى رأس الحنجرة ويرتفع القلب بارتفاعها اليها . والحنجرة منتهى الحلقوم وهو مدخل النفس الذى وراء المريء وهو مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الأنواع من الظن . فالؤمن يعلم أنه امتحان فيخاف الزلل والمنافق وضعيف القلب يقولان ما حكى الله عنهما . وألف الظنونا أثبتنا بعضهم تشبيها للفواصل بالقوافى ولم يزلها بعضهم وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتردد (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع (وإذ يقول المنافقون) عطف على الأول (والذين فى قلوبهم مرض) هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان

المنافقون يستمياؤنهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسولنا إلا غرورا) كما تقدم (وإذا قالت طائفة منهم) وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه (يا أهل يثرب لأمقام لكم) أى يأهل المدينة لاقرار لكم هنا (تارجعوا) من عسكر الرسول ﷺ إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة أى خالية من الرجال نخاف عليها سرق السراق (وما هي بيوتنا عورة) بل هي حبيبة (إن يريدون إلا فرارا) أى ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم المدينة أو بيوتهم) (من أقطارها) من جوانبها سواء أكان الداخل هم الأحزاب أم غيرهم (ثم سألوا الفتنة) أى الردة ومقاتلة المسلمين (لأتوها) لأعطوها (وماتلبوها بها) أى ومالبثوا بالمدينة بعد إعطاء الفتنة (إلا قليلا) حتى يهلكوا (واقعد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار) وهم بنو حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشاوا ثم تابوا ألا يعودوا لمثله أبدا (وكان وعد الله مسئولا) عن الوفاء به يخازى عليه (قل ان ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل) فان لكل امرئ مائة سبق بها القضاء فلا بد من تذكرك على حسب ما سبق به القضاء من قتل أو غيره (واذن لا تمتنعون إلا قليلا) أى وبعد الفرار لا تمتنعون إلا مائة أجالكم وهو قليل (قل من ذا الذي يوصيكم من الله إن أراد بكم سوءا) أى يسيبكم بسوء (أو أراد بكم رحمة) ولا يجدون لهم من دون الله وليا (ينفعهم) (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المشركين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكني المدينة (هلم الينا) أى ارجعوا الينا ودعوا محمدا ﷺ فلا تشبهوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك والقائلون هذا القول هم اليهود أرساوا إلى المنافقين فقالوا لهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يبقوا منكم أحدا وانا نخاف عليكم وأتم اخواننا وجيراننا فهلموا الينا فأقبل عبد الله بن أبيّ ابن سابل وأصحابه يبطون الناس فلم يزد المؤمنون إلا ثباتا واحتسابا . وقوله (ولا يأتون البأس إلا قليلا) أى لا يأتى الحرب المنافقون إلا أيتانا قليلا حال كونهم (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعونة النفسية والمالية (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أى كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيته أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أى زال (سلوكم) أدرككم ورموكم في حال الامن (بالسنة حداد) ذرية تفعل فعل الحديد إذ يطلبون الغنيمة ويقولون انا شهدنا معكم القتال فلستم أحق بالغنيمة منا . وقوله (أشحة على الخير) حال أى خاطبوكم حال كونهم أشحة على المال كما هم أشحة بأنفسهم ومالهم فلا قتال لديهم ولا اتفاق وهم شديدوا الحرص على الغنيمة (أو انك لم يؤمنوا) حقيقة بل هم مسلمون بالظواهر (فأحبط الله أعمالهم) أى أبطلها باضرارهم الكفر (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب) جنبهم وجزعهم (لبيذهبوا) أى لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وان يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أى يتنى المنافقون جنبهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية عائشون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويبتزلوا مافيه الخوف من القتال (يسألون) الركبان والقادمين اليهم من المدينة (عن أنباكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاسوة القدوة وهو المقتدى به والمؤتسى فاقتدوا به اقتداء حسنا فانه كسرت ربا عيته وسجح في وجهه وقتل عمه وأودى بضروب الأذى فصبر . وقوله (لن كان يرجوا الله واليوم الآخر) متعلق بقوله - حسنة - أى حسنة لن يرجوا الله ونعيم الآخرة (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء ذكره وهو تودى إلى ملازمة الطاعة (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) إذ قال تعالى - أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الخ وأيضا - أحسب الناس أن يتركوا - الخ وقال ﷺ

« سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم » وقوله أيضا « انهم سائررون اليكم بعد تسع
 أو عشر » (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله (وما زادهم) الخطب والبلاء (إلا إيماناً وتسلماً)
 أي إيماناً بما وعده الله وتسلماً لمقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول
 والمقاتلة لتكون كلمة الله هي العليا (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بهمه وصبر على الجهاد حتى
 استشهد والحب الذي هو بمعنى النذر استمر للموت لأنه كندبر لازم في رقبة كل حيوان ، وذلك مثل حزة
 ومصعب بن عمير وأنس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبدلاً)
 شيئاً من التبديل كما يدل المنافقون يروى أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده
 فقال ﷺ أوجب طلحة ، فلخص ما تقدم أن قوما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوم بدلوا بنقض العهد
 (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم إلى الإيمان (إن الله
 كان غفوراً رحماً) ورد الله الذين كفروا بغيظهم) ولم يشف صدورهم فهم في حنق (لم ينالوا خيراً) ظفرا
 (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قوياً) في ملكه (عزيزاً) في انتقامه (وأنزله الذين
 ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان وهم بنو قريظة (من صياصيمهم) من
 حصونهم جمع صيمية وهي ما تحصن به ، ويقال أيضاً لقرن الثور والظبي ولشوكه الديك لأن ذلك كله للتحصن
 من العدو (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا يقتلون وتأسرون فريقاً) روى أن جبريل أتى
 رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال يا محمد انزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح
 إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصالوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم
 إحدى وعشرين أو خسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم
 سعد بن معاذ فرفضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونساءهم ، فكبر النبي ﷺ فقال حكمت
 بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسروهم سبعمائة . واعلم أن هذه الرواية ذكرها
 المفسرون ولم ترد في الصحيح كلها . ثم قال تعالى (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم
 (وأموالهم) نفودهم ومواشيهم وأثاثهم (وأرضاً لم تطؤوها) بعد تخييرهم ومكة وفارس والروم والقسطنطينية
 وغيرها من كل أرض فتحت للمسلمين (وكان الله على كل شيء قديراً) فيقدر على ذلك
 روى البخاري عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب « الآن
 نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم »

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له ، أعز جنته ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده ﴾ انتهى الفصل الثاني في تفسير الألفاظ
 ﴿ الفصل الثالث في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة وفي سور القرآن كله ﴾
 لقد ذكر الله في القرآن قصص الأنبياء وأمرهم أن يذكروا قومهم بأيام الله ومنهم موسى عليه السلام
 وقصته ذكرت غير مرة في القرآن وآخرها ذكرها في آخر ﴿ سورة السجدة ﴾ قبل هذه إذ قال تعالى
 - ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه - الخ ثم جاء في أول هذه السورة ذكر موسى
 إذ قال - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح - الخ ثم سوى بين الأنبياء وتابعيهم في سؤالهم
 عن عهودهم التي عاهدوها ، فالأنبياء مسؤولون لتوبيخ المكذبين والمؤمنون مسؤولون عما عاهدوا الله عليه
 هل صدقوا وأتوا في إيمانهم جاهدوا وصبروا أم هم منافقون مذنبون ؟ ولقد جاء في ﴿ سورة إبراهيم ﴾
 - ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله - فذكرهم بالشدائد
 التي لاقوها من فرعون وبالنجم التي أنعم بها عليهم كخروجهم من ذل العبودية وانهم ورثوا الأرض التي وعدوا

بها ، هكذا أمر النبي ﷺ أن يذكر المسلمين بغزوة الأحزاب والآنعام عليهم بنجاتهم منهم كما أنهم على بنى إسرائيل بنجاتهم من فرعون ، فانظر كيف يقول لموسى - وذكرهم بأيام الله - ويقول الله للمسلمين في القرآن - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - ويقول موسى - يا بنى إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون - وهنا يقول الله سبحانه - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -

إن السورة قد ابتدئت بذكر الدوام على طاعة الله وعدم الميل مع المنافقين والكافرين أى اتحاد الوجهة النفسية والعملية فى الاعتقاد وفى الدعى وفى الزوجة فإن اعتبار الزوجة أما واعتبار الدعى ابنا جمع بين المتناقضين كاجتماع طاعة الله وطاعة غيره . إن الله تعالى أرسل الرسل وهم صادقون وأتباعهم مسؤولون عن عهودهم فهل يوفون بعهودهم ، أم يكونون كالمنافقين الذين يجمعون بين المتناقضين ؟ قول مصدق وعمل مكذب كما يجعل الدعى ابنا والزوجة أمّا . إن هذه القاعدة عامة فى الرسل وأتباعهم وهكذا هذه الأمة . إن الله لا يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . إن الله ابتلى المسلمين بالغزوات ومنها غزوة الأحزاب فمنهم من صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم من بدّلوا ، فهذا الامتحان والابتلاء فى الاسلام تطبيق على القاعدة العامة فى قوله - وأخذنا منهم ميثاقا غليظا - ليسأل الصادقين عن صدقهم -

يقول الله . إن هذه القاعدة عامة فى الأرض فلا بد أن تنالوا حظكم منها فننظر أتصدقون ، وإذا كنا آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . هكذا يا محمد ستكون أنت وأتباعك من صبروا منهم يكونون أئمة . وقوله - فلانكن فى مربة من لقائه - فيه اشارة الى هذا المعنى من طرف خفى - كأنه قال آتيناك الكتاب كما آتيناها وسيكون لك نصر وأتباع هداة كما نصرناه وأيدناه ﴿ أئمة الاسلام اليوم ﴾

فعلى المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة ويتفكروا فيها فانها لم تذكر فى القرآن لمجرد التبرك . إن الله خلق الناس على هذه الأرض ليعتدهم الى الرقى الى عالم ارقى من هذا العالم ولا رقى إلا ﴿ بأمرين ﴾ تهذيب جسمى وتأديب عقلى فلا بد من نعم وقم وخير وشر وعز وذل وصحة ومرض والمراء بين ذلك يربى ولا علم له بالترية . يؤدّب ولا علم له بالتأديب . إن كل عمل نعمله فى الحياة يبعثنا عن المادة ويقربنا من عالم الأرواح فكل صناعة تتقنها وعلم ندرسه وعمل نتقنه يرقى نفوسنا فيجعلها صانعة ذات حكمة ما . ولقد جاء الاسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبينا نفسه أن يجاهد فكانت حياته كلها جهادا . فعلينا أن نقسدى به . علينا أن نكون حياتنا كلها جهادا يحرم علينا التواني والكسل . الجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات . يستلزم علم الرياضيات والطبيعات والإلهيات . يستلزم علم السياسات وعلم الاقتصاد وعلوم الحرب كلها واستخراج المعادن من الأرض وعلم الزراعة وعلوم العالم قاطبة . إن العلوم كلها والصناعات أشبه بحلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها . فاذا اطاعت على ما كتبته فى ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا الوسعها - وأن العلوم كلها والصناعات لا ينفك بعضها عن بعض عرفت أن الجهاد يكون بها كلها وأن الامم عليها أن تخص كل امرئ فى الصناعة أو العلم الذى هو أليق به . فالجهاد فى الاسلام يشمل جميع دوائر الحياة . ألا ترى الى رسول الله ﷺ كيف قال لنعيم بن مسعود لما جاءه وقد أسلم سرا ﴿ إنما أنت فينا واحد نخذل عنا ﴾ فخصه بما هو أقوى عليه وهو التخذيّل وقد نفذ الأمر فذهب الى بنى قريظة والى قريش وغطفان وأوقع بينهم الفشل . أليس هذا بعينه هو علم السياسة . أليس علم السياسة اليوم هو هذا بعينه . أليست الأمم تفتح المدارس لتربية الشبان لامثال هذا . أليس هذا من الجهاد . لا لا بل هو سرّ الجهاد . أوليس صانع المدفع وسائق القطار وسفير الدولة وكاتب الجيش وأمثالهم مجاهدين . إن الجهاد يشمل سائر فروع الحياة ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . فاذا لم يكن قطرات تسير بالجنود لم يكن جهاد ولا قطرات إلا بالحديد ولا حديد إلا بالتجارة

ولا تجارة إلا بالزراعة ولا زراعة إلا بالامن ولا أمن إلا بحكومة منظمة ولا حكومة منظمة إلا بعلاقاتها مع الأمم
ولاعلاقة لها مع الأمم إلا بحفظ كيائها والدب عن حياضها

اللهم إن هذا هودينك . وإنى قد أوضحت الأمر في هذا التفسير . وإنى قد أدت ماعلى . فألهم اللهم قراء
هذا التفسير وأمثاله أن يجاهدوا فيك حق جهادك ويرجعوا مجد هذه الأمة ويكونوا رحمة للعالمين ويهدوا
الأمة لمستقبلها الزاهر وسعداء الباهر ومجدها الفاخر وليعلموا الأمة أنها خلقت لآخرة البصائر وتطهير السمائر
واقامة الشعائر واسعاد الأمم وحفظ الدم وانهم خلقوا ليكونوا رحمة للعالمين وهذا نتيجة ظهوره على الدين
كأن الله لا يظهر ديننا على الديانات إلا إذا كان رحمة عامة وهذا هوديننا في مستقبل الزمان . انتهى القسم
الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ
صَالِحًا نُوفِئْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقرن في
يُؤْتِيكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِنْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَإِذْ كُنَّ
مَا يُتْلَى فِي يُؤْتِيكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ تُخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدُهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا *
 مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُتْلُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى
 بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ يُدْعَى أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَسَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوا بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُعَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَالَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْهُنَّ وَسَّرَدُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا *
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
 عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ
 وَأَمْرًا مَوْمِنَةً إِنِ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
 حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أُبْنَيْتَ
 مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهُنَّ وَلَا يُعْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ
 كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا
 أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 رَقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
 نَظَرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
 ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

مَتَاعًا فَسَلُّوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُزْوَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا *
 إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا
 أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَأَنْفُسَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلَكَاتٍ
 أَيْمَانِهِمْ وَالَّذِينَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى
 النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
 الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا * لَنْ يَنْفَعَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتْلًا * مُنَّةَ
 اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ
 إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنْ اللَّهُ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
 يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
 السَّبِيلَ * رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ
 اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

إن القسم السابق قد مضى في جهاد الرجال وحفظ النعور ، فلما أتم الكلام عليه أخذ سبحانه يشرح جهاد النساء كأن يترك الفاحشة ، وأن يقتلن لله ولرسوله ، وأن يفيضن أزواجه النبي ﷺ على الأمة العلم الذي عرفنه من النبوة ، وكأن يأمرن جميع النساء بالحجاب الشرعي والآداب العامة وما أشبه ذلك من كل حكم يختص بالنبي ﷺ أو بأزواجه أو بما يحوم حول ذلك من احترامه وحفظ حرمة واجتناب أذاه

وفي هذا فتح باب للجهاد الأكبر بعد اتمام الكلام على الجهاد الأصغر كما قال ﷺ ﴿رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس﴾ فان التدبير المنزلي ونظام العائلات وإقامة الشعائر كل ذلك جهاد عظيم أكبر من جهاد العدو . ألا ترى إلى قول (أرسطاطاليس) لـ (ألكسندر) ﴿إن الناس يستملون الشدة ولكنهم لا يستملون الرخاء﴾ يريد أن الناس يقدررون على مكافحة الحروب ولكنهم إذا أبطرتهم النعماء لا يتصممونها بل تفرقواهم وتضيح نخوتهم ويذهب مجدهم ولذلك أكد عليه أن يراعيه في أحوالهم ويشغلهم فان لم يشغلهم أيام الامن هلكوا واضاعت دولهم ، فهكذا ههنا لما أتم الله الكلام على الجهاد أخذ يشرح الآداب المنزلية والأحوال الاجتماعية ، فإذا لم تنظم الحياة للأمة

ولقد مضى مثل هذا في ﴿سورة البقرة﴾ فانه بعد أن ذكر أحكام الطلاق والعدة والرضاع والخروج والميسر واليتامى وما أشبه ذلك من كل عمل للناس في أنفسهم أعقبه بذكر القتال فقال - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - ألع فهناك ذكر القتال بعد النظام الداخلي وهنا عكس الأمر إشارة إلى أن كلامهم في نفسه مطلوب في وقته لأفضل لا آخر عليه فان لم يكن نظام داخلي فلانظام للحرب ، ومن أهملوا الدفاع عن مدنهم اختلت أحوالهم وضاعت مدنهم وفي هذا القسم فصول

﴿الفصل الأول في خطاب النبي ﷺ لأزواجه بالزهد في الدنيا ، والاخلاص لله وأن وزرهن وأبهرهن ضعف غيرهن ، ووجوب ملازمتهن البيوت ، وعدم التبرج وإقامتهن الصلاة . وإيتائهن الزكاة﴾

قوله تعالى (تردن الحياة الدنيا) أي السعة والتنعيم فيها (وزينتها) زخارفها (أمتعنكم) أعطاكم المتعة . ومعلوم أن المتعة تستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء (وأسرحكن سراحاً جيلاً) طلاقاً من غير ضرار وبدعة (أجراً عظيماً) أي تستحقرونه الدنيا وزينتها (فاحشة) كبيرة (مينة) ظاهر قبعتها (ضعفين) ضعف عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فزيادة قبح الذنب تنبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد العبد وجعل ذنب العالم أشد من ذنب الجاهل وعوب الأنبياء على ما لا يعاتب عليه غيرهم (وكان ذلك على الله يسيراً) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي (ومن يقنت منكن) ومن بدم على الطاعة (نؤنها أجراً مريضاً) مرة على الطاعة ومرة على طمأنينة رضا النبي ﷺ بالانحاة وحسن المعاشرة (وأعتدنا لها رزقاً كريماً) في الجنة (لستن كأحد من النساء) أصل أحد واحد بمعنى الواحد وهو في النبي عام للذكر والمؤنث والواحد والكثير أي لستن بكجاعة واحدة من جماعات النساء (إن اتقين) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تبجن بقولكن خاضعا لينا مثل المربيات (فيقطع الذي في قلبه مرض) فجور (قولاً معروفاً) حسناً بعيداً عن الريبة (ورقن في بيوتكن) من ورقن وقاراً أرمن قريقر مع تصرف بخذف الأولى من رأى اقرن ونقل كسرتها إلى القاف فتحذف همزة الوصل ، ويصح أن يكون من قاريقار إذا اجتمع (ولانبرجن) ولانبتخرن في مشيتكن وتشكسرن أولاتظهرن زينتككن وتبرزن محاسنكن (تبرج الجاهلية الأولى) تبرجاً مشل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي جاهلية الكفر قبل الاسلام ، أما الجاهلية الأخرى فهي جاهلية الفسوق في الاسلام (وأطعن الله ورسوله) في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه (الرجس) الذنب المندس لعرضكن (أهل البيت) نصب

على النداء أو المدح (ويظهركم) من المعاصي ، واعلم أن تخصيص أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين لم يبق عليه دليل وإذا ثبت الأحاديث الواردة في ذلك فهي لا تفيد التخصيص وقوله (من آيات الله والحكمة) أى من القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) علما بفواضل الأشياء (خبيرا) علما بحقائقها أى هو عالم بأفعال الكثر وأقوال الكثر . انتهى تفسير ما يحتاج إليه من الألفاظ في هذا الفصل من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا

﴿ لطيفة ﴾

ورد أن سبب نزول آية التخيير أن النبي ﷺ لم يأذن يوما لأحد بدخول منزله إلا أبا بكر وعمر فدخلوا فوجداه جالسا وحوله نساؤه وهو واجم ساكت فأخذ عمر يضحكه ويقول يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقامت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ فقال هن - ولى كما ترى يسألني النفقة فقام كل من أبا بكر وعمر الى عائشة وحفصة يوبخانهما ويضربانهما ويقولان تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ثم اختزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا أو ٢٩ يوما حتى نزلت هذه الآية - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - للحيصنات منكن أجرا عظيما - قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تجعلي فيه حتى تستشيرى أبويك ، قالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، فقالت أفيك يا رسول الله استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكرهن الله فأنزل - لا يحل لك النساء من بعد -

﴿ حكم الآية ﴾

إذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها

- (١) لا يقع شيء عند عمر وابن مسعود وابن عباس وأكثر الأئمة
- (٢) ويقع طلاق واحدة عند زيد بن ثابت ، وفي رواية عن علي
- (٣) وإن اختارت نفسها وقع طلاق واحدة رجعية عند عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي رضى الله عنه

(٤) وطلاق بائنة عند أصحاب الرأي ، وفي رواية عن علي

(٥) وثلاث طلاقات عند زيد بن ثابت والحسن ومالك

﴿ الفصل الثاني في الصفات التي يجب على الرجال والنساء أن يكونوا عليها من المسلمين ، وفي قصة زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ من قوله - إن المسلمين والمسلمات - الى قوله - وكفى بالله حسيبا - ههنا ذكر الله ﴿ عشر صفات ﴾ للرجال والنساء وهي ﴿ الاسلام ﴾ وهو الانقياد لحكم الله ﴿ الإيمان ﴾ أى التصديق بما يجب أن يصدق به ﴿ القنوت ﴾ أى المداومة على الطاعة ﴿ الصدق ﴾ فى القول والعمل ﴿ الصبر ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ الخشوع ﴾ أى التواضع لله بالقلوب والجوارح ﴿ التصديق ﴾ بما وجب على الانسان من ماله وبما هو مستحب ﴿ الصيام ﴾ المفروض أو هو وغيره ﴿ حفظ الفرج ﴾ عما لا يحل ﴿ كثرة الذكر لله ﴾ بالقلب واللسان ، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات العشر - أعد الله لهم مغفرة - لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات لها - وأجرا عظيما - على طاعتهم

﴿ ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها وزواجها لزيد بن حارثة ثم طلاقها منه

وزواجها للنبي ﷺ

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها

عبد الله ، ولقد كانت رضى في أول الأمر إذ ظننت أنه ﷺ خطبها لنفسه فلما علمت بالحقيقة أتت وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى وما صحت لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرا) من الأمور (أن تكون لهم الخيرة من أنفسهم) أى أن يختاروا من أنفسهم ما شاؤوا بل عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه والخيرة ما يتخير (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ خطلاً مبيناً) بين الانحراف عن الصواب ، واعلم أن الله عز وجل يعلم مستقبل الأمم الإسلامية وأن النسب دخلاً عظيماً ، وأن الأمم يعثرها الاضمحلال والخراب بسبب تفرق أهوائها ، وتفرق أهوائها إنما يكون بالدراعى المتعبة ، وأنه لا مصيبة أنكى ولا فاق أوسع ولا مدح أعظم من تصدق المسلمين وتفرق شملهم وتفرق كلهم بانباع ذوى الأنساب المتصلين بذوى الشرف والعلم لاسيما المسلمين بصاحب الشرع ﷺ . علم الله ذلك فقطع الأسر قبل حصوله وبته قبل وجوده وأظهره بمظهر لا مدخل للشك فيه إذ أوحى إلى نبيه أنى مزوجك زينب ابنة يحيى بعد أن يطلقها زيد ، ألا وإن الله يعلم أن ابناً سيكون لأسامة اسمه زيد وأنه سيكون له القدر المعلى في الغزوات أيام أبى بكر ، فلأن الأمر ببق بلايضاح عملي وتبريح فعلي تجاز لأسامة أن يدعى الخلافة وسيأتى تفصيل هذا وأمثاله في (رسالة تعدد الزوجات) التى ستذكر فى آخر هذه السورة

أقول - لما أوحى الله إلى النبي ﷺ أن زينب ستكون زوجته ألقى الكراهة فى قلب زيد لها كما أنها كارهة له ، فلما جاء زيد وقال أنى أريد أن أطلقها قال له - أمسك عليك زوجك واتق الله - فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت - أمسك عليك زوجك - وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ، وهذا قوله تعالى (و) إذ نكح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش (وأنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالاعتناق والتبني وهو زيد بن حارثة حين قال لك أنى أريد أن أفارق صاحبتي وقلت له أراك منها شيء فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها إلا خيراً واسكنها وتعظم على بشرتها وأوذيتي بلسانها (أمسك عليك زوجك) زينب وهو مقول لقوله تقول (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما لله مبديه) وهو أنك ستتكلمها وأن زيداً قبل ذلك سيطلقها (وتخشى الناس) تمييزهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) إن كان فيه ما يخشى فتري من هذا أن الله عاتبه على إخفاء ما أعلمه الله وهو أنها ستكون زوجته ، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتي وذلك مقدمة لذكر أن النبي ﷺ ليس أباً أحد من الرجال * روى مسلم عن أنس قال ﷺ لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكر ما على ، فانطلق زيد حتى أنها وهى تخمر عجزها فأبلغها ، فقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربى فقالت الى مسجدك فأتى رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، قال أنس فلقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى أناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ ودخل حجر نسائه واتبعته وهو يسلم عليهن فانطلق يدخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ﷺ انتهى المقصود من الحديث ملخصاً

ولقد كانت زينب تقول للنبي ﷺ أنى لأدلى عليك بثلاث ، ما من امرأة من نساءك تدل بهن . جدى وجدك واحد ، وإنى أنكحنيك الله فى السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام . وهذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناها) أى جعلناها زوجة لك بلا واسطة عقد (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) إذا قضوا منهن وطراً (لأن حكم النبي ﷺ وحكم أمته واحد إلا فيما خصه الدليل) (وكان أمر الله مفعولاً) قضاء ماضياً وحكمه نافذاً (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر كما تقول فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لأرزاقهم ، سن الله ذلك (سنة الله فى الدين خالوا من قبل) من الأنبياء وهونى الحرج عنهم فيما

أباح لهم (وكان أمر الله قدرا متدورا) قضاء مقتضيا وسكنا مستونا ، ثم وصف الذين شاوروا بقوله (الذين يبالغون
رسالات الله ويخشونه ولا يشعرون أحدا إلا الله) تعرض بعد التصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للخوف
أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه

(لطيفة)

هذه الآية تفرض على الناس الشجاعة الأدبية ، وقول الحق ، وإعلان الأمة بالحقائق ، وإذا أمر النبي
ﷺ بأن لا يكتفم أمرا لا بد من ظهوره ولا ضرر في كتبه ، فكيف يكتفم الناس العلوم ولا يظهرونها للأمة
وهنا نحن أولاء الآن في زمان أحوج إلى إظهار الحقائق من كل زمان

يا أمة الاسلام . نزلت هذه الآية وعوتب النبي ﷺ في أمر لا ضرر في كتبه . انظروا : انظروا . كم
مصيبة نزلت بالاسلام والى علماء يخافون أن يجهروا بالحقائق . إن الله جعلنا تابعين للنبي ﷺ فأنه هو الذي
يؤمننا من المخاوف . قولوا للمسلمين كفى خمولا وجهالة . كفى نوما . فكروا في هذه الدنيا ونظامها . اقرؤا
العلوم التي عرفتها الأمم . إن القرآن طافح بها . قولوا للرؤساء كفى تعظما . كونوا أيها الرؤساء خادمين
للأمة . كفى تحاذلا وتهاونا . لاتعالوا بالأنساب لتجعلوا الناس عبيدكم حتى أصبحتم عبيد الفرجة . قولوا
لأبناء النبي ﷺ الذين لهم ملك أن لا ينأوا عن رفق الأمة فإن هذا الملك لن يدوم وستأخذ الفرجة
لجهل الشعب . حرام أن يجعل الناس جهلاء لأجل أفراد من الأمة . الشعب كله يجب أن يتعلم . يجب التصريح
بذلك وإذاعة الحقائق والافال علماء معاقبون أشد عقاب ولاسيما من قرأ مثل هذا التفسير فإنه مسؤول عن إذاعته
بين الناس

(الفصل الثالث في فضل النبي ﷺ وعموم رسالته)

(من قوله تعالى - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم - الى قوله - وكفى بالله وكيل -)

قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فإذن لا تثبت حرمة المصاهرة كما في زيد بن
حارثة ، وهو وإن كان أبا لظاهر والطيب وإبراهيم والقاسم فهم لم يبلغوا الحلم (ولكن رسول الله) فهو إذن
أبو أمته من حيث أنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم (وخاتم النبيين) فهو آخرهم الذي ختمهم
أو ختموا به ﷺ قال ابن عباس يريد لو لم أختتم به النبيين لجعلت له ابنا فيكون بعده نبيا ، وعنه قال إن الله
لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكر ايصير رجلا (وكان الله بكل شيء علما) فيعلم من يليق بأن يختم به
النبوة وكيف ينبغي أن يكون شأنه . يقول مؤلف هذا التفسير إن تكرار القول في عدم نبوة زيد وخلق
السبب العملي الموجب لذلك ذو شأن عظيم في قضية النبوة لولا هذا التأكيد والتكرار والتقوية لادعى قوم
أن زيدا نبي بعد موت رسول الله ﷺ . إن الله احتاط لذلك أشد احتياط . ومن العجب أن أمة الاسلام
مغمرة بالأنساب والأشخاص في بعض الجهات وهذا من أضل الجهالات التي ابتلى بها المسلمون . فكلم دخل
في آل بيت النبوة من دعي . وكلم ادعى قوم أنهم من السلالة الهاشمية وبنوا على ذلك الرياسة على الناس
وأضلوا كثيرا إذا لم يكونوا أهلا للرياسة بالعلم والعمل المؤهلين لها . إن فضل المؤمن بعمله واتباعه وبصدقه
وبعدله والنسب أمر ثانوي . إن الله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وقد أمرنا أن نعبد على ذلك
لأن الولد يشغل عن غيره فلا وله ولا شريك ولا ناصر له بل هو رب العالمين ، فهو عدل حكيم ، ولما أراد
تكميل رسوله ﷺ قال - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله - وإنما هو أب للجميع
منه يستضيء كل مستعد للإضاءة ، فأما الابوة البشرية فليس فيها هذا النظام إذ قد يلد الفاضل فاسقا ولذلك
أعقبه بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) ﷺ قال ابن عباس « لم يفرض الله عز وجل على
عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه

ولم يهزأ أحدا في تركه إلا مغاوبا على عقله ، وأمرهم به في الأحوال كلها فتعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال تعالى - واذكروا الله كثيرا - يعنى بالليل والنهار ، في البر والبحر وفي الصحة والسقم ، وفي السر والعلانية ، وقيل الذكر الكثير لأينسأه أبدا (وسبحوه بكثرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا ، والمقصود من التسييح أن يكون الذكر على وجه التعظيم والتفريه عن كل ما سواه ، والمقصود من ذكر طرفي النهار المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا ، ويدخل في ذلك صلاة الصبح والعصر ، ومن أدخل في الأصيل صلاة الظهر وما بعدها إلى العشاء فقد توسع في المعنى ، ويدخل أيضا « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ويكون من التذكير هنا أن الظاهر والجنب والحائض والحديث يقولها (هو الذي يصلى عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين ، ومن رحمته تعالى اشاعة الذكر الجليل للعبد في عبادته والثناء عليه (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعنى أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رجيا) حتى اعتنى بصالح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين (تحياتهم) أى تحية الله تعالى للمؤمنين (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت وعند الخروج من القبر وعند دخول الجنة (سلام) أى يسلم الرب عليهم ويسلمهم من جميع الآفات * روى عن ابن مسعود قال « إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك بقرئك السلام » واعلم أن السلامة من الآفات في هذه الدنيا مستحيلة ولذلك جعلوا مبدأها عند الموت اللهم إلاقوا أدركوا سر هذا الوجود ودرسوه وعرفوا أن الرحمة تفرغ ظاهره وباطنه وظاهر الآخرة وباطنها وفهموا ذلك وتحققوه حتى صار عجزا بنفوسهم ، فقل هؤلاء يرون الوجود كله سعادة ، وكل ما يحل بهم أو يغيبهم أو يسمعون من أنواع الآلام فانهم يفهمونه كله على وجهه يشرح صدورهم ويرون أنه حكمة نامة ونظام جميل ويوقنون أنه ليس في الامكان أبدع من ذلك ، وهؤلاء قد سمعوا السلام من الله في الحياة قبل الموت في هذه الدنيا وأنسوا برهم ولكن هذا الوجدان عزيز الوجود لأنه يعز على الناس أن يعقلوا شياطين وجنا وأبالسة ونيرانا جهنمية ويقولوا إن هذه رحمة ، فأما أولئك الأفذاذ فلهم دراسة أتم ومعرفة أعم وعلم أكمل وعرفان أعم ويصبح الوجود عندهم كأنه إنسان واحد وحيوان واحد ، وهذه من لوازمه أو عمل من أعمال هيئته لا بد منه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وقوله (وأعد لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعث إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهذه حال مقدرة (ومبشرا) لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أى إلى توحيدِهِ وطاعته (بإذنه) بأمره (وسراجا مبيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر فراقب أحوال أمتك (و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم فانهم سيفيرون نظام النوع الانساني من الظلم إلى العدل كما في نهضة الاسلام الأولى ، وسيصلحون شأن الأمم المنهكة في الضلالة في مستقبل الزمان بعد زماننا كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وبهذا يكون ثوابهم في الآخرة عظيما (ولاطع الكافرين والمنافقين) ودم على مخالفتهم (ودع أذاهم) إيذاءهم إياك ولا تحتفل به (وتوكل على الله) فانه يكفيهم (وكفى بالله وكيلا) حافظا وموكولا إليه الأمر في الأحوال كلها

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما قرأ أمر النبوة وأن محمدا ﷺ ليس أبا لأحد من الرجال ، وأن النبوة أبوة عامة ، وأكد ذلك بالقول والفعل لقطع أطماع الرجال في الاعتراف بذلك أعقبه بذكر ما به يتفاضل الناس وتعظم أقدارهم ويشرفون في الدنيا والآخرة فأمر بذكر الله كثيرا وتسبيحه وأنه سبحانه يرحم المؤمنين ورحمة خاصة بالهداية وأنه يحبيهم بالسلامة والأمان ويدخلهم نعيمًا مقبلا ، وأتبع ذلك بخطاب النبي ﷺ انه سراج

والسراج يقتبس منه السراج ، فلا نبياء يستضاء بهم وتعرف بأنوارهم المشكلات في دياجى ظلمات الجهالات كما يستضاء بالسراج في الطرقات و يقتبس من أنوارهم كما يقتبس من السراج سراج أخرى ، ولذلك تجدد العلماء في كل أمة نابهين لأنبيائهم مقتبسين من أنوارهم مرشدين لأمتهم وليس الأب الجسمي كذلك ، إن الأب الجسمي يلد ابنًا ولادة مادية ، والأنبياء يلدون ولادة نورية ، وهذا هو الذي يرشده ذكر السراج في هذا المقام ، فلا نبياء يلدون بهذا المعنى وخلفاؤهم هم المقتبسون منهم وعليه فليس أحد أولى بالأنبياء ممن اقتبسوا من أنوارهم والإفان نوحا قد كفر به ابنه وقال الله له : إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح - فرجعت ولادة الأنبياء الى الاقتباس منهم والى الاهتداء بهديهم ، فمن اكتفى بالنسب الجسمي للأنبياء فهو ضال مضل كاذب على الله ، فإذا ادعى أحد اخواننا وأبناء أعمامنا الشرفاء أن النسب وحده يرفعه عند الله فان هذه الآية تسكذه والا فلماذا هذا التأكيد كله والتذكير ، فلا شرف لامرئ إلا بالاقتباس من الأنوار العلمية ، ذلك هو الشرف الحقيقي في الدين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

إن العرب في الجاهلية وأكثر الناس في هذه الحياة الدنيا شرقا وغربا لا يصدقون بعالم غير عالم الأجسام ولا يعقلون أن هناك أرواحا لطيفة تدبر أهل الأرض وتهديهم ، فانظر كيف ذكر الله هنا انه هو يرحم المؤمنين ورجته عامة لهم ولغيرهم من حيث الحياة الجسمية ، فأما راحة الهداية فهي خاصة بهم ، فهكذا أرشدنا الى أنه سبحانه لم يدع هذا العالم للأرواح شريفة تقوم بالتدبير والتعليم كما نرى أنفسنا على هذه الأرض تقوم بالأعمال الجسمية والعقلية ، إن جميع الأرواح لها عمل فلا شيء في الوجود معطل ، وإذا كانت أرواحنا اليوم قائمة بتدبير هذه الأجساد فان لها بعد الموت أعمالا تناسب تربيتهما في هذه الدنيا ، فالضالون هنا يضلون غيرهم إما طبعاً وإما قصداً لقصد الشر والابناء ، وهكذا النفوس الطيبة هنا ترجع الى عالم الأرواح وهي في مركزها الذي خلقت فيه في الدنيا من حيث الإصلاح والتعليم بالألهام والتي قبلها بالوسوسة

وإليك تقول ومالنا ولهذا المبحث ، ان الآية فيها ذكر الملائكة وانهم يصلون على المؤمنين أى يستغفرون لهم ، فأى مناسبة لذلك ؟ أقول لك على رسلك . اعلم أن هذا القرآن نزل للناس بأمور غائبة عن العقول لا يصدقها الناس تصديقا حقا ولكنهم يؤمنون به إيماناً والايقان شئ واليقين شئ آخر ، ولقد ظهر اليوم في العالم الغربي هذا العلم . وقد تقدم في هذا التفسير اني نقلت لك ما ذكره العلامة (أوليفر لودج) الذي هو أشهر عالم طبيعي في أوروبا إذ قال « انه أصبح موقنا بسبب تحضير الأرواح اننا نعيش في عوالم من الأرواح نسبتنا اليهم كنسبة الفل إلى النوا من حيث الادراك والعقل ، وهم يهتمون بأمرنا ويسعون في مصالحنا ، وعلم الأرواح اليوم شاع وذاع بأوروبا ، وقد اتضح فيه أن أرواحنا بعد الموت صائرة الى نحو ذلك فهي إما ملهمة للخير أو ساعية للشر فسكانها ملحقه بعالم الملائكة وعالم الشياطين ، وتجدد نظير هذا في تفسير الامام الرازي في سورة ابراهيم وسورة النازعات إذ قال في الثانية ﴿ إن الروح الانسانية هي التي تصبر من المديرات أمرا ﴾ أى انها قد تلحق بعالم الملائكة ، ولقد قسم المعلم الفيلسوف (الان كاردك) الأرواح الى طبقات ثلاث وهي الأرواح السفلية والعلوية والنقية ، وقال ان السفلية هي التي في مؤخر الدرجات والمادة متسلطة عليها ، فهي في الحياة محبة للشر والفساد ، وفي الموت ملقية للشر والعداوات بالوسوسة ، وقال في العلوية انها متسلطة على المادة ومحبة للخير ومنها الصالحة وهي تحب الإصلاح العام وعمل البر والهلم البشر أفسكارا صالحة ومعارفها محدودة وأدبها أكثر من علمها ، ومنها الأرواح الحكيمة وهي ذات أخلاق حسنة ولكن علومها أوسع ومنها الأرواح الرفيعة وهي التي جعلت بين الكمال العلمي والأدب ، وهذه لا تعطى تعليمها إلا لمن يطلب الحق بمخلص نية وقال في السفلية انها هي التي بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادة أدنى تأثير فيها فأصبحت ناظرة لله معتبطة به ، ولن ينجيها الانسان إلا اذا كان ذا فضيلة سامية وقلب مجرّد من كل أمر ذميم ونقص

أرضي مآذى ، واستنتج العلماء من ذلك أنه ليس كل إلهام تأخذ به لأن معارف الأرواح المهمة ليست في درجة واحدة فكيف من إلهام ناقص يضرر الشمل به .

هذا ما يدور في عماقل العالم الأوربي في اليوم ، فانظر كيف يخبر الله أن الملائكة يسألون علينا أي لأخراجه من الظلمات إلى النور ، وانظر كيف ترى أن علماءنا رجعهم الله قلوبا ﴿ إن هناك وسوسة وإطاما من الملائكة ﴾ وكيف يقول الامام الرازي والفرازي ورجال اخوان الصفاء ﴿ إن أرواحنا منسقة بعد الموت بعالم الشياطين والملائكة إلهاما ووسوسة ﴾ وكيف يقرر ذلك نفسه العلامة (الان كاردك) في أوروبا والمسلمون لا يعلمون انظر كيف يظهر سر القرآن في أوروبا والمسلمون في الشرق ناظمون ، كيف يقول (كاردك) المذكور « إن الأرواح النقية التي لم يبق لها مأرب في المادة تباين الله وهي به مختبئة » يقولها هذا الأفرنجي من علم الأرواح وهو لم يسمع قول الله تعالى - وجوده يرعدنا ناضرة إلى ربها ناظرة - فعبير الله سبحانه عن نقاة الروح من كل رجس بنضارة الوجوه ، ومتى نضرت الوجوه نظرت الله فكأن أرواحنا ترتقي من عالم إلى عالم وراء درجات وتتخطى في الجنان درجة بعد درجة حتى تصل إلى أعلى السجرات وتكون إلى ربها ناظرة ، وفي أثناء مرورها على النيران تكون مرسوسة شريرة ، وفي أثناء مرورها على الجنان تكون ملهمة للخير مائة وتسجد إلى أن ترى ربها ، ولا معنى لرؤية الله والنظر إليه إلا بزيادة الكشف للمعبر عنه في الحديث بأننا نراه كما نرى القمر ليلة البدر ، فالعامة يظنونه نظرا بصريا والخاصة يرونه أرقى وأوسع من نظر البصر بل نظر البصر ضعيف ضئيل مآذى ، أفليس المسلمون أولى بهذه العلوم وبمعرفة الأرواح حتى يدركوا سر هذه الآية

أما أنا فقول : الحمد لله الذي جعل في قدامتنا من بحشوا ودقوا وذكرنا مثل هذا القول ، ولولا أنهم ذكروه كما قلته لك لم يتجاسر أحد أن ينقل عن أوروبا مثل هذا لئلا يمتد ذلك خروجا عن الدين ، والأمة اليوم في مبدأ نهضة جديدة ، فلن تقبل حديثا إلا إذا وصل بقديعها ثم تأتي أجيال يستقاون بالرأى ويكونون أوسع حربة إذ يرون الحق فسيحوا والعلم منتشرا ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم

﴿ النصل الرابع في المطلقة قبل الدخول وفيما يحل للنبي ﷺ من النساء . وفي بعض الأحكام المناسبة لذلك من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات - إلى قوله - واثنين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا - ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) نكاح موهن (فإنكم عليهن من عدة تعتدونها) تستوفون عدها . وليس تخصيص المؤمنات بخدشها للحكم بل هو عام وذكرهن لفائدة تحيّر النطف لا تخصيص الحكم (فتموهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به وقد تقدم إيضاحه في (سورة البقرة) وذلك التمتع إما فرضا إذا لم يكن سمي لها مهر وأما ندبا إذا كان سمي لها المهر فيكون التتصيف وجوبا والتمتع سنة (وسر حوهن) أخرجهن من منازلكن لأنهن ليس عليهن عدة (سراحا جيلا) من غير ضرار ولا منع حق

﴿ لطيفة ﴾

إذا طلق الرجل امرأة قبل النكاح لا يقع الطلاق لظاهر الآية لأنه سبحانه قال - إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن - ولم يقل طلقتم ثم نكحتم ، فالطلاق قبل النكاح عليه سواء أكان لامرأة معينة أم لكل امرأة فإن الطلاق لا يقع ، وهذا رأى الأكثرين كابن عباس وعلي وجابر ومعاذ وعائشة والشافعي ، وقال ابن مسعود وأصحاب الرأى والشعبي يقع الطلاق ، وقال مالك وربيعة والأوزاعي « إن عين امرأة

ثم قال تعالى (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن لأن المهر أجز على البضع وليس التقيد بآباء المهر مجعلا إلا لا ياتاه الأفضل والافضل ليس متوقفا على ذلك التحجيل كما لا يتقيد احلال المماركة بكونها مسبية في قوله (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) من السبي مثل صفية وجويرية وانما كان التقيد بذلك لأن المشترا لا يعرف بدء أمرها وما جرى عليها وقوله (وبنات عمك وبنات عماتك) وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) المعية هنا ليست للقران بل لوجودها فحسب كقوله تعالى حكاية عن بلقيس - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - فيجعل له صلى الله عليه وسلم بنات العم والعمة من بني عبد المطلب وبنات الخال والخالة من بني عبد مناف بن زهرة بشرط أن يكن هاجرن من مكة الى المدينة والتقيد بالمهجرة إما للعجل وإما للأفضل ويؤيد الأول قول أم هانئ بنت أبي طالب «خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه» ثم عطف على ماسبق قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) يقول الله أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا كأم شريك بنت جابر العاصرية أو ميمونة بنت الحارث أو زينب بنت خزيمة الأنصارية أو خولة بنت حكيم وذلك مشروط بأن يريد النبي نسكاحها فان لم يقبله فلا تحل ، وقوله - خالصة لك - أي بلامهر وهي حال من الضمير في وهبت . وقوله - لك من دون المؤمنين - أي انه يجب المهر على غيرك وان لم يسجه أو نفاه

﴿حكم من تهب نفسها﴾

إذا وهبت امرأة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فالأمر ظاهر انه ينعقد نكاحا بلا ولي ولا شهود ولا مهر لقوله تعالى - خالصة لك - وأيضا له الزيادة على الأربع ويجب عليه تخيير النساء وحده . وقال بعض العلماء بل لا ينعقد له إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لأنه عبر بلفظ الاستنكاح فالاختصاص انما هو في ترك المهر فأما من وهبت نفسها لغيره صلى الله عليه وسلم فانه لا ينعقد نسكاحها بل لابد من لفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد ابن المسيب والزهرى وربيعة ومالك والشافعي . وقال النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء اذا لم يسم (وماملكت أيمنهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك أيمن . وهذه الجملة معترضة بين قوله تعالى - خالصة لك من دون المؤمنين - وقوله (التي لا يكون عليك حرج) أي أحلنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة واختصاصك بذلك لكيلا يكون عليك ضيق والجملة الاعتراضية تفيد أن ذلك ليس للتوسيع عليه وحده والتضييق على المسلمين بل هناك معان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم نارة وبالعكس أخرى وسترى ايضا في ﴿رسالة تعدد الزوجات﴾ الملاحقة بهذه السورة . وقوله (وكان الله غفورا) أي لما يعسر التحرز منه (رحما) بالتوسعة في مظان الحرج (ترجى من تشاء منهم) أي تؤخرها وترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها (ومن ابتغيت) طلبت (عن عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها من عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتينهن كاهن) أي أقرب الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن اذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون (والله يعلم ما في قلوبكم) وهذا وعيد لمن لم يرض منهم بما دبر الله في ذلك (وكان الله عليما) بما في القلوب (عليما) لا يعاجل بالعقوبة فعلى الناس أن يحذروه روى عن أبي رزين قال « لما نزلت آية التخخير أشفقن أن يطلقن فقلن يابني الله اجعل لنا من مالك

ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجأ منهنّ خسا وأدى اليه أربابها انتهى باختصار وسنوضحه في رسالة ﴿تعدد الزوجات﴾ الآية . وكذا ما بعده مفصل هناك وهو قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) من بعد التسع (ولأن تبدل بهنّ من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ولو أنجبك حسن) حسن الأزواج المستبدلة وهي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب لما أسداهد جعفر أراد ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك (إلا ما ملكت يمينك) وقد ملك بهد هو له مارية النبطية (وكان الله على كل شيء رقيبا) أي حافظا وهذا يدل على جواز النظر إلى من يريد الإنسان نكاحها به قال رسول الله ﷺ «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» أخرجه أبو داود . وعن المغيرة بن شعبه قال «خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ هل نظرت إليها؟ قلت لا . قال انظرا إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»

هذا وقد تقدم حديث أنس بن مالك . وقوله في الحديث ما ملخصه «أن القوم طعموا في وليمة زينب بنت جحش وخرج قوم وبقى آخرون . ففرج النبي ﷺ وخرج معه أنس حتى جاء حجرة عائشة ورجع فإذا هم جلوس فرجع حتى بلغ حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا فرجع ورجع معه أنس فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي ﷺ بيده وبين أنس بالستر وأنزل الحجاب وسمع أنس النبي ﷺ يقول (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) أي إلا وقت أن يؤذن لكم (إلى طعام) متعلق بمؤذن حال كونكم (غير ناظرين إنا) أي غير منتظرين فضجه ووقت ادراكه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمسكوا والآية لأولئك الذين يتعينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فهي لهم ولأمشاهم ولولا ذلك لمنع من يدخل بيته بالأذن لغير الطعام ومن عكث بهذا الطعام لمهم ولا قائل به فافهم (ولا) تمسكوا (مستأنسين لحديث) حديث بعضهم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له (إن ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه (فيستحي منكم) من إخراجكم (والله لا يستحي من الحق) يعني أن إخراجكم حتى فينبئ أن لا يترك حياء كما لم يترك الله الحياء فأمركم بالخروج (وإذا سألتموهن متاعا) شيئا ينفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر به روى أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت هذه الآية (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أي تفعلوا معه ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعينة في أيام عمر رضى الله عنه فهم يرجعها فأخبر بأنه ﷺ فارقها قبل أن يمسه فترك من غير تكبر (إن ذلكم) أي إبداءه ونكاح أزواجه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما بالغ في الوعيد لحرمته ﷺ فقال (ان تبدوا شيئا) كنكاحهنّ على أنفسكم (أو تخفوه) في صدوركم (فإن الله كان بكل شيء عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به (لا جناح عليهنّ في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ولا أبناء أخواتهنّ) يعني النساء المؤمنات (ولما ملكت أيمانهنّ) من العبيد والاماء أو من الاماء خاصة . انظره في ﴿سورة النور﴾ (واتقين الله) فيما أمرتن به (إن الله كان على كل شيء شهيدا) لا يخفى عليه خافية روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أؤنكاهن من وراء حجاب فنزلت ولم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلي عليه ، وأن لا يؤذى في أهله ، وضرب مثل بالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وذكر التكليف التي لم يكف بها أحد إلا الإنسان لشهوته وغضبه ونوازعه الكثيرة وهي الأمانة ، وهو من قوله تعالى - ان الله وملائكته يصلون على النبي - الى آخر السورة ﴾

اعلم أن العالم المشاهد كله منتظم ، فالأعلى يسبغ النعمة على الأدنى ، والأدنى مطيع للأعلى . ومثال ذلك الملوكة والوزراء والأمراء ومن دونهم . فكل من هؤلاء يستمد الأمر من هوفوقه ثم يصل الأمر الى الزارع والتاجر والعامل . فهو هؤلاء جميعا يعطون مالا للحافظين عليهم ويعيشون في أمن بتدبيرهم . فالأمراء يقنولون أجورهم من الرعية والرعية محفوظة بتدبيرهم . فالأمة كالجسم . فالعين تستحسن أرهاق الربيع فيساعد القدم والساق على النقلة الى هناك في الحقل والبساتين . فالعين والرجل تشاركتا في العمل . هكذا الأمة عليها وسافلها مشاركون وأن كانوا لا يعلمون بل الأم كلها فوق الأرض مشتركة ولكن أكثر الناس لا يعلمون اذا عرفت هذا في العالم المشاهد فانظر الى ما نحن فيه وتأمل . ألم تقرأ فيما مر في هذه السورة ان الله يصلي علينا وملائكته . أليس معنى ذلك أنه سبحانه يرحنا وملائكته يستغفرون لنا . ورحمة الله العامة تشمل البهائم والكافر . وانما القصد رحمة الهداية . فأنه يهدينا ورسوله فأما الملائكة فهم الملهمون لنا بلا واسطة كالألهامات التي يحس بها كل منا . وهذه الإلهامات لا بد لها من قانون وقانون إلا الدين والدين بالوحي والوحي من الملائكة الى الأنبياء . فاذا قال الله انه يرحنا وملائكته وسائط في اتصال رحمة الهداية لنا فذلك يدخل فيه الأنبياء ، ألا ترى الى قوله تعالى - ليخرجكم من الظلمات الى النور - فلم يذكر النبي ﷺ اكتفاء لوضوح المقام والا فمن المخرج لنا من الظلمات الى النور المصريح بها غير مريم في القرآن سوى الأنبياء فاذن الله وملائكته ورسوله يصلون علينا . فالتنوير من الله والملائكة وسطاء والأنبياء مبالغون وهكذا العلماء بعدهم الى أن يصل الى جميع المسلمين كما قال تعالى - شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - . اذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى هنا (إن الله وملائكته يصلون على النبي) كما صلوا عليكم وصلى هو عليكم أيضا وعلى من أنعم عليه بنعمة أن يشكرها وشكر النعمة أن تدعوه . فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وخير الناس المنعمين الأنبياء ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) لأنه صلى عليكم أي أعلمكم بوحى الملائكة والعلم يوجب مغفرة الذنب اذا عمل به ويخرج الناس من ظلمة المادة الى نور عالم الأرواح فتكون الصلاة على النبي ﷺ أى الدعاء له شكر على نعمة العلم التي جاءت على يديه . فاذا أضيف الى ذلك انقياد المسلم وتسليمه لما جاء على لسانه من الشرائع كان قائما بالشكر خبر قيام ولذلك قال (وسلموا تسليما) أى انقادوا لأوامره انقيادا كما قال تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - أى انتقرب لله . ولا جرم أن امتثال أمر الله في شريعته وصلاة المسلم على نبيه قيام بالشكر لأن ذلك هو المطلوب . إن مقصود الأنبياء رقي أمهم بانقيادهم للأوامر والنواهي ، وتجوز الصلاة على غيره تبعاله وتكره استقلاله لأن الصلاة في العادة شعار الرسل كما لا يقال « محمد عز وجل » ثم وجوب الصلاة إما في العمر مرة أو في كل صلاة في القسمة الأخير أو كلها ذكر والأول قول الأكثر والثاني قول الشافعي وأحدى الروايتين عن أحمد والثالث قول الطحاوي من الخفية والحايمي من الشافعية وهو ضعيف . والجمهور إن هذا مستحب . والواجب « اللهم صل على محمد » وما زاد سنة . والمعنى الآخر في السلام التحية أى حيوة بتحية الاسلام . يقول الله ادعوا له بالرحمة وحيوة تحية الاسلام أى قولوا ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾

إن الصلاة على النبي ﷺ والانقياد لأوامر الله والتسليم عليه ﷺ مما يرفع العبد درجات ، كيف لا وهو في حال الصلاة عليه قد ترك الغيبة ولا مست روحه ذكر نفس طاهرة في عالم الكمال ، إن الصلاة

على النبي ﷺ عمل من الأعمال الحسنة له حسنات مذكورات مشهورات في الأحاديث ، إن الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة التي هي معنى الصلاة بزيده رفعة وهو ركن تبعه متواصلون في عالم الأرواح ، وكلما زاد رفعة ازداد أتباعه علاقة الرابطة ، إن بين الأرواح عالمها وسافها لصلة متناسبة كالعلة بين السكواكب والشموس وبين جميع ماحولها ، إن تذكر الأنبياء والسلام على الصالحين وعلى آل الأنبياء كل ذلك تذكرة لعلاقة النفوس الطاهرة بعد الموت في العالم الروحي ليؤهل نفوسنا إلى المقام معها هناك حتى لا تستوحش النفس عند مفارقة الدنيا ، إن كل هذا يطلب به الاستيحاش من هذه المادة والافتقار إلى عالم الأرواح ، يقول المسلم ﷺ السلام عليك أيها النبي ﷺ ثم يسلم على نفسه وعلى الصالحين من جميع الأمم ويعلم على نبينا وبذكر إبراهيم وأمثال ذلك ، كل هذا ليأنس بتلك الأرواح ، إن عالم الأرواح عالم الحياة كما أن عالم المادة عالم الموت ولذلك يحتم المسلم الصلاة فيستعيد من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الحياة وفتنة الممات وفتنة السجاليين والكاذبين ، وهذه كلها من علائق الدنيا والمادة ، فأما عالم الأرواح فهو عالم الجمال والبهاء والكمال ، ولما كان أعظم النبي ﷺ يقضى بالأولي ألا يؤذى أعقبه بقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) بأن يرتكبوا ما يكرهه من الكفر والمعاصي ومنهم من كسر رباعيته ، ومنهم من قال هو شاعر ومجنون (أبغضهم الله) أبغضهم من رحمة (في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الإيلاء (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جنابة استحقوا بها (فقد احتملوا بهتاننا وألمعنا ميننا) ظاهرا وذلك كما حصل في مسألة عائشة وكأيداء علي رضي الله عنه ، وكما كان الزناة يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حاجتهن ولم يكونوا ليعرفوا الحرة من الأمة . ولذلك نزل قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهي الملاءة التي تستعمل بها المرأة فوق السرى والخمار وهي كل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس «أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن وجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم الناس أنهم حرائر» وذلك قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن أحد (وكان الله غفورا) لما ساف (رحما) بعباده إذ يراعى مصالحهم في الجزئيات كما في السكيات (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف إيمانهم (والمرجفون في المدينة) يرجفون أخبار السوء مثلا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس أنهم قتلوا أو هزموا أو يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك (لنغرينك بهم) لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) أي إلا زمانا قليلا حال كونهم (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) سن الله ذلك (سنة الله في الذين خلوا من قبل) من الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) يسألك الناس عن الساعة) تمننا (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع عليها ملك ولا نبي (وما يدريك لعل الساعة تكون قربا) شيئا قربا (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) ناراً شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولانصرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة إلى جهة كالحجم يشوى على النار (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) وهم رؤس الكفر الذين زينوا لهم (فأضلونا السبيلا) أي عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) أي السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أي ضعف عذاب غيرهم (والعظيم لعنا كبيرا) لعنا متتابعين (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) كريما ذا جاه وقدر . أوحظيا عنده لا يسأل شيئا إلا أعطاه فهو مستجاب الدعوة . فقد اتهمه قوم بقتل هرون لما خرج معه إلى الطور فأت هناك خملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول أو أحياء الله فقال لهم ذلك . وأيضا قد مر في (سورة الشعراء) أن قارون حرص بغيا على قذفه بنفسه فعضمه الله

من كذبها . أو قذفه بعيب في بدنه كبرص أو أذرة وكان كثيرا المسترحياء فأطعمهم الله عليه فبرأه الله مما قالوا وقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقلوا قولا سديدا) صوابا عدلا صدقا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبل حسناتكم (وينفركم ذنوبكم) ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم به جاء في رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال : لما كان يوم حنين أتمر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة كالأقرع بن حابس مائة من الإبل ومثله عيينة بن حصن وأعطى ناسا من أشرف العرب وأثروهم في القسمة فقال رجل والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تغير وجهه كأنه الصرغ بكسر الصاد وهو صبغ أحمر يصبغ به الأديم ، ثم قال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال يرحم الله أخى موسى قنأوذى بأكثر من هذا فصره انتهى ملخصا ثم قال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) خفن منها (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) اعلم أن للفسرين (رأيين مشهورين) في هذه الآية (أولهما) أن الله خلق في هذه الأجرام فهما وقال أن تحملن هذه الأمانة بما فيها وذلك أنك إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مستغرات لا نريد ثوابا ولا عقابا ، وتلك الأمانة هي الوفاء بالعهود والودائع وجميع ما حمله المكلف من التكليف القوية والفعلية وهذا القول يناسب قوما (الرأي الثاني) أن هذا القول من الجازم المركب ، يقول الله أن هذه السموات والأرض والأنهار والجبال والودائع والنبات كلها وكذلك الملائكة ، كل هؤلاء مسخرون لأعمال على مقدار الاستعداد ، فالشمس والقمر والجبال والأنهار والأرض كلها قائمات بما خلقت له لاتحاد عنده شجرة - أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا - والبهائم ليس عندها من العقل ما به يصح التكليف ، فهذه المخلوقات كلها تأتي طبايعها أن تسلك بعمل ما وإنما عملها يكون على حسب جبلاتها ، والجبال والغرائز غير عاصية فإن النحل والنمل والعنكبوت والطيور كل جماعة من هذه قائمات بأعمالهن بلا خلل في النظام كما ترى في مستدسات النمل وفي نسيج العنكبوت وفي تربية الطيور لأفراخها ، وفي أن كل طائر إذا خرج من البيضة أتبع أمه وسار معها كأنه تعلم ذلك قبل خلقه وهكذا تسير السكاكب كلها وكذا الأرض لا اختلاف لسيرها ولا اختلال لنظامها فليس شيء من ذلك كالإنسان - بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - ويخرج من بطن أمه ضعيفا ثم يتعلم شيئا فشيئا حتى يبلغ أشده وله اختيار في الأعمال يتصرف بعقله في الأمور ولذلك تختلف أفراده اختلافا كثيرا لتتنوع تعاليمهم وقدرهم وتهذيبهم وأخلاقهم واجتهادهم وإنما كافأه لأنه ابتلى بقوته الغضب والشهوة اللذين هما صفتا البهائم وهو به قلل يرقى عنها إلى ذروة الكمال ، فالشهوة والغضب يصرفانه في أمور كثيرة ، ويوقعانه في الفجور والكبرياء وغيرهما وتنازعه الأهواء ، فاذن كافأه بالشرائع لأنه كان ظلوما بأنواع الشهوات وفنون الغضب التي تقذف به في المهاري ، جهولا بما يجب عليه ، فهذه الأمانة وهي التكليف والأمانات والودائع كالخواس الخس والأعضاء والمواهب كلها حلتها الإنسان لحاجته إليها في ردع ظلمه وجهله ، وتكون نتيجة ذلك أمرين تعذيب المنافقين والكافرين والمنافقات والكافرات لأنهم لم يقوموا بحمل الأمانة حق القيام وأتابه الله المؤمنين والمؤمنات وأن يتوب عليهم وهذا قوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) حيث عفا عن فرضهم وأتاب على طاعتهم . وههنا (سبع لطائف)

(اللطيفة الأولى) في سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وهي رسالة ألفها المؤلف وطبعت سنة

١٣٣٣ هجرية لارد على قوم اعترضوا على الإسلام

(اللطيفة الثانية) في قوله - وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء علما -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا -

(الطيفة الرابعة) في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -

(الطيفة الخامسة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -

(الطيفة السادسة) في ملخص السورة كآيا وفيما قبلها وما بعدها

(الطيفة السابعة) في معنى - وجعلنا الإنسان -

﴿الطيفة الأولى في سرّ تعدد الأزواج في الاسلام ، وتعدد أزواج النبي ﷺ﴾
وهي رسالة ألفها المؤلف للرد على قوم اعترضوا على الاسلام في هذا المقام ، وهذا نصها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلس الأول﴾

(محاضرة دارت بيني وبين صديقي محمود أفندي طلعت أبو مسلم القاضي بالماكم الأهلية)

(المدره) أيها الاستاذ . كثرا القيل والقال في أمر تعدد أزواج النبي ﷺ ونحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لايزال بعضنا في شك مرير مما ذكر ويدكر في كل آن في المسألة ، ولقد تر بصنا قولك فلم نحس لك من خبر ، ولم نسمع لك من ركر ، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين : لولا ان الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع ، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع ، ما انغمض الجفن على القذى ، ولا بقي في غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب والالاح المتوالي عليه من الفرق المختلفة عزين

(الاستاذ) لم أذكر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة ودروس مترادفة . يشغلها سائمة . تنجمها كلاله . ولم أشأ أن أقف موقف الراد على فرقي معين . أوقائل متهور . أومدح يتبين جهله . فالقرين لقرينه منسوب والشئ يذكر بضده والمراء يتحدث مع نده . انما تر بصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة باصعة وتكون رسالتى قائمة بنفسها . ولأقف على أكثر ما يحول في الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء . والجواب على مقدار السؤال (المدره) كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت الشريعة ما زاد على الأربع . وأنت خير بأن من مرن على القانون يختلجه الشك والريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يبيحه غيره ؟ وكيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسنن الأنبياء تأبى ذلك . ألم ترالى ما حكى الله تعالى عن شعيب - وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت - وههنا المخالفة واضحة ؟

انا معشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التي كثيرا ما سمعناها من شيوخنا وقرأناها في الكتب فنبينا ﷺ يتبعه نحو خمس النوع الانساني وسيرته قدوة للأمة

(الاستاذ) لعل النبي ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما زاد على الأربع وهن عائشة وميمونة وصفية وحفصة وهند وزينب وجويرية ورملة وسودة

(المدره) ما منعه أن يفعل معهن مثل ما أمر الحارث بن قيس قال أسألت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهن أربعة . أخرجه أبو داود . وهلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الثقفي ؟ أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعة . أخرجه الترمذي وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحت خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام أمسك أربعة فافارق واحدة ، والذي ﷺ كان عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس وبين ابن سلمة . أفما كان الأجدر أن يفارق خسا ويبقى أربعة ؟ (الاستاذ) قد أعددت ثلاث اجابات لك في كاتهن (١) شاهد مقنع

(١) كفة بضم الكاف وتشديد اللام للمؤنث في بعض اللغات

(المدره) هات أولاها

(الاستاذ) لقد حرّم الله عليه أن يتزوج غيرها وأن يستبدل بهنّ من أزواج ، فكان للسلم بكل من الأربعة غيرها بحيث يتزوج غيرها ويطلقها والرسول محرم عليه ذلك ، قال الله تعالى - لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما مَلَكَت يمينك - ، قال البيضاوي لا يحلّ لك النساء بعد اليوم حتى لومات واحدة لم يحلّ له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهنّ من أزواج فتطلق واحدة وتكسح مكانها أخرى ، وقال ابن عباس - إن النبي ﷺ لما أخبرهنّ فاخترن الله ورسوله شكرهنّ الله ذلك وحرّم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ ، فيتيقن منه أن القانون قد اشتدّت وطأته عليه فجعل هنّ أن يأمن الطلاق والاستبدال وسواهنّ لا يأمن طلاقا ولا استبدالا ، فكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع ، وقلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالا وطلاقا ، فلئن ضيق على المسلمين في السكّ فقد ضيق عليه في السكّيف ، ولئن وسع عليه في السكّ فقد وسع عليهم في السكّيف . فالسواة متعادلة ضيقا وسعة

(المدره) لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من ذى الغلة الصادى فالقانون لم يزل كالمحترم وهو عند الله والناس المحترم ، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا وأدعى للطمأنينة فاننا قد أصبحنا في زمن لا نعرف فيه للمحاباة معنى ولا نعد مثل هذا إلا تلمسا لجواب من أى باب . نعم هذا فيه مساواة في الحقيقة ولكن يصبح القانون نوعين لا قانونا واحد

(الاستاذ) لو طلق نساءه ﷺ لكان ذلك خلا في السياسة . وسوأ في التشديد ، وتفريقا للكلمة ، وبخلا بالجاء على مستحقه ، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسماحة . من ذا ترى أحقّ بالطلاق من نسائه ، عائشة بنت أبي بكر . أم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم زينب ابنة جحش الاسدية ، أم أم سلمة بنت أبي أمية الخزومي ، أم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، أم صفية بنت حيي بن أخطب ، أم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أم سودة بنت زمعة بن الأسود ، أم جويرية بنت الحارث المصطلقية ؟ فوالله لئن طلق عائشة بنت أبي بكر لزلات القلوب ولكان ذلك أمرا إذا تكاد الأفئدة تنفطر منه وتنشق المرائر ، أتى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه في الغار ، وداعى أهل الضلال والكفر للإسلام . وصاحبه الأول ، ومؤاسيه بنفسه وماله ، لئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا ، ولكان الغدر بالأصحاب ، من خلال أولى الألباب ، ولئن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة سوداء في جبين الشرف . وسبة شنعاء في وجه الأدب . وكفرانا للنعيمين . وطفيانا على الصحابة الصادقين . فيا لها من فضيحة يخجل لها وجه الزمان . ويسود لها الحدثان . ويندى لها جبين الفضيلة . وينتصر بها جنود الرذيلة . ويشمت لها جماعة الأعداء . ويتمزق بها عن المصلح شمل الأخلاء . ألم ترالى ماورد في السيرة الحلبية ومثله في البخارى بزيادة وحذف في مختلف الروايات . عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء اليه ليلا فدنق عليه بابَه وناداه قال عمر ففرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا ؟ أجاءت غسان . لأنا كنا حدثنا أن غسان تهل الخليل لغزونا . فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول . طاق رسول الله ﷺ نساءه . فقلت خابت حفصة وخسرت . كنت أظنّ هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي . فقلت أطلقك رسول الله ﷺ ؟ قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المثربة . وفيه انه استأذن على النبي ﷺ ثلاث مرّات وفي كل منهنّ يحببه الغلام بقوله ذكرتك له فصمت . قال فلما كانت المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا . فاذا الغلام يدعوني . فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسأمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه ﷺ . فقلت أطلعت يا رسول الله نساءك . قال

فرجع رأسه إلى وقال لا . فقلت الله أكبر (الحديث مطولا) وفيه قال عمر فقلت أأستأنس يا رسول الله . قال نعم فجلست . وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصى وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى عليه السلام جالسا وقال : أفشك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قد عجبت لهم طبيعتهم في الحياة الدنيا فقلت : أستغفر الله يا رسول الله (ولقد اقتطفنا من الحديث ما يليق بالقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحاول البلاء . ثم يفرق ويدهش ويستأذن . ثم يرد وهو يوجس في نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته ، وجهنم وخزنتها ، والزبانية وسلطانها ، تحيط به وبابنته لو طلقها النبي . وروى أنه كانت جفوة بين حفصة والنبي صلى الله عليه وسلم فباع أبوها عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فبنا التراب على رأسه وقال ما يعيا الله بهر وابنته بعدها . فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمرك . أي تصالحها . وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه : أراد النبي أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام إنها صوامع قوامه وإنها زوجتك في الجنة . فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة فقال أما هاتان فطلاقهما فتنه ومحنة ومفسدة أي مفسدة

(الاستاذ) فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة بهذا زوج أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي برة بنت عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعهما أربع بنات برة وسلمة وعمره ودرة فأوها النبي صلى الله عليه وسلم إليه وتزوجها بعد أن اعتذرت إليه وقالت في امرأة مسنة ، وإني أم أيتام ، وإني شديدة الغيرة ، فأجابها على لسان رسوله بقوله : لا يتام أضعهم إلى وأدعوا الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن بل كانت تلك المزهديات والعقبات من أقوى الدواعي للإسراع في طلبها عطا عليها ، ورحمة بيناتها ووصلة لرحمها ، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع ، وإيوائه لصغاره من بعده . أفترأه يطلق بعد ذلك ، ولو أنه فعل لكان أمرا نكرا واستضعافا للإيتام ، واستخفافا بصلة الأرحام ، واحتقارا لشأن اللاجئات إليه اللاتي يستحقة من معونته أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذي تبناه صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا إلى ما يقع في بلاد المسلمين كل آن من بعده اذ يصطفي الدعوى بعد النسب ، ويقصى القريب ، فيكون الخلل في السياسة والخلل في الرياسة ، والاسلام وإن سوى بين الناس وجعلهم أخوة في أعمالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر إلى الكياسة في السياسة . فلقد يصدق المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة . نعم هؤلاء واضربهم كانوا من أجل الأنصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام وبيضة بالحق والسيوف ، كل ذلك مسلم ولكن نظر النبي نظرا أدق وعلمه الله بالوحى ما جهله الملوك العباسيون كالمقتصر والترك لجعلوا المولى أولى بالمناصب ، وأحق بالكراسي ، وأجدر بحفظ السياسة ، والاستبداد بالرياسة ، . فحق القول على أكثرهم فهم يعمهون . . نظر ذلك كله النبي فأمر الله أن يتزوج زينب وألقي في روعها بغض زيد فلما شكازيد انفعتها منه ، وجفوتها له ، وشمخها بأنفها خيلاء وكبرا اذ كانت من صميم قریش وهو مولاهم قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كنتم في نفسه من أنه أمر قبل ذلك واخبر بأنه سيتزوجها فقال له . وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .

ذلك لان يصدع بالأمر ولا يخاف في الله لومة لائم فكيف يتحجل من تغيير ما ظهرت عواقبه الوخيمة بعد ذلك واستبان ضرره ، فلقد كان للترك في دولة بني العباس من الفتك بالملوك ، وتسميل العيون ، وقطع الرقاب ما تشعرون منه الجلود ولستم شديخوا الزهوس واستنزلوا قرابة النبي بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت ، ونعمة بدت ، وضغينة كاذبة يبتدعونها ، وأغراض ذميمة يبعثونها ، ولآثام يقرفونها . وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون الانكشارية علموا أنهم من وشيعة غير الترك ومن عنصر لا يتصل معهم ولا يلتئم فاتحدوا للنفقة ثم اتوا صفاء وأهلكوا الحرث والنسل في أنحاء الدولة وقد استنام الترك لذلك العقارب والحيات كما

استنم العرب قبلهم لفلان المعتمد الذين تناسلوا وتكاثروا وأوقفوا الدولة في حيض بيض ففترقت شذر مذر ، وفترقت كل هزق ، وأصبحتوا أحاديث للاطمحاضرة والفاخرة ، ذلك ما كان يرعى اليه زواج زينب ابنة جحش ذلك هو السر المصون ، والجوهر المكنون ذلك أصل سياسة الله في الاسلام جهلها الناس ، ولئن علموا فلفقد غشى على أعينهم الطمع ، وذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وهاهنا قال المدره للاستاذ أن أرا أن الانصراف ، فلنعد غدا صباحا ، وإن موعدا الصبح ، - أليس الصبح قريب -

﴿ المجلس الثاني ﴾

جاء الاستاذ والمدره وقال الاستاذ هاتين أولاد فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فتقول اليوم أرى أن يطلق أم حبيبة وهي وملة بنت أبي سفيان بن حرب ! وهي التي نبذت دين أمها هند وأبيها أبي سفيان فخل قرش زعيم القوم وكبير العشيرة أبي معاوية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تسكني فتصر زوجها هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر كيف رزئت بهجر أبيها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشت قوماسود الاوان يخالفونها في العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن تصب واحن وعذاب واصب . فإذا فعل النبي ﷺ ليكافئها أرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي رحمه الله ، فزوجه ﷺ أياها وأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أربع مائة دينار والذي تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجعلها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذي تولى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك يفارقها . ان هذا لعار وأى عار ، بل اثم كبير ، وزلة لا يفرها الدهر ، ولا يرضاه الصعلوك الغر ، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم ، والسيد الاكرم . أم يطلق جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق واسمها برة التي تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها . ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا في حق بني المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم قل في الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ، ووطئوا نساءهم ، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي فهل يطلقها بعد أن شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم بين القبائل . أفيجوز في شرعة الفضيلة أن ينكسوا رؤوسهم بين الملا صاغرين ، ويهيروا بالخبيثة والتعاسة خاسئين .

المدره - هذه المعاذير التي ذكرتها اقناعية لا تروى من غلة ولا تشفى من غلة ولكنها تقوم بحجة وقتية ، ويجتزئ بها أواسط الناس ، فأما الاذكياء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب وقلق واضطراب .

(الاستاذ) - ولماذا .

المدره - ان ماجاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع سراة العرب واشرافهم فلقد يحتج كل بما يريه من النساء من المصائب ، وما يفتابهن من النوائب ، وما يعترى احبابهن والحبائب : من تنكيس الرؤس ، وحلول البؤوس . وذل النفوس . وشماتة الأعداء . وحزن الاخلاء .

(الاستاذ) - ليس شأن سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبي ﷺ ، ولا وقائعهم كوقائعه . فالطامة هنا كبرى وهي متوجهة للامة ونظامها كما أوتخت لك فيما مضى وكيف تنسى عمر وما حثنا من التراب على رأسه وهو ركن مهم في الاسلام . وكيف قال هو وصاحبه ان طلاق نساء أشد من احتدام وطيس الحرب ، وضرب الهام ، وإعمال السيوف ، والقنا يقرع القنا ، وأمواج المنيا تتلاطم .

ثم قال الاستاذ فإذا كنت تفعل لو كنت مكان النبي ﷺ .

(المدره) - أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء .

(الاستاذ) - وكيف ذلك .

(المدره) أما كهون زمام انفسهم . وأخبرهن . فأكون قدمهت لنفسي العذر . وقطعت لسان العذل فلو طلقت احداهن نفسها لم يسود وجهها بما يقول الناس ان النبي أبغضها فنبذها وليس مقام النبوة بمسه سوء من فراق سيدة لم تختره .

(الاستاذ) قد فعل النبي ذلك اذ قال الله له (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحا جيلا . وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعده للمحسنات منكن أجرا عظيما) . فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أعرض عليك أمرا أحب ألا نتجلى فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله ! فتلا عليها الآية قالت أفليك يا رسول الله أستشير أبوي . بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ان الله لم يعثنى معننا ولا متعنتا ، ولكن يعثنى معلما ومبشرا .

(المدره) هذا كلام حسن فإذا كان بعد ذلك .

(الاستاذ) اختاره نساؤه كلهن ، وحرم عليه استبدالهن وطلاقهن ، كما تقدم وسمين أمهات المؤمنين . وأعطين هذه المنزلة السامية في التاريخ والامم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا

(المدره) هل كان نساء النبي يقدرن هذا المجد قدسه . وهل يرين أن المجد والشرف والاسم والصيت فضلا عن الدار الآخرة أرقى وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية . وهل من حوادث تؤيد ذلك حتى نقول انهن كن يردن الله والعزة والشرف والآخرة وحتى يضرب الذكر صفحا عما نعلمه من انهن كن يطلبن منه النفقة وان ذلك كان من أسباب هجره لمن شهرا كاملا لمغاضبتن له فكان ذلك من أسباب نزول آية التخيير (الاستاذ) نعم كن يقدرنه حق قدره ألم تر الى أخت دحية التي ماتت من الفرح لما علمت أن النبي ﷺ

تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا بني الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا . ألا ان للنساء نفوسا كما للرجال : يحببن الشرف كما يحبون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعالو الهمة كما يسعون . لقد برهنت النساء في كل زمان على ان فيهن من تفضل الموت على العار بل انهن أرق شعورا ، وألطف أفئدة ، وأشد قبولا لموعظة ، وأكثر تقديرا لفضيحة ، وأوفى ذمما اذا صدقن العشير . فانظر كيف قضت أخت دحية الكلبى نحبها لما فاجأها من خبر زواجها بالنبي فقل لي رعاك الله . أكان ذلك لئلا والنبي ﷺ كان بنام على حصير ، وبأكل الشعير ، ولا يبالي بالخطام ، ونساؤه يطلبن منه النفقات . ويقبلن له كل يوم هات . أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الفريديات وهو قائد حرب ومعلم تلميذ وقائم ليل . وصائم نهار . وقاض بين خصوم . ومفرج هموم . فإذا يكون حظ النساء منه . كلا وانما ذلك الشرف والمنزلة الرفيعة في الدين والدنيا فلا عجب اذا قالت سودة بنت زمعة دعني حتى أموت تحت كنفك وقالت هي والباقيات لا تقتلنا بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معنا من ترك قسمة على اتنا أمهات المؤمنين واتنا لانسكح بعدك حتى نزل قوله تعالى (رجى من تشاء منهم وآوى اليك من تشاء ومن ابتغيت من عزات فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرأ عينهن ولا يحزن ويرضين بما آتينن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله علما حليما) قال البيضاوي ترجى من تشاء منهم تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها وهناك أقوال أخرى غير هذا لاحاجة لها في موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) فكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فسكأت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما تراضين عليه لما نلن من شرف . وما أحرزنه من نحر . الى أبد الدهر .

المدره - لم تحرم أزواجه على المسلمين من بعده . وهلا أباح الله زواجهن أسوة بالناس .
(الاستاذ) ان من الحكمة التي أودعت ذلك أن في التحريم سدا لباب الفتنة وحفظا للسياسة وتوحيداً
للحكمة . فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتطاول التدخل في السياسة ولتفعل بأذى سبب ولأى وسيلة ما فعلته
عائشة فقد أذاها اجتهداها الى محاربة على مطالبة بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها في الخلافة ولاجل ولأجلها
رضى الله عنها أذاها اجتهداها الى النهي عن المنكر في نظرها واجتهادها . فلو أن إحداهن تزوجت برجل
لتطاول لارياسة بحجة زوجية أم للمؤمنين . ولما كان له قدم صدق في الخلاف في مواطن السياسة . هذا فضلا
عن اكرام النبي ﷺ وتعظيمه فكان التحريم لحكمة بالغة وحجة نيرة وآية باهرة وبيئة للبطل دافعة
وللمحق جامعة . فهل بقي في صدرك أيها المدره حرج ؟ ألم يعذر الله والنبي وقد فعل ما لا مطمع بعده في اعذار
ولا بقيت سبيل لعالم نظامي وخربت لودعي فيختار . بل قطعت الأسباب . ولا ملاحاً لها قل بعد ذلك أن
يلج من أى باب ؟

(المدره) لم يبق لي إلا باب واحد أجه . ومحجة واحدة أسألكها . فهلا اتخذ ذلك فرصة ونحي منهن جماعة
للعادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة . واصطفى منهن أربعا ليكون جامعاً لمختصتين مؤدياً للغرضين محيياً
للسننيتين . فالمرورات للدين والعبادات وذكر القرآن ومدارسته وفهم الأحاديث وحفظها على أن يقمن بهدابة
الخلق . وارشاد الناس الى الحق . والمصطفيات يكن على عدد الزوجات لاسان الناس ليكون ذلك قطعاً لألسنة
الملحدتين . وارشاداً للضالين . وحجة في هذا الزمان

(الاستاذ) قد كان كل ذلك واختار النبي بأربع ولم يزد عليهن . وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن
والحكمة . ففي النسفي والحازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية ما نصه ﴿ وقد كان أربعا
النبي ﷺ من نسائه خسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وآوى اليه أربعا عائشة وزينب
وأم سلمة وحفصة . ألا تعجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن
فاقرأ مقال الله - وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن
الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقائتين
والقائتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
والصائمين والصائمات والخائفين فرورجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة
وأجراً عظيماً . - أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يعلمن الحكمة ويذكرنها عسى أن يعلمن الناس ويكنن قدوة
كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيراً من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صناع اليد
ماهرة في الخرز وصنع الخفاف فكانت بعده ﷺ تخرز وتدبغ الجلود وتبيع وتتصدق بالتمن على الفقراء
والساكنين فكانت قدوة . ويأليت بنات المسلمين يعلمن ذلك . ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام
به زوجات النبي ﷺ كما تفعل الأمم المتعدية الآن في أوروبا والشرق واليابان

(المدره) عجب . إذن كانت تلك مدرسة

(الاستاذ) نعم هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات في الاسلام النبي ﷺ . وهنا
انقضى الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد

﴿ المجلس الثالث ﴾

(الاستاذ) ذكرنا أمس أن أول مؤسس في الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة
السيدات . أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم أهل الصفة منهم أبو هريرة وصهيب وسلمان

وعمدوا وأسألهم ويقال لهم يبلغون أو يمهاتوا بأخذون الصدقات ويتفقون القرآن ويتعلمون الذين عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد . فهل بقي بعد ما تقدم قول لقائل ؟ أليس في إبعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ما ذكر قبوة وشدة لأجل لها ؟ ألم يبين للشعب أن لا مطمع له في الاختصاص ولو كان جائز له فسلواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يرجأن اختياراً منهن وقصرهن على العبادة والتعليم فالطلاق إذن طريق وعمر ومسلك خبيث بل معرة يأنف منها العاقل والجاهل فضلاً عن الصالح والعالم والنبي ﷺ لو أنه فاجأهم بالطلاق قسراً لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر مائكة الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابي الصعوك فلنكسر سنك كما كسرت سنه . ولم يتد عمر في ذلك ولم يترقب حتى يجد له مخرجاً من عفواً وقبول أورش ولم يطاوله ففرّ (جبلة) ومعه ستون ألفاً من رجاله إلى بلاد الروم فتنصروا . ذلك لصرامة عمر في القانون ولم يتر بص حتى تتيح له الفرص مخرجاً . فما فعل النبي ﷺ لأمفرّ منه ولا مخلص . فليس في الامكان أبدع مما كان (المدره) واهاً لك . ثم واهاً واهاً . لقد آتيت بالحجب . ونصبت منك ما لم يكن ليخطر على بال . وإن في بيانك لسجراً . فما الجواب الثاني ؟

(الاستاذ) أما الجواب الثاني فقل : ان أولئك الفر وهم غيلان ونوفل بن معاوية والحارث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكونون قد اعتنقوا الدين بجميع نواحيه وأوامره . فتعديد العدد واجب عليهم . فاما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جوع وأفرة وألوف مؤلفة ورييون كثير . فما قرأنا ولا رويانا أن أحداً منهم فارق مازاد على الأربع . ولو كان ذلك لنقل اليها واتصل بنا . وأمر تعدد الزوجات ليس يسيّر وانما هو أمر اجتماعي يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات . بل نظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الأسرات . فلوائه أمر بفراق مازاد على الأربع جميع من أسلموا قبل التحريم ما خفي علينا ولتعدد النقل وكثرت الشواهد والدلائل وعليه يكون ﷺ واحداً من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع السكثرة من النساء ولم يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الألوف المؤلفة والجوع المختلفة والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الأربع قبل التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع النبي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السراة المثلون والشجعان الجاحجين والقروم القماقين والسادة الصماصيم وذوالبأس والشدة الذين هم أقدر الناس على الشهوات واسرار العقيلات الفاتنات فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة

ثم قال الاستاذ : أما الجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحاً عما تقدم وكان الجوابين السابقين لم يكونا لاسيما أن الاجماع قام على أن ذلك خاصة له ﷺ والاجماع حجة فيسقط الجواب الثاني بذلك ونقول : انه مامن دين إلا وقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أو فعله أو نتائجه . فانظر في سير الأنبياء السابقين واللاحقين تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله وأعماله (وجهين) وجه يتلأ نوراً وتبين فيه الحقائق واضحة جليلة وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتسود وجوههم فيلجج الشك في قلوبهم ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وهذا في المشاهدات معلوم . يرى الناس الأشجار على شواطئ البحار ذات ظل في الماء تنعكس أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ولا حقيقة لهذا وانما ظله مرآس على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل إلى أسفل ويرون النار المتقدمة من بعيد كبيرة وهي صغيرة ويرون الشبح فوق الجبل صغيراً وهو كبير . ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولا يبايض وانما هو ضوء الشمس أو غيره وتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسموع عن الأنبياء . ألا ترى إلى قصة الخضر عليه السلام إذ اقتلع لوحاً من السفينة فلامه موسى عليه السلام . فلما أن تبينت الحقيقة أدرك أن - فوق كل ذي علم عليم - وأن الوجه الذي

ترأى له أسود . وأن المقصد أغاثة اليتامى بعرب السفينة ثلاثاً وأخذها الملك خصياً
وما كان ذلك إلا لأخذ بطواهر الأمور ، وانعكاس الحقائق في المرويات كما عكست في المراثيات . وفي
قصة داود وسليمان معتبر فقد كان لاولهما (٩٩) امرأة وآخرها المئات من الحور الحسنات - كأنهن الياقوت
والمرجان - مما ماح به قصره ، وازدانت بهن حججه ، وحكم سليمان ، ومزمار داود ، عمت أرجاء المعمورة ،
وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يعمرن الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى نحو (سبعمئة مليون)
يؤمنون بـداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلوها آناه الليل وأطراف النهار ، يتاجون ربحهم
بكثرة وعشياً ، متضرعين بما في المزامير من الآيات ، ولا يجحدون في صدورهم ما يجد الناس اليوم مما تروج به
بحار الأنفس ، وقواميس العقول . وتغلي به مراحل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء عليه السلام
علمت الأنفس بفطرتها أن الديانات والمذلل لا تصدع بمثل هذه المتشابهات التي قديها وزها الدليل والبحث فلا
يعبأون بمثل تلك الشكوك . إذ هو مما يبدل بعض النفوس وجهاً أسود بادئ الرأي . ولوحق الامرالاديب .
ودقق الاريب . لوجدوا العالم كله ليس يخلو من الوجهين في ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لاعوج فيه
ولاشبه - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ولأضرب لك مثلاً بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون
منها حياة الحيوان . وقوام النبات . واستضاءة الطرق والمسالك . وجرى الأنهار بحراراتها . ومع ذلك لانعم
زاريا عليها . عاباً لها . لوجهها المسود في نظره لحكمة لم يفقهها . وآية لم يدركها . لهاجرة لدغته . أوج
سموم آذته . أوضربة شمسية في رأسه أصمته . أوز يادة حرارة في عينه أعمته . لاستعداد في نفسه . وضعف
في جسمه . وخلة في المزاج

ومن يك ذا فم مريض * يجحد صرا به الماء الزلالا
فلا عيب على الشمس المضيئة . إنما العيب على القوابل الرديئة . فيعصى إذ ذاك عن فضائلها . ويحكم
بالجزئي الموهوم على السكلي والعموم . وقد دق ذلك الجزئي فلم يحط به علماً فكان النظر جزئياً لا كلياً .
بل وهماً لا عقلاً . فالأنبياء والمصلحون كالشموس . وعلمهم كالأضواء والأنوار . والملاحدون أصابهم حرها
لضعف عقولهم وإدراكهم

ومن يتطلب جاهداً كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب
فلا ضرورة إذن لما صح من الجوابين السابقين لإردا لما يقال على السنة أولئك الثرثارين والافباله قلى كتاب
الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الاضاليل والسخافات . مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء
ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأعمهم لا تعترض ولا نسخط . قتل الانسان ما أجهله . قتل الانسان
ما أظلمه . قتل الانسان ما أقل علمه . وما أنعم نفسه . يتركون مالههم . ويأثرون بخيلهم ورجلهم
وصفوفهم . ليحاربوا ديناً في مسألة عرضية لاجهورية . وثانوية لأولية . اللهم ان عبادك في الارض يملكون .
وأكثرهم فاسقون : يتبعون الشهوات في لهجة الدين . فوالله لا يريدون وجه الله . إنما هو وجه الشيطان .
وخبث النفوس . وجه العامة . اللهم ان أ كثر الناس ظالم كفار . اللهم انا خلقنا في أمم يسير سوادهم مع
الاهواء . يساقون كائنات الأنعام . ما يحجبهم الا المغالطات . كل يسعى لملء بطنه . وسد بطنه . وشهوة
فرجه . وسلخ جلود الامم الضعيفة . وذبحها على انساب الأئمة القوية . فسلاح العلم أذكى سلاح وأضاه .
وهو طليعة جيش المدافع والسيام

(المسره) قد تجلت الحقيقة . وتلاً نورها . ووضح الحق . واستبان السبيل واني أريد الكلام على
تعدد الزوجات وجعلها أربعا .

(الاستاذ) لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحانان مستبشران

(المجلس الرابع)

(المدره) قد اتفقنا في الاجتماع الفائت أن نأخذ بطراف الاحاديث بيننا في أمر تعداد الأزواج للمسلمين ولكن اليوم تبدت لي شبهة فلا قدمها بين يدي ذلك السؤال

(الاستاذ) أنا لا أفهم أنت مؤمن أم كافر . فان كنت كافرا فلا شأن لي معك ، وان كنت مؤمنا فلندع المقال . الا وان نبوته ثابتة عقلا ألا ترى الى مقاله كارليل المؤرخ الانجليزي في كتاب الشجاعة والشجعان وكيف برهن كما برهن شراح العقائد النفسية بالنتائج والتمرات . قال كارليل : (رجل بنى بيتا حسن البنيان . متين التركيب . قائم الجدران منتظم الاركان . ثم بقي البيت ألفا ومائتي سنة لم ينهدم منه ركن . ولم تسقط من أعلاه شرفة . وهو لا يزال يزداد جودة مهما تقادم عهده . وبعد أمده . فهل ينبغي دعوى في البناء - الباني محمد ﷺ والبيت الاسلام فاذا ثبتت لديك نبوته فاضرب بالشكوك عرض الحائط وهناك أدلة التجربة جفرب قوله في الحديث وفيما أنزل عليه من القرآن وانظر هل تكون النتيجة كما أخبر الذين أو ماذا تكون . فان صدقت النتائج فاقول حق - فاذا قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع الحسنيين) فاعمل بها وانظر النتائج - هذه أمور قد فرغ العلماء والكتّاب منها ، ربربوها وصدقوها ، فكأن على آثارهم . واقتد بآثارهم . تفز كفوزهم .

(المدره) أنا مؤمن واسكن أسألك ليطمئن قلبي . ولأحاج الجاحدين

(الاستاذ) الجاحدون اذالم يؤمنوا فلنترك الجدل معهم .

(المدره) حقا واسكن بعض الشبان يحار فيها لعموم المضلين . أذنب الادريين في بلادنا . اذ قد أتوا صفا . وقالوا لقد أفلح اليوم من استعلى

(الاستاذ) وغلامه - ماذا يقول أذنب الادريين .

(المدره) يقولون ان النبي ﷺ كان مغرما بشهوة النساء وقد استدلوا بحديث في طبقات ابن سعد انه جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أر بعين رجلا في الجامع وهذا الكتاب يسمى كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي رحمهما الله وطبع في مدينة ليدن بمطبعة برييل وهو خمسة عشر جزءا وصححه علماء المانيون بأمر من الجمعية الكبرى الأكاديمية الملكية الهولندية سنة ١٣٢٢ فيه ان المؤلف روى عن محمد بن عمر عن رجل يسمى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال ان النبي ﷺ قال كنت من أقل الناس في الجامع حتى أنزل الله علي (الكفيت) تصغير الكفت فما أر يده من ساعة الا وجدته وهو قد ر فيها لحم . وفي رواية لقيني جبريل بقر فأكلت منها فأعطيت الكفت قوة أر بعين في الجامع .

(الاستاذ) تبسم ضاحكا وقال : أهذا حديث النبي .

(المدره) نعم . ضحك الاستاذ . ثم استهزأ بالقول وسخر . وقال أما أن تصدق ما في القرآن من آيات : واما أن تصدق هذا الكلام : يقول الله (وانك لعلى خلق عظيم) ويقول (وأرسلناك رحمة للعالمين) ثم يأتي أذنب أوروبا . وصغار العقول وذبان العلماء . يقولون انما جاء يعلم الناس قوة الجامع بأكل لحم في قدر وفي المثل انه امي اذا كان المتكلم مسلوب العقل . فلا سامع فؤاد يعقل . ونهى وارب . يميز الحق من الباطل . في يقول الله على لسانه (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ثم يقال كان يعلم الناس علم الشهوات . هذا ضلال مبين .

(المدره) ما قلت معقول فماذا تصنع في الحديث .

(الاستاذ) الحديث مزور مكذوب وقد أخطأ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير

(المدره) ان هذا الكتاب اجمع وأحسن كتاب في سيرة النبي وأصحابه والتابعين واذا لم تثق به فم تثق .

(الاستاذ)

(الاستاذ) الحديث مكذوب موضوع

(المدره) غضب غضبا شديدا كيف تقول مكذوب وما برهانك

(الاستاذ) تبسم ضاحكا هذا الحديث مروى عن عمى نصار بائع الفول المدمس أمام باب الصعايدة بالازهر

(المدره) أخرج من الجدل الى الهزل

(الاستاذ) ما قلت لك حق

(المدره) الحديث في طبقات ابن سعد وهو في القرن الثالث وهذا الرجن في أوائل هذا القرن الرابع عشر

فليس مات قول مقبولا

(الاستاذ) اسمع أيها الصديق : اذا أثبت لك أنه مروى عن رجل يشابهه في صنعته أراد أن يشتر

بيدع الهريسة (القمح المدقوق المطبوخ في القدور) كالمدمس فماذا تقول ؟

(المدره) أقول : إن أذئاب الاوروبيين جميعا قوم لاخلق لهم وانهم صعاليك الأمم يريدون بنا شرا

ولسنا نذم إلا الكذابين الضالين منهم . فأما حكاؤهم وعظماؤهم وأجلاؤهم فلهم عندنا مقام عظيم

(الاستاذ) أنعطني عهدا ؟

(المدره) قال نعم

(الاستاذ) - قال العقيلي : حدثنا معاذ بن المشي . حدثنا سعيد بن المعلى . حدثنا محمد بن الحجاج عن

عبد الملك بن عمير عن ربيع بن خراش عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله : هل أوتيت من الجنة بطعام

قال نعم : أوتيت بهريسة فأكلت فزادت في قوتي قوة أر بعين وفي نكاحي نكاح أر بعين . قال وكان معاذ

لا يعمل طعاما إلا بدأ بالهريسة . قال العقيلي : هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمي وكان صاحب هريسة

وغالب طرقة تدور عليه وسرقه منه كذابون . أليس يا صديقي هذا نصا على أن هذا الرجل هو المخترع وأخذه

كثير عنه بأسانيد اخترعوها وألفاظ غيروها . أولم أكن صادقا في قولي لك انه مثل عمى نصار بائع المدموس

فهذا اشتهر بالمدموس وذاك اشتهر في هريسة فكسب مالا عظيما بهذا الكذب . وذبان أورو با يتبعون ذلك

الفحش والحقارة والدناءة ليضحكوا على عقول الجهلاء . وقال ابن عدى : هذا الحديث روى عن سلام بن

سلمان عن نهشل ونهشل كذاب وسلام متروك مرمى وأن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له أسنادا

وقال الأزدي : هذا الحديث روى من طريق إبراهيم بن محمد وإبراهيم هذا ساقط . فنرى انه سرقه وركب له أسنادا

(المدره) الآن قد اكتفيت فلك الشكر والثناء على ما أوفيت . إذ قد حصص الحق . وانقضت

غياب الشك - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - وانى لأعجب كيف يكذبون على

رسول الله ﷺ

(الاستاذ) الموعد غدا في المجلس الخامس ان شاء الله تعالى

(المجلس الخامس)

(انتظم المجلس الخامس وتناجى الاستاذ والمدره)

(المدره) وعدت أيها الاستاذ أن تفيض في الكلام على الأحاديث الموضوعة وكيف تسنى لامرئ أن

يكذب على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) لا تعجب من قولي . فكم من عجب في هذا الانسان فلقد طغى وبنى وكذب قديما وحديثا

ولم ينرم من شيء إلا أحاطه بشروره وألبسه من أبواب زوره . ونسج بعناكب بهتاته على حقائقه . ولنكم أثبت

في طيب أرض الحقائق من شوك قتاده وحسك عناده وعضاء اختلاقه فاذا رأيت الأمم الحاضرة والجرائد

السائرة تختلق إفكا وتفتري إغما فهكذا كانت فرق من السابقين وعززون من الأولين يتقوّلون على النبي ﷺ لأغراض يقصدونها وآثام يجتريونها ومقاصد يؤمونها ومناصب يرتقونها وممالك يتكلمونها وظلمات يفتقرونها . ألم تر إلى ما روى عن عبد الله بن يزيد المقرئ قال :

(١) رجع رجل من أهل البدع عن بدعته فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا اذا تراءينا رأيا جعلنا له حديثا

(٢) وعن ابن طبيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا

(٣) وعن حماد بن سامة قال : حدثني شيخ من الرافضة قال : كنا اذا استحسنا شيئا جعلناه حديثا

(٤) وعن أبي أنس الحراني قال : قال المختار لرجل من أصحاب الحديث . ضع لي حديثا عن النبي ﷺ انه كان بعده خليفة مطالبا بكرة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة وصركوب وخادم ، فقال له الرجل : أما عن النبي ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصخابة وسخط من الثمن ماشئت (المدره) إن شئت أن توضح هذا الأخير فإني لفي حاجة اليه

(الاستاذ) ان المختار كان أميرا على الكوفة مطالبا بأمر الحسين رضي الله عنه ظاهرا طالبا للملك باطنا وفي المنزل « أسر حسوا في ارتعاء » وفيه أيضا « بعلة الورشان يأكل رطب المشان » وفي المثل أيضا « فلان محزن بق لينباع » أي يطرق ليئب . ولقد كان من خدعته انه يخلق إفكا ويتظاهر بخوارق العادات وكان من حديثه انه يوما ما كان محاربا فقال لقومه ستفرون من العدو بذنوبكم ، فاذا كانت الهزيمة فستأتي الملائكة في صورة الجائم البيض دون السحاب فيها تنصرون ، ثم أعطى بعض خواصه تلك الجائم البيض التي رباها ، فلما كان الند وقت الواقعة وانشقت جوعهم وكانت واهية لكثرة المدفأ أطلق أصحاب الجائم البيض فاجتمعوا وأثروا صفا وغلبوا العدو ومزقوه شرمزق ، وكان من جملة احتياله ونصب شره انه ورصد نخافه ومبرم حبال اشراكه أن جعل لذلك العلامة في الحديث مالا وافرا وهدايا ثمينة توافق مرامه وتوافق أن يقول انه خليفة بعد النبي ﷺ مطالب بأمر ولده (يعني سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه) فأبى الشيخ عليه ذلك حفظا للدين ورضاء لله عز وجل

(٥) ومن الوضعين قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب ليحثوا الناس بزعمهم على الخير ويزجروهم عن الشر ، ومضمون هذا أن الشريعة ناقصة وتحتاج الى تكملة بزعمهم ، فعن عبد الله النهدي قال : قلت لعلاء خليل هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق ، من أين أتيت بها ؟ فقال وضعناها لترقى بها قلوب العامة قال ابن الجوزي : غلام خليل كان يزهو ويهجر الشهوات ويتقوت الباقلاء صرفا وغفلت أسواق بغداد يوم موته فحسن له الشيطان هذا الفعل القبيح وسئل عبد الحبار بن داود النخعي فقال كان أطول الناس قياما بليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعاً . وكان أبو بشر أجد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة وأذبه عن خالفها وكان مع هذا يضع الحديث ويقبله وعن أبي عمار المروزي قال : قيل لأبي عصمة بن أبي مريم المروزي من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ، قال اني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . وكان وهب بن حفص من الصالحين . مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا . قال أبو عروبة كان يكذب كذبا فاحشا . وعن يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير . فاذا كان هذا حال الزاهدين والأتقياء فما بالك بالفجرة الأشرار

ومن الوضعين قوم كانوا يتقربون للأنوك والأمراء كفيث بن إبراهيم فإنه حين دخل على المهدي وكان المهدي يتسبب الجلام فقبل له حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال « لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح » فأمر له المهدي ببذرة . فلما قام قال المهدي إنه كذاب وأنا جعلته على ذلك . ثم أمر ببذخ الجلام ورفض ما كان فيه .

ومن الوضعين من كان يضع الحديث في ذم من يريد أن يذمه كما حكى عن سعد بن طريف أنه وأى ابنه يحيى فقال مالك فقال ضرب بنى المعلم فقال أما والله لأحدثنهم حديثي عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « معلمو صبيانكم شراركم » وقيل لمؤمن بن أحمد ألا ترى إلى الشافعي وإلى من تبعه بخراسان فقال حدثنا أحمد بن عبد الله بن معاذ عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضرب على أمتي من ابليس . وقيل لمحمد بن عكاشة السكرماني : ان قوما يرفعون أيديهم في الركوع و بعد رفع الرأس من الركوع فقال أنبأنا السيب بن واضح حدثنا عبد الله بن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له .

(أقسام الوضعين)

ان الوضعين ثمانية أقسام :

(١) الزنادقة قصدوا افساد الشريعة وإيقاع الشك في قلوب العباد والتلاعب بالدين كعبدالكريم بن أبي العوجاء قال ابن عدي لما أخذ ابن أبي العوجاء إلى محمد بن سليمان بن عامر فأمر بضرب عنقه قال : والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحل فيها الحرام وأحرم فيها الحلال وعن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدي يقول : عندي رجل من الزنادقة وضع أربعة مائة حديث فهي بحول في أيدي الناس

(٢) قوم كانوا يقصدون بوضع الحديث نصرة مذهبهم كما تقدم عن عبد الله بن يزيد المقرئ .

(٣) قوم وضعوا للترغيب والترهيب كما ذكرته لك اجالا فيما تقدم والمثال في ذلك ما يروى عن ابن عدي حدثنا أحمد بن حفص السعدي حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا خاقان السعدي حدثنا أبو مقاتل السمرقندي عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر مرفوعا من زار قبر أبيه أو أمه أو عمته أو خالته أو أحد من أقربائه كانت له كحجة مبرورة ومن كان زائرا لهم زارت الملائكة قبره . قال ابن حبان ليس لهذا الحديث أصل وأبو مقاتل حفص بن سليم يأتي بالاشياء المنكرة . وقال ابن عدي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن حدثنا أحمد بن صالح المسكي حدثنا علي بن عباس الحمصي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : حسنوا أكناف موتاكم فانهم يترأفون في قبورهم قال بعض العلماء هو موضوع وصححه آخرون من طريق غيره وقال عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أنبأنا شهر بن حوشب بن عبد العزيز الجبلي أنبأنا أبو حامد محمد بن همام حدثنا محمد بن سليم حدثنا إبراهيم بن هذبة عن أنس أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فلما صلى عليها دعا بشوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تطلعوا في القبر فانها أمانة فلعل وعسى تحل العقد فيجلى له وجه أسود وأمله يحل العقد فيرى فيه حية سوداء مطوية في عنقه فانها أمانة وعسى أن يقبلها فيعود اليه دخان من تحتها فانها أمانة . هذا موضوع وأكثر رواة مجهولون وإبراهيم بن هذبة كذاب وقال الخطيب أخبرني أبو الفرج الطنجيري أنبأنا عبد الله بن عثمان الصغار أنبأنا أبو محمد بن الحسن بن أبي الحسين بدر بن عبد الله مولى المعتز بالله حدثنا أبو القاسم أنس بن محمد بن علي الطحان حدثنا محمد بن بشر الارطباني حدثنا محمد بن معمر حدثنا حميد بن جاد عن مسهر بن كدام عن عبد الله عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : دفن البنات من المسكرات . قال لا يصح وحيد يحدث عن الثقات بلنا كبر وروى من طريق آخر وهو منكر قال الشيخ السيوطي سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الأنماطي الحافظ يخلف بالله عز وجل أنه ما قال رسول الله ﷺ

شيئا من هذا قط .

(٤) قوم استجازوا وضع الاسانيد اسكل كلام حسن كما حكى عن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس اذا كان كلام حسن ان نضع له اسنادا

(٥) قوم كان يعرض لهم غرض فيضعون له الحديث كالتقرب للماوك كما تقدم عن غياث والمهدي .

(٦) قوم وضعوا أحاديث قصدا للاغراب ليطلبوا ويسمع منهم قال أبو عبد الله الحاكم منهم ابراهيم بن اليسع وهي ابن أبي ضبة كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك تستغرب تلك الأحاديث بتلك الاسانيد .

(٧) قوم شق عليهم الحفظ أو رأوا أن المحفوظ معروف فأتوا بما لا يعرف مما يحصل مقصودهم وهؤلاء منهم القصاصون الذين لا ربح لهم الا بالأحاديث الموضوعة .

(٨) السجاذور وأغلبهم يحفظون الموضوع وروى الدارقطني عن أبي حافظ البستي دخلت تاجردان « مدينة بين لركة وحران » فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا فلما فرغ من دعوته قلت له رأيت أبا خليفة ؟ قال لا قلت له كيف تروى عنه ولم تره فقال ان المناقشة معنا من قبله المروءة انا أحفظ هذا الاسناد الواحد وكلما حفظت حديثا ضممته الى هذا الاسناد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن الجوزي والوضاعون خلق كثير من كبارهم وهب بن وهب القاضي ومحمد بن السائب الكلي ومحمد ابن سعيد الشامي المصلوب وأبوداود النخعي واسحق بن نجيح الملقب وعباس بن ابراهيم النخعي والمغيرة بن شعبة الكوفي واحمد بن عبد الله الجريباري ومأمون بن احمد الطروي ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن القاسم الطائفي ومحمد بن زياد البشكري

وقال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة . والواقدي ببغداد . ومقاتل ابن سليمان بخراسان . ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . وقال الحافظ سهل بن البراء ثم وضع أحمد بن الجريباري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الداري على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث

﴿ اعتراف الكذابين ﴾

قد أقدم جماعة من الكذابين على كذبهم وتصلوا من ذلك . عن ابن أبي شيبة قال كنت أطوف بالبيت ورجل ورائي يقول ﴿ اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ﴾ قلت يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك فقال دعني فقلت له أخبرني فقال اني كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثا فطارت في الناس وما أقهر أن أرد منها شيئا وقال ابن طيمية دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت وما يبكيك قال وضعت أربعمئة حديث أدخعتها في الناس فلا أدري كيف أصنع فعند ذلك قال

(المدره) : كفي قد شربنا من هذا النهر حتى ارتوينا فحسبنا ما علمنا .

﴿ الكلام على تعدد الزوجات بين المسلمين ﴾

واني أرجو أن تفيض الكلام على تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقادا ولا أمر مذابا ولا أعظم وقعا من هذه فهي التي أطالت ألسنة القادحين وأطعمتهم في هذا الدين فأوضح القول فيه ايضا في القول نهجا وسطا لارمزا ولاشططين ذلك متخذ المساواة سبيلا وان شئت فليكن الاجاز أحسن تأويلا

(الاستاذ) لقد غصت المجالس بهذه الكلمة واستفاض بها الحديث من الشرقيين والغربيين ولن تجالس

امراً من بنى التأمير أو السين أو الطونة أو من الألمان أو الطليان وكان من المغرمين بالبيانات الافجأك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات . هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الاوروبى عالماً بكثير من الشؤون طائراً في الجو جارياً على الارض بالصناعات عاتماً في البحر ساجحاً فيه بهمه حتى اذا دخل في مجادلات الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الانسان المسمى بالمتقدمين مقلد يستتلى كاستتلى الجنينة

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة وباليت شعري لو أنها كانت ثلثة في الدين لم تكن فتيلاني الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد وهنه فكيف وهي كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع ومقومات هذا النوع الانساني . التعدد المعتدل على ما استرى من اعمدة المدنية المقبلة ومن عقاير الامراض الاجتماعية الزمنة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل ، وتقومه أحسن تقويم ، فزاج الانسان اليوم منحرف من الضرر واصابة الحى من تعفن الاخلاط وتراكم ادراجه وتتابع آلامه ومسألة اجتماعه المتولى من عو يصات المسائل وكبرياتها فلا فؤ في القول واتسمع ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول :

(١) اعلم أن المقرر في الطبيعة كما هو المعلوم في سائر الدول والممالك أن عدد الذكور في الميلاد يساوى عدد الاناث تقريباً كما اوضحت في كتابنا (اين الانسان) وعليها بنينا نظام الأمم المقبلة ان صحت عزية الانسان وأراد التخلص من خطته والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الامم أمة أمة والبلدان بلدة بلدة رأيت هذه العجيبة الغريبة وهي التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة احصت ذكورها واناثها تجد التساوى تماماً الا قليلاً لخلل عرض ، وضعف ومرض ، وأحوال استثنائية ، وأمور جفائية هذا هو القانون العام وهذه اس بنينا عليه ما لهذا الانسان من نظام طبيعى في اخلاقه وسياسته وصناعاته وحكومته وكيفز اغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات واكفهرت الاجواء واختلقت الانواء وتوالت الشبكات ونقضت اليهود والامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيفه عن جادته فاقرأ في كتاب «اين الانسان» تر العجب العجيب مما لا محلى له ذكره هنا وانما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكره باناثه فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطراراً ولم يكن من زلة طبيعية واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهماطال عليها القدم كانت مواليدها يوماً ما جميعاً اناثاً أو ذكوراً بل العدل مستمردائم فهذه أول مقدمة .

(٢) المقدمة الثانية انى قرأت في احدى صحائف (اللورد كرومر) الذى كان عاملاً للأونكلينز في مصر في صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيد عن خمس في المائة ثم نقل عن آخر من السائحين من بعده فقال انهم لا يزيدون عن ثلاثة في المائة هذان هما الاصلان اللذان ابني عليهما النتائج الآتية . فاذا تقرر هذان الاصلان نقول . منذ سنين معدودة عدت أمة الانكلينز نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشرة امرأة في كل الف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وورلوا وندبوا حظهم من الطبيعة وقسطهم من العدل وقتلوا ان هذا الباب أين تضعهن ومن يعولهن وماذا نصنع فيهن وزلات ارض نادى العموم زلزالها وأخرجت ارض الهموم أنقلاها وقال سادات الانجليز ما لها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وما تغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكلينز في تعداد العام ولعمرك ما من أمة الأصابعها موت الابطال في ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نساها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فيكم من نساء ايمت قد فقدن النصارى واعزهن العشير فقلت الرجال وكثرت النساء وقد بلغنا عن التعايشى خليفة المهدي السودانى انه ذبح الرجال واستحيا النساء فكنت ترى في القرية الواحدة بضعة شيوخ وأطفال وآلاف من النساء وقد صحح في الحديث عن سيد الرسل ﷺ اذ قال في اشراط الساعة :

وتكثر النساء ويقال الرجال حتى يصكون للخمسين امرأة القيم الواحد عجب أمر النبوة يذكر أيام المسيح السجال وإن أول أيامها يساوى سنة وثانيها يساوى شهرا وثالثها يساوى اسبوعا الخ مشاكاة لحال الكرة الأرضية حذو القلة بالقلة كما في رسالتنا على هلال رمضان فانظارها وهاعنا تذكر أشرار الساعة ويذكر أنه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة في هذه الايام السرد اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولا عائل هن ولقد صرخ الانكياز وعو يلهم من خمس عشرة امرأة زادت في كل الف رجل وامرأة اهله عارضة في النسل وطاريء من الضر على ارحام النساء وأصلا ب الرجال ومناهج التربية وطرق الاغذية وماشا كل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والاضغان الظاهرة وقد جندل الابطال وعم النكال واصطدم أعظم الأمم قوة وأشدهم بأسافى العراك والقتال فطاحت تلك القماقيم الجماعية وبادت تلك الصناديد الفواتك والصماميم الصوائل فأصبحتوا لا ترى الامساكنهم وحرمهم الفوات الحرائر البوائر العوانس

(المدره) لقد أطلت في هذا المقام وخرج القول الى الاجهام فان حاصل الأمر يرجع الى أن الرجال وان سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهم بالطبع كما حصل نادرا بانجلترا وقد يكون بالمصائب في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لا أرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان ابقانون العام لا يكون لمثل هذه الاحوال العارضة والامور الطارئة على انه لو ان ذلك يكفي في التشريع لعارضه نشئت الاسرات وتفرق الجماعات بتعدد الامهات في الاسرة الواحدة وهل أتاك حديث الأزواج وبؤسهم والزوجات ونسكدهن وابناء الضرائر وضعفهم وسوء العيش والشجار والعراك والتقاضى في المحاكم وسوء العشرة كل ذلك الشر لا يقاوم الخير الناجم من زواج تسلك الأيامي اللاتي مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الاخف وهذه الشرور الكثيرة في الاسرات أنكى من ضرر عدد من النساء فقدن العائل وعشن على غير طائل وهن أرامل

(الاستاذ) لقد تهملت ولم تمهل حتى أتم القول فاصغ لما أقول موجزا : ان أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبعى يتزوجون بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين ففرق أصبح شديد الشهوة قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفرق ترك النساء اما زهدا دينيا كالرهبان وأما ضعفا عارضا وأما فقر امدقها وأما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت في نوع الانسان فضلا عن الحرب والنكال في الأمم فهذا يدحض ما أشرت اليه من أنه نادرا وعارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللاتي لا عائل هن يقابلن الفریق الأول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو اننا حررنا التعدد لاصبحنا وجهها لوجه أمام الخطر الداهم الذى طغى سيله وطم وعم فساده من أوروبا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمى كما هو فى مصر الآن وسعى له سائر الممالك المتمدينة لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النبوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للنفوس والشهوات فلو سجرنا عليهم وعليهن وجب ان نخصص أما كن للفجور كما هو حاصل الآن فطاحت العفة وضاع الشرع وذهبت المروءة أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحقق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف . انظر البس التعداد كان خمسة فى المائة أو ثلاثة فى المائة أى ثلاثين فى كل ألف ومن عجب أن هذا العدد الاحصائى يوافق ما قدمناه فان هذا المقدار فى الالف يقابل المتقاعدين فى كل أمة عن الزواج وهو القدر الذى يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدة وهى مفسدة للبر أى مفسدة

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المفسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتعلمين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالخنا والامانة بالخيانة والصيانة بالأهانة أباح الاسلام تعدد الزوجات ، فإذا جرى تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المسرفون فخدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللاتي لاقى هن فتزوجوهن واقفلوا بيوت الخنا ومحال العهر والفحش . شهد (اللورد كرومر) فى تقريره ان هذا العدد لم يزد . جعل الله لسكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أومات فقام غيره فاتخذ نظيره من النساء

وعاظم وهل جعل المسلمين يعددون أو كلهم وهل المفسدون استوتبوا النساء حتى فقد عددهم كلام كلام .
 لسببين الأول أنهم يخافون الله إلا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمتروقات نظير المالكين والضعفاء الثاني : أننا
 لم نسمع أن رجلا ما أراد أن يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا في تاريخ أمة من الأمم حتى
 التي أباحت العدد المطلق إلى ما لا يحصى فعامنا أن الحكمة الإلهية حفظت نظام العالم
 أما ما يقال من سوء العشرة وفساد المنازل بين الأخوة فهذا كلام ناشئ من جهل القائلين به وعدم تبصرهم
 فليس كل أخوين من أمين متشاكسين ولا كل أخوين من أم واحدة متحابين . إن واحدا من ذوي قرابتي
 رأيته يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبا أكثر من أخى الميت الشقيق فحجبت لكذب القوم
 الصراح وجهلهم الفاضح على أن الحسد في الأخوة أمر طبيعي وانما يهذه العلم والتربية والادب والدين ولو كانت
 المشاجرة والعداوة بين الأسرة علة لمنع التعدد لقلنا فلنزل نوع الإنسان من فوق سطح الكرة الأرضية فالأهم
 كلها في ضغائن والأفراد متشاكسون ولو سلمنا جدلا أن العداوة كائنة فالبناء خير والشر العارض لا يمنع الخير
 العظيم وهو ازدياد عدد الأمة وظهور الرجال فيهم على أن أكثر من زاهم في الأمة هم أبناء أولئك الأقرباء
 المترفين الأغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما أن آخرين يعيشون ليعلموا ويؤلفوا . قوم يلدون أجساما وآخرون
 يلدون عقولا كم من رجل في البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكرا أو أربعين ومنهم من بلغ أبناءه وأبنائهم
 عددا وافرا فاختلطت عليه الأسماء . ما أسوأ الأم القبيحة الجاهلة التي تقول لاقوياها لا تتزوجوا علنا وتزوجوا
 سرا لتموت أبناءكم في المراحض ما أجهل تلك الأم ما أقل علمهم ما أكثر جهلهم ما أضح العلم وما أجهل
 أولئك في علم الاجتماع فالحق والحق أقول أن العالم الإنساني اليوم يعوزه الفلاسفة والحكماء ليعرف كيف
 يعيش فان نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثه ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان
 وينبها اتباع الصبيان ويندم ما ليس من عادته وفي التنزيل - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأنهم تأويله
 كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين - يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الإسلامي
 وبالله العجب لو أن التعدد افساد لم يكن الثلاثون في الألف شيئا مذكورا حتى يفسد الألف ومن ذا الذي ضل عقله
 وزاغ بصره فحكم بفساد الألف إذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من في قلبه مرض وعلى عينه غشاوة فكيف
 وقد استحال الفساد صلاحا وأضحى الثلاثون في الألف أو الخمسون منها صلاحا لباقيها يلدون لهم البنين والبنات
 ويخرجون القواد والعلماء والعقائل والفتيات وهم أقدر في الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا من ثروة وما
 أوتوا من مال فيألت شعري كيف تنسى للأهم أن يقولوا للمرأة افعلي الخنا إذا اخترته سبيلا وكوفي زانية إذا رآني
 لديك وصفا وقتك ويأيتها الرجل ابخنا لك الزنا واخترنا لك الخنا وآتيناك منا قوة القانون على أن تغارل
 من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضعتها وأفرعتها وأى امرأة أزلت صونها ومددت يديك إلى سترها فزقتها وإلى
 بيت شرفها فهدمته وكان ذلك على اختيار منها ورضا فانا لكم معينون وإن أتمر ذلك وأد البنين والبنات
 وقلة النسل العام في الأمة وإن فاق أعداؤها عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم ثم
 تقول تلك الأم أنفسها أيها المرأة وبأيتها الرجل أيا كما أن تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك أيها الرجل
 منهم ثلاث أو أربع احذروا ذلك فانها عادة المتوحشين ولوصفت الأعراض وأقفلت بيوت الخنا وقت أيها الرجل
 على امرأتك فأقتها وكسوتها ورجتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك أيها المرأة نحرمه تحريرا بانا ولكننا في الوقت
 نفسه نبذعه على سبيل الفجور والخنا فاجع يارجل من شئت من النساء ولو ألفا مادام ذلك سفاحا وإياكم أن
 تجتمعا اجتماعا شرعيا ولو أدى ذلك إلى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء تركا النسل حتى
 يغلب العدو المفاجيء الداهم رضينا بالخنا رضينا بالزنا رضينا بقلّة النسل وكثرة العقم ورضينا أن يكون نسبنا إلى
 عددنا العام كنسبة عدد الفرنسيين إلى الألمانين لما في الأولين من اهمال أمر الزواج وفي الآخرين من الحرص

عليه وإنما علينا إذا حكمنا أمة من الأمم ورأيانها تنكأ ولادة بقوانين بلادها علينا أن نحسدنا ونطير منها ونشفق ونسومهم سوء العذاب ونوجس شراً من كثرة نسلها ونوسل رسلنا وظلالع استعمارنا ونصطفى الحكام من صفار النفوس المتواضعين ونوحى إليهم أن قبحوا لهم هذه الشريرة البيضاء سودرها في وجوههم أغموا أفئدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهوشوا عليهم إنهم يرجعون عن التقدم بل لنعلمهم يزنون ولعله يقل نسلهم فتمكن من حكمهم كما قال هنري الفرنسى في كتابه عن الجزائر إذ قال ﴿ قعدنا هؤلاء المسلمين كل مرصد وسدنا عليهم السبل وأحطناهم بسرادق من نار لعلمهم يقولون فلم نقدر حتى الحز سلطناها عليهم وهى السلاح الفذ لمحاربة الشرقيين فنهض الاسلام أن يشرب حبه في قلوبهم أو يفتت أ كبادهم فهم يتناسلون والفرنسيون لا يتناسلون ﴾ حارت والله تلك الأمم ، حارت في محاربة النسل في الأمم المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة ولقد أخبرني صديق أن إحدى الأمم لما رأت الزنوج الأفريقيين والونيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وأيس عليه إلا أن يجلس في خيمته طول نهاره فيجتمع بما تكسب النساء له من كدهن وعملهن وهو قوى البنية ولا يصرفها إلا في احباطهن وايلادهن وانجاب الذرية فكثير النسل ولم يقدر الأوروبي أن يحارب به . ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى أن يقل نسلهم فما أشأم هذا الانسان قتل الانسان ما أكفره - ان الانسان لظلم كفار - ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون -

(المدره) والله لقد شفيت صدري وأزالت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجليل . تمت الرسالة في صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤ في ميدان القلعة بالقاهرة . ولما أضيفت هذه الرسالة الى السورة تمت في يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٣٠ م ٢١ شوال سنة ١٣٤٨ هـ بقسم السيد زينب

(الاسلام وتعدد الزوجات)

جاء في (مجلة المرشد) مانصه

إن قوانين الاقتصار على زوجة واحدة أكثرت فرائس العزوبة في الغرب وزيادة عدد الاناث على الذكور أوقعت العقلاء في مشككة ينادون منها بالويل والثبور ويطلبون الخلاص - ولات حين مناص -

جاء في المجلد السابع من العرفان مانصه « إن عدد النساء في ايطاليا يزيد على عدد الرجال بمليون نسمة » وفي ملزمة (٣٤) من « الهلال » في ضمن مقال بقلم (أميل زيدان) عن جريدة الماتان الافرنسية عن الاستاذ (بيتار) الطبيب الكبير الذي هو اليوم عضو مجلس النواب في فرنسا انه يقول « إن في فرنسا الآن ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ فتاة لن يجدن لمن أزواجهن على افتراض أن كل شاب افرنسي يتزوج بفتاة واحدة ، وانى أقول بصراحة ما أنا واثق من صحته أن المرأة لا تمتنع بصحة جيدة مالم تصبح أمًا ، وفي اعتقادي أن القانون الذي يحكم على تلك الفرق الكبيرة بأن تعيش على نقيض ناموس الطبيعة إنما هو قانون وحشي بل منافي لـ كمال عدالة » وفي م (٣٧) منه أيضا « يزيد عدد الاناث على الذكور في انجلترا بمليون ونصف مليون ، أما زيادة الاناث على الذكور في ألمانيا فتبلغ مليونين ، ولكن هذا الفرق أقل من النسبة الحاضرة في عدد المتزوجين ، ففي انجلترا نحو ثلاثة أو أربعة ملايين فتاة غير متزوجة مع انها في سن الزواج » وقال (شوبنهاور) الفيلسوف الألماني الشهير في رسالته « كلمة عن النساء » تعريب حسن رياض مانصه « إن قوانين الزواج في أوروبا فاسدة المبني بمساواتها المرأة بالرجل فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدنا نصف حقوقنا وضاعت علينا واجباتنا ، على انها مادامت أباحت للمرأة حقوقاً مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلاً مثل

عقله » الى أن قال « ولا تعدم امرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجها يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا فقر قليل وغيرهن لا يحصين عدنا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وعى هائلة متحسرة ومخاوفات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويكملن مشاق الأعمال وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخرى والعار ، ففي (مدينة لوندرة) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحه الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تهمت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل ، أما أن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره » الى أن قال « على أنه من العبث الجدال في أمر تعدد الزوجات مادام منتشر بيننا لا ينقصه غير قانون ونظام » أمعن النظر في هذه الفقرة ، الى أن اعترف بقوله « بل اننا لا ننسكرا لنا في بعض أيامنا أو معظمها كلنا أوجلنا نتخذ كثيرا من النساء ، ومادام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب أن يكفل شؤون هذه النساء »

وعن مؤلف كتاب « العشيقه الشرعية » الذي حاز السبق في مضمار الزواج في فرنسا وغيرها وطبع منه أكثر من (٥٠٠.٠٠٠) نسخة « انه ذهب الى أن يكون لكل رجل الى جانب زوجته خاليله تسكون لها صفة قانونية فلا تحتقر ولا تمتهن في نظر الشرعية أوفى نظر الرأي العام . قال : هذا هو الأمر الواقع اليوم في آدابنا الاجتماعية ، ولم يبق علينا إلا أن نعترف بهذه الحالة ونداخلها وسميها في عرفنا » * قلت من هذا فلم أن القوم لا يأفون من تعدد الزوجات ويعترفون باباحته الشرعية ولكنهم يطالبون بقانون يبيحه لهم بعد أن ذاقوا مرارة الاقتصار على زوجة واحدة ورأوا المفساد الناشئة منه كالتعدد غير المشروع وأمثاله . هذا ولا يخفى أن التعدد الذي يعييه الجاهلون اليوم قد أباحه بالأمس المصلح الكبير في النصرانية (لوتر) فسمح لأمبراللمان (هس) بأن يتزوج ثانية لأن امرأته كانت شوهاء ، و (ادوارد السابع) وهو من علمت أصدر في أواخر أيامه منشورا يبيح فيه تعدد الزوجات ، وكانت أمه من قبل معارضة لهذا الرأي أشد المعارضة ، وسيأتي يوم يدرك فيه الناس فوائد التعدد (١) فيميلون اليه ميلا واحدة ويعترفون بفضل القرآن الكريم . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

في يوم الثلاثاء (١٤) يناير ١٩٣٠ م سألني أحد المدرسين بمدرسة عابدين الخيرية . فقال : قد حصل بيني وبين ناظر المدرسة جدال في أمر تعدد الزوجات ، وأن الاسلام في هذا ضد المدنية . قال وأنا أجيبته بأن العدل اذا لم يتم فانه يتمتع بالتعدد بمقتضى الآية وهكذا . فقلت له أريد أن اسمع مني ما أقوله لك بمقلك وتخلي عن كل مالديك من الآراء المحفوظة وتخلي بيني وبين عقلك وحده . ثم لتكن حرا في أن تعرض بما تشاء والعقل هو الحكم . فقال أحب ذلك . فقلت أولا ان هذا المقام مستوفى فيما تقدم قريبا . فلندع هذا الآن ولأقل لك اعلم أن بني آدم على وجه هذه الأرض قد وضع لهم نظام لا اختلال فيه وهو أن يكون الذكور والامات متساويين وهكذا كل حيوان لأن اختلاف العدد خلل في النظام . ولذلك تجد الناس في كل بقعة من بقاع الأرض يكادون يتساوون في عدد الرجال والنساء والذي يمنع هذه المساواة عوارض تعرض للحياة فتختل هذه الموازنة اختلالا يسيرا . قال نعم . قلت ان المسلمين أطلق لهم العنان فيما مضى فنزجوا ما يشاؤون . أندري ماذا حصل ؟ قال لا . قلت لم يعتدوا من الرجال في الاسلام إلا (٣) في المائة أو (٥) في المائة . وهذا القدر صغير جدا . قال نعم والله . قلت وهنا نسأل : اذا أراد رجل أن يتزوج امرأة في أي قطر

(١) من فوائد التعدد تكثير النسل وتقليل الزنا والتكفل بمن ليس لها كفيل والمحافظة على الأعراس عند ازدياد النساء وقلة الرجال وحفظ الزوجة الأولى لدى عقمها أو مرضها مثلا . وأما قول ان التعدد ينغص العائلة فهو غير مقبول لأن قلب الرجل يسع التعدد سيما مع استعمال العدل المطلوب

من أقبلت الاسلام فهل يجيد امرأة يتزوجها مع هذا التعهد . قال نعم والله يجيد . قلت فهل جاء في تاريخ الأمم أن الناس بنوا عن النساء فلم يجحدوا لأن الآخرين قد استحوذوا عليهم . قال كلا ورب الكعبة . قلت إذن المسألة واضحة تساوي الرجال والنساء عدداً ولكن قديموت بعض الرجال في الحرب أو بالمرض أولاً يتزوج الآخر ليلفق فيلهم الله بعض الأغنياء الأقوياء أن يتزوجوا بعض البقيات . فقال هذا والله عجب . فقلت إذن النوع الانساني اليوم مقلد كالطفل . فلولا اتباع الانسان للتقاليد الجاهلة لم تبقى النساء البائسات بلا أزواج في أمة من الأمم . فمسألة كلها مسألة القسيسين الذين ملأوا الأمم ضياعاً والأمة لا تفكر بل تنفع آراءهم ولا يفكر إلا العقول الكبيرة عندهم (كما تقدم قريبا) فالنوع الانساني اليوم لا يزال في حال المراهقة رسياني يوم يعرف الحقائق . فقال هذا والله حق وايس لي عليه رد . فقلت الحمد لله رب العالمين . تم الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في معنى قوله تعالى - وخاتم النبيين - ﴾

(الجواب السكافي)

« وهو ما أجاب به (عبد الله كويليام) الانكليزي المهتدي للإسلام عن سؤال أحد علماء أوروبا في الشريعة المحمدية الغراء . وقد أتى في الجواب بالأدلة الفنية والبراهين العقلية على أن البينة الاسلامية أكمل الأديان وأرجح الشرائع وناسخة لجميع ما سبقها وأنه لن ينسخها شيء بعدها أبداً مادامت الأكوان وبقى الانسان »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ السؤال ﴾ ماهو البرهان العقلي والدليل الفني على أن الشريعة المحمدية أفضل الشرائع وأكملها وانها ناسخة لكل ما سلفها ولا ينسخها شيء بعدها أبداً

﴿ الجواب ﴾ لو أنعمنا النظرات ليلة (وكان الهواء صافياً والجو من الغيم خالياً) في الفضاء الذي لا يتناهي لرأينا لأول وهلة شمساً تدور حولها سيارات كثيرة كمنظومتنا الشمسية . تظهر لأبصارنا من أبعد المواقع في هذا الفضاء تسير منقادة كل الانقياد للقانون المسنون لها لا تخيد عنه مادامت . فإذا انقضت تلك الليلة نرى الشمس تطلع من المشرق . وما أسرع ما تنشر أشعتها على هذا العالم فيتمثل بين تلك الأشعة صور متتالية بديعة الجمال ، ولو لفطنا النظر الى الكرة الأرضية التي نحن عليها ، التي اذا نسبت الى سائر الأجرام العلوية لانتكون إلا ككرة صغيرة ، نراها كتلة تألفت من البحار والأنهار ، من الأودية والبراكين والجبال ، من الصحاري والفاوآت ، من الأتربة والمعاديت والرمال ، من الأشجار والأزهار والأثمار ، من النباتات والجمادات وذوى الحياة من الانسان والوحوش والحشرات

وان عقل البشر على ما بلغ من الارتقاء وما وصل من الدرجات العالية لعاجز عن اكتناه هذه الأجناس التي تألفت منها الكتلة الأرضية وما يعتمدها من الأشكال والهيئات وقاصر عن ادراك حقيقتها لما بين أشخاصها من الاختلاف وبين خواصها ونفعها وضرها من التغير والانحراف

كثيراً ما يكون جو السماء صافياً ، والهواء راكداً ساكناً ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب ثم تحيطنا بالأمطار حتى نظن اننا في وسط البحار ، وإذا بحثنا في هذه الحادثة الجوية وخصناها بالنظر على حصولها بمقتضى انقواعد الفنية نرى أن حرارة الشمس قد مست وتدخلت برطوبة الأرض فتجعل تلك الرطوبات بخاراً ثم تتصاعد تلك الأبخرة الى الجوّ كما هو شأنها وتجتمع وتتكاثر حتى تصير سحباً ثم تتحلل فتصير ماء وتنساق مطراً ، وأيضاً لما كان في بعض ذلك السحاب بالضرورة كهربائية سالبة وفي البعض الآخر كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الأجسام يحصل في الهواء من احتكاك تلك السحب بعضها ببعض صوت يقال له

الرعد ، ولاريب أن الحكمة في هذه التحويلات والتركبات الجوية هي حصول المطر لتمدان الأرض وتنشط الحيوانات وتروى النباتات وبالأجمال تنهى الأرض بعد موتها . ولوأردنا أن نبين ما في هذا الفضاء الذي لانهاية له من العجائب والغرائب بيانا يشفي الصدور وتفصلها عن التفصيل لوجب علينا أن نغلا الأسفار . ولخرجنا عن بيان المقصد فيكفي ما تقدم ذكره ، ولنرجع الى ما نحن بصدده ، ماذا يخطر لنا عند مشاهدة هذه المصنوعات بما فيها من عجائب الترتيب وبدائع النظام ، لاريب أن أول ما يجده في نفوسنا هو الميل الى البحث عن مظهرها من العدم الى الوجود ، وعن جعلها منقادا وخاضعة للقوانين والسنن الفطرية التي لا يعتمدها تغير ولا يشوبها خلل ولا تشويش ، وعن جعل كل فرد من أفراد هذه الكائنات محتضا وممتارا بخاصة من الخواص وسر من الأسرار الطبيعية ، وعن يحفظ على هذه الكائنات تأثيراتها وتأثيراتها في كل آن وزمان فذاسرنا وراء تلك الخواطر القلبية وتأملناها كل التأمل ، فلاحيص لنا من أن نصدق بالقلب والوجدان ونقر وننطق باللسان بأن ما نشاهده من العوالم وما لا نشاهده (وما لا نشاهده أكثر) ليست إلا آثارا للذات المقدسة الألهي ذات واجب الوجود جلت قدرته وعظم سلطانه وأن هذا التصديق ينادينا نداء بليغا ظاهرا وباطنا بقوله « ان ظهري بين هذه الكائنات بين ما لا نهاية له من الآيات المبينات لدليل واضح على أننا من آثار قدرة ذلك الفاطر العظيم ، وبراهين جلية على وجود الخلاق الذي يفعل ما يريد

وبعد أن ندرك وجود ذات الواجب على هذه الصفة نجد بأنفسنا سائقا وجدانيا يسوقنا لمعرفة كيفية تكون الكرة الأرضية التي نحن عليها ، وهنا نحس أنه يجب أن نرجع الى الفن فقط إذ الفن إنما هو قوانين وقواعد مستنبطة بالعقل الموهوب للانسان من القوانين التي اندججت في هذه الكائنات . فذا رجعنا اليه رأينا أن ما يوجد فيه من النظريات الفنية في تكون العالم ترشدنا الى أن الخلاق الأزلي والموجد الحقيقي أوجد هذه الأرض من البخار فجعلها ما نأنا ريا واستمرت أزمانا كثيرة على حالها هذا تنفس حرارتها وكانت حرارتها تنقص زمانا بعد زمان وكلما تناقصت الحرارة تبردت الأرض وكلما تبردت تكاثفت حتى حصل عليها قشرة وصارت صلبة على كثر الأزمان ثم بدأ الخلق فيها فأول ما خلق النباتات ثم سائر المخلوقات وكان يعرض التبدل والتغير على النباتات والحيوانات على ممر العصور وتعاقب الأزمان فكما أن ازدياد تصلب الأرض يوما فيوما سبب لتناقص الحرارة فكذلك تناقص الحرارة سبب لتغير القوة الانبائية . ولهذا التبدل والتغير تختلف أصول الحلقة والقوانين الطبيعية دائما . نعم إن هذه الدعوى صحيحة فانه كما ان حياة المخلوقات التي وجدت في بداية تكون الأرض الأرض مستحيلة بعد مرور عصور وأزمان على تلك البداية فكذلك حياة ما وجد من المخلوقات في الأعصر البدائية خارجة عن حيز الامكان أيضا بعد ذلك فان ما يعيش في الماء من المخلوقات لا يعيش في التراب وما يعيش في التراب لا يعيش في الماء إذ ليس لها إلا ذلك الاستعداد وتلك القابلية التي وهبت لها وخلاصة القول أن أشكال طبائع المخلوقات ومهاياها كانت ولا تزال تتغير بتغير الأزمان والأحوال والأمكنة . وما لاسرية فيه أن المخلوقات بقسميها النامي والجامد خاضعة لناموس طبيعي في تكونها ونشؤها ونموها وتكاملها وبقائها وفنائها فلا يخطرون بالبال أن ما يشاهد في الحلقة من التكامل آت . كلا (١) ان ما يحصل جميعه ليس إلا تدريجيا وتابعا لناموس التكامل المسنون في هذا العالم ومع هذا فلا ريب في فناءه اذا بلغ الغاية في كماله لوجوب زوال كل شيء عند انتهائه . وفي هذا يقول الشاعر

إذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فالشرع يقول لهذا الزوال « القيامة » والحكمة يعبرون عنه بالانقراض . ثم ان كل شيء اذا فنى وزال لابد أن يتكون ثانيا إذ ليس هناك ما نعدم أجزاءه كلها فما نظنه قد فنى وزال من المخلوقات إنما استحاله شكله الأول ومهيته الأولى فيظهر في شكل آخر ومهيته أخرى . وأيضا فانه كما ان الأحوال الطبيعية التدريجية

(١) هذا هو مذهب النشوء وقد أبطله علماء القرن العشرين (انظره في أول سورة المؤمنون)

كالسكون والتموت والمرض والموت تعرض للحيوان والنبات فكذلك تعرض تلك الأحوال للأجرام السماوية وهذا الذي يقول له أرباب الفتن ناموس التكامل وبالفرنسية « نه وولسيون » والانكليزية « نه وليش » وإلى هنا أكتفى بما ذكرته من المقدمات لما للسائل الفاضل من التبجر وطول الباع فيها وما ذكرتها إلا لتوقف الجواب عليها فأرجع إلى المقصد وأقول :

إن ظهور الإنسان في هذا العالم متأخر عن تسكون سائر المخلوقات كما هو شاهد لنا ومع هذا ينبغي أن لا يرتاب في أنه أشرفها وأفضلها خلقة وطبعها مادة ومعنى إذ أن قانون التكامل يقضى بأنه أتمها من حيث توجه الأشياء نحو الرقي إلى الكمال . فالإنسان في الظاهر جرم صغير وفي الحقيقة عالم كبير . الإنسان مهبط السجيا القدسية وقطب الخصال البهيمية ومركز الخير والشر وقرارة الانس والوحشة فهو يجتمع الأضداد وممكن الغرائب فهما كان الإنسان مدنيا بطبعه لا بد أن تقضى عليه حيوانيته باتباعه القانون الطبيعي ضرورة فلا يقضى له أن أن يعرج بنفسه من حضيض الفلّة والوحشية وحرك السفلة والجهالة إلى منصات العلم وذرى السعادة . على أن الإنسان في بداية الخلقة كان كسائر الحيوانات والبهايم متوحشا يضرب في الأرض عارى الجسم مكتسباً ثياب الغفلة . الجهل رفيقه والعمى قائده . يتجول صباح مساء في الصحاري والقفار . لا يفقه من الحقائق شيئاً . ولا يفرق بين القبيح والحسن وبين الفسّ والسمين . تتجاذبه شهواته حيث توجهت فهو مغلوب لها خاضع لقيادتها . لا يعرف الليل إلا بغروب الشمس ولا النهار إلا بطاوعها . ولا يدرك ما هو الأكل والشرب والنوم والقيام والنعوذ . كان يتجول في مواقع كثيرة وأمكنة متعددة من الأرض وهو لا يدرك أين يتجول وأين يوجد وما هي ذاته . نعم أنه كان يشاهد ما لا يتناهى ولا يحد بالبصر من الصحاري والقفار والبحار وسائر الحيوانات والطيور لكنه لا يفرق بين الحيوان والنبات وبين النبات والجماد وبين الجماد والإنسان . ترى هل كان الإنسان إذ ذاك يتخيل شيئاً عند ما يرى ما مثله الأجرام السماوية كل ليلة من المناظر العجيبة والأشكال البديعة أو كان يلفت نظره ما يراه من صور القهر حينما يظهر هلالاً ثم يكون بدرًا ثم يتناقص حتى يمحى ثم رجوعه إلى منواله السابق أو كان يعن نظره فيفكر في كسوف الشمس وخسوف القمر ؟ كلا . أنه لم يكن يدور في خياله أو يخطر بباله شيء من ذلك . إذن ماذا كان يتصور الإنسان ، وحول أي شيء كان يحول فكيره ؟ أنه كان لا يفكر في شيء سوى أن يفترس كل ما يصادفه من الحيوانات الضعيفة ليدفع بها بلية جوعه وأن يهرب مما هو أقوى منه من الحيوانات لئلا يكون غذاء لها فيلتجئ إلى الكهوف والمغارات ومقعرات الأشجار لينجو بنفسه منها ، ومع هذا لم يكن همه وفكيره منحصرًا في ذلك بل كان لا ينسى أيضا التعارف بمن يلاقيه ليسكن شهوته إذا تارت عليه . وخلاصة القول أنه كان لا يتوانى في التوسل بما يقضى إلى قضاء حاجاته الحيوانية والشهوانية فكان لا يحجم عن قتل أخيه الشقيق في هذا السبيل . فيتحتّم إذن احتياج الإنسان لقانون آخر غير القانون الطبيعي ليهتدي به إلى الصراط المستقيم في معاشه ويصون من الخلل نظام حياته وبسلك أعدل السبل في واجباته وكل شؤونه ويعلم علو شرفه على سائر الحيوانات ومكانة فضله فإن الإنسان من حيث هو حيوان ميال بالضرورة لاتباع الهوى وترتيب المكائيد والحيل والكذب والظلم والعدوان وغير ذلك من الأخلاق المدمومة ، فلترك الإنسان وشأنه لبقى حليف التوحش أليف الجهل أبداً لا يدين ودهر الدهرين لكنه إذا وجد من يرشده إلى النافع والصواب في أمره ، لا ريب أنه يصعد إلى ذرى درجات المدنية أغلبية السجيا القدسية فيه على الطبائع البهيمية . إن كل ذى عقل سليم وفكر مستقيم يدرك مما سبق حتماً أن ما نشاهده في عصرنا من الترقّيات العظيمة وما نراه يوماً فيوماً من الاكتشافات الجديدة ، وما نتجّار فيه العقول من الاختراعات العجيبة ، وما امتاز به الإنسان على غيره من ادراك آثار الصانع المختار البديعة هو بقانون وراء القانون الطبيعي وبسائق غيره وهو الذي يقول له الحكماء « القانون المدني » ويسميه أهل الشرع (الدين)

وقد اختار الحق تعالى أناسا (متصفين بوفرة العقل وجودة الفكر يفوقون معاصريهم بسلامة الفكر والتصور والعواطف الوجدانية واتباع الحق والالتزام للحقيقة) ليؤسسوا هذا القانون المدني وينشروه بين البشر لحفظ سلامته وإقامة سعادته . هؤلاء الرجال هم الذين أرشدوا البشر إلى ما يوجب الزمان والمكان وتقتضيه المصلحة والحاجة ، هم الذين بلغوا بالبشر تدريجا إلى ما شاهدته من الأحوال المستحسنة والأخلاق الفاضلة ، هم الذين أخرجوه من الوحشة إلى التقدم بقدر ما اختصوا به من الحسن الصادق المتناسب باستعدادهم وما امتازوا به من القدرة (وبعبارة أخرى) بقدر ما أوتوه من الوحي الإلهي والنور القدسي

فهؤلاء الرجال هم الذين يقال لكل واحد منهم « مؤسس المدينة » عند الحكماء ، ونبي لدى الشرائع والأديان ، ومن هذا يتضح أن الفن والشرع متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالشرعية مجموع فنون كثيرة لتختلف الفن بل الفن شعبة منها

إن أول نبي أو مؤسس لمدينة أتى ليسوق البشر إلى نهج الهداية قد جعل فاتحة أعماله وبأكورة إرشاداته الأمر بستر الجسم والنهي عما كان عليه الإنسان من كشف البشرة وأكل كل ما يصادفه كسائر الحيوانات ، وقد جسد في سبيله حتى تمكن أن يسوق عادة التستر بين البشر ولو بأوراق الأشجار ويحصر الغذاء عليها فإن المجتمع البشري كان محروما إذ ذاك من كل حاجات المدنية ولوازم الانسانية فالعامل مفقود والصناعة والتجارة مجهولة ، فلم تكن الأقمشة والأصواف ولا شيء من المنسوجات ، ثم اتسعت الأفكار بمرور الزمان فوجد في الإنسان قابلية التعلم والتعليم واستعداد لمعرفة الأمور الحسنة ومنافعها ، فيأتي النبي الثاني والعالم في حاجة شديدة إلى ظهوره فيوسع ما وضعه سلفه المحترم من القانون ويعلم البشر ما يحجز عن إدراكه بعبارة أوسع من سابقتها فتوسع ساحة الإدراك حتى تصبح أمة النبي الثاني تمزأ من الأمة السالفة كلما تذكرت وحشيتها وضيق إدراكها ، وهذا من أحكام التكميلات الأرضية والترقيات الزمانية فإنها تولد في الأفكار انتباها يعين النبي الثاني على تبليغ كثير من الأحكام وتلقي كثير من الحقائق التي لم يتسنى تبليغها للسابق لعدم الاستعداد ، فإذا زاد توسع الأفكار على مرور الأزمان ينتظر ظهور نبي آخر ، فإذا أتى ذلك النبي سهل عليه تبليغ الأحكام التي لم يبلغها النبي السابق أيضا لضعف إدراك البشر حينئذ ومع هذا لم يكن مفقودا من له قابلية الأخذ واستعداد القبول لما أتى به النبي إلا أن هذا الفريق كان لا يجب دعوة النبي لعناده وعمده حبا في البقاء على التوحش والهمجية وهؤلاء هم الذين أطلقت عليهم الكتب المقدسة اسم الكفار ، ثم ينفض العالم نورا بظهور النبي الرابع فيقسم الحيوانات لما يركب وما يؤكل ويأمر بقتل المضر منها وترك غيرها على حالها ، وعلى هذا المنوال قد جاءت أنبياء كثيرة ساروا بالبشر تدريجا إلى ما نراه من الترقيات العظيمة وقطع المراحل في سبيل المدنية الفاضلة ، ولما جاء موسى عليه السلام اتسع نطاق المدنية بالنسبة للأزمان الغابرة وتكاثر أفراد الجمعية المتمدة ووجدت الصناعة والتجارة . وفي زمن عيسى عليه السلام تقدمت الجمعية تقدما يفوق ما قبله بالضرورة ، ويمكن أن يقال أن زمن هذين النبيين العظيمين كان متفوقا على أزمان سابقين ، وهذا التفوق لا يحيط من قـر الأنبيا السابقين ولا من شرفهم لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا يبلغون في زمن رسالتهم إلا ما كان ملائما لقول المرسل إليهم فإذا أهل أحدهم الأمر بشئ أو النهي عنه ثم جاء نبي آخر وقرّ رفيه حكما فليس من الصواب أن يقال إن النبي الأول حرّم ذلك الشئ أو حله فإن قال قائل لماذا إذن تركه ذلك النبي ولم يشرع فيه حكما وعلام نتحمل ذلك ؟ أجيبناه بأن عدم تكلم النبي الأول في أمثال ذلك الشئ لاشتغاله إذ ذاك بالأهم منه والأعظم نفعاً (مثاله) أن عدم تحريم الخمر في زمان نبي وعدم النهي عن نكاح الأخت في زمان آخر لا يدلان على أن الخمر حسنة مباحة ، وأن نكاح الأخت جائز عندهما ، وإنما لم يرد النهي في ذلك لعدم استعداد القوى العقلية لإدراك مضرّات تلك الأشياء فلوحظ شئ منها قبل وقته لنجم عنه فتن عظيمة ومنازعات طويلة ومقاتلات

شديدة ولذلك لم تحرّم ولم تمنع سينشد ، فلا ينفذ من من هذا الكلام اننا نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متساوون فضيلة وعرفانا ، فان من الحقائق التي لا تنكر أن بعضهم مفضل على بعض حيث كان تجمد الزمان من العوامل في نمو وازدياد القوى المدركة ، فالنبي المتأخر أعظم تكاملا من السابق وهذا قطعي لا سبيل للارتياب فيه ، وقد يقول بعض من استولى عليهم الوهم واستسلموا له « ان الحق والسذاجة التي عند البعض في عصرنا هي أعظم وأشد منها في بعض من كان في العصور الأولى » فيقال لهم « إن هذا صحيح ولكنه لا ينقص مدعانا فان الحكم دائما يكون على الأغلب ، فاستيلاء التوحش على مدينة لا يقتضي عدم التمدن في اقليم آخر وارتقاء المدنية وعدم خلق اقليم منها في يومنا هذا هو ارتقاؤها من حيث العموم والافليس المراد أن المدنية عمت كل مكان ولم يبق للتوحش أثر في كل الجهات ، فانه لا يستبعد وجود من هو أخش نوحشهم سبق في العصر الحالي

ولما تشرف العالم بظهور سيد البشر (الذي هو الوسيلة العظمى ، والواسطة الكبرى ، لارتقاء الانسان الى أعلى درجات المدنية) محمد ﷺ أكل للانسان حاجاته الضرورية على نهج مشروع وما أسرع ما وصل به الى أرفع مراتب السعادة ، إذ كل من ينم نظره ويحكم وجدانه فيما كان عليه الانسان قبل بعثته ﷺ من الضلالة والغبوة والسفاهة والجهالة ، ثم يتأمل في حال الانسان وترقياته منذ البعثة لاشك انه يرى ما بين الحاليين من البون العظيم والفرق الذي لا يتأتى معه القياس والتقريب

نعم نعم ! إن محمدا ﷺ قد عرف الناس بحالهم وزجرهم عن عبادة الأوثان والشمس والنجوم والنار وما أشبه ذلك وهداهم الى سبيل النجاة والفلاح ، وكانت دعوته باللطف واللين نارة والعنف والشدة أخرى حسب ما يقتضيه الحال حيث كان بعض الناس المعاندين يستعمل أنواع التهديد مرّة ويحارب به أخرى لينثي عزمه ويرجعه عن دعوته ، ولذلك كان النبي ﷺ يعامل بعضهم بالترغيب وبعضهم بالارهاب والتخويف كما توجه المصلحة ويقتضيه الحال . فما لبثت أنوار المدنية الاسلامية أن سطعت في جميع أنحاء العالم وأزاحت ظلمات التوحش عن كل ما وصلت اليه ، ولعمري ان انتشار تلك الأنوار بسرعة برقية وتكاثر أتباعها في زمان قصيرة لما أدهش أولى الألباب ، واذا بحثنا عن سر ذلك التقدم السريع والنجاح العاجل لآثرى له سببا إلا كون أوامر الاسلامية ونواهيها موافقة للعقل ومطابقة للحكمة ، فها هو القرآن المبين الذي كل كلمة منه عين الحكمة ، من ينم نظره في أعجازه وأسلوبه وبدائعه وأحكامه يرى نفسه مضطرا للحكم بأنه قد أنزل في يومنا هذا رغبنا عن نزوله قبل ثلاثة عشر عصرا فانه بليغ معجز مع سهولته ومفيد لجميع ما يرى اليه من المقاصد مع إيجازه ، وموافق لأسلوب كل زمان ، ومهما ارتقت الكتابة وارتفع شأنها لا يزال في أعلى مراتبها ، يعلم ذلك كل من له دراية بالزوايا القرآنية ، وانه كما أعجز البلغاء وتركهم يبهون في مهامه الخيرة فكذلك قد جع أسباب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا والآخرة ، ولو بحثنا في الأحكام التي جاء بها وأدركنا ما فيها من المنافع والحكم لوجدناه جامعا لكل ما يحتاج اليه البشر في بقاء حياته وتمهيد أخلاقه وبلوغه الكمال ، فهو يأمر بالأخلاق الحسنة والحصول العالية وبكل ما يكفل للبشر سعادته في الدنيا والآخرة ، ولبيان أذكر نبذة من أوامره

يأمر بالعدل والتواضع وحسن المعاشرة والتعاون وحسن الخلق وترك المرء ما لا يعنيه وقدر النعمة حق قدرها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين والاحسان بالوالدين والترغيب في طلب العلم والسعي وراء المعيشة وعبادة المريض وقبول النصيحة والاعتراف بالجهل واحترام أهل العلم واتباع الحق والتأني في الامور وملاطفة الأيتام ومجاملتهم واعانة المحتاجين وحسب الخير والشجاعة والعفو والاحسان والاعتناء بالطهارة والنظافة واطاعة أولى الأمر وعدم المبالاة بالحياة الشخصية لأجل الحياة العمومية والحلم والصبر وعدم الغش وعدم الغدر والسخاء ومعرفة الحقوق والنبات عند مشكلات الامور والقناعة وحفظ الأمانة والتعلم والتعليم

والاستقامة والعفة والصدق والمروءة وصفاء النية وعلو القامة والاعتراف بالتقصير والاذعان الحق والانصاف والرافة وصيانة الفرض والشرف والبالغة على الخير وفصل المعصية وبجانب الطول والسبي لتهديب النفس وصلة الرحم وحفظ المحبة والوفاء بالوعد وإيفاء الدين والشورى والالتزام بالحقيقة وتوقير الكبير والرافة بالصغير وغير ذلك من الامور المستحسنة التي كل واحد منها ركن عظيم من أركان سعادة البشر

وأما ما نهى عنه فهي الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة التي قد ثبت بالتجارب العديدة انها مضرّة بالانسان ومفسدة لمعاشه ومعاده ، ومن تلك المنهيات الزنا والواطء وشرب الخمر وأكل الربا والظلم والتندر والكبر والحسد والبغض والحقد والحرص والكذب والغيبة والنميمة والرشوة وسوء النية وقتل النفس والعناد وعقوق الوالدین واكثر الكلام فيما لا فائدة فيه والميل للقبائح والرياء والجبن وإعانة الظالم والحيلة والغرور والغضب وكتم شهادة الحق وشهادة الزور والتجسس وسوء الظن والميسر (لعب الفمار) والتفاخر وتطيف الكيل والميزان واحتكار الطعام وعدم إعانة المحتاجين وقطع المودة والتعادي والقسوف في عرض الناس ونقض العهد وخلف الوعد

وفي القرآن أحكام أخرى جليلة لا يمكن انكار فوائدها ، منها ما يتعلق بسياسة الملك والدولة وعمران البلاد ورفقها ، ومنها ما يحفظ أمن الرعايا واستراحتهم ، ومنها ما يتعلق بتقسيم الموارث وإيتاء كل ذي حق حقه ، وفيه أحكام غير هذه لم تكن في غيره من الكتب السماوية ، وأن كل ذي عقل واذعان يعلم أن أحكام الشريعة الحميدة واسعة بقدر سعة العقل وامتداد الفكر متكفلة بصيانة كل حقوق متبهيها أحياء وأمواتا .

وكم في القرآن من أحكام غامضة ومعان دقيقة ولما يكشف الفن نقابها رغما عما بلغه من الرقي ، ولم تستلفت تلك الأحكام أنظارنا فضلا عن إدراكنا ، وسبب ذلك أن عقول البشر لم تزل غير كافية لهما حتى اذا ارتقت الأفكار وبلغت كمالها واتسعت العلوم والفنون ووصلت غايتها لاريب انها تنجلي أيضا « مثال ذلك » حركة الكرة الأرضية لم يتسن لنا ادراكها وثبوتها إلا لزمان قريب من زماننا . والقرآن المبين قد رفع حجاب هذه المسألة قبل ألف وثلاثمائة سنة ولكننا معشر الانسان لم نكن لنذكر تلك الحقيقة حتى كشفت بعد ماضت عليها العصور وتعاقت القرون

وفي القرآن من أحكام حفظ الصحة ورعاية أسبابه ، ومن أحوال الأمم الماضية وأخبارها ما يحوّل لنا الحكم عليه بأنه قانون طبي وكتاب تاريخي أيضا . فاذا قرأنا ما فيه من القصص والحكايات نشاهد انه ذكرها بأدع أساليب وأعلا بلاغة وأعجازا وانه يؤثر على نفوس البشر تأثيرا لا نجد في الكتب الأخلاقية والتاريخية والروايات الأدبية سواء كتبت بالعربية أو التركية أو الافرنسية أو غيرها . وانه يصور الحقائق بكلام موجز كأن تلك الحقيقة مشاهدة وملوسة وغير ذلك مما يعلن أن هذا الكلام المجز من لدن حكيم عليم

ثم ان جلّ المباحث القرآنية لم توجد في غيره من الكتب المقدسة وهذا أمر ضروري فان الانسان في تلك الأزمنة السابقة كان محتاجا لما هو أهم من هذه الأحكام بداهة ولم يكن من هم المرشد حينئذ أن يشتغل بتبليغ غير ذلك الأهم حتى انه لو بلغ الأحكام المتأخرة لم يكن ليفهما أحد فتبليغها إذن عبث وان كثيرا من المطالب الرفيعة والفنون العالية ذكرت في القرآن ولما تدركها العقول وستدركها مع ما حوتها من الأسرار على مرور العصور والأزمان . وقد ذكرت آنفا قاعدة تفيد أن قانون التكامل تدريجي ليس آتيا فيعلم بالضرورة أن القانون المذكور مفتقر الى كتاب سماوي كالقرآن الحكيم إذ شريعة النبي الأول أكلت بشريعة الثاني وشريعة الثاني بشريعة الثالث وهكذا حتى جاءت شريعة موسى فأكلت بشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم أكلت الشرائع السابقة كلها بشريعة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد ظهر أن شريعة موسى عليه السلام أكل وأرجح مما سبقها وشريعة عيسى أكل من شريعة موسى عليهما السلام فلم يبق مجال للشك

في أن الشريعة المحمدية أكمل الشرائع السابقة وأنها ناسخة لها . فقد أتى الانجيل بأحكام جمة لم تكن في التوراة حيث كان بعدها ولهذا كان الانجيل أرجح من التوراة . والسبب عينه كان القرآن أرجح من الانجيل فلو عكسنا القضية وزعمنا أن التوراة أرجح من الانجيل والانجيل أرجح من القرآن لجلنا أنفسنا كفة القول بأن عقل البشر قد أصيب برجسة قهقرية . وبهذا القول الذي لا يتفق مع المنطق نركب خبطية لا تغفر ونظلم النوع البشري رغما عما يدهش أبصارنا وعقولنا من الترقيات الجديدة والاختراعات الحديثة . وهذه الأسباب كلها كان المتأخر ناسخا للمتقدم . وبوجوب هذه القاعدة كانت الشريعة المحمدية ناسخة لكل ما تقدمها من الشرائع ولن ينسخ بشريعة أخرى فمضى باقية الى الأبد . فإن نسخ الشريعة بأخرى لم يكن إلا لأن أحكام الشريعة الأولى غير كافية لسد عوز البشر واحتياجاته التي يولدها الزمان وتزداد يوما فيوما . ومهما تكثرت حاجات الانسان وازدادت لوازمه فلا يحتاج الى شريعة أوسع من الشريعة المحمدية فقد ذكرت لك قسما من الأحكام القرآنية . ولو أنعمت فيها نظر لك فليلا لرأيت أن حاجات الانسان ولوازمه المدنية مهما كثرت لا تخرج عن دائرة الأحكام القرآنية . فالقرآن كافل لكل احتياجات البشر في كل عصر . وأن العقل البشري مهما ارتقى وتكامل لا يمكنه أن يخرج عن حدود الأحكام التي اشتمل عليها القرآن فأصبح من الضروريات اللازمة التي لا يحيس للعقل عنها أن يتبع البشر الشريعة المحمدية القراء في كل زمان ومكان

وظهر مما قررناه آنفا ظهورا لا غبار عليه أن القرآن المبين قانون إلهي ونظام سماوي وحكم أزلي لن ينسخ أبدا ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن اتباعه في كل زمان والعمل به في كل مكان هو السعادة والنجاة والفوز والفلاح ومخالفته هي الفناء والمسكنة والخسران العظيم وأن أتى به هو خاتم الأنبياء والمرسلين صوات الله عليهم أجمعين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - انتهى بالحرف الواحد من رسالة الجواب الكافي لعبد الله كويلم التي ترجمها الى العربية الاستاذ (زهدي الخماش) أستاذ علوم الدين بالمدرسة السلطانية في (بيروت)

ويحسن بنا أن نلم بما كتبه المترجم الفاضل ترجمة حياة المؤلف . قال

﴿ نبذة من ترجمة المؤلف ﴾

هو عبد الله ويليم كويلم الانكليزي الحامي بانسكمة العليا (مدينة ليفربول) يبلغ من العمر نحواً من الخمس والخمسين (حينئذ) نحيف الجسم ربعة وله ولدان اسم أحدهما بلال والآخر أحمد نشأ الرجل بين المتمدنين بذهب (الوسيلين) وكان من رؤسائه وواعظا شيعته ، كان يعتنى بالعلوم الرياضية ، وله الباع الطويل فيها ، وفي سنة ١٨٨٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية أصيب بمرض عضال جعله طرح الفراش نحوسة ، فأوصاه الأطباء بالسفر الى (اسبانيا الجنوبية) لتبديل الهواء فتوجه الى (جبل طارق) ثم الى (طنجة) وأقام حيناً من الزمان يشاهد محاسن الدين الاسلامي وصفاء المسلمين واخلاصهم ويتعلم العقائد الاسلامية فكان يزداد بالاسلامية حبا وشغفا كلما ازداد علما ، ولما رجع الى بلاده أخذ نسخة من القرآن مترجمة للانكليزية فكان يقرأها بتدبر وامعان ويقرأ كل ما يصل اليه من الكتب الاسلامية ، فعلم علم اليقين أن الاسلاميه هي الشريعة الحقة التي لاشك فيها ولا ريب ، ولم يجعل في اعتناقها بل أخذ يبحث في الشرائع الأخرى وذلك مما زاده إيمانا ويقينا ، فصمم على اعتناق الاسلاميه إلا أنه كان يحول بينه وبين ذلك كثرة العيال وما أهمه من الأشغال ، ولما تمكنت تلك العقيدة من نفسه وخالطت حلوة الايمان مجامع قلبه فاتح أحد أصدقائه بما عزم عليه ، فأجابه ذلك الصديق « إن كنت تأنف أن

تعتقد بالثاوث وأزمنت على تركه فادخل في مذهب الموحدين من النصارى » فقال له . كلا ! انه يتعذر على الوقوف بمنتصف طريق التوحيد ولا بد لي من ترك النصرانية بتمامها ، فاعتنق الاسلامة وأقر بالشهادتين ، وأقفا اسلامه بين أقربائه وذويه فسخروا منه وزعموا انه مجنون ، ثم جعل ينظم أحوال معيشتة على القواعد الاسلامية ، ولم يأل جهدا في دعوة بني جلدته الى طريق الهداية والسعادة الى الفوز الأبدى والفلاح السرمدي فهدى الله بدعوته من ألهمة الاجابة . ولم يزل يشتغل بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما اجتمعت كلمته مع من تبعه اتخذوا لهم مسجدا لاقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين وهو الآن شيخهم ومرشدهم . ولما اتصل نبؤه بالخليفة الأعظم دعاه اليه وأتاه من التفانه ماقرت به عينه وتلج صدره وقد اجتمع بمشاهير العلماء والأفاضل بدار السعادة . فكل هناك بما ناله من السعادة والمجد باهتدائه لهذا الدين المبين . ثم رجع الى بلده (ليفربول) ولم يزل عاكفا على الواجبات الدينية والشعائر الاسلامية . وقد ترجم محمود أسعد أفندي زيد فضله كتاب ﴿ دين الاسلام ﴾ للمولى اليه . فقال بعد ما ذكرنا من ترجمة حاله » وقد شاد المسلمون هناك مدرستين اسلاميتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث يقبل فيهما كل من يأتي من أطفال المسلمين من الخارج بأجرته ولهم مجتمع منتظم فيه رئيس وأعضاء ولهم أئمة وخطباء ومؤذنون ويجمعون في كل سنة اجتماعا عموميا ينتخبون فيه من يستخدمونه في مصالحهم . وفقههم الله أجعين لما فيه الخير والصالح انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير م

من آثار كونه عليه السلام رحمة للعالمين (١) أن دين الاسلام لا يبيع أن يفضل أحدا إلا بالقوى . أما الأنساب فلا (٢) وأن أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام فارتقوا ، وسترى مثل ذلك في ﴿ سيرة موسى بن ميمون ﴾ و ﴿ اعترافات جاسوس ﴾ أو ﴿ ثلاثون عاما في الاسلام ﴾ الانسانية الآن جاهلة متعصبة لكل شئ حتى للون . ألم ترالى ما جاء في جريدة الاعرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ معاملة الزنوج في لندن ﴾

عاد المستر (ابوت) صاحب الجريدة اليومية في (شيكاغو) وهو زنجي واسع الثروة الى الشكوى من معاملة الانكليز لغير البيض فأبرق الى المستر (مرلي) العضو البرلماني يشتمكي انه منع هو وزوجه من حضور حفلة على ظهر إحدى البواخر البريطانية في دعوتهم الى أمريكا . وقال المستر (مرلي) إن عددا معلوما من غير البيض كلفوا أخيرا أن يخرجوا من حفلة راقصة في لندن فرفعوا شكواهم الى (اللورد باسفيلد) وقد صمم المستر (مرلي) أن يثير هذه المسألة في مجلس العموم . وقال انه ورد عليه كتاب من (المسترمكدونلد) عن مسألة تحريم الفنادق على المستر (ابوت) الصحفي الزنجي قال فيه مانصه » إن هذا من الامور المزعجة جدا ولا تتفق مع العادات المرعية في الفنادق البريطانية ، ولكني لأرى أية مصلحة من مصالح الحكومة مسئولة عن هذا الأمر ولست قادرا أن أجِد أية طريقة تخوّل الحكومة حق التدخل » اه

فأين النوع الانساني الجاهل من قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقد أذن بلال في الكعبة بمحضر قرش عند فتوح مكة بل أين هذا النوع الانساني الكافر بالنعمة من النجعات والكلبات والثيران والجير فانها تعيش معا ولا تبالي باختلاف الألوان ، فانتا ترى الطرة والكلبة والنجعة والحمار والبقرة ذوات اللون الأبيض تصاحب القط والكلب والحمار والحريف والثور ذا اللون الأسود أو الأجر فلاملازمة بين الألوان والأخلاق ، إذن هذا

الانسان جهول كفار ، نسي الفطرة فذكره الله بالاسلام وأصبح المسلم في مصر لا يفرق بين لونه ولون في صلاته ومحالسه ، إذن النبي ﷺ رحمة للعالمين والانسان جهول كفار ، وأما كون أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام وارتقوا فهالك منه مثلاً وهو ما جاء في جريدة المقطم تحت العنوان التالي وههههه

﴿ موسى بن ميمون ﴾

(رسالة الحاخام الاكبر)

اننى مغتبط بان أوفى الآن الى تحقيق الرغبة التى أبدتها أحد الافاضل فى المقطم فى الاطلاع على نبذة من حياة موسى بن ميمون وسيرته وهى أنا أبر بوعدي السابق موجزاً مقالى على قدر الاستطاعة ذلك لان الشروع فى بحث أصله ونسبه يؤدى حتماً الى بحث حياته الشخصية وعلاق أخلاقه ومكنونات صدره وحده ذهنه وعلومه وآدابه ثم تأليفه وتأثير كل ذلك فى الهيئة الاجتماعية وهذه كلها من الامور التى يتعذر شرحها فى مقال واحد مهما روعى الاجاز والاختصار ، فقد كتب عنه أكثر من مائة وخمسين عالماً من اسرائيليين وغير اسرائيليين ولو جمعت كل الكتب التى أتى ذكره فيها لتألفت منها مكتبة كبيرة . ولذلك أترك جانباً كل ما يختص بالوجهة الاسرائيلية من تعاليمه ومؤلفاته ، وهذا ليس بالشئ القليل بالنسبة لما فى علومه الدينية والفقهية من الأهمية وأقتصر على الكلام عن المكانة العليا التى بلغ ذروتها فى تاريخ الفلسفة ولا سيما تأثير الآداب الاسلامية فيه باتصاله بعلماء الاسلام المعاصرين له مكتفياً بذكر الدور العظيم الذى مثله هذا العالم الجليل فى القاهرة مدة (٣٧) سنة بصفته حجة دينية ورئيساً روحياً للاسرائيليين وطبيعياً فى البلاط الايوبى والمجتمع البشرى

(أصله ونسبه)

ولد أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله يوم (٢٠) مارس (١١٣٥) م . فى مدينة قرطبة عاصمة الامويين باسبانيا وتوفاه الله يوم (٢٠) ديسمبر ١٢٠٤ فى مدينة القاهرة . وبعد أيام من وفاته نقل جثمانه الى مدينة طبريا بفلسطين حيث دفن . وقد حفظت التاليد الاسرائيلية أسماء أجداده حتى السابع منهم وأسماء ذريته حتى النسل السابع فيهم . وبين محفوظات الاسرائيليين الأثرية فى القاهرة مخطوط على جانب عظيم من الأهمية كتب بالعبرية والعربية وفيه ذكر لأحد أفراد ذريته من الجيل السابع يدعى داود ميمونى كان كجده صاحب الترجمة رئيساً روحياً للطائفة الاسرائيلية فى القاهرة سنة (١٤٠٤) م ويغلب على الظن انه هو الذى قصد فى أواخر حياته الى دمشق الشام ليستوطنها مع عائلته

وبعد ذلك تشتتت تلك الذرية فى انحاء مختلفة . فقد ورد فى التاريخ ذكر اسمين أحدهما عالم يدعى ميمون الفاسى نسبة الى فاس وذلك فى سنة (١٤٣٨) والآخر فى سنة (١٥٦٨) كان عائشاً فى بلدة مورانو بايطاليا ويكنى بالباز وفى أيامنا هذه نرى عائلات اسرائيلية كثيرة من أصل أسباني تحمل هذا الاسم الا أن كلمة الميمونى لم تكن فى الأصل اسماً لعائلة بل لشخص . فوالد صاحب الترجمة كان يدعى ميمون بن عباديا أى عبد الله وكثيرون من اسرائيلى المغرب والجزائر يدعون بهذا الاسم كميمون الدهان وميمون البريل . والثابت عن اسلاف الميمونى أنهم كانوا قد رحلوا من مراکش الى قرطبة مع غيرهم من الاسرائيليين ، وكان ذلك فى عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث

(صباه ودروسه الابتدائية وأسفاره)

تولى والده تربيته وتثيقه وكان منذ حداثة يث فى نفسه حبة العلم . ثم سلم زمامه الى أشهر الاساتذة فى قرطبة . فكان يدرس أصول الدين الاسرائيلى على أساتذة اسرائيليين والعلوم على أساتذة مسلمين . وكانت العربية والعبرية لسانه القوي . وعدا تضلعه من العلوم العبرية يدرس العلوم اليونانية والعربية والرياضيات

والطبيعيات والطب والفلسفة . على أنه لأسباب سياسية اضطر والده للهجرة مع أسرته فغادروا قرطبة أيام كان صاحب الترجمة في الثالثة عشرة من سنه . وبعد أن تجولوا مدة اثني عشر عاما في مدن الأندلس عقدوا النية على التوطن في مدينة فاس سنة (١١٦٠) فقصدوا إليها واذ لم يجدوا فيها راحتهم شتوا رحالهم إلى فلسطين ومنها إلى الاسكندرية حيث أقاموا شهورا ثم جاءوا إلى القاهرة واسنقروا فيها . وكان صاحبنا قد بلغ الثلاثين من سنه . على أن كل هذه الاسفار وما كان يتخللها من مشاق وأخطار فضلا عن العذاب المادي والادبي الذي كانوا عرضة له في كل آن . كل ذلك لم يوقف صاحب الترجمة عن متابعة سيره نحو الغاية العلمية التي كان يسعى لها . حياته من هذه الوجهة يجدر تشبيهها بحياة ابن سينا كما انها من حيث الجهود والتأليف والشهرة أشبه شيء بحياة الغزالي . وبالفعل انه لم يبلغ العشرين من سنه الا وكان قد ألف كتابا في التقويم الفلكي وكتابا آخر دعاه : مقالة في صناعة المنطق

أما مؤلفاته العلمية فيمكن حصرها في ستة أقسام وهي :

- (١) علم التفسير
- (٢) علم الفقه
- (٣) علم الكلام
- (٤) الفلسفة وعلم ما فوق الطبيعة
- (٥) علم التصوف أو الاخلاق
- (٦) الفتاوى والرسائل

﴿ علم التفسير وعلم الفقه ﴾

لا تعرض لمبحث مذهب في علم التفسير العبري لان ذلك من الموضوعات التي تهم رجال التفسير الاسرائيليين دون سواهم . الا أنه لامندوحة من القول أنه التزم في كل تأليفه خطة الوضوح والدقة في التعبير وهي الخطة التي ينبغي أن تتوافر شروطها في علم العقلية . أما فيما يختص بعلم الفقه فبوسعنا أن نقول أنه كان أول مهندس شرعي فكري في ترتيب وتبويب جميع أقسام التشريع الاسرائيلي وقد كانت حينذاك مهمة ومختلطة بموضوعات أخرى لاعلاقة لها بالتشريع وواردة في التلمود وهو سفر مؤلف من ستين جزءا عدا التفسيرات الكثيرة . فقد كان كالمهندس يبدأ بوضع رسم البناء ثم يقسمه إلى طبقات ومساكن وغرف بحيث ييسر للزائر الدخول والخروج من غير صعوبة . وكانت هذه خطته في تأليف كتابه الشهير المعروف باسم « اليد القوية » وهو مؤلف من ١٤ جزءا ويقسم إلى فصول وبنود وأبواب ولغزارة مادته وقضاه في جميع العاوم واكتسبه شهرة عظيمة لقب بالنور الغربي والنسر الا كبر كالمعلم الغزالي بحجة الاسلام . والان نشرح للقارئ المسلم الكريم مكانة هذا العالم الكبير فيما يختص بعلمه الدينية والفلسفية والاخلاقية

﴿ عاومه الدينية وفلسفته ﴾

ان هذه العاوم مع شدة اتصالها بعلم التفسير مرتبطة به كل الارتباط لانها ترجع في أحكامها وأدلتها إلى النصوص المقدسة . فانك تجد في كتاب « أنوار التنزيل في اسرار التأويل » للبيضاوي المبادئ الدينية كما تجد مبادئ الزمخشري في كتاب الكشف فيما يختص بالعاوم الدينية والفلسفية والعقلية . وتعلم أيضا من أبحاثه في كتابه « دلائل الحارثين » انه وقف على اسرار فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس وعلى عاوم الصوفية واخوان الصفا وأصحاب العدل والتوحيد وأنه لم يخف عليه شيء من مبادئ هذه الفرق . واذ تراه يذكر الزمخشري فلا بد من الاعتراف بأنه كان مطلعاً على كل الاطلاع على كتاب الملل والنحل . كذلك في كتبه التي بحث فيها عن المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء . ومن الأمور التي تستوقف الأنظار وجود شبه كلي بين مؤلفاته ومؤلفات الغزالي

من حيث الاسماء والموضوعات في كتابه « مقالة في التوحيد » تجد شباها بينه وبين كتاب « العقيدة » وكتابه « دلالة الحائرين » كثير الشبه بكتاب « المنقذ من الضلال » وكذا مقالاته في الاخلاق . انتهى الكلام

على موسى بن ميمون

أماما جاء في « مجلة المرشد » فهذا نصه

(اعترافات جاسوس)

أو

(ثلاثون عاما في الاسلام)

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي المسيو (ليون روش) ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر الجزائري وأوعزت اليه أن يتظاهر عنده بالاسلام وأن يتوصل الى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته . ففعل ذلك ونجح وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاما تعلم في أنسابها اللغة العربية وفنونها والاسلام وعالمه ، واختبر الأوطان الاسلامية المهمة (الجزائر وتونس ومصر والحجاز والقسطنطينية) ثم ألف كتابا اسمه (ثلاثون عاما في الاسلام) قال فيه مانه

« اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين (الذي يعيبه الكثيرون منا) أفضل دين عرفته ، فهو دين انساني طيب يقتضد أدبي ، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل اتى عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذنا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرجة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب ، فالسلم بسيط لا يظن بأحد سوا ، ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين ، ولقد وجدت في الاسلام حل للمسائلتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الأولى في قول القرآن - إنما المؤمنون اخوة - فهذا أجل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية . إن الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولوانه وجد رجالا يلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرقون كلهم ويمسحون جماله ويدخلون عليه مالبس منه ، والى تحكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتنونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا ينزعوا الى الثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس . وكل ذلك لم يكفني غير الآنية الذهبية » اهـ

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - مع قوله فيما سيأتي - يا أيها

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۝ ودعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا - ۝

أقول : ومن شأن السراج المنير وهو الشمس أن تغم أشعتها ، ويضم الى ذلك آية - يا أيها النبي إنا أحللت لك أزواجك - الخ وانما جعلنا هذه الجوهرة مشتركة في هذين الموضوعين موضوع عموم شريعته وجواز تعدد زوجاته فوق الأربعة لأن ذلك كله جاء في المقال الذي عنوانه بهذه الجوهرة من كتاب العلامة (الكنوت هنري دي كاستري) المسمى « الاسلام . خواطر وسوانح » قال تحت عنوان الفصل السادس مانه

(انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية)

تخطيط ممالك الاسلام . انتشاره في أفريقيا الوسطى . تجار المسلمين ومستكشفو الاروبابوين الاسلام في مبدئه وبعد ذلك . أسباب الانتشار . المرسلون المسلمون . الفولبوسيون والخواصه

أسباب انتشار الاسلام الإلهية

قد كشفنا الغطاء عن العائل التي انتجها سببا في انتشار الاسلام انتشارا عظيما وبينا فسادها ووعدنا ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن تقدمه في هذه الارمان لاننا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين في العصر الحاضر لا يبقى أثر لما زعموه من أنه انما انتشر بحد الحسام كما فندناه من قبل ولو كان دين محمد ﷺ انتشر بالعنف والاجبار لازم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الايام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الذي جاء موافقا لطبيعة البشر . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعا لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التي كانت تأخذ بالنفوس في دمشق وقرطبة وبغداد وأنه انقضى بانقضاء ذلك قال (بارتلمي صانت هيلير) ما عاد أحد من الناس يعتقد الاسلام . والواقع أنهم أخطأوا في معرفة حقيقة الامر من انتشار الاسلام وتمدن العرب فأما التمدن فهو أمر يعتبر لنفوا في الاسلام أو هو نقيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بحجاب القرآن ولو أنه استمر لطفأ نور دين النبي العربي بسقوط الامراء في مهواة عدم التصديق وقلة الإيمان وانحياز الأمة الى عالم التخيل والاهام . وبينما كان هذا حال مدن الخلفاء الآهية بالامران فلا تحصى شعرائها ولا تعد الأدباء وفيها الفلاسفة يتناظرون والعلماء في المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وأفريقيا محتفظة على الدين الاسلامي في كماله الأصلي ولم تمسه فيها يد أجنبي عن تعاليمه أو خارج عن شرائعه هناك كان منبع رسل ذلك الدين الذين انتشروا في الاصقاع كاندل عليه قبورهم البيضاء التي نشاهدها الآن في افريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا في انتشار القرآن على قارة افريقيا وانما نذكر على سبيل العرض أن له في الصين عشرين مليوناً (١) من النفوس وأن للمسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة عليا في المملكة لوسطى قال موسيو (وأزيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياموني) (٢) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقادا جازما بان الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البودية وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلاث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لوجب ذلك تغييرا عظيما في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذوالباس القوي تخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٣) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لاجحة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية (٤) والاسلام قليل في أوروبا ومع ذلك نراه في شمال تركيا الى ايطونية وهو أيضا

(١) كلا . بل هم ٧٠ مليوناً الآن (طنطاوى جوهري)

(٢) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم أو المتنور ووضع المذهب الذي اتخذه الصين والهند دينا وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح

(٣) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى النهاية الحمديدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في

باريس سنة ١٨٧٨

(٤) راجع مجلة تاريخ الديانات في شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

في أمريكا حيث أدخله الزنوج وغيرهم إلا أن أفريقيا لا تزال بلده المصطفاة فهو فيها كالديانة المسيحية في أوروبا قال موسيو (بولنيك) يسكن المسلمون جميع الشواطئ من (سياراليون) إلى موزنبيق البرتغالية مارا بمراكش وولايات البربر (المغاربة) وقنال السويس وأما في الوسط فيمتد الإسلام من البحر الأحمر إلى المحيط الأتلانتيقي ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالي وتقدم أنه في الساحل يمتد إلى موزنبيق البرتغالية أعني أنه يقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي وفي (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى أن بعض المستشرقين ذهبوا إلى أن اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو (مونطيط) وأكثر انتشار الإسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدما سريعا وينجح نجاحا كبيرا لأن أزر المسلمين فيها مشدود بمألمهم من المسكنة في الجهة الشمالية وهم آمنون على سلطانهم الدينية في تلك البقاع التي تغيب في الصحراء حتى تبلغ بلاد السودان الواسعة فلا يناع الدين الإسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم ويزدهر الدين على السواحل

وقد تخطى سببه السودان وأشرأب نحو أرجاء خط الاستواء وكان له مقر يقرب من أملاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وإن كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سببه تماما إلا عندما استولينا على الكونغو وشاهدنا القوافل الإسلامية تهرب أمامنا كمن يريد أن يخفي سرا عن أجنبي والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال أفريقيا ومراكنا في الكونغو وسنغال حتى كأنهم في قراصة نشدها أو تنفسح فيها حسب ما تقتضيه سياستنا

ولانتشار الإسلام في وسط أفريقيا منبعان الأول في الغرب وهو قديم امتد أثره إلى الشاطئ الأتلانتيقي حيث دخل القرآن واعتقده سكان تلك الجهات ولكنه انتهى أمام تقدم الفرنسيين من ناحية سنغال إلى بلاد النيجر ولم يزل ينثني أنا فاتنا حتى خرج من (تنبسكتو) وهي منبعه الأصلي إلى (سقطو) ومنها إلى (كانو) ثم إلى (كوكا) والظاهر أنه استقر فيها وأما المنبع الثاني في الشرق وهو حديث العهد ويصل أثره بين (وداي) ودارفور بمحركين هما المهدي ورئيس الطائفة السنوسية ويفصل بين هذين المنبعين أنهار (شاد) و(أشاري) و(لونغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل حروب متعصبون أمام قوم الغرب فيميلون إلى التجارة والمسالمة وكان الفريقان يتقدمان بالإسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلومتر حتى تلاقوا بالفرنسيين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم تفر أعينهم لهذه اللقيا لأنهم كانوا هجروا البلاد التي هاجها الكفار وظنوا أنهم يأمنون لقاءهم في الجنود فلا يجدون غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للأوربيين خبرا ويقال إن الأورباوين الذين التقوا معهم أنوامن أقطار بعيدة في الجنوب حيث تمت لهم فيها السيادة ولهم فيها صراكب ومدركات تروح وتغدو في أنهار واسعة تجري من الشرق إلى الغرب

ومن الأمور ذات الأهمية الكبرى بالنظر إلى انتشار الإسلام توسط الأورباوين في أفريقيا وحلولهم في نهر الكونغو لأنهم بذلك قسموا القارة الأفريقية من طرف إلى طرف وربما يخشى على حركة الإسلام الذي كان يتدرويدا زويدا مطمئنا من الشمال إلى الجنوب كما يخشى على التجارة التي كانت تروح وتغدو مع القوافل الإسلامية فينعكس مجراها فتميل إلى العرب نحو نهر الكونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الأمر اشتغالا لا مزيد عليه حذرا من انقلاب الحال في تلك البلاد ولقد يفيد التأمل أن يعرف كيف كانت نتائج مقابلة الأورباوين القادمين من جهة الكونغو مع المسلمين النازلين من السودان لولا أن هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على البحث عن العلة في حياة الدين الإسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره هذا الانتشار العجيب وهنا يجب البحث فيما إذا كان الإسلام ديناعوميا بطبيعته أو هو دين خاص بأمة من الأمم وهو بحث طرق بابه من قبل (موسيو كينان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية فالإسلام دين عام بغير شبهة

لأننا نشاهد المسلمين في كل أمة على اختلاف الأجناس والبلدان فهم الشرق والترك والفرس والهندي والزنجي يقي علينا أن نعرف مع (موسيو كينان) أن كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين أو متولدة من أسباب أخرى وهو يرى أن الأمة العربية ليست بهذه الطيبة وإنما هو ينتهي إليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي وهو قيد ناشئ عن نظر في الموضوع من إحدى جهاته فقط لأن الدين الاسلامي الذي منشؤه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بأنه دين عام لا محالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والأهم المختلفة التي اعتنقت بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد أن صار كما نراه في هذه الايام فلا ينعين (موسيو كينان) إذا حذف تقسيمه الاسلام الى أولى ولاحق وقلت فيه كله كما قال في كتابه انه دين عمومي

على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضاً خاصاً بالدين الحمدي بل تشترك فيه جميع الاديان فما يهزى الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء وبعض الأموات وكثير من التعبدات الأخرى ، وسببه أن المرء طماع في الدين باصل الحلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار ارضاء لشهوات تشتهد ظهوراً كلما تقدم العهد عليها ولم ينجم الاسلام من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه ولكنه أيضاً سبب من أسباب تناقضه لأن تلك المذاهب تخالف مبداه ولقد تجدد النفوس التي رفعت أعتابها الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقاً مساوياً في مذهب التصوف يسهل عليها النسك والتمدد وقلمها يلوهم بعض المتشدد من العلماء وان كان التزهيد بهذه الصفة أي الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله عما يخالف مذهب التوحيد . ومن الناس من يرى نفسه بعيداً عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو في بعض الأحيان غريب (كقوله إلهي أرزقني من الأبناء ذكورا ولا تجعل ماشيتي تلد الاناثا) ولمثل تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواصلين والذين صار بينهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليهام صار يرسل الجع العبد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ فضب عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن رأينا التصديق بالاولياء غير شرعي ولوجدنا أن النبي ﷺ حرم الاعتقاد بهم - والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون - والواقع أن الاسلام في مبدا ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الأحد وقد بقي هذا المذهب كما بدا فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهي كل اعتقاد

ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالجارب يموت شهيداً والعالم يكتفي بتلاوة القرآن والاثان مقبولان عند الله وللفقير مكان على وللغني درجة رفيعة ولقد كان فكر النبي في الأنوذية من أرفع الأفكار وأسهلها ولكنه تساهل كثيراً في تقدير الانسانية لذلك تسامح الناس كثيراً في رغباتهم وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله ولكن لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الاليم ليقهرها اذ لا ينبغي له أن يطلب لنفسه السكال ولن يصل اليه لان من أراد السكال فكانه أراد أن يساوى الاله في جلاله وهو أسوأ الأعمال وأخبث الرغبات وكان رسول الله يميل الى بعض ما يميل الناس اليه من المشبهات فكان يقول على أسلوب بسيط (حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) ولقد بعسر الجمع بين هذا التفضيل وبين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى في الأمر تهكماً ولكن هذه الجلة لا تحتوي في الحقيقة على معنى خفي بل ما يفهم من لفظها هو الذي قصد منها ومن وعائها فقد عرف الاسلام كما ينبغي وقد ورث المسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فالصلاة في قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها عندهم خاصاً بالنساء والأطفال كما هو عند المسيحيين بل هي منزلة من

مزاياء الرجال واحدى جهات فضلكم على النساء ولا يواظب عليها الصبي أو المرأة الا نادرا لاعتبارها عند المسلمين من أعظم الأمور التي تلزم فيها صفات الرجل التام (١)

ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وأصر بمجاهدة النفس فيه فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي فساكن من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع اليوم أمتا كثيرة من المسيحيين وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الإنساني وظهور مذهب القوضيين مما تجهله الأمم الإسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تدكرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئا مما يشتهون وأعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسداجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهنوع كثيرا الذين لم يعرفوا ديننا من قبل ذلك . ديننا لا اسرار فيه وكلمته أى كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاحتضار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكما وجد الرجل الجاهل أمامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى تراه يختار الدين الذي لا يزيد شيئا عن تلك الحقيقتين ويعتق الاسلام بلا محالة وهي قوة بفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) «ولا يغيب عن ذهن القارئ أن تلك الطائفة الشريرة أو المخرفة أو المنشأ من الاسماء لا تزال حافظة لسكل ما في الدين المسيحي من الأمور الظاهرة والوضوح القريبة التصديق مضافا اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجي الانجيل التي تخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما أنه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وهذه الوساطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحبس كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية»

بقي علينا أن نستقصي الأسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضا نجد سببا عظيما من أسباب انتشار القرآن فراقعوا راية الاسلام هم في العادة تجار بلد واحد تصافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالمبشر الاسلامي (ولاحظ أن هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين إذ ليس لديهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالسبعين) لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفا منه ولا فرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو (مونتيل) يعتنقون دينه لأنه لم يعرضه عليهم فما أشبه الأمم بالأطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعا عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبحث فيه عنها جهات افرى بجانبا الأملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الأبيض في السودان وله الاولوية على غيره . وهو أعرق في الاسلام واليهم أشرفنا عندما قلنا بأن أحد منبجى الاسلام أقاليم نهرشادر وقد شاهدتهم المكتشفون الفرنسيون في (شاري) و (لونغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع اطلاق سلطنتهم فلهم خطط سياسية في الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجلها في افرى بيا قال موسيو (مستران) أن الذي ألفت ذهننا كثيرا لما قدمنا الى جهات شاري هو النظام السياسي الذي تمكنت ملوك الاسلام في أواسط افرى بيا من ايجاده بين الأمم التي دانت لكلمتهم) وللفولبوسيين مساعد كبير من عشائر

(١) كلا . فالصلاة واجبة على كل بالغ رجلا وامرأة

يقال لها الخواصة وهم من الجنس الأبيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فذهبهم اليهم كنسبة اليهودى للعربى ولقد شبهنا باليهودى لانه تشبيه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبوين فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودى بحب المال ويتمسكون بطرق اكتسابه ولا يخاطرون بتجربه فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمسكن والخواصة هم أهل المعارف والعلوم فى السودان حتى كانوا احتسروها الا أن عامهم قاصر على شئ يسير كالقراءة والكتابة فى اللغة العربية وهو كاف لنفوذهم فى الوثنيين لأن هؤلاء يعظمون الكتاب والقارىء الى درجة العبادة تقريرا ومع ذلك فلا يزال الخواص وضع الدرجة فى عين متبوعه الفولبوس ، فالفولبوسيون هم أنصار الاسلام فى الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ والفقهاء ، ويتزى امتداد سطوة الفولبوس دينيا وسياسيا الى تدخلهم فى الخصوصيات التى تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فى تخصم الأهالى إلا وتدخل الفولبوسيون ، أما الجهات التى اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم بدنيهم وسياساتهم إلا بالثناء ويتوصلون الى غرضهم فى الغالب عند مائتسب جريمة قتل أو سلب حيث يوجد قوم من المسلمين لأنهم يرسلون اليهم الكتائب لنقتص منهم وبذلك ينتشرون بينهم وتمازجهم ، ومهما تنوعت أسباب تدخلهم فان طريقة سياستهم تدل على حنق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحياية الذى توصلوا الى وضعه بين الأمم الهامج كما رواه موسيو (مستر) فمن احتسب بهم فقد أمن ومن خرج عن طاعتهم أصبح مهددا ، ومتى احتسبت بهم قبيلة ذهب رؤساؤها الى ملوك الاسلام فى السودان فبولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردونهم الى أوطانهم يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم ، فان كانت القبيلة أو القرية عظيمة أرسل السلطان اليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوى كلمة ونفوذ ومعارفهم وماتعلموه من الأحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لمنفعة اللاجئين اليهم وهم كالمعلم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان ، وقد يتفق أن بعض القبائل الوثنية لا تخضع من أول ظهور الفولبوسيين بينهم هنالك تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ أبناء الرؤساء فتبعث بهم الى السودان حيث ينربون على مبادئ الخواصة ، وبعد زمن يرجعونهم الى بلادهم فيقومون فيها كنواب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروبوية فى مستعمراتها ، وفى تلك الأثناء ينتشر الاسلام بمجرد الاختلاط والمعايشة وحس التقليد بدون أدنى اكراه ولا تعيين رسل أو مبشرين إذ بمجرد أن يشترى الوثنى خرقة القطن من أحد الخواصة ويستتر بها عورته يأخذ فى تقليد البائع فى الصلاة كالقردة ويتعسر بيان اللحظة التى يصير فيها مسلما حقيقيا لأن اسلامه يأتيه تدريجا ، ومتى كثر عدد المسلمين فى بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتدخلون فى نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة أولاها الى أنفسهم

ونذكر من الوسائل الناجحة فى يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولاتمسكت النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب على انتشار الدين الاسلامى ، وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك فى بعض مذكراته حيث يقول : من الصعب أن يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والأطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه أن اعتقد بمن نعتقد على أن الزواج هو السبب فى وجود أنصار الاسلام الأولين ، وكثيرا ما تزوج النبي ﷺ لخدمة دينه لا لشهوة فى نفسه ، فقد صرح بأن الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافا لما فرضه لجميع المسلمين وهو اختصاص تترك غايته لمن تأمل فى الامور لأنه كان معصوما عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الأول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت

تلده ولم يعل الي ما أباحت العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تعدد الزوجات ولم يتسر ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ م وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة تزوج في خلاطها بعشر نساء ليس ينهاي إلا اثنتين كانتا بكرًا والباقيات مطلقات أو مزمولات . قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ايزيد في نشر أهامه وهو قول يقصد به قائله القديح والسكنه حجة على أن النبي ﷺ لم يكن في تعدد الزوجات شهوياً هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري أ كانت تكفي لادراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية ، غير أن الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق ، وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة ، ونحن نعلم أن يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرره ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى ستكون من أولادك ، وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجا في الصحراء حيث رمى ليموت عطشاً ، وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظمأ ولف الأم على ولدها من الألف ما يقال (نسب الماء في الرق وورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة صرعى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناداها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المسكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

ولقد ارتعشت يدي عند مامدتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ما قاله الأب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر منسرج تحت ما بشر به أبوالمؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرا من الأسرار الربانية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً - الى قوله تعالى - وأعد لهم أجراً كريماً -)
(في هذه اللطيفة أربعة فصول)

(١) في الذكر الكثير

(٢) والنسبيح

(٣) وصلاة الله وملائكته على المؤمنين

(٤) وفي التحية والسلام

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً - ﴾

إني لأعجب كيف أقرأ نفس هذا المعنى في كتاب ﴿راجا يوقا﴾ ومعناه الحكمة النامة المترجم سنة ١٨٩٦ في أمريكا وقد ألقاه المترجم عدة محاضرات في تلك الأقطار بعد أن ترجمه من اللغة الهندية القديمة وقد أشمرت الى هذا الكتاب فيما مضى من التفسير صرارا ونقلت عنه ما يناسب الآيات ، إن في الكتاب مسألة الذكر الكثير وقد أوضحها الهنود فيه ايضاحاً عجيباً ، يقولون منذ آلاف من السنين قبل النبوة المحمدية ماملخصه « إن الانسان لا يعيش إلا بالتنفس ، والدورة التنفسية لها الحكم على الدورة الدموية ، وعلى مقدار الآثار في الدورة التنفسية تكون الآثار في الدورة الدموية والدورة الدموية تؤثر في الأعصاب والأعصاب توصل الآثار الى العقل ، ولو أن حكم أمر تنفسه فأخذ يدخل الهواء ويخرجه بالتدريج شيئاً فشيئاً ثم يحفظه في الرقة

قليلا قليلا بقدر امكانه ، ثم يخرج به بالتدريج عدة صرات ويكرر ذلك في اليوم والليلة عدة دقات بشروط خاصة فان ذلك يعلمه قوة في العزيمة والارادة ، ومعنى ذلك أن زمام العقل والتفكير والارادة في يد أعصابنا وأعصابنا في يد الدم والدم في يد النفس ، فاذا أحكمنا النفس وذللتنا لنا ذل ما بعده وخضع لنا ، وهنالك تكون الارادة والعزيمة طوع تفكيرنا .

ولست أقول لك إن هذا القول يمكن العمل به بمجرد هذا البيان ، ولكنني أقول يمكنك أن تتفهم كل يوم عدة صرات في الخلاء بحيث تدخل النفس بالتدريج وتحبسه وقتا ما على قدر طاقتك ثم يخرج به وتقلق الفم بقدر طاقتك ثم تتفهم صرة أخرى ، فهذا نافع جدا في الصحة والقوة الجسمية ، وهذا يمنع الزكام وكثيرا من الأمراض ، وليس هذا مقام الافاضة في هذا النفس فان علم النفس تقلد الفريضة عن علماء الهند وقد قصدوا به التساوى ونجحوا واستغنوا به عن كثير من الأدوية ، وانما هذا المقام مقام ذكر الله كثيرا وذكر الله كثيرا انما يكون بالكلام والكلام بالنفس والنفس يصل حكمه الى الأعصاب والواصلات الى النخاع الشوكي الآتي بيانه في ﴿سورة فاطر﴾ عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - الخ والأعصاب هناك ﴿قسمان﴾ أعصاب حس وأعصاب حركة خارجات كلها من الحبل الشوكي المتصل بالمشخ ، والحبل الشوكي والمشخ هما المركز الأصلي للاحساس والحركة ، وقد وزعت أعصاب الحس وأعصاب الحركة على جانبي الفقرات توزيعا عادلا وهي (٣١) زوجا والزوج عصب عصب للحس وعصب للحركة ، وهذه الأعصاب تنبذ الى أطراف الجسم كاليد والرجلين وظواهر الجسد ، ومتى أحست تلك الأعصاب بطارئ ما وصلت خبره الى النخاع الشوكي والنخاع الشوكي يعطيه خبره الى المشخ والمشخ حالا يأمر فيه أعصاب الحركة بالعمل لما يناسب ذلك الطارئ جلبا أو دفعا ، أما المشخ ففيه (١٢) زوجا من الأعصاب كلها موصلات للحواس التي في الرأس كالعينين والأذنين والمنخرين ، وكل هذا ستره في ﴿سورة فاطر﴾ كما قلته لك الآن مرسوما مشروحا وهو الذي أجله علماء الهند في ذلك الكتاب الذي قرأته بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية لشرح ذكر الله كثيرا . قالوا ان الأعصاب المذكورة هي الموصلات للأخبار السوافع للحركات ، وليس لهذا الانسان ولا الحيوان إلا امران حس وحركة ﴿وبعبارة أخرى﴾ علم وعمل وهذان النوعان قد تجليا في أعصابنا وأعصابنا خارجات من النخاع الشوكي والنخاع الشوكي متصل بالمشخ وهو مقر الملك وهو العقل المدبر فالمرجع كله لهذا الرئيس المدبر المستوى على عرش ملكتنا ، ولكن هذا الرئيس يتأثر بهذه الأعصاب سلبا وإيجابا ، فاذا أكثرنا من ذكر الله وكررناه مرارا فان الكلام حركات في النفس والنفس يؤثر في السورة فيصل الأثر الى هذه الأعصاب وينقل بحكم المجاورة الى الأعصاب فيحصل الحب ويكون الوصول لله . إذن الذكر الكثير لله يقرب اليه

هذا ما أوضحه القوم في ذلك الكتاب ولكنهم يقولون ﴿إن حب الله ربما يفيد الانسان ، ولكن مادام محبا للدنيا فانه يكون ناقص النفس فليس كل من أحب الله ووصل اليه وصولا ما يكون كاملا ، حب هذه الحياة نقص عظيم﴾

أنا لست الآن أقول ان هذا القول كله حق ، ولكنني أقول : المحب ان العرب في جزيرتهم لا يعرفون ما هو ذكر الله والقرآن جاء فيه - واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون - والعقل ليس عنده براهين تدل على أن الانسان اذا ذكر الله مرارا يكون له الفلاح وهذا انما جاء بالوحى ، وظهوراً ثم قبلنا كانت عندها هذه المباحث وعلاوها وفكروا فيها أمر عجيب ، وهذا معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . فهؤلاء القوم سبقونا وقد تقدم أن كتاب الفيدا الهندى الذى سبق الاسلام بعشرات آلاف السنين بل جاء في آثار الهند كتاب لعالم منهم ألف منذ نحو (٦٠) ألف سنة يقول : ان كتاب الفيدا لا يعلم متى وجد

فهو مجهول التاريخ والمبدأ . إذن هذه معجزة لدين الاسلام ، وكما في الاسلام من معجزات ، وهنا في هذا المقام معجزة ثانية ، ذلك انهم يقولون « ان في الفقرات أمرين النخاع الشوكي (الحبل الشوكي) الموصل للحس والحركة وفراغ لامادة فيه وذلك الفراغ ممتد من العنق الملتحم الذي لا فراغ فيه الى المخ . قالوا وهذا الفراغ المستطيل الواصل بين هاتين الهاتين ملئ لا يعمل له عند أكثر الناس ولكن هناك أناس قد قويت عزائمهم وعظمت مواهبهم بالأعمال العظيمة وممارسة الذكر والفكر أو التنفس المتقدم أو ذكر الله فيؤثروا بهذه الأعمال المقويات لعزائمهم تجعل جميع قوى العقل تحت إرادتهم ويقولون ان كل عمل من أعمال الناس أتموه بفتح لهم فتحة جديدة في تلك العظام المثثة التي في آخر تلك العظام وتسمى (الوترس) وهذه يقولون إن فيها سر الانسان وعلمه وحكمته ولانسان (في نظرهم) حالان الحال المعتادة وهي مانع عن عليه من وصول الآثار من الخارج الى نفوسنا بطريق هذه الأعصاب كما هو حاصل للحيوان فلنا وله حس وحركة بهذه الأعصاب الواصلة للنخاع الشوكي الموصل للسمع . والحال الخارقة للعادة بأن يفتح ذلك المثث وهو (الوترس) الذي فيه عجب الذنب . ومتى فتحت اتصلت العلوم المخزونة فيه بالمخ والموصل بينهما الفراغ الذي في فقرات الظهر . وهناك يعرف الانسان علم كل شيء فلا يحتاج الى تلك الأعصاب حتى يعرف العلوم القليلة . فكيف هذا وقد أصبح محيطا بالعلوم التي بقدر عليها الانسان بحسب روحه هو لا بحسب ما توصله اليه الحواس كما في الحيوان

هذا ملخص ما قرأته في ذلك الكتاب أوضحته أيضا تماما ولم أدع منه شيئا . فهذا هو المشار اليه بحسب الذنب في الشريعة الاسلامية فان في الآثار والأخبار ما يدل أن الروح باقية وعجب الذنب باق فما معنى هذا ولماذا يجيء ذلك في الأخبار ؟ ولماذا ينزل الله ذلك على لسان رسولنا ﷺ ونفس هذا المعنى جاء في كتب اليهود بطريق آخر وهو ان هذا هو سر الانسان وعلمه . فاذا ورد أن عجب الذنب باق كبقاء الروح ووجدنا أن علماء الهند قبل عشرات الالوف من السنين يقولون « إن عجب الذنب متى اتصل بالمخ من طريق هذا الفراغ فان العلوم المخزونة هناك يعرفها العقل فعندها أن ذلك المكان في نظرهم مستودع العلوم ومستودع العلم عند العقل فكأنه غدة العلم كما ان البنكرياس غدة المادة الهضمية والغدة البت في الفم جعلت لهضم المواد النشوية والصفراء وغدد المعدة والأمعاء كلها لهضم المواد الكربونية والدهنية وهكذا وكالغدة المسماة بالنخامية والمسماة الصنوبرية في الدماغ فان لها تأثيرا على نظام الأعضاء الجسمية ، وسيأتي أيضا في ﴿سورة فاطر﴾

ولست أقول ان ما قاله اليهود مبرهن عليه في هذا أيضا ولكني أقول العجب أن يتكلم اليهود في عجب الذنب وانه غدة العلم فيما كان وما يكون ويجيء في ديننا أمثال قول علماء التوحيد عجب الذنب كل روح لكن حققوا * وصوله الى البلى ودققوا

فالعلماء ﴿قولان﴾ قول انه باق كل روح ، وقول انه فان كما يفنى الجسد وليس هذا هو المقصود ، انما المقصود أن يرد هذا في ديننا ريبا وزن بالروح تارة وبالجسد تارة أخرى فبالأول يحكم ببقائه وبالثاني يحكم بفناؤه ، وعلمنا أن رجحهم الله معنورون في هذا ولهم الحق أن يرجحوا فناءه لانه من نوع الأجسام ولكن كلام أهل الهند أرجحه الى العلم المخزون ، وهذه أمور فوق عقولنا لإبرهان عليها ولكن المهم ان هذا معجزة ثانية والله يقول - بل هو آيات يبينات في صدور الذين أوتوا العلم - فهذه علوم عند أمم خلت وربما كانت لها أسرار لا نعلمها الآن ووردت في الاسلام ليعتقلها قوم بعيننا ويشرحوها - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا -

﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى - وسبحوه بكرة وأصيلا - ﴾

اعلم أن الانسان اذا ذكر الله كثيرا فتعصت بصيرته ، وقد علمت أن أهل الهند سبقوا الاسلام بذلك في الفصل الأول وهذا هو معنى قوله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى - الآية وقوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله - وقد تبين لك أن هذا معجزة اسلامية من حيث تلازم الديانات في الاصول وان كانت معجزة بعيدة المدى ، ومن اطلع على طرق الصوفية في العالم الاسلامي وجد بينها وبين طرق أهل الهند ملاءمة ترجع كلها الى ذكر الله تعالى ولكن بصيغة الاسلام لا بصيغة كتاب (الفيدا) الهندي

ولقد حقق علماء الاسلام أن هؤلاء الناكرين لهم لا يصل الى المذرفة التي يقول بها علماء الصوفية إلا النادر جدا بل كثير منهم يسهم الجنون فلا تنفع بهم الأمة وهذه إحدى نكبات الأمم الاسلامية . كثرت فيهم طرق الصوفية وعاشوا عيشة روحية كأهل الهند ولكنهم في الوقت نفسه لم يصل جميعهم الى العلوم التي بشرهم بها أسيادهم ، بل ران على قلوبهم التقليد ، وهناك يحصل لهم شكوك وأوهام فيقول الأذكاء فيهم « كيف يكون الله أرحم الراحمين وهو عرضا ويمينا وأهل الشرق والغرب في نضال وقاتل مستمرين وأصحاب الأسلحة النارية من أوروبا يهجمون على الشرق فيذلون الأمم . ثم ماهذه النظم الأرضية . وماهذه الحرارة والبرودة والمتناقضات في الأرض . وكيف يكون زيد الصالح فقيرا وعمرو الطالح غنيا . إن هذا شيء عجاب ! » فيقال لهم في القرآن - وسبحوه بكرة وأصيلا - والتسبيح تزيه عما يظن فيه سبحانه من أنه ترك العالم تنحيط كأنه لم يعم هو بصغيرها وكبيرها بل هي دائرة بالانظام ، ولو كان صانع العالم مطلقا على جلائل الامور ودقائقها لم نجد ناسكا أحرق ثوبه وعجوزا هدم البيت عليها وطفلا ولد مشوها وامرأة مات طفلها فاحترق قوادها ولا طغت أمة على أمة ولا طغى طوفان الأنهار وحريق النار على فريق من الناس فأهلك الحرث والنسل وهكذا لما لاحصر له . فذكر التسبيح في الآية بعد ذكر الله كثيرا ليكون في الأمم الاسلامية ﴿ فريقان ﴾ الفريق الأول ﴿ فريق العباد ﴾ (بتشديد الباء) الذين يسبحون الله بحسرة وأصيلا إذ يسمعون قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لك ترضى - وقوله تعالى أيضا - الذين يحمداون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - وقوله - سبح لله مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - ويسمعون - وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - وقوله - وتسبحوه بكرة وأصيلا - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - وقوله - فسبح باسم ربك العظيم -

فهذا الفريق المسبح يكون تكرار التسبيح منبها لما يعلق بنفسه من تلك الشبهات ، فكما أن الذكر يفرحه بربه ويقر به له ، فإن التسبيح بتكراره بكرة وأصيلا يمرت النفس على أن تباعد عن تلك الشبهات وتوطن الضمير على أن يعتقد أن الله منزّه عن الشرور أو الغفلة ، وأن ما نشاهده من تلك المصائب في هذا العالم هو يعلم نتائجها وله فيها حكم عجونا عنها ، فالتسبيح إذن أشبه بالحارس الذي يحرس العقل من التعرض لهذه الشبه ، فهنا ﴿ أصران عجيبان ﴾ الذكر بقوله - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وذلك لاستحضار المذكور وتكون النتيجة حبه ، ولكن الحبيب الذي يفسد الواشى حبه معرض حبه للذهاب فتكون القطيعة فجأة بعد ذكر التسبيح وتكراره يحصل ما يشبه التنويم المغناطيسي فتذهب تلك الوسواس فيبقى الحب على حاله حتى اذا فارق الانسان هذا العالم فهناك يدخل في عوالم يفهم فيها ما جهل هنا . فالتكرار تخليّة والتسبيح تخليّة ولذلك نسمع الله يقول - الذين يحمداون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - فالجد نوع من الذكر والتسبيح تخليّة عن تلك الشبهات . ويقول - دعواهم فيها سبحانه اللهم - فجعل التسبيح

مع الجسد ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ التخيلية مع التحلية . هذا هو الفريق الأول وهم العباد (بشديد الباء)
﴿ الفريق الثاني في الأمم الإسلامية ﴾

الفريق الثاني في الأمم الإسلامية هم الذين يسبحون الله بكثرة وأصيلا كالفريق الأول ولكنهم لم يعقلوا راجحة فلا يقفون عند الشبهات التي ترد عليهم بتكرار التسبيح لأن العابد درجته محدودة ولكن العارف بالله أرقى من العابد . فيقول هذا الفريق : نحن قرأنا في ﴿ سورة آل عمران ﴾ - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتلنا عذاب النار - فيقولون ههنا سمعنا ذكر النار وعذاب النار بعد الذكر والفكر . وههنا يقولون الذكر للعباد ولكن العارفون بالله لا يقفون عند الذكر فهذه مرتبة ضعيفة بل يفكرون في جلال ربهم وصفته وهذا معنى قوله - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . نعم نحن نسبح في الركوع والسجود وبعد الصلوات . ففي الأولين (١١) صرة وفي الثالث (٣٣) وعند النوم كما في الحديث (٣٣) أيضا ونسبح بكثرة وأصيلا . ولكننا لا نقف مكتوفي اليدين أمام عظمة ربنا وجلاله . وهذه الطائفة هي التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير . سيكون في الأمم الإسلامية فطاحل الحكماء الذين لم يخلق في أمة مثلهم وهؤلاء هم عماد هذه الأمة بل هم عماد الأمم . فهؤلاء يعيشون محبين لربهم وخلقه ويجهلون حياتهم كلها في درس نظام الطبيعة وجانها ولا معنى لهذا كله عندهم إلا أنهم أحبوا وعشقوا مبدع الكائنات وأحبوه لما نقش وزوق وأبدع وأحكم ونوع وصنف . وهذا الفريق فقط هو الذي يفهم لم كان المرض والموت والفقر والظوفان والحرب واحتلال الأقوياء أرض الضعفاء في هذه الأرض . ومستحيل أن ينال هذا الإنسان في الأرض إلا بدراسة مجمل العلوم الرياضية والطبيعية لأنها آثار الصانع الحكيم فإن لم ندرس آثاره واكتفينا بقراءة كلامه كنا أشبه بمن قرأ كتاب الملك الذي نشره في رعيته ولم يعمل به . وغاية الأمر أنه يكرر الكلمات التي أرساها في ذلك الكتاب المنشور . وهذه وإن كانت سخافة وقلة عقل وجهل في كتب المخلوقين فهي ليست كذلك في كتاب الخالق لأن كتاب الخالق عز وجل له منزلة خاصة . فانظر رعاك الله إلى أجسامنا وأجسام حيواننا وإلى نباتنا فإني ترى أكثر أنواع الإنسان يعيش ويموت وهو لم يدرس هذا الجسم ولا عقل من عجائبه شيئا . وهكذا يأكل من الحب والفاكهة وهو لم يدرس ولم يعرف عجائب النبات كما لم يعرف عجائب جسمه ومع ذلك ينتفع بالفاكهة والحب وبجسمه المجهولات عنده جهلا تاما . أكثر هذا الإنسان هكذا حاله ، جسمه المملوء من الجبان في نظام ، وكل ما حوله من مطعوم ومشروب مجهول جلاله عنده ، وهذا الجهل لم يمنعه أن يعيش بجسمه عمرا طويلا ولأن ينتفع بالنبات والحيوان ، وأقل هذا النوع الإنساني هم الذين أدركوا جلال أجسامهم وجمال طعامهم وشرابهم من حيث النظام والابداع . فاذا صح هذا في أجسامنا وفي كل ما حولنا وكاه من حسن الابداع وسعة الرحمة من المبدع الحكيم . فهكذا صح في تسبيحنا . فالمسبح بقوله ﴿ سبحان الله ﴾ وهو من العابدین قد نال أثر ذلك التسبيح في نفسه فتباعدت عنها تلك الشبهات كما انتفع الإنسان بجسمه أمد الحياة وبما حوله من طعام وشراب وهو جاهل بذلك كله . فأجسامنا وتسبيحنا وذكرا أشبه بما قيل في كتاب كابل ودمنه - ولله المثل الأعلى - فهو للجهال حكايات تفرحهم وهول لخواص حكمة وعلم وسياسة . هكذا أجسامنا وما حولنا للجاهلين حياة في الدنيا وللحكماء دراسة بهجة جيلة . فهكذا التسبيح هو للجاهل عبادة تشرح الصدر وللحكيم حث على العلم والحكمة ﴿ مثل ذلك ﴾ أن ينظر في جسم الإنسان مثل ما تقدم في سور كثيرة ، ومثل ما استراه في ﴿ سورة فاطر ﴾ كما أنبأك في أول هذا المقال إذ قلت لك إني سأفصل عجائب الجسم الداخلية هناك

فسترى هناك الدورة التنفسية مرسومة ، ومثلها الدورة الدموية . ثم أعصاب الحس والحركة . وتجب

جاء العجيب من (غدد) جمع غدة موضوعة في الفم وهي ست وأخرى في المعدة وغيرها في الامعاء وتدهش أيها الذكي من هذه الجنود المجندة التي تقف في طريق الغذاء معدة لاصلاحه مخراجات من خزائنها تلك السوائل الموزعات على أنواع الطعام ، فمنها ما أعدت لاذابة المواد النشوية والسكرية كاللبن في الثمن ، ومنها ما أعدت لاذابة المواد الفحمية أو المواد الدهنية أو المواد الأوزوتية كاللبن في المعدة والامعاء ، وسيتري ايضاحه هناك مع هذه المادة التي يسمونها (الكيموس) أولا ثم تصير كيوسا بعد ذلك وهي مادة أرق وألطف من الأولى ، فتراها تنتقل من حال الى حال ونجد لها هناك نوعين من العروق ، فالنوع الأول عروق تأخذ السائل الدموي أي الذي استحال من الحلال الأخيرة وهي الكيوس الى الحلال الجديدة وهي الدم ، فنرى هذه العروق هناك تحت الغشاء المخاطي في الامعاء فتجذب تلك المادة اللطيفة المستخرجة من الطعام ، وتأتي عروق أخرى فتجذب السائل المستخلص من الدهن فيكون هناك (دورتان) دورة دموية ، ودورة ليمفاوية ، والثانية تشبه الأولى بعض المشابهة من حيث تفرع عروقها في الجسم . ولا أشبه الدورة الليمفاوية إلا بقلع الجنود وشككات العساكر ، والمادة التي فيها ليست حراء ولا فرق بينها وبين الدم إلا ان هذه ليست فيها كرات حراء بل تخلق فيها الكرات البيضاء التي تدخل مع السائل اللقائي الى الدورة الدموية ، وهذه الكرات البيضاء هي الجنود التي أعدت لمساعدة الكرات الحراء في الدم التي لونت باللون الأحمر وباجتماعهما معا يتحاربان الجيوش الجرارة الداخلات على جسم الانسان والحيوان من الخارج لاحداث الجسري والخصباء والطاعون وأنواع الحيات المختلفة ، إذن دهن السمسم وزيت الزيتون وزيت بزر القطن والكتان والقرطم وشحم الحيوان . كل هذه أعدت لخلق هذه الكرات البيضاء المحاربات لأعدائنا الداخلات في أجسامنا فذا كنت منذ أيام قد توجهت الى بلدة (الخانكا) من أعمال مديرية القليوبية وشاهدت الآلة الطاحنة للسمسم وهي آلة بخارية وبها يعصر الزيت وهكذا أمثاله في غيره . فهذا معناه أن هذه الآلات البخارية الفاضلات بين العجيبة المسماة (الكسب) والمواد الزبكية التي يأكلها الناس مساعدات لنا على حفظ حياتنا من حيث ان هذا الزيت وأمثاله هو المساعد على خلق الكرات البيضاء في الدم المهاجمات للجيش والقائلات لنا بالأمراض المختلفة . فيا سبحان الله . شمس تشرق على الأرض . وحب يبذر فيها . وماء ينزل عليها . وذلك الحب ينبت فيصير حبا مثل الأول وهو السمسم . ثم تلتقه تلك الآلات العاصرة فيكون زيتا . لم هذا كله ؟ ليكون لنا حافظا إذ تأكله الكرات البيضاء التي جعل لها في أجسامنا عروق ليمفاوية سيأتي شرحها وماهي الإنشكات العسكرية . يا سبحان الله : أيكون في أجسامنا شككات كشككات الجنود التي تحمل البنادق والمدافع والغازات الخائفة لقتل الأعداء . أهذا الزيت المستخرج من السمسم أسمى معدة لشككات العسكرية جسمي

الله أكبر . هذا معنى - وسبحوه بكرة وأصيلا - انتهى الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم وملائكته - الى قوله

- وكان بالمؤمنين رحيما - ﴾

ولاجرم أن هذا الفصل مرتب على ما قبله . إن صلاة الله رحمة . وصلاة الملائكة استغفار . وقد أبان

الرحمة بقوله - لينتزعكم من الظلمات الى النور - وصرح بها بقوله - وكان بالمؤمنين رحيما -

ذكر المسلم ربه كثيرا فأجبه بذكره الكثير كما نرى بنبي آدم يجهلون نظام الجند بتسليم رجالهم على ضباطهم وبتلييتهم نداءهم واصطفاؤهم وقوفهم أمامهم وتقرينهم على ذلك وعلى كثرة التعظيم لهم من موجبات انتظام الجيش وحسن تدريته لما يحصل من الآثار بهذه الأقوال والأفعال في الأنفس . ونرى الملوك يزور بعضهم بعضا فترفع أعلام الدولتين وتتجاوزتين كما اتفق الملك انبلجيك أيام طبع هذه السورة في شهر مارس سنة ١٩٣٠ م فيحدث ذلك في نفوس الأمتين مودة

فهذا ضرب مثل دنيوى لذكر الله عز وجل وآثاره فى النفوس . وهذا الذكر كما تقدم له طرس وهو التسبيح لتزنيه المذكور عن مخلق العالم عبثا لعدم قنوتنا على ادراك جميع الحقائق . وهذا وذلك لايمان إلا برحة الله ولذلك قال - هو الذى يصلى عليكم - الخ فرحة الله هنا جلبت لنا منفعة الذكر وصرفت عنا الشكوك والأوهام الموهشات على ذلك . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى التحية والسلام ﴾

وهل ببق بعد ذلك إلا التحية والسلام ؟ وبيانه أن الانسان لاسعادة له حقيقة إلا بأمر واحد كما انضح سابقا فى مواضع وهو الثقة بالحقة بنظام هذه الدنيا و بأن كل ما يصنع فى هذا العالم إنما هو خير أو أيل للخير وهذا لن يتم ويشق به الانسان يقينا إلا بالاطلاع على العجائب دوما كالتى ذكرنا فى الفصل الثانى من عجائب جسم الانسان ، وهذالك يحس الانسان بالأمان والسلام فى نفسه فى الدنيا والآخرة ، ذلك لأنه اذا عقل ما ذكرناه فى الفصل الثانى وزاد على ذلك أن ينظر فى الدائرة العنصية فانه يرى أمرا عجبا ؟ يرى مثلا أن هناك غدتين فى الدماغ وغدتين بجانب العينين ، فالأولان لتنظيم أحوال الجسم والآخرا لافراز الماء للملح الذى يحفظ العين مثلا تتلف ويرى غدة فى الرقبة وأخرى تسمى (التيموسية) وأخرى فى فوق الكليتين ، ويرى الأثنيان فى الرجل والمبيضين فى الأنثى ، وهذالك يعجب جدا من أن بعض هذه الغدد لو أزيل لم يمين الذكر من الأنثى فى المظاهر كشمرة للتحية فى الرجل وانسجام عظام الصدر فى المرأة وكحفظ المولود ، فان بعض الغدد لو أزيل لاصار لونا كاون البرنز أو النحاس ، وبعض الغدد بزاله تسكب العظام جدا فتصير كالنخل والعيون كالطبخة ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان تشنج واختلال عقل ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان البول السكرى أو غيره من الأمراض كما سيأتى تفصيله فى ﴿ سورة فاطر ﴾

هذا هو العلم الموجب لليتين الذى يعرفنا تزويه الله وتسبيحه ، وهو الذى يعرفنا تناهيمه فى الرحمة والعناية بنا وبغيرنا وهذالك نحس بالسلامة فى الدنيا والآخرة . هذا هو قول المسمى ﴿ التحيات لله ﴾ فهو يحيى الله أولا ثم يخاطب نبيه ﷺ فيقول له مناديا : يا أيها النبي ان الله آمنك فأنت عليه برحمة الواسعة وأيقنت بذلك ، ومن أيقن بالرحمة فلن يصاب بعذاب . ثم يقول السلام علينا و نعم عباد الله الصالحين فى الأرض وفى السماء . وفى الحقيقة أن الوجود منحصر فى الموجودات المدركة فأما هذه العوالم فهى كلها كما ظهر فى هذا التفير أضواء متحركة تبتدئ لحواسنا على هذا المنهج المشاهد

المسلمون يسلم بعضهم على بعض . ويسلمون فى الصلاة على كل صالح . ويسلمون فى آخر كل صلاة فان كانوا دارسين لعجائب الحكم الإلهية كما فى هذا التفسير الذى تكفى دراسته كل عاقل فى الأرض فانهم فعلا يكونون قد آمنوا العذاب من الآن على سبيل الرجاء وان كانوا مؤمنين ليسوا من المطلقين على العجائب أو اظنوا عليها وهم لا يعقلون جهلها كبحض علماء التشريح وعلماء الطب اذا كان منهم غافلين عن الابداع فى التركيب مثلا فالسلام لم يعط إلا مجرد العبادة ولهم عليها ثواب مؤجل

ومن هذا القبيل انك تسمع الناس يقولون عند التمرية « لأراك الله سوأ » فهذا مستحيل فى الظاهر ولكن فى الحقيقة لاسوء لأن مصائب الناس سبب فى اسعادهم بل هى سلام ارتقاؤهم والموت من منازل ارتقاؤهم . فهم يقولون فى العبد « أبغاك الله لك كل عيب » أو « جعل الله جميع أعيادك سعادة » وكل هذه أدعية مطابقة للحقيقة لأن الناس لا يقنون بالموت بل هم أحياء . إذن السلام والأمان موجودان وان حجب عنهما الناس . والأولون ثوابهم معجل لأنهم شاهدوا جمال الصانع بمجرد مشاهدة جمال الصنعة وعقروا حكمه الحكيم فى مظاهر حكمته وذكروه عند مشاهدة بدائنه وصار ذلك سجية لهم . فهو لاء فى الدنيا سعاداء فما بالك بهم بعد الموت ؟ هذه أقصى سعادة لأهل الجنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب صباح

(اللطيفة الرابعة)

(سر من أسرار التنزيل قد أظهره الله في أيامنا هذه بالعلوم الطبيعية مع دوازتها بمحوادث التاريخ في تفسير قوله تعالى - يا أيها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -
جاء في آية أخرى - وجعل الشمس سراجا - وهنا يشبهه ﷺ بالسراج - إذن هو شمس وهذا كلام الله عز وجل - فاذا سمعنا النابغة يقول للنعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبد منها كوكب
فانا نقول هذا تشبيه لم يكن له أثر في الوجود - ولا جرم أن أعذب الشعرأ كذبه وهذا مستفيض فإن الأدب في جميع اللغات إنما تكون نتائج الانقباض والانبساط وعلى مقدار تباعد القول عن الحقيقة بالأساس الخيال يكون أوقع في النفس - إن نفوسنا المحبوسة في هذه الأجسام تريد أن تنال الحرية ولو في خيالها فتفرح بأنواع التشبيه والمجاز والكنابة - تفرح أن تسمع قول القائل
ففض الطرف إنك من نير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فهنا خفض قوم بعد الرفعة بمجرد هذا التخيل - وقول القائل في بني أنف الناقة
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وتفرح بقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيفنا ليل تمهاوى كواكب
فبجهد هذا التخيل من بشار رفعه على امرئ القيس القائل يصف عقابا
كأن قابو الطير رطبا وياسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي
هذه صورة آثار التشبيه عند العرب - فهل قول الله عز وجل - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا - كقول النابغة * كأنك شمس الخ * نظر في آثار النعمان فلا نجد له أثرا يشبه آثار الشمس - إن الشمس آثارا نراها وهي معروفة عند أهل الشرق والغرب - فهل هكذا آثار النعمان - كلا - ثم كلا - إن التشبيه والاستعارة والمجاز والكنابات كلها ترجع إلى أمر خيالي - وكلما كان الخيال أكذب كان أعذب - هذا هو اصطلاح علماء اللغة العربية ولذلك تجد الشاعر أيام مجد الأمة العربية كالمتنبي وأبي تمام والبحتري وأضرابهم لا يبتدئون القصيدة إلا بالغرل ويصفون فتاة بالجمال والحسن وانهم هاموا صباية ووجدنا وغراما والسماع يعلم أن كل ما يقوله مكذوب ورواة القصائد جميعا يعلمون ذلك - إذن التشبيه وجميع أنواع التخيل التي فصلت في علم المعاني ليست تراد بها الحقائق وقد جعل هذا في علم المنطق ركنا من أركان مادة البرهان الخسنة وجعل هذا الخامس مقصودا لأحداث الأسمان أو المرساة والقائل والسماع شريكان في العلم بكذبه - إذن لننظر في هذه الآية - ما آثارها في الوجود ؟ وما مناسبة النبوة لآثار الشمس ؟ لندرس الشمس من علم الطبيعة وآثارها في الأرض - لئلا نلحق هذا المقام برجل ماهر في اللعب أراد اظهار براعته فوقف في مكان متسع وقسمه (١٨٠) قسما وعلم الأقسام بعلماء وذلك في أرض العباسية بمصر ثم وقف في وسطها بحيث يكون (٩٠) عن اليمين و (٩٠) عن الشمال وكل (٩٠) قسمها ثلاثة أقسام بحيث يكون القسم الذي يليه من كل منهما يبعد بنحو (٢٥) درجة عن موقفه والقسم الذي عند النهايتين قريب من هذا في اتساعه فيكون مكان اللعب في الناحيتين (٦) أقسام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله - فلما رتب هذه الأقسام قال مخاطبا الواقفين في أيها الناس : أنا سألعب لعبة تدهشكم ولا تقدررون أن تأتوا بمثلتها فقالوا وماهي قال أرمي بكرتين

من يدي أنبيى واليسرى (ولا) تذهب إحداهما إلى الشمال وثانيتهما إلى الجنوب ولا تقعان إلا عند نهاية القسم الأول من كل ناحية بحيث لا يحصل خطأ منى مدة حياتى (ثانيا) متى وصلت السكرتان في الجهتين تنقسم كل منهما إلى قطعتين قطعة ترجع إلى من أسفل وقطعة تذهب إلى القسم الثالث من الجهتين . ومضى وصلت هاتان القطعتان إلى القسم الثالث يرسل رجلا ن واقفان على آخر الملعب من الجهتين كرتين آخرين فيرميان بهما فيجدلان محل هاتين القطعتين المرتفعتين في القسمين المذكورين وهذه الحركات متصلات منتظمة . فإذا رأينا لاعبا فعل هذا فإنه لا محالة يدهشنا لأننا نرى كثيرا من الناس يلعبون لعبة (البلياردو) والمدار فيها على أن الكرة المضروبة بالعصا تصيب كرة أخرى بشروط خاصة ، فهناك يحكم للاعب أو عليه ، أما هذا اللاعب فإن حركاته متى صدق فيها تكون من أدهش اللعب الذى لا يأتى الزمان بمثله

هذا المثل الذى ضربته تقريبا لما استرأ ، فللعب القسم (١٨٠) قسما هو نصف الكرة الذى نحن فيه ووسطه خط الاستواء ، فالشمس مثلنا لها باللاعب وحاررتها مسطرة على خط الاستواء والرياح تخف هناك فترتفع كما يرتفع الهواء في منازلنا بسبب الحرارة في ثنائينا ، ومنى خف هواء منازلنا هبت رياح شديدة من أبواب تلك المنازل داخلة على ساحاتها مع أن الجوى في جميع القرية وما حولها ساكن هادى ولا رياح إلا هنا لأجل الحرارة

فهذا المثل الصغير هو الذى يحصل بسبب الشمس فهى تجعل الريح عند خط الاستواء يخف فيرتفع فيذهب إلى الجنوب والشمال وهو الذى مثلنا له بالسكرتين . ومنى وصل هذان التياران إلى نحو نصف ٢٠ درجة من الجانبين قلت الحرارة الرافعة للهواء فأرادا النزول إلى الأرض كما تنزل الطائرة إذا قل ما فيها من (البزير) هناك ينزلان في تلك المسافة فيقابلان سطح الأرض فتقابلهما حاررتها فيرتفع كل منهما كرة أخرى إلى أعلى ثانيا وهو قسمان كما أن الكرة المتقدمة ارتفعت وهى مقسمة قسمين فيرجع قسم منه إلى خط الاستواء ليحل محل ما ارتفع هناك من الهواء بخفته وقسم يذهب إلى الدائرة القطبية من الجانبين . ومضى وصل هناك وقابل وجه الأرض خف ثانيا بسبب الحرارة فيرتفع وهناك يحل محله رياح تأتي من القطبين وهو الذى عبر عنه باللاعب في آخر الملعب من الناحيتين والرياح التي من جهة القطبين إنما أتت لتحل محل الرياح الصاعدة في الدائرتين المتقدمتين

هذه حال الشمس والهواء والبرد والحرارة ، اللهم إن الحرارة والبرودة جنديان سائقان لهذه العوالم وكرة الهواء حولنا هى ميدان العمل ، فما هى حياتنا ياربنا ؟ حياتنا راجعة لتدبير حكيم لو كشف لنا لاحتوت قلوبنا من الحب والبهش ، أمور بدیعة ، ماهذه الأعاجيب ؟ الشمس وحاررة منها سلطت على خط الاستواء جرت الرياح فقابلت الأرض حوالى دائرتى الجدى والسرطان فتقابلتها الحرارة فارتفعت ثانيا ثم وقعت عند الدائرتين القطبيتين وحلت محلها رياح أخرى ، ثم إن هذه الحركات لا مقطوعة ولا منوعة . إن الهواء ساعة وسلكها الذى هو (الزمبلك) هى الشمس . وهذه الساعة لا تقف تدور ليلا ونهارا والناس غافلون نائمون . الناس جميعا يا الله يعيشون ودواليب هذه الساعة تجري فوقهم وتحتهم وهم يعيشون فيها وغاية الأمر أنك أنت علمتهم صناعات ليعيشوا بها وماهى إلا ضرب مثل لهذه المجازب المحيطة بهم ومن أجلها حرارة الشمس وتأثيرها في الهواء الذى لولاه لم تكن هذه الحركات فيه ولم يكن سمعاب ولا مطر ولا أنهار ولا حيوان ولا إنسان ولا علماء . فلأن هذا اللاعب في المثال المتقدم زاد على ما قاله فقال إن هذه الحركات يستنتج منها مخلوقات حية وغير حية لكان هذا من أعجب العجيب (أنظر شكل ١ في الصفحة التالية)

اتجاهات الرياح



(شكل ١ - تقلا من الاطلس الحديث)

انما رسمت هذا الشكل لك أيها الذكي ليزيد فهمك بهذا الموضوع وما هو؟ هو المشبه به في الآية لأنه
 سراج بنفس الآية والسراج يطلق على الشمس، فزيد أن نبيين آثار الشمس العامة ثم نكتبه بآثار
 الاسلام والقول في الأرض، ثم نبين آثار أعظم الفلاسفة فعلا في أرضنا، وهناك فقط نفهم أن قول الله هنا
 - وسراجا منيرا - ليس كقول شعراء العرب في الجزيرة وفي البوادي للنعمان بن المنذر

﴿ كأنك شمس ومالوك كواكب الخ ﴾ . إن حرارة الشمس تقع على خط الاستواء فيرتفع الهواء
 نحو (٢٥) ميل، ومعلوم أن الحرارة تمتد الأجسام فتخف كما قلست لك، ومتى ارتفع الهواء بسبب الخفة
 تحمل معه رياح من الشمال والجنوب ثم هو يتأثر بالحرارة ثانيا ويرتفع وهكذا، فترى الرياح المرتفات عند خط
 الاستواء تجرى إلى الجهتين ورياح أخرى تجرى من تحتها من الناحيتين إلى خط الاستواء فهي دائرة دائما
 أبدا. وهذه أشبه شيء بالدولاب يجرى ليلا ونهارا وكالمنجم والشمس والقمر. والتي تهب إلى خط الاستواء
 من الناحيتين تسمى الرياح المنتظمة أو الرياح التجارية المرتفعة إلى الشمال والجنوب تسمى الرياح
 التجارية الضدية والرياح الآتية من القطبين تسمى بالرياح القطبية. فهنا رياح تجرى من القطبين ورياح
 تجرى من خط الاستواء ورياح تجرى من بعد مخصوص إلى خط الاستواء وإلى الدائرتين القطبيتين. وهذا
 هو التدبير والنظام البديع

يقول الله هنا - يأيها النبي إنا أرسلنا شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴿ وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ﴾
 وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا -

ها أنت ذا أيها الذكي عرفت المشبه به وهو الشمس وعرفت آثارها وانها بحرارتها حركت هواءنا فارتفع
 ثم انخفض ثم ارتفع ثم انخفض وهو في ذلك دولاب يجرى والمحرك للدولاب هي الشمس
 الله أكبر. ماذا كانت نتيجة هذه الحركات والدواليب الدائرات نتائجها بدية وجمية. نتائجها سحب
 يجرى بجرى الرياح والسحاب أنى بآثار الحرارة في الماء. فالحرارة أثارت الرياح من البحار والحرارة أثارت
 الهواء. فهذان الاثران يلتقيان ويتعاقبان وهما أخوان البخار والهواء الجارى كلاهما بسبب الحرارة.
 فتراهما يتعاقبان ويحمل أحدهما وهو الهواء أخاه وهو البخار ويجرى به. لماذا يجرى به؟ ليس في الأرض
 فيكون الزرع وكل حي. عجيب جدا! حرارة تهب منها حركتان. حركة لتيار يؤخذ من الهواء. وحركة
 لبخار من الماء. فيجرى هذان الطائران يلتقيان ويحمل أقواهما وهو الهواء أخاه وهو البخار الذي صار
 سحبا فيمطر على الأرض فتكون الأنهار والزرع والثمار والحيوان. المشبه به جميل جدا بهي حسن.
 فإذا تقول في المشبه به وهو النبي ﷺ

﴿ السكلام على آثار النبوة وهي المشبهة بالشمس ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام حضر صاحبي فقرأ ما كتبه الآن فقال: إن ما كتبه الآن قد تقدم في هذا
 التفسير. أفلا يكون هذا تكرارا؟ مسألة الرياح القطبية. والرياح التجارية المنتظمة. والرياح التجارية
 الضدية. كل هذا قد تقدم في هذا التفسير وأزيد على ما ذكرت هنا الرياح الموسمية. ذلك أن الأرض تتأثر
 بالحرارة أكثر من الماء فيصعد الهواء من فوقها إلى الجوف والماء طبعا محيط بالقارة فيجذب الهواء الذي فوق
 البحار ليحل محل الهواء المرتفع فيحمل البخار فيكون المطر على السواحل فتكون إذن حرارة الصيف في
 القارة سببا لارتفاع الهواء وحلول هواء البحار محل الهواء المرتفع وقد حل معه البخار فكانت الحياة فيحصل
 المطر صيفا على الشواطئ كالذي يحصل في جنوب آسيا وجنوبها الشرق وبهذه تعيش أمم وأمم. وهذه هي
 الرياح الموسمية. أما في الشتاء فإن الهواء يخرج من وسط القارة إلى البحار لأنها إذ ذاك تكون أدفأ من
 الأرض. وهذه الرياح تهب (٦) أشهر إلى جهة تهب بالعكس ستة أشهر أخرى وهي في ذلك كنسيم البر

والبعض فان النسيم عند شواطئ البحر بالليل يهب من البحر الى البر ويسمونه نسيم البر . لماذا ؟ لأن الأرض أسرع برودة من الماء وفي النهار يهب الهواء من البحر الى البر ويسمى نسيم البحر لأن الأرض أسرع حرارة فيرتفع هوائها ويحل محله الهواء الذي فوق الماء فتتم هناك دائرة كالدوائر الحاصلة من الرياح الموسمية والرياح التجارية ونحوها . ثم قال : هذا القول منك تكرار لما تقدمت . قلت . كلا . بل يجب ايضاحها ﴿ لسبيين ﴾ السبب الأول ﴿ إن كثيرا من الأذكيا لم يتصوروا ما كتبته سابقا حق تصوره لذلك رسمت هذا الرسم حتى يعرفوا الحقيقة العلمية التي تعيش بنظامها ، فأعادة القول هنا ليعقلها من صحت عليه هناك ، والرسم هنا لم يكن له نظير فيما تقدم ، وأيضا هذا لزيادة التثبيت وتذكير بحمال الله وإبداءه وحسن صنعه وجماله وإن لم يكن التذكير تدوم الغفلة ، ومعلوم أن الله يكرر القصة على أنشاء شئ في القرآن ليكون ذلك أدعى للاعتبار والحكمة إذ في كل مرة تظهر حكم ليست في غيرها ، فهنا لا بد من ذلك ﴿ السبب الثاني ﴾ في اننا هنا نريد أن نفهم الحكمة في جعله ﷺ سراجا منيرا ، ولما نعرف المشبه إلا بعد ادراك المشبه به فاذا لم تفصل الكلام فيه لم ندرك المشبه بقدر طاقتنا ، فاذا فصلنا الكلام في المشبه به هنالك ندرك المشبه ، ولا جرم أن هذا من التشبيه المركب وأعظم التشبيه المركب ما قاله بشار وغيره وهو

﴿ كأن مشار النقع فوق رؤسنا الخ ﴾ فالتشبيه المركب الذي قاله محصاه أن غبار الحرب المحيط بالشجعان تطلله السيوف اللوامع ذاهبات آيات صر تفعات منخفضة . مشبه هذا كله بليل داج حالكة تساقطت فيه الشهب من السماء . تتخلل اكثافه لامعات متقابلات كثيرة الحركات

هذا أعظم تشبيه عند العرب كما يقول علماء البيان ، قالوا نعرف المشبه به هنا لم يمكننا ادراك المشبه . فقال حسن هذا ولكن المقام هنا صعب كيف فصل الى أن يكون النبي ﷺ كالشمس في هذه الحركات . فقلت إن الله شبه القرآن بالصليب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . فهذا التشبيه المركب أرق من تشبيه بشار المتقدم . ألا ترى أن القرآن شبه بالمطر وهو الصليب . والوعيد في القرآن شبه بالرعد . والبرق شبه بالحجج . ومن يعرض عن سماع الوعيد يشبه بمن يضع أصبعه في أذنه خوفا من الرعد . ومن يسمع الحجج في القرآن ثم يعرض عنها كمن يمشي في البرق وإذا أنظر وقف ولم يتحرك . فهذا التشبيه المركب أوسع نطاقا من تشبيه بشار . وقد تقدم هذا في ﴿ سورة البقرة ﴾

هنالك قال صاحبي : « أسمع عجمجة ولا أرى طعنا » . ماذا أفدتنا بهذا التشبيه ؟ أنا أعترض عليك من ﴿ وجهين ﴾ الأول ﴿ إن الآية هنا انه ﷺ سراج منير . ولكن أنت تذكر أن القرآن مشبه بالمطر ورجعت في قولك الى ما ذكرته أنت في أول البقرة ﴿ الوجه الثاني ﴾ ان أول كلامك أفهمنا انك ستظهر لنا سرا مصونا من تاريخ النبوة يشبه ذلك السر المصون الذي ظهر في الشمس لأنها بحاررتها وحدها كانت منها الرياح الموسمية ونسيم البر والبحر والرياح الاستوائية والرياح التجارية المنتظمة والرياح الضمنية والرياح القطبية . وكل هذه حاملات سحبا وسفنا ونعما . فأنت لم تأت لنا بهمة في النبوة تناسب المشبه به وغاية الأمر انك رجعت الى علم التشبيه الذي أنت نهيت عن الوقوف عنده لأنه أصغر لفظي . والأهم الاسلامية الآن قد عرفت من آثار النبوة ما لم يكن فيما مضى في الزمان الأول . وقد نقلت أنت عن العلامة السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » في ﴿ سورة العنكبوت ﴾ أن الأنبياء كانت مهجراتهم كلها حسية . أما مهجراته ﷺ فهي راجعة الى ما سيظهر في القرآن للأئمة والأجيال من المعاني التي تتجدد بتعدد الأمم والأجيال . وملخص اعتراضي ﴿ أمران ﴾ انك لم تذكر النبي ﷺ في التشبيه بل ذكرت القرآن . وانك لم تأت بما كنا نترقبه . فقلت له : أليس عندك اعتراض بعد هذا ؟ فقال لا . فقلت من عجب انك في هذا الاعتراض أشبه بهؤلاء الذين يقال عنهم انهم يقرؤون الآفكار . إن كل ما قلته هو الذي ستسمعه وغاية الأمر اني أتيت

بهذا التشبيه مقدمة فقط للجواب الشافي . فلأنا نك صبرت على لو جئت الجواب على النحو الذي ترضاه . فقال
أنعم برّد جواب ما أنا سائل عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت إن النبي ﷺ أرسل في جزيرة العرب ، وهناك أرسل الجيوش هو وأبو بكر وعمر وبقية الخلفاء
إلى أطراف جزيرة العرب والفرس ومصر وبلاد المغرب والأندلس والسودان وهكذا في جهة الشرق إلى بلاد
الهند والصين ، فهذه الجيوش كالرياح والقرآن معها كالسحاب ، فإذا كانت الشمس أرسلت بحراراتها رياحا
في الهواء عند خط الاستواء وكانت لها فروع وفروع وكانت الرياح الموسمية ونسيم البر ونسيم البحر وهكذا
وجلت تلك الرياح السحب فأمرت الأرض هكذا هذه الجيوش الحرارة المجاهدة والعلماء والفقهاء والحكماء
الاسلاميون ، فهؤلاء كلهم هم رياح مختلفة الأشكال يسمون بأسماء مختلفة ، وهؤلاء يحملون السحاب ،
فالقرآن منزل عليه ﷺ والجهاد بتعاليمه ، ثم إن الدين انشعب بالدعاية ، فلننظر إلى رياح الجهاد الواصلة
إلى الأندلس لنجعلها مثالا لنا لنستدل على الباقي ، أليس الاسلام بقي في الأندلس (٨٠٠) سنة ؟ أليس هو
كالرياح التي وصلت إلى أحاد المدايرين (الجدى والسرطان) وقد قلنا إن الرياح هنالك انقسمت قسمين قسم
رجع إلى خط الاستواء ، وقسم ذهب إلى الدائرة القطبية ، فانظر الشكل السابق ، هكذا السحب الاسلامية
التي وصلت مع رياح الجهاد إلى الأندلس قابلها القوم أيام (ابن رشد) بحرارة التعصب ضد العلم لأن العلم عند
هؤلاء قد اعتقدوا أنه ينافي الدين فارتفع عنهم إلى أهل أوروبا وأخذ يرقى القوم وقد نام المسلمون إذ ذاك
نوما عميقا ، ولأذكرك بمسألة وهي إن الله رب العالمين لأرب المسلمين وحدهم ، وإذا خلق الشمس فلم يخلقها
للمسلمين وحدهم بل خلقها لأمم ولكواكب كثيرة ، إذن نبينا ﷺ جاء لا يقاطأ أهل الأرض مهما كانت
نحلهم وأديانهم كما إن الشمس لأهل الأرض جميعا لأن الله رحيم ورسوله رجة للعالمين

إذا فهمت هذا عرفت السر في أن أوروبا لما أخذت علم (ابن رشد) كما عرفته في غير هذا المكان
قامت من رقتها وهناك حصلت هناك شعبتان شعبة توجهت إلى أمريكا في أيام اضطهاد المسلمين للعلم ففتحت
أمريكا وشعبة رجعت إلى الشرق بالحروب الأوروبية ، فهنا نحن أولاء نرى أهل أوروبا لما أيقظتهم الحروب
الصليبية التي تشبه من كل وجه الرياح التي تأتي من المدايرين إلى خط الاستواء رجعوا إلى بلادهم ووجهوا
همهم إلى أمريكا من جهة وإلى أمم الاسلام والشرق من جهة أخرى . فهم فتحوا أمريكا فارتقت وهم جاؤا
بلادنا يحاربوننا ومعهم تلك العلوم التي تصرفوا فيها ورقوها بعد أن أخذوها من آبائنا . أليس هذا بهينه
هو الحاصل من الشمس ؟ شمس تشرق على خط الاستواء فتثير الرياح فتصل إلى مدارى (الجدى والسرطان)
فتكون هناك (ريحان) إحداهما تتجه إلى خط الاستواء . والأخرى تتجه إلى جهة ضدها . فهنا كذلك
اتجه الاسلام إلى بلاد الأندلس ولما استقرت هناك العلم مدة كره المسلمون العلم فحمله اليهود إلى أوروبا فدهشت
من هذه التعاليم فأخذت ترتق وتوجه منها قوم إلى أمريكا وطردها المسلمين من بلادهم لأنهم جهلوا العلم
والدين . وهاهم أولاء يجرون وراءهم في شمال أفريقيا وفي آسيا . فهذا نفسه هو الذي حصل في الرياح
بحرارة الشمس إذ توجه منها تياران مختلفان لما وصلت الرياح إلى المدايرين . فهكذا هنا تياران مختلفان .
فأما أمريكا فقد ارتقت وبقى أمر أمم الاسلام فهذا دورهم ولا عيب علينا في ذلك فان الرياح الجارية من خط
الاستواء تحل محلها الرياح الآتية من المدايرين . وإذا كان هذا طبيعة ملك الله فلنسر على نظامه ولنعلم أن هذا
هو وقتنا وأيام رقينا . ومماثل هذه الأمم الاسلامية مع دينها إلا كمثل أرض نزل عليها القيث فأبنت نباتا
حسنا ولكن تركت بركا ومستنقعات هنا وهناك لعدم المصالحين للأرض وهذه البركة أخذت تسكن وتزداد على
مدى الأيام فبعد أن كانت الأرض أخذت زخرفها وازينت أصبحت كلها حشائش ومياها صرة قفرة وأرضا
مستوخة كثرت فيها الأمراض والجدرى والحصباء بجعل أصحابها

هذه حال المسلمين لما نسوا الشمس الحمديدية وناموا على كلام شيوعهم المتفرقين وظن كل شيخ طريقة أو عالم مذهب من مذاهب الاسلام أن الدين هو ما يعرفه وما عداه لا يجب عليه ولا على الناس صار الناس كأنهم في مستنقعات وبرك ، ولذلك ترى المبتدعين والخارجين وأصحاب المذاهب السقيمة كثروا في الاسلام فهؤلاء كالماء الراكد أضربوا بتلاميذهم وتحتجواهم عن العلم فدلوا ، وكأن الشمس تظهر الأرض هكذا النور الحمدي بالرجوع اليه يستيقظ المسلمون

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا حسن ، ولكن من المسلمين من منع عنهم المستعصرون العلم . فقلت ولكن لا يمنعون القرآن ولا هذا التفسير ، وهذا التفسير وأمثاله في أهم الاسلام كثير منه يفهمه كثير من العقلاء وإن لم يكونوا متعلمين العلوم الحديثة ، وهل للمسلمين غير بعد الآن

فاقرأ أيها الذكي مذهبك الذي تعلمت في الصبا ، فليس يناقض هذا التفسير لأن المذاهب كلها في أمور عملية جزئية وهذا في الأمور العامة ، ومنه يظهر لك بعض أنوار الشمس الحمديدية التي بها تعرف أن وقوف المسلمين في هذه البرك والمستنقعات المملوءة من الحيوانات الذرية الفكرية الضارة بالمسلمين هلاك لهم وهم أجدر بالسعادة والرفق من جميع أمم الأرض

فقال صاحبي : الآن فهمت ، ولكن أين موازنة نبينا ﷺ بأعظم الفلاسفة . فقلت إن أفلاطون أنف جمهوريته وهي أعظم كتاب ألفه عالم في الأرض كلها ، وهذا الكتاب علم عرف الأمم كيف تنظم الحكومات والجند والعامة ، وما الذي يرقبها ، وما الذي يخفضها ، وتقدم تذييلها في هذا التفسير ومع ذلك لم نجد لهذا الفيلسوف دولة بل انه مع شهرة كتابه الآن وانتفاع الأمم به لم يحدث جزأ مما أسدته هذا النبي العربي الذي استحق بمقتضى التاريخ وتناجح أعماله أن يسمى ﴿سراجا منيرا﴾ لأنه حرك الكرة الأرضية كلها حتى ان الحركة وصلت الى اليابان والصين ، فاليابان ما حركها إلا تعاليم أوروبا والصين كذلك ، فحركات الإصلاح تتجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسبب الحركة الاسلامية . إذن هو ﷺ شمس منبر حقا وبه ارتقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والمسلمون الخاليون الذين جنى عليهم جهل آبائهم المتأخرين سيأخذون دورهم في الرقي وتمتد رياح سعدهم الى الأمم ككرة أخرى تحمل لهم علما غزيرا

فقال صاحبي : إن هذا البيان عجيب وأنا أجد الله عليه . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٨) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

﴿زيادة ايضاح في بعض أسرار قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

وداعيا الى الله بآذنه وسراجا منيرا -﴾

لقد تم الكلام على تفسير هذه الآية وايضاها ولكن لابد من ايفاء المقام حقه من حيث العمل بعد العلم في بلاد الاسلام . لاجرم أن ضوء الشمس له منافع جمة في علم الطب . ولقد أكثر الأطباء من تعداد منافع التمرض للهواء والشمس نابذين تغطي الأدوية من الصيدليات في أنحاء العالم . ومعنى هذا أن الأطباء في انعام اليوم رجعوا فعلا الى منافع ضوء الشمس والهواء والتداوى بما هو طبيعي . وهامهم أولا ينسكرون كل الانكار ما يزاوله الأطباء غالبا من المداواة بالعقاقير المشهورة ويقولون انها تحدث أمراضا وأمراضا . وهذا القول نقلته في ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وهكذا ترى كثيرا منه في ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية - وكاوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي ﴿سورة الحجر﴾ في أوائلها عند الإشارة الى قصة آدم وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - وإذا صرخت فهو يشفين -

فترى في هذه المواضع ما يفنيك في علم الطب ويرجعك الى المعالجة الطبيعية ومن أهمها ضوء الشمس . هذا في شمس السماء وهي المشبهة بها ، أما المشبهة في الآية وهو رسولنا ﷺ فأننا نريد أن نعرف لماذا كان هذا التشبيه وما فائدته لنا معاشر المسلمين الآن بطريق أجلى بحيث نعرف من هذا التشبيه ما عرفه الأطباء في علمهم ، فإذا كان الأطباء رجعوا الى ضوء الشمس ونحوه في طبهم وهم مصيبون فهل أمراض المسلمين الاجتماعية يكون الشفاء منها بنفس هذا التشبيه وبقوله تعالى ... وسراجا منيرا ... هذا ما أريد بحقه اليوم فأقول : اللهم إني أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم وبهجة الحكمة . اللهم إني أجدك أنت الذي أعنت ووفقت وشرحت الصدر ودبرت الأسر ووعدت ونصرت وأوفيت العهد فأنا أسألك اللهم أن تجعلنا وافرين بهمديك حتى نستحق منك هذا الوفاء وهذا الجليل وهذه النعم العظيمة التي نحن نقر بها ونحمدك عليها

أيها الذكي : أكتب هذا صبيحة يوم الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ م ذاكرا ما اتفق لي أمس الأربعاء (١٨) منه ، ذلك اني أحسست بالبرد في كتيبي اليسرى وأقدعت أن أتعرض لضوء الشمس متى أحسست بهذا الألم منذ سنين طويلة فيذهب ذلك المرض ، ومن أعجب العجب اني قبل أن أعرف ما لضوء الشمس من الفوائد ولم أقرأ في كتب الأطباء وبعد ما جرت به صح عندي

أقول : إذ ذاك قابلت طبيبا مصريا فسألت : لم لم يظفر الأطباء بفضل حرارة الشمس مع اني أنا عرفت منفعتها في شفاء جسمي ، فكان جوابه : لقد وضعوا الأدوية الحارّة وهي من نوع حرارة الشمس ، فسكت ورضيت بهذا الجواب ، ثم بعد ذلك اطلعت على فوائد الضوء الذي تقدّم في هذا التفسير مشروحا شرحا مستفيضا من أقوال نفس الأطباء فدلّ ذلك على أن ذلك الطبيب الذي سألته قبل ذلك كان مقصرا أشدّ التقصير في جهله الامور العامة وحصر فكره في العقاقير الطبية فله كمثل كثير من علماء الاسلام في القرون المتأخرة الذين حصروا عقولهم وأضاعوا مهجهم ووضعوا نبوغهم في المسائل الجزئية من الطلاق والبيع والحيض والنفاس ولم يرفعوا رؤسهم الى الشمس المشرقة المحمدية فيدرسوا نفس القرآن ونفس السيرة المحمدية وسير الصحابة والتابعين ليستخلصوا من ذلك رقى الأمم الاسلامية المسكينة ، إن نسبة هؤلاء في علومهم المحصورة كنسبة الأطباء في حصص عملهم في العقاقير المشهورة ونسبتهم في رجوعهم الى القرآن وتفسيره بالهيئة الحديثة التي رأيتها كنسبة رجوع الأطباء الى التداوي بالماء وضوء الشمس وبأطواء النقي

أقول : لما أحسست بذلك البرد توجهت الى الخلوات خارج القاهرة وجلست في مكان قصي نحو ساعتين متعرضا للشمس على عادي ، وبينما أنا كذلك إذ صاحني قد تبع خطواتي فسمعت نباحة خلفي فسلمت وحيا وجلست وقال فيم تفكر الآن . فقلت وإذا عرفت اني أفكر فلماذا قصدت قطع التفكير ؟ فقال قصدت لك بعد مدة كافية لتنام الفكر . فقلت أنا أنظر الى الشمس والى السحاب وأعجب من مهرجان وعرس وأفراح في هذا الجو . أنظر : ألت ترى السحاب يحيط بالآفاق شرقا وغربا . ها أنا ذا جالس على هذا الرمل وأرفع طرفي فأرى قبة زرقاء تحيط بي مهندسة الشكل بدیعة الوضع حواشيها موشاة بالسحاب المجلّة لآفاقها . وهاهي ذه تمايل ذات اليمين وذات الشمال وتتقارب وتتباعد . أفلمست ترى أن هذه هي عين ما يفعله الناس في أعراسهم وأفراحهم ولأنهم في عقود زواجهم . الناس شرقا وغربا قديما وحديثا يصنعون الولائم فيضربون الطبول ويطلقون الرصاص من البنادق بل القنابل من مدافعهم . ولهم أغان يفسدون بها مجالس ابتهاج مجموعهم وأنعام يذبحونها وصداقات يوزعونها وأعلام يرفعونها . لم هذا كله ؟ لا فتران فتى بفتاة أو ولادة ولد . والمظاهر عادة تتبع في ضعفها وقوتها العسر واليسر والغنى والفقر وكل امرئ بقدره

فإذا كانت هذه طبيعة الانسان فهي تجمع عليها واجتماع الانسان على عمل واحد يكون له شأن الفطرة والفطرة صادقة . فلم هذا كله ؟ نظرا فوجدنا هذا الاقتران نتيجه الولادة والولادة ترجع الى وجود سحي على

الأرض . إذن هذا الانسان انما يكون فرحه بالوجود ، فلا فرح إلا بوجود ولا حزن إلا على مفقود ، ثم ننظر فنرى أن الذرية التي فرح بها الانسان ربما تموت ، وربما يموت الأب قبل كبر الابن ، فدلنا ذلك على أن هذا الفرح فرح جزئي لا كلي لأنه ليس بدائم ، وماليس بدائم لقيمة له ، إذن عواطف هذا الانسان وهذا الحيوان عواطف جزئية جعلت غرائز لأعمال جزئية لادوام لها ، فلننظر إذن في العوالم التي منها خلق هذا الانسان فنرى هذه الأفراح والأعراس تقام في السماء دائماً من يوم أن خلقت السموات والأرض . ولن تقام تلك الأعراس إلا ابتهاجاً بالوجود العام كما أقامها الانسان للوجود الخاص ، وعظمة أفراح السماء مناسبة لعظمة الموجودات التي أقيمت الأفراح لها

أنظرأيها النكح : ألسنت ترى هذه الشمس تختفي تارة وراء هذه السحابة وتارة تظهر كأنها تفعل فعل الناس في أعراسهم يظهر آفانين اللعب ، وبعد الاختفاء يظهر وجهها كرة أخرى وقد رفعت ثيابها تحييني أنا وتحبيك بالسلام وهي بسامة ، ثم إن أفراح السماء عاقمة ، فهذه أمالك في جميع جوانب السماء لأن هذا الفصل فصل المطر وقد جعل المطر للحياة . فأفراح السماء ترى

(١) السحاب

(٢) والرعد والبرق

(٣) وأصوات الرياح المنفيات بأعواد الأشجار

(٤) ولأعشاب والزروع الراقصات على تلك النفثات وفيها الطيور المنفردات بأنواع النفثات

(٥) وهل فعل الانسان غير ذلك في أعراسه ؟

مدعوون كالسحاب كثرة وقلة . وإطلاق الرصاص من البنادق والمدافع يحدث صوتاً مشاكلة للرعد وضواً مشاكلة للبرق وضرب الدفوف والطبل مشاكلة لأصوات الرياح والرقص والغناء كرقص الأشجار وغنائها وغناء الطيور

ولكن الفرق بين العرس الذي أقامه الله وأعراس الناس انه عرسه دائم بدوام السموات والأرض يراه الآباء والأبناء وعرسنا ذاهب جزئي مقتر بمقدار عواطفنا وأحوالنا . ثم انما مثل المسلمين السابقين بعد العصور الأولى الذين هم خير العصور المتصيرين على دراسة القسور من دين الاسلام في اقتصارهم على كتب خاصة في المذاهب المعروفة كمثل أهل الأرض في إقامة الزينات وأعداد الولائم في أعراسهم الجزئية وحال المسلمين الذين يقرؤون اليوم أمثال هذا التفسير وينظرون في القرآن ويفهمون هذا الوجود فهما حقاً انهم يرون ما أراه أنا وأنت اليوم أيها النكح فقال وما هو ذلك ؟ فقلت اني أنظر فأرى أن هذه الأعراس والزينات المقامات في هذه الآفاق مقصودة لدعوتنا أهل الأرض أن نشاهد العرس الأعلى والأوسع نطاقاً . فهمة العاقل تتجه الى المثل الأعلى والمثل الأعلى هنا أن نعرف لم دامت هذه الزينة السماوية دائماً ؟ فقال لدوام الوجود من حيث الكليات كالسكواك ومن حيث الجزئيات كالمواليد على الأرض . فقلت إذن سيتجه نظر المسلمين بعدنا الى هذه الأعراس العامة ولا ينحصر نظرهم في الأعراس الخاصة . قال ان شاء الله فيدرسون الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والهواء . وهناك يفرحون ويقرؤون . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . وهناك يفهمون لماذا قال الله هنا في الآية - وسراجاً منيراً -

ومتى برزت الشمس قتل ضوءها كل المكروبات (الحيوانات الذرية) وأزال العفونات من الأرض . فهكذا متى درس المسلمون أمثال ما نكتبه في هذا التفسير زالت تلك العفونات العلمية والأخلاق الوراثية التي خلفها ثناس من قبلنا لم يرفع شيوخم أعينهم الى معرفة نفس القرآن ونصوصه ولا الى جلال الله وإبداع تركيبه . وهناك سيتجه الجميع وجهة واحدة فيعرفون الجلال الأسمن والحكمة في هذا الوجود . وهناك

يفرحون بالوجود الأعلى وهو الوجود الدائم وجود رافع هذه الزينات ومرسل الرياح في الآفاق ومعلم الطيور أنواع الغناء . ومطلق في الجوّ أصوات الرعود ولألاء البروق والجمال فبمدل أن يفرح الناس بمولود يموت وبزوجات ستفارق وبنم ستزول . يفرحون بوجود هو الحاضر الدائم الذي لا يفارقهم . وهناك يعلمون أن تلك الأعراس وتلك الزينات الجزئية ماهي إلا مدرسة صغرى ومقدمات لفهم الأعراس الكبرى ومتى عرفوا أن هذه الأعراس والأبناء كلها فانية توجه للعرس الأكبر ولأن أقام زينته ونصب خيمته وهو الوجود الذي لا ابتداء له ولا غاية . هناك يرتقى المسلمون ارتقاء لاحتماله وتضمحل تلك الحزازات الحقةرة الصغيرة التي ولدها قصر النظر الذي طال أمده إذ يرون دراسة الوجود كله دراسة القرآن وما اختلف في الإسلام إلا كاختلاف الأشجار ورقا وطعما وجالا لا غير

وهذه العقول الإسلامية بعدنا التي يكون فرحها وعلمها كلها متجهة الى نظام هذه الدنيا يسمعون في الدنيا وفي الآخرة لأنهم يعرفون الرحمة التي تقدم تفسيرها في أول ﴿سورة الروم﴾ وما بعد هذا للتسمة ويرفقون بأن من جعل هذه العوالم خدامات لكل انسان ليس يرسل آلاما لمخلوق إلا لفائدة ذلك المخلوق وهو لا يدرك حكمته . ولأنهم يرفقون بعد دراسة ما تقدم بذلك كل الايقان . وهناك فقط يعرفون معنى قوله تعالى - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تفلحون - فلا يقن بالقاء ولا فرح بذلك اللقاء إلا بعد تفصيل الآيات التي جاء بعضها في هذا التفسير وبدون ذلك لا يقن بل هو ايمان . فآلة أخذ ينصل الآيات اليوم في السكر الأرضية . وهانحن أولاء ذكرنا بعضها وسيقوم بباقيها من بعدنا . وهاهي ذه أيام اليقين قد أقبلت ويدرس المسلمون نظام الدنيا ويرفعون شأنها ويرجعون الى ربهم فرحين به مستبشرين

فقال صاحبي : فاذكر لنا كلمتين فيما رأيت اليوم من الأفراح كلك عامة وأخرى خاصة حتى يكون ذلك نموذجا لتفكيرك اليوم . فقلت أما الكلمة العامة فاني أقول لك انك يحق لك أن تقول ان هذه القبة السماوية والأرضية وما بينهما . وهذه الأعراس الطبيعية القائمة الآن هي لك أنت . قل وهل الوجود ليس فيه غيري ؟ قلت انها لك أنت . فقال ما البرهان ؟ فقلت أنت من الأمة المصرية البالغة (١٤) مليوناً وارتقاؤها ينفك وضعفها بضررك . قال حقا هذا . إذن كلهم نافعون لك اجالا . قال هذا حق . فقلت والأمة المصرية بينها وبين الأمم علاقات التجارة والبريد والطرق الجوية للطائرات والبريد الجوي والبحري وهكذا قال حقا . قلت فكل الأمم نافعات لها . قال نعم . قلت ولك . قال ولى . قلت الشمس والهواء والسحاب كلها نافعات لك ولأمتك وللأمم والحيوان والنبات الخ . إذن هذه الشمس وهذا الهواء مسخرات لك لأنها نفعت الأمم النافعات لأمتك النافعة لك . إذن العوالم كلها تخدمك ولا ينافي هذا انها تخدم غيرك لأن هذا نظام إلهي بحارفيه العقل . فكما خدمت الأمم كلها والعوالم نفسك هكذا أنت تعتبر خادما لأمتك ولأمم غيرها بطريق غير مباشر . هذه هي الكلمة الكلية العامة

أما كلمتي الخاصة فاني أقول إن هذا الانسان لن ينال السعادة التامة إلا بعد معرفة الحقائق معرفة تامة والمعرفة التامة في هذه الدنيا مستحيلة لأنه محبوس في جسده بل هو محبوس في سجن مظلم ولم ينل من العلم إلا قليلا لأنه محبوس بالام داخلية وأخرى خارجة كالسجنين في سجون الجرمين في عالم الأرض ولكن هذه وهو هنا قد يتلمس بعض الجمال من خلال نوافذ السجن كما سأوضحه هنا فأقول :

إني اليوم لما توجهت للقاء العراء وفسح الخلاء لم أجد هاديا يهديني الى الطريق إلا ضوء الشمس . هذا الضوء لولاه لم أعرف الطريق . وهذا الضوء هو نفسه الذي بسببه امتص الورق في الأشجار مواد الكربون (الفحم) البالغ جزءاً من ألف جزء من الهواء كما سترام موضحاً مشروحا في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - سبحان الذي خلق الأزواج كلها - الخ . فالضوء به كان هذا الورق في الأشجار المحيطة بنهر النيل حولي

وسترى هناك فتحات الورقات مصورة بالصور الشمسية وقد شرعها العلماء فقالوا إن كل فتحة ترسل إلى حجرة ذات خواطش شفافة مغطاة بسقف بديع وفي داخلها مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء بها تسكون خضرة النبات ، وفي الورقة الواحدة قد يكون نحو مائة نجمة أو مائتين وقد يكون فيها ألوف بل ألوف الألوف في نفس الورقة الواحدة وكلها بهذا الصنع المتقن ، فإذا أيقن المسلم بذلك وهو لا شك يرقن لأنه سيشاهد بعينه تلك الحجرات ويقرأ شرح العلماء لها

فهذا الايقان الذي منحه الله لقراء هذا الكتاب ستخرج به طبقات ممتازات في بلاد الاسلام يرفعون أعينهم إلى أعلى درجة في الكمال ، وهل يفكر الجاهل في ضوء الشمس ؟ وانه نعمة . كلا . إن أكثر هذا الانسان لا يرى نعمة إلا ما يختص به أو كان ممنوعا عنه فبذل له كالغنى بعد الفقر إن من عرف ربه بهذه الرحمة وأيقن أن الآلام والمصائب المحيطة بالانسان لم تخرج عما تقدره الحكومات الأرضية في الناقصين من بني آدم اذا سجنوهم ، واستنتج من ذلك أن هذا الحكيم لن يفعل ذلك فينا إلا لتدقق بمالم أعلى من هذا العالم الناقص كما تفعل حكوماتنا في الناقصين منا حتى يصلحوا لأن يعيشوا معنا غير مفسدين لأنفسنا ، وهناك تجرّض هذه الطبقات الممتازة أمم الاسلام على الاعتراف من الحكمة والعلم . وهذه الطبقات الممتازة في بلاد الاسلام المؤمنة بهذه الرحمة الواسعة تكون صفاتهم الممتازة أنهم يحبون أممهم بل كل أهل الأرض ويسعون لرفيهم ويفرحون ببقاء ربهم

فهم إن عاشوا عاشوا سعيداء مسعدين وإن ماتوا ماتوا فرحين ببقاء ذلك الحبيب الذي أسعدهم بالخيرات وهذبهم بالنعم . فالتزم وانقم سيان عند قراء هذا التفسير وأمثاله واعلم أيديكم الله أيها الذكي أن كل ماورد من صفات هذه الأمة وفضلها وأما خير أمة أخرجت للناس قد تمّ بعضه أيام النبوة وفي عصر الراشدين ومن ثم انحسروهم . وسيتبعه باقيه بعد نشر مثال هذا التفسير إذ يتبوأ المسلمون متبوأ العلم والحكمة وحب الله المبني على الايقان وادراك الجمال والحسن والبهاء والاشراق واسعاد العالم الانساني . وسيكون نبراسهم - يا أيها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - إلى قوله - وسراجا منيرا - فهذا تفسير هذه الآية وسيظهر أثره للعالم الانساني والله هو الولي الخبير اه

﴿ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ﴾

(وكيف ترى العلماء فيها هم الذين يعتقدون هذا الدين وذلك من آثار كونه ﷺ سراجا منيرا)
ذكرنا فيما تقدم قريبا رسالة عبد الله كويليام الانجليزى الذى أسلم مع نبذة من ترجمة حياته وهى الرسالة المسماة « الجواب السكاكى » وقد ترجمها إلى العربية الاستاذ زهدى الخماش . ونزيد على ذلك الآن ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ (١٠) يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المستشرق الفرنسى الميسر ايتان دينيه ﴾

(السيد ناصر الدين دينيه)

(المسلم الفرنسى والمصور الشهير)

مات هذا المستشرق النابه وقد استشهد حوله لتوديعه الوداع الأخير العدد العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من مثلى الشعوب الشرقية التى أحبها وخدمها وقد وجب علينا وأن صكنا لم تنفس هنا لك فى باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث إلى روحه الطيبة تحيات السلام والاعتراف بالجميل

أسبب المسيو دينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فالتخذ له بينهم مقاما تجودا في بلاد الجزائر في تلك
الواحة السعيدة الهادئة الجميلة (بوسعادة) يفتق اليه يسكنه نصف العام كاملا . يرتاح للعرب وجيرتهم . ويروح
عن نفسه بينهم وينعم بما في حياتهم من جلال تلك المناقب الماثورة عنهم وتلك المسكرا المرفوعة بهم والتي لا يبل
اليها الا عشاق الخيال الساهي ولا يشهدا الا أهل الفضائل العالية ، وقد وضع في حياة العرب كتابا جميلا جليلا
ملا باللوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة في تصويرها والبيان في صمتها

والمسيو دينيه يبلغ من العمر سبعين عاما ، وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات
الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها
من متاحف العالم ، وله في متحف لوكسمبرج (وهو متحف كبار المصورين المصريين بباريس) عدة صور
منها الصورة الشهيرة المرفوعة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف
(سندني) باستراليا وغير ذلك كثير

وجميع صوره تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصعراء وتصور حياة الصحراء ، كما تدل على دقة
التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وهو ذو مركز خاص مشهود به بين اخوانه المصورين وامتاز عنهم بتخصصه
في تصوير الحياة الإسلامية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر

وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه انه المصور الوحيد بين اخوانه الذي يستطيع
تمثيلها بالريشة والألوان والاصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه انه المصور (العربي)

وقد جاءت ترجمة المسيو (دينيه) وأعماله في مجلد (لاروس) الكبير وفي معمله (هاشيت) للفنون الجميلة .
وله عدة مؤلفات منها كتاب حياة العرب الذي ذكرناه ومنها كتاب السراب ، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب
ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب ، وكلها تشير الى مافي طبيعته من الخلق الطيب وما يحمل في قلبه
من الحب والتقدير للشرق والشرقيين

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد ﷺ وهو السيرة النبوية في مجلد كبير جليل
وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الماثونة البديعة الكثيرة المتعددة ، من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية
ومشاهد الدين ومعامله . وطبعه طبعا غاية في الاتقان والعناية حتى انه يهدى تحفة من تحف الطباعة كل ذلك تقديرا
منه لموضوعه . ثم انه قسمه لأرواح الجنود الإسلامية التي استشهدت في الحرب الكبرى وهي تحارب في صفوف
الفرنسيين . ونشره كذلك باللغة الإنجليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام ، والكتاب في طبعته قد تحلى
بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية في الدقة والابداع ، وهي اللوحات التي قام
بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد محمد راسم الجزائري أشهر رجال الزخرفة العربية والذي أشار اليه المسيو الازار
الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك في المحاضرة التي ألقاها في النادي الفرنسي بالقاهرة في شهر مارس
سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية

وما ظن أن العالم العربي قد قرأ للمسيو (دينيه) شيئا بالعربية قبل تلك الرسالة التي حرر بناها له (أشعة خاصة
بنور الاسلام) والتي نشرت بمصر في هذا العام ، وهي التي جعلها بحتا عصريا في مبادئ الدين الاسلامي وأراد
اظهار هذه المبادئ واضحة جلية وأنها أفضل مبادئ المدنيات الحاضرة . واعل هذه الرسالة هي آخر ما كتب ، اللهم
الا اذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التي كان قد ذكر لنا أنه يشغل بتموينها مهمة ونشاط وذلك عقب عودته
من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج واذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئا فانه ذكر لنا في
كتابه اننا أنه لاقى من التعب والمشاق الشيء الكثير رغم المرافقة من التكريم والعناية الخاصة ورغم نسيانه
المسقة في سبيل الله وهو يدعو الى اصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين

بأنوك وجالا وعلى كل ضامى يأتين من كل فيج يهيق ...

والمسيو دينيه كاتب رقيق العبارة واسع الاطلاع لذلك هو صحيح الخجة ناهض البرهان ثم هو شديد الهجوم شديد الدفاع ذلك لانه غيور على مبدئه الذي لم يتخذه الا بعد بحث وتفكير . وقد أعلن اسلامه رسميا باجتماع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب ان يدفن في قبره مسلما حنيفيا . وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلدة (بوسعادة) بالجزائر وقد ذكرت الاهرام في لغرافتها الخصوصية أمس أنه سينقل اليها من فرنسا وفق وصيته ، ويقول إنه لم يسلم لطمع أو مقم (والرجل غنى موسر الحال) وإنما أسلم لإرضاء ليقينه وضميره وأنه ناقش الناصرين والاطاعين فخرج من (دينه) الى (ناصر الدين)

وله في بيان فضائل الشرقيين عامة والدفاع عنهم جولات قلمية ولوحات تصويرية تشهد له باخلاصه في حب الشرق وتقوم دليلا على حبه للعادل والانصاف . وقد استفتاه بعضهم عن أمر الشرق والغرب فكتب يقول ان الغرب يخطئ النظر الى الشرق مع ان للشرق على الغرب أفضالا متواصلة في مدنيته متغلغلة في حياته ذلك من أثر الدينيات التي هو مدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التي منشؤها اليهودية الشرقية . ومن أثر الحياة الشريفة والهمة انقضاء التي منشؤها أنظمة الفروسية المربية . ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التي ابتدعت أصولها العقول الشرقية

ويقول ان الشرق لم يضر للغرب الاساءة ، وأن الغرب يخطئ اذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دنائل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له الا السلامة

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب ، وهو المثل الطيب لكل فرنسي يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجميل النبيل . ومع انه قد اعتنق الاسلام وعاش مسلما ومات مسلما فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون مقيما على العهد والاخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نفسه رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤيدونه أحسن التأييد . ذلك لنبالة قصده ومثانيته الإنسانية

(راشد رستم)

هذه هي المقالة التي كتبها الاستاذ المذكور ، وإنما كتبنا تاريخ (المسيو ايتان) لأنه توفي أثناء تقديم هذه السورة للطبع فكتبناه هنا تذكارا للقراء هذا التفسير ، وبحسن بنا أن نذكر شذرات من رسالته المصممة « أشعة خاصة بنور الاسلام » وهي التي ترجمها الاستاذ المذكور . واليك بيانها

(الشذرة الأولى)

مما لا نزاع فيه أن القرية والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعال في نشأة الأمور وحياتها . وأن الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خيثة تخرج ثمرا أضعف مما تخرج الشجرة الخيثة التي تنبت في أرض طيبة . كذلك كان الشأن مع المسيحية : فهي وإن ظهرت أنها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاملها دون غيرها ، بل ان مرجع ذلك هو الى ما تستفيد من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء «الغريون» ومن الغريب أن أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود ، أو من الملاحدة والمعتولين ، أو المشركين . بل ان منهم من حاربهم المسيحية واضطهدتهم . خذ مثلا (جاليلة) الفلاسكي الايطالي و(اين دوليه) الكاتب الناصر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا نخبة التعصب القديم

وأمر غريب آخر . ألم تجد الأمم الأوروبية التي تأصلت فيها المسيحية أن الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على مملكتها ومستعمراتها . انتهت الشذرة الأولى

﴿ الشذرة الثانية . المجزات ﴾

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في انعام رسالته على المجزات : وليست عمدته السكبرى الابلاغة التنزيل الحكيم . وفي ذلك يقول تعالى : .. وبما معنا أن نرسل بالآيات الا أن كتب بها الاولون .. وقد نسي ريسان أن محمدا ﷺ مع عدم اعتماده على مثل هذه المجزات التي ينسكرها قد جاء بأكثر المجزات عما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها ، جاء بذلك الدين الخفيف الذي لم يتركك يزداد أنصاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرنا حتى بانوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون على أن المجزات التي تنسب إلى محمد ليست من فصوص القرآن ، وإنما قد نسبها اليه ورؤى المصورات الأخيرة تقليدا للمجزات التي تنسب إلى المسيح ، فهي ليست من الدين في شيء وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدنا في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شيء مما عرف عن رسول الله ﷺ . فقد جاء في الأثر أن نذما مات ابراهيم حزن عليه محمد حزنا عظيما ، وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها لمجزة يا محمد فقد شاركك الشمس في حزنك على ولدك . ومع أن النبي كان يأخوذا بالحزن الشديد فقد أنب القائل وقال : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينحسفان لموت أحد ولا لحياته . ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم الى يومنا هذا . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة — التسامح والرفق في الدين ﴾

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الأخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين . جاء إلى الرسول أحمد بنى سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يا رسول الله ان لي ولدين مسيحيين يأبىان الدخول في دين الله واني لجبرهما على ذلك . فقال له النبي ﷺ - لا اكراه في الدين - وفي هذا الباب ماجاء في سورة الكافرون : - لكم دينكم ولي دين - كذلك ماجاء في سورة العنكبوت - ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن -

ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجد ليقوموا فيه شعائرهم الدينية وهانحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة الى دينهم ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يعجزها الذوق السليم

وقد أنصف (النفس ميشون) الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدم قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم (١)

زد على ذلك أن المسلمين يحملون عيسى في نفوسهم التمجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يطردون محمدا وابلان اللعنات والسخطات ، الأمر الذي يدعونا الى الدهشة والغرابة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالغفر والاحسان !

بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسامح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أغسطين) الى الحاكم (بوتيفاس) وهو يبرر له فيها اضطهاد المخالفين وقتلهم مندرعا لذلك بأن الديانات الأخرى تفعل مثل ذلك قائلا انه خير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك « لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحدا ، فانما هي لا تقدم على ذلك الا مدفوعة بإحاطة المحبة . » فما أعظم محبة الكنيسة ! وما أكرمها أولئك الملايين الذين راحوا ضحية

(١) نقلا عن الكونت دي كاستري في أبحاثه عن الاسلام

« القديسة » محاكم التفتيش . وخصيصة القديس بارثولمى وغيرهما من « القديسين » والقديسات « الذين يستريحون
المذبح والمجازر البشرية » . انتهت الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة — العلم ﴾

رفع النبي محمد قدام العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجمعه من أول واجبات السلم . وفي ذلك يقول :
اطلبوا العلم ولو بالعين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار
الأسراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العباد (١)
وقد نظر المسيو (كازانوف) أحد كبار أساتذة كوليج دى فرانس بباريس في هذه الكلمات الخاليات
كيف يقوله أحد أصحاب الديانات ، فعلق على ذلك يقول : « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون
تمثيل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسبون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل
العبادة . فأى رئيس ديني كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي
الفصل المتين ! هذا القول الذي هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم إن هذا هو مبدؤنا اليوم واسكن أليس العهد يقر يوم كانت الكافة عندها من أهل العقول تنظر
الى مثل هذا الشار كأنه رضى النار وشعلة الشار .

كما أنه سوف يقال ان أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كشفت مثل (لوتير) و (كالفين) وعاد
الفضل فيها الى رجل شرقي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة — الخمر ﴾

ذلك هو الداء الفتاك وهو أحد الأصراض الاجتماعية الويلة في عصرنا الحاضر . على أن محمدا هو الشخص
الوحيد الذي أحس بالأثر السيئ الشديد للخمر في النفوس ففاز به حتى حرمه تحريماً تاماً وقد فاز في ذلك فوزاً كبيراً (٢)
... يأتينا الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل أتم متهمون — سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخالف الدين في تحريم الخمر تحريماً قاطعاً . غير أن الكثيرين
من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا وأتابوا وهم لم يفعلوا ذلك إلا بتأثير الدين نفسه وربما جاء فيه من النهي عن الخمر
والأمر بالتحريم . في حين أننا نسمع أن أسدنا من المسيحيين الذين يدمنون الخمر قد تركوها أو عاودوا عنها
ولا يخفى أن الانجيل المسيحية ذكرت أن المسيح في أفراح (قانا) ملأ من النبيذ سنا من قدر الماء
تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين الى تسعين لترا بمكيالنا الحاضر

كما أن الكنيسة قد جعلت (مونيك) الأفريقية في عداد القديسات ، مع أنها كانت من مدمنات الخمر
كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس (أغسطس) في اعترافاته (٣) . انتهت الشذرة الخامسة

﴿ الشذرة السادسة — الوسيلة ﴾

الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الاسلام جميع الأديان ، إذ ليس بين الله وعمده وسيط وليس
في الاسلام قساسة ولا رهبان

(١) الجزء الأول من كتاب الاحياء للقرالى

(٢) وأما تجربة الولايات المتحدة في أمريكا في تحريم الخمر فلم تظهر نتائجها بعد إذ لم يمض على
ذلك الا بضع سنين

(٣) عن الدكتور دينه سنجلي : في كتابه « جنون يسوع »

إن هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان . وأنهم كذلك مهما كانت عقيدتهم وهما كان إخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . فلم يطرد «بائى الميكل» ١ غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل . واليوم إذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائى الميكل ١١

كذلك ما كثر البلايا والمصائب بل ما كثر المذاج والمجازر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات وبعضها أو بين الشعوب والشعوب . وهم في ذلك كله يصيغون : باسم مجد الله ١١

ثم إنهم قد عكسوا الآيات وبدلوا النيات ، وغيروا الأوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصص عيسى ولا مرماه النبيل العالى ولا فهموا معناه الحقيقي حين يقول : «جئت لألقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطربت ؟ أتظنون أنى جئت لأعطي سلاما على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم » (١)

وقد حرم الإسلام نظام هذه القداسة ومحا الولاية ففي بذلك تلك الخرافات الضارة والمعتقدات الفاسدة . وأزال آثارها وتناجها

وليس للإسلام أن يدعو الرسول ويتضرع إليه ، وإنما له أن يدعو الله وحده لاشريك له . وقد يكون للإسلام أن يدعو الله للرسول ، ولكن لا يدعو الرسول لله وللاذنه

كذلك يحرم القرآن الشفاعة وينسكرك الشفعاء . ويوم القيامة لا تسأل نفس إلا عن نفسها وأما ما نراه من الزوايا وأضرحة الأولياء فان ذلك لم يبق الا بعد الحجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية . على أن ذلك لم يقبله الصليبيون كما ألفاه الوهابيون أخيرا من مكة والمدينة وما اليهما . انتهت الشذرة السادسة

﴿ الشذرة السابعة - الاله ﴾

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا ، أو ما الى ذلك من الاشكال أما في المسيحية فان لفظ (الله) تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والاضلال - فمن تجاعيد بالوجه غائرة الى الحية بيضاء مرسلة مهملة تشير في النفس ذكري الموت والفناء

ونسمع القوم يصيحون (ليحي الله) فلا ترى للغرابة محلا ولا نهج لصيغتهم وهم ينظرون الى رمز الابدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخا هرجا قد بلغ أركل العمر . فكيف لا يتحشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لا يطلبون له الحياة ؟

كذلك (ياهو) (٢) الذي يمثّلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتناهكة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأنجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرأ مصورا أو نحتا أن تجرى به ريشته أو ينحته إزميل . ذلك لان (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد

وقد يقال لنا إن تلك الصورة التي وصفناها والتي يمثل بها المسيحيون الاله عندهم هي مما لا يرضى عنه

(١) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر . ٣٩ - ٥٣

(٢) (ياهو) أى الله . ومعنى الاصل العبري

أهل الدين السليم منهم . على اننا لو سلمنا بهذا الاعتراض جدلاً فماذا هم قائلون وليس في الكنيسة كلها الاصلاح واحدة وقصيرة يخصصون بها الاله (الأب الأزلي الدائم) . وأما الابن والأُم وزوج الأُم والصلب وقلب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والتمائيل ذات الاستعظام والاحلال . وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التي تمثل معبوداتهم . انتهت الشذرة السابعة

﴿ الشذرة الثامنة - عاوة الهمة ﴾

قال رسول الله ﷺ « عاوة الهمة من الايمان » وذلك أنه لما كانت الشريعة انفراداً قد سارت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم تجعل لأحد منهم فضلاً على أحد الا بعلو الهمة في مكارم الاخلاق والانبيل وبالذكاء . وفي هذا فليتنافس المتنافسون . وأما ما جاء في الانجيل من قوله : (من لطيفك على خلدك الايمن خول له الآخر أيضا) . فذلك ضرب من ضروب الحطة بالنفس والازول بها والذهب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمنى لاهل السوء والخبائث في أن يظهروا ويسودوا . وفكرة التسليم هذه والتساهل في شأن النفس وعدم الأخذ لها بالشدّة ترجع الى أصل هندي . ولذلك تسكن في طياتها تلك الاسباب المتأصلة التي أخضعت الهند الكبيرة لغير انجلترا الصغيرة ، وليس عجيباً بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يهابون بأوامر المسيح في عظة الجبل من السكون وعدم التعدي . انتهت الشذرة الثامنة

﴿ الشذرة التاسعة - المساواة ﴾

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهي النظرية التي لم تأت أخيراً إلا على يد الثورة الفرنسية . وهذا بلال الحبشي أقامه الرسول مؤذناً للمسلمين فسكان العرب ، وهم من الشعوب التي تفخر بالاجداد والأنساب ، تسمع له وتسي الى الصلاة اذا ما أذن فيهم هذا العبد الحبشي . انتهت الشذرة التاسعة

﴿ الشذرة العاشرة - مسايرة الطبيعة ﴾

لا يترد الاسلام على الطبيعة ، التي لا تغلب ، وانما هو يسير قوانينها ويزامل أزمانها ، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وانما يعيشون أعزاب . على أن الاسلام لا يكفيه أن يسير الطبيعة وأن لا يترد عليها وانما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقاً في اصلاح ونظام ورضاء يسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهندي) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير والأمثلة العديدة لا تهوينا ، ولكننا لا نقصد تأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع والذي جلب للاسلام في نظر أهل الغرب مثالب حجة ومطاعن كثيرة . وما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه . لم يكن للاسلام امام الأمر الواقع ، وهو دين البشر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكماً قاطعاً ولا يأمر به أمراً باتاً . والذي فعله الاسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعية ، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحاً دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى : « وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة - وأي رجل في الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات ! ولذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضماً هو غاية في الرقة والدقة والمطابقة مع الحكمة . ثم انظر هل حقيق ان الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهو لاه مثلاً ملوك فرنسا (دع عنك الافراد) الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ، إن تعدد الزوجات قانون

طبيعي ، وسينقي ما بقى العالم . ولذلك فإن مافاته المسيحية لم يأت بالفرض الذي أرادته ، فانكسرت الآية معها
وصرنا شهداء الاغراء بجميع أنواعه . وكان مثالي ذلك مثل الشجرة الملوثة التي حومت ثمراتها فسكان الصحاري
اغراء . على أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الأخذ بها المسيحية ظاهرا تنطوي تحتها سيئات
متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر بحسبة البلاد . تلك هي الدعارة ، والعوانس
من النساء ، والابناء غير الشرعيين . وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف
في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق ، وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية
الغربية . ومن الأمثلة القاطنة على ذلك ما كان من أمري وادي (ميراب) حيث تسكن القبيلة التي بهذا الاسم
في بلاد الجزائر إذ لم تسجلها الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ . وقد وصل بها الحال اليوم ان أربع
بلدان من مجموع كاهن سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الرذل . وما نرويه من هذا القليل ماجاء في كتاب
«الاسلام» تأليف (شيمون مولان) «انه عند ما عاد الدكتور مافرو كورداتو الاستاذ سنة ١٨٢٧ الى بولن
لدراسة الطب لم يكن العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة . كالم يعرف فيها داء الزهري (وهو السفليس
المعروف في الشرق بالمرض الأفرونيكي) فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أي سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال
وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حاضرة موحدة (اننا نرسل أبناءنا الى أوروبا باليتعلموا
المدنية الافرونيكية) فيعودون اليها مرضى بالداء الافرونيكي على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف
بعض الشيء من أضراره هذا التفت في القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة
من السيئات . إذن ، اذن ماذا ؟ اذن أي الأدواء قد خلا تماما من بعض السميات ؟ على أن الكنيسة قد أساءت
كذلك في مسألة الطلاق بمثل ما أساءت في أسس التوحيد في الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة .
انظر هل أشد من الحسك على زوجتين شائنتين لم يستطعا من بعدهما داءا ، وقد خاب فلنهما في الزواج ولم يدركا السعادة
التي طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحسك عليهما بأن يخلدا يقضيان بقية أيامهما في عذاب ونسك وشقاء ؟
كذلك اذا كان أحدهما عاقرا أو كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر وأن يقيم
له عائلة من جديده . واننا ونحن في صدد الطلاق لا نقولنا سكتة المسيح الاسلام وهو يرى السوء في فوضى
الطلاق فبسمع النبي الكريم يقول (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . انتهت الشذرة العاشرة

﴿ الشذرة الحادية عشر — بساطة الصلاة والنظافة ﴾

ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية هي ذات بساطة وبساطة وبساطة لم يسبق لها مثيل من نوعها في
صلاة غيرها . كما أنها لا تدعو الوجوه بالظاهر والتسكف ، ولا العميون بالشخص الى السماء واستئزال السموع
التي تذكرنا بالسموع الجليسيقية التي يصطنعها ممثلو السينما في عصرنا الحاضر . حقا ان الصلاة الاسلامية
خالية من تلك الأمور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلتها في غير جلال ولا وقار
حقا ان الاقوال والحركات التي في الصلاة الاسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان ، وهي خالية
من مبالغات الورع وتسكفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى
عليم بما في الصدور وهو الغني المزب عن ثمان من الأمور التريية تخصيص وجود الله في السماء عند دعوته . وهذه
الحال تجعل في طياتها الحدا ، اذ تجعل السماء . منفاه ، وتنف بذلك عنه صفة الوجود في كل مكان وحركات الصلاة
الاسلامية ، فوق تميزها التام مما تجعل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم
بأعظم سرايا الحركات الرياضية . فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد . وكل من شيخ كبير
وبدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحي في
مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال ما لم يكن قد استراض على ذلك من قبل . انتهت الشذرة الحادية عشر

﴿ الشذرة الثانية عشر - الأذان ﴾

يتميز الاسلام في الدعوة الى الصلاة بأن الانسان هو الذي يدعو إخوانه الى تأدية هذه الفريضة ، وأن صوت الانسان صوت طبيعي وهو أدعى الى حل العاطفة الانسانية الصادرة من قلب المؤمن الى إخوانه المؤمنين لقيام بأهم أركان الاسلام من أي آلة صناعية ومن القلب الى القلب رسول الله
هنا ما أردته من رسالة (المسيويتان دينيه) المسلم الفرنسي والمصور الشهير ، ثم انظر الى ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم السبت أول فبراير سنة ١٩٣٣ م وهذا نصه

﴿ المؤتمر الديني الدولي ﴾

(لخدمة السلام في العالم)

منذ نحو سنتين قام جماعة من رجال الأديان في (أمريكا) يسعون لانشاء مؤتمر ديني دولي يمثل مختلف الأديان والمذاهب في العلم بقصد خدمة السلام العالم بواسطة الدين وعقدوا اجتماعهم الأول في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ م في جنيف تحت رئاسة الدكتور (شابلر مانيو) رئيس الكلية الدينية في جامعة (شيكافو) في الولايات المتحدة ، وكان الحاضرون ١٩١ مندوبا من بلدان مختلفة وأديان شتى ، وقد قرروا لاجتماعهم إذ ذاك استنادا لجنة مؤقتة لتنظيم أعمال المؤتمر برئاسة الدكتور (مانيو) المشار اليه وألفت تلك اللجنة من خمسة وعشرين عضوا وجهل سكرتيرها الدكتور (تكنسون) من نيويورك ، وكان (١٢) من أعضائها يمثلون المسيحية وعضو واحد يمثل الاسلام ، وعضو يمثل الهندوس ، واثنان يمثلان دين (كونفوشيوس) واثنان لليهودية ، وعضو يمثل البهائية ، وعضو يمثل الشنتوا في اليابان ، وعضو البوذيين في سيلان ، وعضو لشيوشوفيه بهولاندا ، وعضو للمجوس في الهند

وقد تقرر إذ ذاك عقد مؤتمر عالمي للسلام بيني عمله ومساعدته على مبادئ الأديان التي ينتمي اليها أعضاؤه بدون أن يجزئ ذلك الى المفاضلة بين منازيا هذا الدين ، إذ ذاك على أن يكون غرض الجميع واحدا . وأن يبنى هذا الغرض على المبادئ الآتية

(١) أن يذكر كل ممثل لدين من الأديان تعاليم ذلك الدين فيما يتعلق باستقرار السلام ووجوب احلاله

محل الخصام في العالم

(٢) ذكر مبادئ الطهيات الدينية في سبيل نشر لواء السلام في العالم

(٣) وضع القواعد التي يمكن السير عليها بصفة عامة لازالة العقبات الخائفة دون استنباب السلام وانتصار

الحق وضمان العدل بين الدول وازدياد محبة الخير العالم

(٤) اتهاز كل فرصة لاستثارة الشعور الديني في كل طائفة ضد روح العدوان والخصام وكل ما يؤدي

الى الشحنة بين الأمم

وقد عقدت بعد الاجتماع المتقدم اجتماعات متعددة في أنحاء مختلفة ولاسيما في أمريكا إذ يظهر أن فكرة المؤتمر الديني العالمي نشأت من هناك . وآخر اجتماع للجمعية عقد في شهر أغسطس الماضي في مدينة مانسفورت في ألمانيا تحت رئاسة الدكتور (شابلر مانيو) حامل لواء المؤتمر . وقد حضره (٦٢) عضوا يمثلون جميع الأديان الحية في بلدان العالم . وفي هذا الاجتماع ذكر السكرتير الأميركي أنه ساح في بلدان الشرق الأقصى وقابل فيها زعماء الأديان والمذاهب المختلفة وباحثهم في مسألة اتحاد المؤتمر الديني العام لمقاومة الخصام واحلال السلام محله بين البلدان فأيدوا المشروع وحبذوه . وقد تقرر في اجتماع (فرانكفورت) انتخاب لجنة لتنظيم المؤتمر القادم وعقدته على أن يكون له ستة رؤساء وثلاثة عشر وكيلات تدب للتنفيذ وأنشئت للمؤتمر سكرتير رئيسية مركزها في (نيويورك) وأنشئت لها ثلاثة فروع في لندن وباريس وبرلين . وتقرر تعيين سكرتير في اليابان

وسكرتير في الصين وواحد في الهند وواحد في الشرق الأدنى وواحد في البلقان وسكرتير لأوروبا الجنوبية . ثم أصدرت الهيئة القرار الآتي

« قررت أن يعهد الى اللجنة اتخاذ التدابير اللازمة لعقد المؤتمر الديني الدولي في سنة ١٩٣٦ في إحدى بلدان الشرق وأن يدعى لحضوره ممثلو الأديان الحية في العالم

وقد انتهى الى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل محمد طوسون باشا الذي أصبح علما من أعلام الشرق وقطباً من أقطابه كتاب من المستر عبد الله يوسف علي الهندي الذي كان وزيراً للمالية في حكومة نظام حيدرآباد يلتمس فيه من سموه باسم لجنة المؤتمر أن يقبل رئاسة المؤتمر فيكون في مقدمة الرؤساء الستة الذين تقرر اختيارهم من كبار الرجال لرئاسته ويكون ممثلاً للإسلام في الرئاسة ، وتلقى سمو الأمير أيضاً كتاباً من سكرتير المؤتمر الدكتور (نكتسون) الأمريكي يسط فيه لسموه الأغراض النبيلة التي يسعى اليها القائمون بأمر هذا المؤتمر الديني الجديد ويقول ان البارون (ساكتاني) الياباني والدكتور طاعور الشاعر الهندي الشهير سيكونان من الرؤساء الستة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية ستختار عظيماً من عظمائها ليكون من الرؤساء ، وأن الاستاذ (اينشتين) الألماني العالم المشهور سيكون رئيساً ممثلاً لليهود ، والمفهوم أن الأمير الجليل لم يتردد حتى الآن شيئاً بهذا الشأن . انتهى

ومما يناسب قوله تعالى أيضاً - وسراجاً منيراً - ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ حالة العميان في مصر ﴾

وجهت «جمعية العناية بالعميان» في سان فرانسيسكو الى وزارة الخارجية المصرية أسئلة طالبة الجواب عليها راتها أخطائها الى الجهات المختصة ، وفيما يلي نص الأسئلة واجابة وزارة المعارف على كل منها (س) هل يأخذ العميان إعانة ، وما مقدارها ، وما وجه استحقاقها ؟

(ج) تدفع الحكومة الإعانات المختلفة لبعض معاهد العميان حسب درجة تقدم كل منها كما يأتي : ٧٠٠ جنيه لمدرسة العميان بالزيتون و ٢٥٠ جنيه لمدرسة العميان بالاسكندرية التابعة (للكونقس ميث) ١٥٠٠ جنيه لمدرسة العميان الأهلية بالعطارين و ١٥٠ جنيه لمدرسة الكفيفات بالزيتون ، ويدفع بعض أعضاء الجالية البريطانية إعانات لستة نفقات ثمانية تلاميذ بمدرسة الزيتون بمعدل ١٢٠ قرشاً في الشهر لكل تلميذ ، وتدفع سيدتان مصريتان إعانات لستة نفقات تلميذين آخرين بهذه المدرسة

(س) كم عدد العميان تحت اشراف الحكومة ؟

(ج) يوجد (٨٠٠) طالب تحت اشراف الحكومة منهم (٢٠٠) بمعهد الأزهر بالقاهرة و ١٠٠ بمعهد أسبوط و ١٠٠ بمعهد الاسكندرية و ١٠٠ بمعهد طنطا و ١٠٠ بمعهد دسوق والرقازيق و ٥٠ بمدرسة الزيتون للعميان و ٥٠ بالاسكندرية . أما الاناث فيوجد منهن ١١ تلميذة بقسم العميان السكّان بمدرسة تمرين معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف و ٣ بمدرسة الكفيفات بالزيتون . أما العميان الذين ليسوا تحت اشراف الحكومة فهم ٢٠٠ طالب بمدرستين في القاهرة إحداهما ببولاق والأخرى بشارع البيطار بالأزهر تحت اشراف لجنة انكليزية برئاسة (المطران جوين) و ٩ طالبات بكلية البنات الانكليزية ببولاق تحت اشراف اللجنة المذكورة و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان بالرقازيق و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان في المنصورة و ٤ طالبات بمدرسة الأمريكان بدمهور و ٩ طالبات بمدرسة الأمريكان بأسبوط و ٨ طالبات بمدرسة الأمريكان بالأقصر وكان تحت اشراف كلية الأمريكان ، ويبلغ مجموع العميان بالتطور المصري ١٥٥٠٠٠ منهم ١٠٥٠٠٠ ذكور

ذكور و ٥٠٠٠٠٠ اناث منهم نحو ٩٠٠٠ تحت اشراف الحكومة وصناعات مختلفة والباقي يحترف قراءة

القرآن في المنازل والجبانات اذا كانوا مسلمين ومترلين في الكنائس اذا كانوا مسيحيين

(س) هل بذلت الحكومة مجهودا لتعليم العميان صناعة ؟ فان كان كذلك فما درجة نجاحهم

(ج) ابتدئ في تعليم العميان الصناعات سنة ١٨٩٦ ولكن نجاحهم فيها متوسط بالنسبة الى اعمالات

(س) هل توجد مصانع يتقدم فيها العميان على غيرهم ؟

(ج) لا توجد صناعات مشتركة بين الأعمى والبصير بل توجد مصانع خاصة بالعميان فقط وهذه المصانع

هي مصنع لاسلال والكراسى بالمدرسة الاكليريكية القبطية بمهشة ، ومصنع لاسلال والكراسى والسجاد

بمدرسة العميان بالزيتون ، ومصنع لاسلال والكراسى والفرش بالاسكندرية تحت رعاية (الكونفيسميث)

ومصنع لاسلال فقط بالاسكندرية تابع لجمعية أهلية ، ومصنع لاشيالان والجواب والسلال التى تصنع من الخرز

والسلك بكافة البنات الانكليزية بيولاى وهو خاص بالبنات فقط ومصنع للسجاد والكراسى والسلال بقسم

العميان بمدرسة معلقات بولاى التابعة لوزارة المعارف

(س) مانوع الأشياء التى يتتبعونها

(ج) الأصناف المنتجة هي السلال وهى تصنع من القاب الهندى والصفصاف والكراسى الخيزران

المصنوعة من القاب الهندى والصفصاف والكراسى التى تصنع من قلب الخيزران وقش الباسم وقش الأرز

(س) أى الأصناف من أعمالهم وجدت رواجاً فى الأسواق

(ج) الأصناف الرائجة هي السلال بجميع أنواعها والكراسى وأطقم القش والفرش

(س) ماهى الطرق التى تتبع فى عرض منتجات العميان فى السوق

(ج) تعرض الحكومة هذه المصانع بشراء ما يلزم لها من السلال وغيرها لمصالحها وتعرض هذه المصنوعات

فى المعرض الدائم لمصلحة التجارة والصناعة

(س) أى النسبتين أكثر فى العميان نسبة الذكور أم نسبة الاناث ؟

(ج) تزيد نسبة الذكور على نسبة الاناث كما هو مبين فى الاجابة عن السؤال الخامس بسند العميان

(س) أى الجنسين أكثر استعدادا لكسب

(ج) الذكور أكثر استعدادا لكسب بما يندل من المجهودات لتعليمهم ، وعند الحكومة مشروع

لتوسيع نطاق العميان بالقطر المصرى ، وقد أنشأت الوزارة فعلا قسما لتخريج معلقات لهذا النوع بمدرسة

المعلقات الأولية الراقية بيولاى فى سنة ١٩٢٧ م وأتم الدراسة فى هذا القسم (١٣) طالبة سيتمتحن فى

نهاية هذا العام وألحق بهذا القسم فرقة من الضربات ليكن بمثابة أداة تمرين للطالبات وعلى ذلك أرسلت

الحكومة الى انكلترا بعثة للتخصص فى فن تعليم العميان مؤلفة من طاب وطالبة

(س) ما مقدار متوسط ما يكسبه أحدهما فى الاسبوع أو الشهر

(ج) يبلغ متوسط كسب الذكور فى الشهر أربعة جنيهات والاناث جنيهين

(س) هل يمدون العميان بالاعانة ؟ وان كان كذلك فما هى الطريقة التى تتبعونها

(ج) توزع الحكومة اعانات حسب مقدار نجاح كل مدرسة من مدارس العميان

(س) هل توجد ملاجىء للعميان وأى الجهات تنفق عليها ؟

(ج) لا يوجد للعميان سوى ملاجئ أنشأتها الحكومة للأيتام أحدهما بطرد ، والآخر بالقرية يقبل

فيهما العميان ، وملاجئ للجائز بشرا تابع للحكومة الإيطالية يقبل فيه العميان أيضا وملاجئ للاناث تابعين

لسكينة الأمريكان أحدهما فى فم الخليج والآخر بأسبوط يقبل فيهما العميان

(س) أى الصناعات وجدت أكثر فائدة على العميان الذين درّبوا تدريبا راقيا

(ج) صناعة الفرس والسلاسل والكراسي

هاتان الرسالتان رسالة المؤمن الديني ورسالة جمعية العناية بالعميان توجبان دقة النظر والملاحظة (أولاً) ان خدمة السلام العام لم نقرأها في التاريخ قبل النبوة المحمدية فان الاسلام هو الذي أيقظ الأمم شرقاً وغرباً وبشاط حركته حرك الأمم في اختراع الآلات والقطارات والطائرات فتقاربت الأمم ، وهذا من أسرار كونه ﷺ سراجاً منيراً ، وأيضاً يذكرنا هذا بآية - حتى تضع الحرب أوزارها - وأن علماء الاسلام يقولون « إن الحرب سيقضى عليها » (ثانياً) إن ارسال جماعة من أميركا رسالة للمحافظة على العميان في مصر المسجلة يدل دلالة واضحة أن اشراق النور النبوي قد أثر بطريق غير مباشر في أمة غير مسلمة والأمة المسلمة نائمة وهذا عار فكان الأحرى بهذه الأمة الإسلامية أن تكون هي آباء للأمة كلها لا أن يكونوا أذناباً . وسيكون في أمة الاسلام بعد الآن نهضة فكرية يرقى بها نوع الانسان . تم الكلام على اللطيفة الرابعة (اللطيفة الخامسة)

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -) اعلم أن بين القول والعمل مناسبة : صلة تظهر ان في هذه الآية ، إن الانسان يعقل الأشياء وتصدر عنه تلك الأشياء من «منفذين» منفذ اللسان ، ومنفذ الأعمال ، فهما فرعان لأصل واحد ، ونظام أحدهما يؤثر في الآخر ، فما من قول نقوله إلا وله آثار في أعمالنا ، وكلما كان القول أحكم كانت الأعمال الى الصواب أقرب ، لأن الدربة على الفضائل تكون في النفس ملكة تكون مصبها لها من بعد ، فشكل فضيلة في اللسان أوفى الأعمال تحدث في القلب أثراً وبتوالي الآثار تتأسس الملكات ، ومن الملكات الفاضلة تكون الأعمال الشريفة ، وملكة اللسان في الصدق وفي حسن القول تؤثر في النفس آثارها فيتعدى ذلك الأثر الى الأفعال فتتظم ، إن الأعمال والأقوال فرعان للنفس والقول أسهل ونزعاته أشد وجراحاته أنكى وسهامه أنفذ وخطره عظيم . وفي الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم يوم القيامة إلا حساند ألسنتهم » انتهت اللطيفة الخامسة

(اللطيفة السادسة)

(في معنى قوله تعالى - وجعلها الانسان -)

جاء في الفيروز بادى مانعه « وقوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وجعلها الانسان - أى أن يخففها وخافها الانسان . قال : والانسان هنا هو الكافر والمنافق » اه
وهذا المعنى واضح والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة السادسة

(اللطيفة السابعة)

(هذه اللطيفة عامة في السورة كلها وفيما قبلها وبعدها)

ذلك ان الله تعالى يقول فيها - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمته الله عليكم إذ جاءكم جنود - الخ . ذكر الله المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم في غزوة الأحزاب ، كما ذكر قوم موسى بنجاتهم من فرعون وهذا تذكري في والافكم لله من نعم . إن الناس يتقلبون فيها صباحاً ومساءً ، فأجسامهم ملئت بحكمة وهم مغمورون في ضياء الشمس ونور القمر والكواكب والهواء وعندهم نبات وحيوان وما لا يعد ولا يحصى وانما هذه يعرفها العامة والخاصة لأن أكثر الناس لا يشكرون الله إلا على النعم الخاصة كالنصر في هذه الغزوة والا فالنعم لانهاية لها ولذلك أردف هذه السورة بسورة سبأ المبدوءة بالحمد لله ، وعلى الحد بأن له مافى السموات ومافى الأرض وانه يحمد في الآخرة وحده ، ومقتضى هذا أن نعم الدنيا والآخرة له وهو يحمد عليها لأنها كلها واصله لنا ، فليس الحمد لله خاصة بالنصر في الأحزاب (انظر هذا المقام في أول السورة الآتية) تم تفسير سورة الأحزاب يوم الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٢٥ م و ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة سبأ

(هي مكية)

(إله قوله تعالى - وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إننا لنفي

خلق جديد - الآية)

(آياتها ٤٥ - نزات بعد لقمان)

(هذه السورة قسمان)

﴿ القسم الأول ﴾ في تفسير البسملة

﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

للك الحمد اللهم على ما أوليت من نعمة العلم وأفدت من آثار العرفان ، وهديتنا إلى ما نحن بصدده من تفسير آيات كتابك ، وأهمتنا أن نذكر أنفسنا والأمم الإسلامية برحمتك الواسعة التي كررتها في أول كل سورة من كتابك تفتح بصائرنا إلى عجائب حكمتك وبدائع صنعتك وبواهر خلقتك وجواهر نظامك ، فحمدناك على ما في سمواتك وأرضك ، وعلى ما فتحت من بصائر هذه الأمم الإسلامية الحاضرة والمستقبلة بما أنزلت في هذه السورة من غرائب ما تخرج من أرضك في زماننا من أنواع المعادن وأصناف الخزائن التي أودعتها أُمم قبلنا كأهل سبأ ذوى الجُدِّ والشَّعِيرِ وأصحاب الجنين اللتين عن يمين وشمال وأنهم لنا يحفظوا نعمتك وحافظوا على هبتك أبقيتهم ولما كساوا من ذلك الحفظ وتقاطعوا أرديتهم في حفرة الهلاك وأدقبتهم سوء السكال والنسب بدلنا على ذلك تلك الرسوم المصورة التي أخرجت من أرض سبأ في زماننا قد كبرا لملوك اليمن وعلماء اليمن وعظمائه أن في بلادكم نعماً إن استخرجتموها أبقيت بلادكم بأيديكم والا فأرضي أعطيها لمن يستخرجون منافعها ويحفظون نعمها ويسعدون بها عبادي ، فلبس من العدل أن يكون أتباع خاتم الأنبياء أقل شكري للنعم من أولئك الذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ، كل ذلك الإيقاظ والتحذير من رحمتك الواسعة التي صاحبها العلم بكل جليل ودقيق

ومن رحمتك الواسعة المذكورة في البسملة أنك أفدتنا في قصة داود وسليمان أن شكر نعمتك والقيام بخدمةك ليس قاصراً على العبادة ولو كانت الجبال مؤنثات مع العابدین ، صرّدت تلك الصلوات ، صرّدت تلك التسبيحات ، فمن حق الشاكر أن يقوم بما يقدر عليه من الصناعات ويتقنها كإذابة الحديد وصناعة الدروع واستخدام الريح ، ومن أجل الرحمت على المساكين اليوم أن يعلموا أن ما تلقى الأرواح من الأقوال لأهل الأرض أثناء تحضيرها ليس حجة قاطعة فهم لا يعلمون الغيب وليس يدعيه منهم إلا أرواح صغيرة ضيقة العطن قليلة الفطن ، ومن الرحمة التي ظهرت آثارها في الأرض بعد النبوة أنك أعلنت في هذه السورة أن نبينا ﷺ مرسل للناس كافة بشيراً ونذيراً وإن أكثر الناس لا يعلمون وأنك أنت المختص بعلم ذلك ولقد ظهرت تلك الآثار لنا عياناً وصدق وعد الله . ومن أطلع على مؤلفات الفرنجة في انتشار الإسلام في أفريقيا عند خط الاستواء وفي شماله وجنوبه يدهش إذ يسمعون يرهنون على أن هذا الدين لا ينتشر بالسيوف بل بالحنّة والمودة والاخلاص وأن اتهام قومهم في أوروبا بأن انتشار الإسلام إنما كان بالسيوف ضلال مبين ولقد وجدوا في أفريقيا ملوكاً عظاماً وأعظمهم قبائل بيض الوجوه لهم السلطان والسيطرة وهم في احتلالهم أرض غيرهم وحمايتهم لهم سياسة أشبه بسياسة الأوروبيين ، فعلم الأمم الإسلامية بهذه المزايا وبما انطوت عليه آيات السورة في زماننا من أجل النعم التي سئير العزائم وترفع الأمم الحالية إلى أوج العلا ويخرج جيل إسلامي جديد أعزّ

نفوسا وأرقى عزائم وأعلم بما أبدع الله في أرضه وما خلق في سمائه هنالك تسليح الأمم الإسلامية لسمارة الأرض ولحب ربهم وإطعام به والغرام بعمله ، هنالك يشكرونه فلا يكفرونه ويذكرونه ولا ينسونه ويصيح ناصحتهم بما يرون من العجائب في هذه الطبيعة الأرضية والسموات ناطقين في قلوبهم بمثل ما ذكره (الكونت هنري دي كاستري) عن بعض علماء الإسلام ﴿ رب إن الجنة لا ترجى إلا لرؤيتك فيها ، وأولا نور ذاتك البهية لعفناها ﴾ وماتقه هو أيضا فها يؤثر عن (الشيخ القشيري) في القرن الرابع الهجري ﴿ إلهي إنك تهتدي بفراق يحرمني على السوام من تجلياتك البهية ، فيارب اصنع في مائتاء ولا تحرمني من مشاهدتك العلية ، فليس سم أسر مذاقا وأشد قتلا من ألم هذا الفراق ، ومحيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش في فرع وتبق في حيرة واضطراب ، رب إن النفس لترضى أن تذوق الموت مائة ألف مرة ولا تذوق سقطة فرقتك مرة واحدة ، رب إن مصائب الدهر وجميع الأمراض القتالة لو اجتمعت على لاحتملتها غير متوجع من موقعها ولكن لاطاقة لي على احتمال بعدك عني ، رب لو احتجبت عنا برهة آلمت أرضنا وغاضت أنهارنا فإذا يكون حالنا لودام هذا الاحتجاب ؟ لولاه لما أسوقت نار الجحيم واشتد عليها ، رب أن في تجليك حياتنا وكال سعدنا ونعيمنا ، وفي احتجابك عنا بنا وحييتنا ﴾ انتهى الكلام على تفسير البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثاني في تفسير السورة ﴾

﴿ مقدمة ﴾

اعلم أن في مبادئ السور حكما غالية وإشارات عالية ورموزا شريفة ، ألم ترى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ كيف ابتدأها بعد البسملة بالحمد لله على تربيته للعالمين وقد شرحت التربة هناك ونظامها وتناسقها وعمومها في العوالم كلها ، فهناك تربية العوالم اجالا ، وأما ﴿ البقرة ﴾ ونحوها فهناك نسكة لطيفة وهو ابتداء السورة بحروف (الم) ولها فضلا عما ذكره بأول آل عمران ﴿ اشارتان بديعتان ﴾ الأولى ﴿ إن استوفى المعجزة هي العناصر الأولى لكل كلام نظم أوثر ، ولن يفهم الكلام حق فهمه إلا بالرجوع لحروفه وتحليله وتقطيعه حروفا حقا ، فلن تكون علوم البلاغة ولا الصرف ولا النحو ولا سائر العلوم العربية إلا بأرجاع الكلمات لأصلها وبحثها وتقليبها على جميع وجوهها بالتصريف وغيره . وإذا كان ذلك كذلك في علوم اللغة فأحرى أن يكون في علوم الكون من الطبيعيات والرياضيات فلاهندسة إلا بتحليل البراهين والرجوع لأصولها . ولا جبر ولا فلك إلا بتحليل الأعداد ومعرفة الأولية وغير الأولية فيقال عدد (٥) أولى و (٤) زوجي و (٧) أولى وهكذا تعرف جميع الأعداد بمعرفتها يعرف ما ركب منها وهكذا في الكيمياء والطبيعة فهل تعرف المركبات من الحيوان والنبات إلا بتحليلها ؟ وهل يعرف الناس مركبا صناعيا إلا بأرجاعه إلى عناصره الأولى هذا هو الذي يشير له ذكر الحروف في أول السور كسورة البقرة وآل عمران والرعد والروم والعنكبوت وغيرها وهذه النسكة عامة . وهناك لطائف خاصة كأن يقال في البقرة مثلا (الم) هذه حروف جاءت في قوله تعالى - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - الخ وقوله - ألم تر إلى نالاً من بني إسرائيل من بعد موسى - وقوله - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه -

فانظر كيف أتى بقوله - ألم - للاستفهام الاقراي في مسألة الحرب والدفاع عن البلاد وفي مسألة النظر في العوالم ونظامها وتحليلها كما حلل إبراهيم البير وركبه وذلك هو العلوم الطبيعية فكأن (الم) تنبيه على ذلك . فكأن الله يحث المسلمين بهذه الحروف على معرفة الكائنات بحسب وتدقيقا وتفصيلا وتحليلا وتركيبا هنا ما ذكره لك في البقرة وفي كل سورة مبدوعة بالحروف المقطعة كما تقدم بعضه في الروم وما قبلها وما بعدها . فانظر إلى الابتداء بالحمد . قد رأيت الابتداء بالحمد لله في سورة الفاتحة ثم في سورة الأنعام . ففي الفاتحة يحمد الناس ربهم على التربية الاجالية لأن السورة افتتاح لتقارن ولكن في الأنعام الحمد على نعمة السموات والأرض والظلمات والنور ففيها بعض التفصيل وظهار الجلال وبداية النور المبهج البديع المشرق في العالم كله

والحمد في أول (الكهف) على نور العلم كما كان في الأنعام على نور السكواكب وشرقتها . وبعثنا ابتداء السورة بالحمد على أن لله مافي السموات ومافي الأرض وليس الحمد خاضعاً على الشجاعة من الأسراب الذين تنزبوا على رسول الله والمؤمنين ونصر الله المسلمين عليهم . يقول الله : إن لي مافي السموات ومافي الأرض وأنا محمود عليهم . إن كل عبد له انتفاع بجميع العوالم . فالنعم المشتركة يفتتح بها الجميع . إن ادراك نعم الله وعظمها أعظم سعادة للمدرك لأنه يرى ما لا يراه غيره . ولذلك يكون سعادة أهل الجنة باضلاعهم على خزائن إبداءه ويدركون الحقائق تامة وهو قوله . وله الحمد في الآخرة . الخ . وأما قوله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . فاعلم أنه كما يشير في أول سورة الروم والعنكبوت والبقرة بالحروف الطحائية الى أمور هامة في السورة كجائبات التحليل للذكورة في قصة ابراهيم في سورة البقرة وكيف بدأ الله الخلق في سورة العنكبوت ونحوها . هكذا هنا قال الله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . يشير بذلك الى ما سيذكر في هذه السورة من الكشف الحديث . يريد الله أن يقول للمسلمين أنا لم ألهم عبادة أيام مجد الأوائل من سبأ وقطان والتبابعة أن يكتبوا على الأحجار ويظمروها إلا لعلمي انها ستخرج لعبادي في هذا الزمان . إني ألهمت الأوائل أن يدخلوا في الأرض مصنوعاتهم ويكتبوا أخبارهم على أحجارهم لأخرجها لعبادي المتأخرين فيعرف الآخرون مارك الأتولون عظة واعتباراً وحكمة

ستقرأ أيها السككي ما كشفه العلماء الألمان والفرنسيون والإنجليز وغيرهم في أصقاع (سبأ) والمسلمون لا يشعرون . دفن الله ذلك هناك ليرينا آثارهم فقال . يعلم ما يلج في الأرض . كذلك الآثار التي أرجلها في أرض (سبأ) . وما يخرج منها . كما تخرج تلك الآثار اليوم كما سترام في هذه السورة . فانظر لماذا ابتداء هنا بذلك . انظر أنه لم يذكر كذلك في أول سورة إلا هذه . انظر كيف بدأ بالحمد على أن له مافي السموات ومافي الأرض ليدلنا على أنه ليس النصر على الأحزاب هو النعمة وحدها . إن النعم كثيرة فاحمدوا الله عليها . ثم ذكر الولوج والخروج في الأرض ومنها ليدلنا على ما سيأتي ذكره في السورة من علوم تلك الأمم في أرض اليمن . وأما قوله . وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . فانه يشير به الى نكتة أدق وحكمة أشرف ونور أصنى وعلم أعلى وجهاء أجلى وجمال بهيج

ذلك انه قد ذكر في (سورة النور) أن من الحيوانات ما يمشي على رجلين . ومنه ما يعيش على أربع وذكر النمل بعد ذلك وهو يمشي على ست وذكر العنكبوت بعد ذلك وهو يمشي على ثمانية أرجل . ولم يذكر العدد ؟ لأن أكثر الناس لا يفتنون لذلك . ولكن جعل ذلك خزانة مخزونة في القرآن حتى يأتي هذا الجيل الاسلامي الجديد المقبل فيمتثل في الحكمة والعم ويدرس الوجود ويقول نظرياً أخى . انظر كيف خبا لنا ربنا العجائب في القرآن . انظر كيف جعل (٢) و (٤) من أرجل الحيوان في سورة النور و (٦) في سورة النمل و (٨) في سورة العنكبوت بالترتيب ولم يعلن ذلك لعامة جهل الناس وخباها لنا لنعرفه . ثم انظر كيف جاء في هذه السورة وقال . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . وقد عرفت رمزه . ثم قال . وما ينزل من السماء وما يخرج فيها . وما ينزل من السماء ويخرج فيها الملائكة . وسيأتي في (سورة فاطر) بعد هذه أنهم ذوو أجنحة مثني وثلاث ورباع ثم قال . يزيد في الخلق ما يشاء .

لم يذكر الله فوق الرباع في القرآن لأن الناس لم يعرفوا من الأجنحة فوق الأربع ولا من الأرجل فوق الأربع لأنهم لم يدرسوا ولم يفتنوا إلا قليلاً فذكر أنه . يزيد في الخلق ما يشاء . كأنه يقول إن للملائكة أجنحة فوق الأربع لاعدد لها والزيادة في الخلق لا تختص بأجنحة الملائكة فهكذا في أرجل الحيوان التي ذكر منها أربع يزيد فيها ما يشاء . وما علم لك أن هناك من الحيوان ماله أربعون رجلاً فأكثر فهذا من زيادة الخلق كما يشاء الله . انتهى الكلام على المقدمة

﴿ تفسیر السورة ﴾

فلا شرع في تفسير السورة ولأجعله فصولا ثلاثة ﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ بطريق الإيجاز ﴿ الفصل الثاني ﴾ في جعل السورة ستة مقاصد وتفسيرها تفسيراً عاماً كانت كتبت منذ عشرين سنة في بعض الجلات العلمية ﴿ الفصل الثالث ﴾ في معجزات القرآن التي أظهرها العلم الحديث في مسألة الجن وانهم لا يعلمون الغيب ، ثم كيف كان سد العرم لازال آثاره باقية للآن وكيف أظهر أسرار تلك البلاد علماء أوروبا والمسلمون نائمون هائمون ، إن ذلك كله معجزات للقرآن ، وكيف ظهرت مسألة الجن في علم الأرواح ولا علم للمسلمين بذلك ، ولذلك تعجب حين ترى خريطة السدالمذكور في القرآن كشفها الأوروبيون (مع أن القرآن كتابهم والبلاد ملكهم) وهم لا يعلمون بذلك ولا يشعرون وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الأول في تفسير ألفاظ السورة كلها)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَمَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ *
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُفْبِّسُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْدَأُ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمُ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْخَدِيدُ *
أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَسَلْنَاكَ الرِّيحَ
غَدُودًا شَهْرًا وَرَوَاحًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجُنِّ مَنْ يَعْمَلُ يَنْ يَدِيهِ يَافِظُ
رَبَّهُ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُنْفِئُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ

وَتَمَائِيلَ وَجِفَانِ كَاجُوبَ وَقُدُورَ رَاسِيَاتٍ أَعْصَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشُّكُورِ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ
فَلَمَّا فَصَرَ ثِيَابَ الْجُنِّ أَنزَلُوا كَانُوا يَمْلِكُونَ النَّيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ * لَقَدْ كَانَ
لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمَرِ وَأَنَّا لَمُنَّاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَمِنْ سِدْرٍ لَّيْلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي
إِلَّا الْكَافِرَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْقَرْمَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بِأَعْدٍ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَا هُمْ أَجَادِيثَ وَمَرَّقْنَا هُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيزٌ * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَتَّبِعِ الشَّفَاعَةَ
عِنْدَهُ إِلَّا بِنِ ائْذْنِ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا أَأَظْلَمُ قَالُوا الْخَوَّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا نَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا أَتَمَلُونُ * قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْفَضْتُمْ بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَرِيضُ الْحَكِيمُ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَمْلِكُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا نُؤْمِنُ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُغْنِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّهُمْ أَنَا نَحْنُ صَدَدْنَا كُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ
 جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّهُمْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
 تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْمَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا الثَّمَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
 الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
 مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا
 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَسَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي
 آيَاتِنَا مُمَا جَزَيْنَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ
 جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ
 دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ نَفَقًا وَلَا ضِرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ *
 وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَبَّاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ
 آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاحُورٌ
 مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ
 إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْبَانٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
 إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا مَسَّ أَلْسِنَتَكُمْ مِنْ جَنْةٍ فَهُوَ لَكُمْ
 إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَاقِمَ الْغَيْبِ *
 قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُبِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
 اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يَهْدِي إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ * وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ

مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ اتِّشَاعُوثُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْفَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُؤِيبٍ *

التفسير اللغوي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمده ويثنى عليه من أجلها (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا لأن النعم فى الدارين كلها منه وحده أهل الآخرة راجع لانكشاف الحقائق لهم فيكون الحمد على مقدار العلم وهو غريزى ويرى اليه ما ورد في ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين فاستحق الحمد لذلك (الخبير) بواطن الأشياء (يعلم ما يلج فى الأرض) كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والنفائس والأموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والغازات وماء العيون وما استخرجه علماء أوروبا من بلاد (سبأ) الآتى ذكرها ، وذلك ما أشار به العالم الألماني ميخائيل المتوفى سنة ١٧٩١ على ملك الدانمارك أن يرسل بعثة الى بلاد اليمن ففعل سنة ١٧٥٦ وأرسلها فعرفت بعض النقوش وقالت إن اليهود والعرب لا يقدرين على قراءتها ، وأول من فكّر في ذلك الألمان فالانسكيلز فالفرنساويون ومنهم العلامة ارنو كان في اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد معه ٥٦ نقشا نقلها عن آثار صنعاء والخرربة ومأرب وحرم بلقيس ، وأيضا أحضر خريطة سد مأرب وهو أول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك است ، فلهذا ذكر الله هنا ما يلج فى الأرض وما يخرج منها لعله بما سيحصل فى بلاد الاسلام وأن الأمة الاسلامية سيتولاهم الانحطاط وتصبح غيبة جاهلة وباقى الفرنجة يبحثون عن أسرارها وأهلها نائمون عابثون جاهلون جامدون كما حصل فى هذه القرون إذ يكون تفسير هذه السورة ومعجزاتها وسد مأرب المذكور فيها والجنات كل ذلك بظهور مخزون فى الأرض ومن المسلمين من يقرأ القرآن وهو جاهل - كالحمار يحمل أسفارا - والفرنجة يأتون فيقرؤون ويتعلمون تاريخ أسلافهم ويردون انهم كانت لهم مدينة عظيمة ويرون أبناءهم التابعين لأعظم نبى أصبحوا جاهلين بكل شئ ، بتاريخ أسلافهم ، بما نى كتبهم ، علم الله ذلك كله قبل وقوعه فقال - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - مشيرا الى ما سأتى فى هذه السورة ، يقول الله انهم ما أوجوا آثارهم فى الأرض إلا بعلمى ولا أخرجها الفرنجة إلا بعلمى لأنى لا أفعل إلا الحكمة ، انظروا الفهم كيف خزنته فى الأرض قبل أبيكم آدم وأخرجته لكم الآن . هكذا خزنت عجائب سبأ ونقوشهم وأصرت أهل أوروبا فاستخرجوه ووضعت هذه الآية فى أول هذه السورة لأنبه المسلمين أن يستيقظوا فيتعلموا علوم الأمم ويبحثوا على ما خبأته فى الأرض ، إلى خبأت فى الأرض عجائب طبيعية وصناعية ، فلئن لم يتفطن لها المسلمون ويستخرجوها فوعزتى وجلالى لأخرجنها منها ولأملكنها لغيرهم ، إلى لأعطى النعمة إلا لمن يستحقها فان نام المسلمون فلا تمنع عنهم نسيم الحياة وأسلط عليهم الأمم ، أنا كنزت هذه الكنوز كما كنزت المؤمنين فى المدينة كنزا ولما بلغا أشدهما أخرجته لهما ، هكذا المسلمون كانوا أيتاما جهالا فاذا بلغوا الرشد فى هذا الزمان سلمتهم الأمانة المخزونة فى الأرض حتى يعرفوا مجد القديس ويستفيدوا من علومهم ويزيدوا عليها وتكون لهم مدينة أرقى من مدينة أولئك الأقوام والأسكنت الأرض غيرهم ويكونون خيرا منهم ، إلى عدل رؤف رحيم حكيم عليم ، ما خلقت خلقى عبثا ، أنا الحكم العدل لأحيد ولا أميل وأعطى النعمة لمن يفهمها وأطرد عنها من لا يعقلها

يقول مؤلف الكتاب : إن هذا التفسير وأمثاله جعل تبيينها للمسلمين حتى يفدلتوا وهو أشبه بتمثيل عام ،
فعل كل ذكر أن يسير على هذا المنوال وبوقط الأمة فان كل من قرأ هذا القول مسئول عن أمته فليتواصروا
بالحق وليتواصروا بالهدى ، وفي أعلى رجاء عظيم أن يهدي الله بهذا التفسير أمما ويحيى قلوبا ويشرح صدورا
ويسعد دولا انه هو الفنى الجديد وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق
والطر والأنوار والصواعق ، وبالجملة أكثر ما جاء في علم الآثار الحاوية من علوم الفلسفة الطبيعية وعدددها ثمانية
مذكورة في كتاب الفلسفة الذي جعلته مختصرا للناسئين (وما يشرح فيها) كالملائكة وأعمال العباد والأجنحة
والأدخنة والطيارات والمناطيد الجوية (وهو الرحيم الغفور) للمفترطين في شكر نعمه مع كثرتها (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة) انكارا لها واستبطاء واستهزاء (قل بلى) رد لسكلامهم (وربى لتأتينكم الساعة الفجائية)
لا يفوت علمه شيء من الخفيات (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر إلا في كتاب مبين) الذرة أصغر ذرة ، والكتاب المبين الوحي المحفوظ ، وقد تقدم تفصيل الكلام على
هذه المباني في أول (آل عمران) وفي سورة (يونس) وغيرها فارجع إليها . وقوله (ليجزى الذين
أمنوا وعملوا الصالحات) متعلق بقوله - لتأتينكم - وقوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى لا تنب فيه
ولامن عليه (والذين سموا في آياتنا) بالإبطال وتزويد الناس فيها (مما يجزيهم) مسابقين كي يفوتونا (أولئك
لهم عذاب من رجز) سىء العذاب (أليم) مؤلم (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من مسلمي
أهل الكتاب (الذين أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق) بالرفع والنصب (ليهدي إلى صراط العزيز
الحديد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض (هذه نملكم على رجل يفتكم) يفتكمكم
بأعجب الأعاجيب ، (إذا ضربتم كل تمزق أنتم في خلق جديد) انكم تشؤون خلقا جديدا بعد أن تمزق
أجسادكم كل تمزق وتفرق بحيث تصير ترابا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهى ذلك ويلقيه
على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق في الدنيا (أفلم يروا إلى
ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أى
أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وانهما حيثما كانا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطان بهم لا يقدرون
أن ينفذوا من أقطارهما ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم آيات الله (إن في
ذلك) النظر إلى السماء والأرض والتفكير فيهما ودلائلها (آية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع إلى ربه
مطيع له إذ المنيب هو الذى ينظر آيات الله ويعرف انه قادر على البعث (ولقد آتينا داود منا فضلا) وقلنا
(باجبال أو في معه) من الأواب أى رجبى معه التسبيح إما بخلق صوت مثل صوته واما بأنها تحمله على
التسبيح إذا تأمل عجائبها فهي له مذكرات كإذ كرام المسبح مسبحا آخر ، وقوله (والطير) معطوف على محل
الجبال وكان الأصل - ولقد آتينا داود منا فضلا - فأواب الجبال والطير فبدل به هذا النظم الفخامة
(وأنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء (أن) بمعنى أى (اعمل سابغات) أى دروعا
كوامل واسعات تسحب في الأرض (وقدر في السرد) ضيق في نسج السروج أو جعل النسج على القصد
وقدر الحاجة (وعملوا) يادود وآل داود (صالحا إلى بما يعملون بصيرو) سخرونا (لسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر) جوبها بالفسادة مسيرة شهر وبالعشى كذلك (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب
أسالة من معدنه فتبع منه نبوع الماء من ينبوع فلذلك سماه عينا (ومن الجن من يعمل بين يديه) من
يعمل معطوف على الريح ، وقوله - من الجن - حال متقدمة (بأذن ربه) بأمره (ومن يرغ منهم عن
أمرنا) ومن يعمل عنهم عما أمرناه من طاعة سليمان (ننقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون
له ما يشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة ، سميت بذلك لأنه يحارب عنها (وتماثيل) وصورا

أوتمائيل لللائكة والأنبياء على ما اعتادوا من السادات أبرار الناس فيعبدون على عبادتهم **✽** يقال أنه كان له أسدان في أسفل كرميه ونسران فوقه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، وإذا قصد أن يهبط النسران باجنحتيهما (وجفان) فصاع (كالجواب) كالخياض السكبار جمع بجاية من الجبابة وهذه من الصفات الغالبة كالذابة (وقدور راسيات) ثابتات على أنفائها لا تتحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمتهن وكان يصعد إليها بالسلام وقلنا (اعماوا) يا (آل داود شكرا) أي اشكروا بطاعة الله شكرا على نعمه والمراد بالآل داود إمامه وحده أو هو وسليمان وأهل بيته وليس مهمنا تحقيقه (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (مادهم على موته) مادل الحق أو آله (الإدابة الأرض) أي الأرض أضيفت إلى فعلها والأرض يسكنون الرأى أوفقتها يقال أرضت الأرضة الخشب أرضا فأرضت أرضا ، فافعل الأول كضرب والثاني كفرج (تأكل منسأته) عصاه ، تقول نسأت البعير إذا ضربه وهي يطرد بها (فلما خثر) وقع سليمان (نبئت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التماس الأمر على عاقبتهم وضعتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) أي لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلوا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعد موته حولا في تسخيره **✽** روى أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات داود قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم ودنا أجله فأعلم به فأراد أن يمسي عليهم موته ليموت فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متمكنا على عصاه فقبض روحه وهو متمكنا عليها ، فمضى كذلك حتى أكتتها الأرضة فخر ثم بحثوا عنه فوجدوا بحسب مقادير أكل الأرضة أنه قد مات منذ سنة وكان عمره ٣٥ سنة ومالك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مئين من ملكه

هذا ما جاء في كتب المفسرين رحمهم الله وسيأتي في الفصل الثالث مقصود هذه القصة وإنها من المعجزات النبوية لأن هذا المقصود هو نفسه الذي شرحت الأرواح في الوقت الحاضر وهو عجيب وهذا داخل في قوله تعالى - يعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها

ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ من نسل قحطان (في مسكنهم) أو مساكنهم قراءتان أي في مواضع سكنهم وهي اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة فراسخ (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار ، والآية المذكورة (جنتان) جعاعتان من البساتين (عن يمن وشمال) جعاعة عن يمن ببلدهم وجعاعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضيقها كأنها جنة واحدة أو لكل رجل بستانان بستان عن يمن مسكنه وبستان عن شماله ، وقد أظهر الكشف الحديث الآتي الرأى الأول فقال لهم الله على السنة أنبيائهم هذه البلدة التي فيها رزقكم (بلدة طيبة) ورزقكم الذي رزقكم (رب غفور) لمن شكره **✽** قال ابن عباس وكانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء ، يقال إنها كانت أخصب البلاد ، وأما طيبها فليس بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وسنرى تحقيق أهم هذه الأمور (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي السد وهو جمع حرمة وهي الحجارة المركومة كالخزان في وادي النيل عند ما صوان يحجز الماء وكان ذلك بين زمن عيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام وهذا السد له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض والمطر يجتمع أمام ذلك السد فيسقون من الباب الأعلى ثم الذي يليه ثم من الأسفل (وبلناهم بجنتهم) المذكورتين (جنتين) سبينا جنتين للشاكلة (ذواق كل شط) الأكل الثمر والخط كل نبات أخذ طعما من المارة وشجر الأراك وكل شجر ذي شوك (وأثل) هو القبل وهو أكبر من الطرفاء وأعظم منه (وشج من سدر قليل) وهو شجر معروف يتفقع بورقه في النسل وثمره النبق وهو مسطوفان على كل أعلى شط ، ألا ترى أن الطرفاء لا ثمر لها فلا تسكون في حينها كقول وفي كل شط قراءتان الإضافة والتشوين وعلى الثاني يكون بدلا أو عطفا بيان (ذلك جزيناها

بما كفروا) أى بكفروهم (وهل يجازى إلا الكفور) وفي قراءة - وهل يجازى - (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أوراكة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل (وقسنا فيها السير) بحيث يقبل الغادى في قرية ويبيت الراح في قرية إلى أن يبلغ الشام وقيل لهم بلسان الجمال (سيروا فيها ليالي وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمين) لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى انهم بطروا النعمة وماوا العافية كفى إسرائيل فساءلوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفازا يمتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزداد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يستموا بها (جعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بها تهكبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ أى كما تفرق أبناء سبأ في البلاد كما سيأتى تفصيله (ومن قنأهم كل عزق) وتفرقناهم غاية التفريق (إن في ذلك) فيما ذكر (آيات لسكل صبار) عن المصاحف (شكر) على النعم (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) بالتشديد أى حقق ظنه أو وجدده صادقا وبالتخفيف أى صدق في ظنه (فانبجس لإفريقنا من المؤمنين) أى لإفريقنا عنهم المؤمنين لم يقبوه (وما كان له عليهم) على التبيين (من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والافواء (إلا لعلم من يؤمن بالآخرة عن هومنها في شك) أى ليهتم المؤمن من الشك (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ رقيب . واعلم أن هذه الآيات من قوله - ولقد صدق عليهم إبليس ظنه - جىء بها كما هي عادة القرآن بعد ذكر القصص لاستنتاج العلم من أحوال الأمم لأن انفراد تعليم المسلمين لا يجرد القصص وسرد ما يقول الله إن إبليس لا سلطان له على قلوب الناس وإنى أسلط عليهم كما أسلط الشياطين على العيون انقذرة والوباء على البلاد التي تستحقه لتعفن بجوها ، فليست أفضل إلا الحكمة فمن سمع وسوسة الموسوس فهو المذنب وحده ، فإذا حل الوباء بأرض ماتت من الانقذرة له على أسلابة لاستعداداته للوب وبقي من له استعداد للصحة هكذا في الوسوسة يفرق الله بها بين الثابت العقيدة ومتزلزله وهكذا جميع حوادث الدنيا من اللذات والهمكن منها والحوادث المؤلمة وحاولها ليثبت القادر ويسقط الضعيف وهكذا الأمم الأورو بية جعلها الله محكلا لأهل الشرق فمن صادمهم وصبر على مكابحتهم فاز بالاستقلال ، ومن جزع منهم وخاف وهلع وخضع أصبح أسيرا لهم وأذاقوه سوء النكال . هذا ما تفيد الآية إذ يقول تعالى - وما كان له عليهم من سلطان إلا لعلم - الخ ثم قال تعالى (قل) يا محمد لا شركين (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آله (من دون الله) ليكشفوا عنكم الضم الذي نزل بكم في سنى الجوع ، ثم أفاد عجز الآله فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يعنى من خير وشر ورفع وضرر (وما لهم) أى للآله (فيهما) في السموات والأرض (من شرك) من شركة (وما له) الله (منهم) من الآله (من ظهير) بين يعنى على تدبير أمرها (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا تنفعهم شفاعتهم أيضا عنده تعالى فلا شفاعة عند الله (إلا لمن أذن له) أى إلا لمن أذن الله له أن يشفع والله لا يأذن أحدا أن يشفع هؤلاء الكافرين فيعذبون صفيين عند الموت (حتى إذا فزع) كشط وحلى (من قلوبهم) الخوف والفزع (قلوا ماذا قال ربكم) أى قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحق (قلوا الحق) أى قال المشركون الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار (وهو العلى الكبير) أى ذوالعلو والكبرياء ، وللآية وجه آخر في التفسير وهو أن الله تعالى لما قال - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ذكر حالا من أحوال الذين يؤذن لهم بالشفاعة وهم الملائكة لأن الأصنام لأن الملائكة وسائط الوحي ، وقد تقدم في (سورة البقرة) أن التليم بذر الشفاعة فقال إن الملائكة ينتظرون الأذن خائفين فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم بالأذن قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة ؟ قالوا قال القول الحق وهو الأذن بها لمن ارتضى وهم المستعذرون لها ، وهذا المعنى فصله حديث الترمذى « إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات

صلصلة جكر الساسلة على الصفا فيصعقون فلايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فرج عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق فيقولون الحق .

واعلم أن حال العلماء والحكماء في الأرض فيها بعض الشبه بذلك . ألا ترى أن النبي ﷺ عند الوحي كان كأنه مغشى عليه . ويتأبه الفرق ثم يكشف عنه ذلك فينطق بما أوحى به إليه . ألا ترى أن الإنسان لا يعرف علما إلا اذا صرف كل قواه العقلية الى الفكر وحصر كل همه في الفهم حتى ينقل ما هو بصده . إن هذا الذي ذكر في الآية والحديث يشير الى أن العالم والحكمة من عالم منابرنا فلا ينال ملك ولا نبي ولا عالم شيئا منه إلا بأن تكون كل قواه محصورة في العالم الروحي وأقل الناس في ذلك العلماء وأعظم منهم الحكماء وأرق منهم الأنبياء والملائكة فاستغراق هاتين الطائفتين أشد والله أعلم

(الكلام في شجاعة الكافرين والمعاندين والمترفين والمروسين وما هو من هذا النحو)
لما تقدم قوله تعالى - لا يملكون مثقال ذرة - الخ أتى هنا بتقريره فقال (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) فجواب سواه (وأنا وإياكم لنلى هدى أو فى ضلال مبين) أى مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وذلك على طريق الانصاف في الججاج إذ يقول القائل أهدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصالح كاذب فكذبهم من غير تصريح بالكذب (قل لا تسألون عما أجرنا ولا نسال عما تعامون) وهذا أدخل في الانصاف إذ أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للخطابين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفصل (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أرؤى الذين ألقنكم به شركاء) لأرى بأى صفة ألحقتموهم بأنه في استحقاق العبادة ، استفسر عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم في تكذيبهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايضة أى ارتدعوا (بل هو العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة ، فأما من ألحقوهم به فلا قبول للعلم عندهم ولا القدرة (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم فهي كفتهم أى منعهم أن يخرج منها أحد منهم أو لا حال كونك جامعا لهم في الإبلاغ والتاء للبالغة (بشيرا ونذيرا) ولكن أكثر الناس لا يعلمون (فيحملهم جهلهم على مخالفتك) ويقولون (من فرط جهلهم) متى هذا الوعد (ينون المبشر به والمنذر عنه) (إن كنتم صادقين) الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقسمون) اذا فاجأكم وهو جواب مطوف على التهديد مطابق لما قصده من التثبت والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب ، وذلك ان أهل مكة سألوا أهل الكتاب عنه ﷺ فأخبروهم انهم يجدون نعمة في كتبهم ففضوا وقالوا ذلك (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم) في موضع الحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويترافعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الأتباع (للذين استكبروا) لرؤساء (لولا أتم لكننا مؤمنين) فأنتم الذين منعونا عن الإيمان (قل الذين استكبروا) أجب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا أنحن صدقناكم) معناكم (عن الهدى) عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا في الليل والنهار أى لم يكن اجرامنا الذي صدقناكم بل مكركم لنا دائما ليلا ونهارا حتى غيرتم علينا رأينا (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) وذلك أن القادة يقولون للأتباع ان ديننا الحق وأن محمدًا كذاب ساحر فاذن طاعة الكفار بعضهم لبعض تكون سببا لهداوتهم في الآخرة كما هو مشاهد في قطاع الطرق والفسقة اذا وقعوا في أيدي الحكام والقضاة فانهم يتعادون (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى وأضرم الفريقان الندامة على الضلال والاضلال (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أى في أعناقهم (هل يجزون إلا

ما كانوا يعملون) أى لا يفعل بهم ذلك إلا جزاء على أعمالهم (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها
 إنما بما أرسلتم به كافرون) ذلك تسلية لرسول الله ﷺ لأن المتنهم المنغمسين في الشهوات هم الذين
 يجعلهم التكبر والمفاخرة بخلاف الدنيا على النور من الكمال والحكمة والعلم والایمان لأن الضدين لا يجتمعان
 فمن هو منغمس في الشهوات واللذات كيف يتخلص عقله للكمال ، ثم أعدوا ير بطون الكمال النفسى بالكمال
 المادى (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) ولم يكن ذلك لإلرضاء الله علينا ولو كان ديننا باطلا ما منعنا هذه
 النعم فنعجن مكرمون (وما نحن بمعذبين) رداً لعلمهم (إن ربي ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع
 ويضيّق امتحاناً وابتلاء فلا علاقة للكمال الروحى بالكمال الجسمى (واكن أكثر الناس لا يعلمون) انها
 كذلك فيخلطون في أحكامهم ويعلقون أحد الأمرين على الآخر (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا
 زلفى) أى باننى تقرّبكم عندنا تقرّباً (إلا) لكن (من آمن وعمل صالحاً) أى إيمانه وعمله يقرّبه منى ،
 فالأموال والأولاد لا تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى يتفوق ماله في سبيل الله ويعلم الخير ويريه على
 الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) أى أن يجازوا الضعف الى عشر الى سبعائة فأكثر (بما عملوا وعمل
 في العرفات آمنون) من المنكارة (والذين يسمعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) سابقين لأنبيائنا
 أو ظانين انهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون) قد إن ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
 له) هذا فى الانسان الواحد فى وقتين مختلفين وما تقدم فى شخصين مختلفين (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه)
 عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً (وهو خير الرازقين) ولا رزق من غيره إلا أن يكون واسطة فى ذلك فالرازق حقيقة
 هو الله (ويوم يحشرهم جميعاً) المستكبرين والمستضعفين (ثم يقول للأنبياء هؤلاء إياكم كانوا يعبدون)
 تقرّبوا للمشركين وتبكيتم لهم واقباطا لهم من توقع شفاعتهم (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أى الذى
 نواله من دينهم لا موالاة بيننا وبينهم (بل كانوا يعبدون الجبن) أى الشياطين إذ كانوا يعبدون غير الله
 بوسوستهم أو يعبدونهم هم أنفسهم إذ يفهمونهم أنهم هم للأنبياء تضليلاً فيستغيثون بهم فى قضاء حوائجهم
 كما هو مشهور عند أرباب العزائم والسحرة ، فأما نحن فإنا ندعو الناس الى الخير والفضل ، فجواهر نفوسنا
 ونتائجها مخالقات لجواهر الحق ونتائجها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى مصدّقون للشياطين إما باستحضارهم
 بطرق التحضير ، وإما بالوسوسة (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرراً) بالشفاعة والعذاب أى انهم
 عاجزون لا تنفع عندهم ولا ضرر لأن الأمر فى ذلك اليوم لله الواحد القهار ، لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة
 لأحد (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة فى غير موضعها (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)
 فى الدنيا (وإذا تلى عليهم آياتنا) أى قرأ القرآن عليهم (بينات) واثبات (قلوا ما هذا إلا رجل يريد أن
 يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أى القرآن (إلا إفك مفرى) وقال الذين كفروا) اظهار فى
 موضع الاضرار لا انكار عليهم أى قالوا (للحق) القرآن أولاً من النبوة (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثله
 (إن هذا) أى الحق (إلا سحرمين) أى بين ظاهر فشكل عاقل يتأمله بسديه سحرا (وما آتيناكم من كتب
 يدرسونها) تدلهم على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الشراء ويشترهم على
 تركه فن أين هذه الشبهة؟ ثم أخذ يهددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا عدداً
 ما آتيناهم) أى وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلى
 فكيف كان نكير) أى حين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحضر
 هؤلاء مثلهم (قل انما أعظكم بواحدة) أى أرشدكم وأنفصح لكم بخصلة واحدة هي مادل صليته قوله (أن
 تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفسكروا) أى هو القيام والاتصاف فى الأمر والنهوض بالهمة فتقوموا لوجه الله
 خالصاً ثم تفسكروا فى أمر محمد ﷺ اثنين اثنين أو فرادى ، فأما اثنان فيعرض كل واحد منهما رأيه على

الآخر ، وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ومنصفه هل رأينا في هذا الرجل جنونا ؟ وهذا قوله تعالى (ما
بصاحبكم من جنة) أي فتفكروا هل بصاحبكم من جنون أو ما بصاحبكم من جنون ؟ (إن هو إلا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد) قدومه لأنه مبصوث قبيل الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أي أي شيء سألتكم من
أجر على الرسالة (فهولكم) وهذا وما قبله يرجعان إلى أن دهرى النبوة بالحققة لها إما أن يكون الجنون
أول توقع نفع دنيوى ، فأما الجنون فلينظر فيه بالنفكر مثنى وفرادى ، وأما النفع الدنيوى وهو الأجر فهو منتف
أيضا (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطالع يعلم صدق وخاوص نبتى (قل إن ربى يقذف
بالحق) يقول بعد نفي كل من الجنون وتوقع الأجر فى الدنيا قل لهم إن ربى يأتي بالوحى من السماء فيقذفه
إلى الأنبياء (علام الغيوب) خفيات الأمور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد)
أي ذهب الباطل وزهق فلم تبقى منه بقية تبدى شيأ أو تعيده (قل إن ضللت) عن الحق (فإنما أضل على
نفسى) فو بال ضلالى عليها (وان اهتديت فما يوحى إلى ربى) فان الاهتداء بهديته (إنه سميع قريب)
يدرك قول كل ضال ومهتد (ولو ترى إذ فرعوا) عند الحوادث العظام من هلاك فى الدنيا كما حصل فى حرب
بدر وغيرها أو عند الموت أو يوم البعث لرأيت أمرا فظيما (فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) من ظهر
الأرض إلى بطنها ، أو من الموقف إلى النار ، أو من صحراء بدر إلى القلب هناك (وقلوا آمنا به) بمحمد حين
عابوا العذاب عند اليأس (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الأيمان
والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيحوه ، فاذا سألوا الرد إلى الدنيا يقال : وأنى لهم الرد إلى الدنيا
(وقد كفروا به) بمحمد ﷺ (من قبل) من قبل ذلك أو ان التكليف (ويذفون بالغيب) ويرجون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم من الرسول ﷺ (من مكان بعيد) من جانب بعيد عن الصدق
والحق والصواب كقولهم هو شاعر وساحر الخ فهذا منهم تكلم بالغيبه والذى لم يشاهدوه فهو من جهة بعيدة
عن حاله الشريفة ﷺ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الأيمان والنجاة به من النار بعد ما فاتت
فرصته فى الحياة الدنيا وهم كافرون وقد ذفون بالقول بلا روية ولا فكر فى أمر النبوة (كما فعل بأشياعهم
من قبل) أى بأشياعهم من كفره الأمم لدارجة (انهم كانوا فى شك صريب) موقع فى الريبة والتممة وهو
وصف للشكك وصف به الشك مبالغة . انتهى الفصل الأول وهو تفسير ألفاظ السورة كلها

(الفصل الثانى)

نذكر فى هذا الفصل ما كنت كتبت مخلصا لتفسير هذه السورة منذ أكثر من عشر سنين ليجمع
المعنى بسهولة عند الأذكياء

اعلم أن هذه السورة تشتمل على (ستة مقاصد الأول) اثبات الوجدانية (الثانى) اثبات علم الله
(الثالث) اثبات يوم البعث بما يشاهد من الجحائب (الرابع) آراء العلماء فى القرآت وآراء الجهلاء
(الخامس) ذكر أمتين عظيمتين غنيتين إحداها أطفاها الذى فكفرت وهى سبا وأخرى شكرت وهم
آل داود وسليمان وجوزى كل بما فعل (السادس) تعليم الناس الاستقلال فى الرأى ونبد الأوهام حتى
لا تخذعهم صورة ممثلة ولا رئيس ضليل ولا يفرتهم مال ولا يطغهم ترف ولا يعبدون ملكا ولا جنا ولا يكن
يكونون أسرا خالصين مخلصين فينالون السعادة فى الدنيا والآخرة كداود وسليمان عليهما السلام وكانى
ﷺ كما ذكر فى سورة الأحزاب

﴿ المقصد الاول والثاني والثالث ﴾

(من أول السورة الى قوله - من رجز أليم -)

ابتدأ السورة بحمد الله عز وجل و بيان اختصاصه بلك العالم العلوى والسفلى وليس فى الآخرة من نعمة الا من فيض فضله وتعام نعمته فهو المحمود فى الدارين المشكور على النعمتين توطئة لما سيدكر فى السورة من ملك داود وسليمان اذ عرفا لله حق النعمة واعترفا أهمامن الله وشكرا عليها والمناحا الى سبأ بكفرهم بالنعمة واعراضهم عن الحمد وتقطيعهم الارحام وعز بقهم شمل الامة - جزاء وفاقا - بما عملوا ومزقوا كل ممزق لما أعرضوا وايدانا بأن من خدعوا بالاصنام أو اغتروا بالرؤساء الذين استكبروا أو عبدوا الملائكة أو قالوا للضعفاء نحن أكثر أموالا وأولادا فأن أولئك غافلون وجزاؤهم انقت والغضب والارتظام فى أحوال الشهوات والفرق فى غمرة الجهل واستعباد الرؤساء لهم وتعذيبهم لما غفلوا عن مسبب النعمة ومسببها ثم أفاد أنه يعلم أجزاء المادة وان دقت وصغرت وصفاتها من حركة وسكون وولوج وخروج ونزول وصعود ويعلم ما فوق ذلك من ملك كيف لا ونحن نشاهد عجائب الكيمياء فنحجب كيف وزن الذرات وزنا بديها حتى الملك لا ترى الا كسوجين والأدروجين فى الماء مثلا لا تزيد ذرة منهما أو من أحدهما عما رسم لها فى تركيب الماء وتلك الذرات دقيقة لا ترى بالمنظار المعظم . وهكذا العناصر الداخلة فى تركيب الاشجار والزرع فلقد وضع أن تألف منها النبات بمقدار معلوم فترى الجبر مثلا فى القطن وفى القمح وله مقام معلوم فى كليهما لا يتعداه . وهذا هو السر المصون الحبيب المبرر عنه بقوله - ولا أصغر من ذلك -

فان ذرات الكيمياء أصغر من ذرات الهباء صفرا لاحدله . ولا جرم أن الذى يعلم دقائق الاشياء كأنشاهده لا يفتل عن أفعال العباد . فاذا وزن الذرات فى تركيب النبات فما أحراه أن يزن أفعال العباد ليوم الميعاد فذكرنا الله بقوله - ورى لتأتينكم - وهذا قسم لتأكيد على نهج البلاغة ثم اتبعه بالبرهان العلمى والدليل الطبيعى والكماوى للحكماء على سبيل الارتقاء فقال - ولا يعزب عنه مثقال ذرة - الخ فتعجب وتأمل وادرس العلم واقرا الحكمة حتى تفهم السر المصون وذلك قوله تعالى - يعلم ما يلج فى الارض الى قوله من رجز أليم -

﴿ المقصد الرابع ﴾

ان عقلاء الامة وعلماء الديانات يرون أن هذا القرآن يوافق ما أوتوا وأنه هدى . وأما الجهال فانهم تأهون فى أودية الضلال لاحجة لهم الا الاستبعاد . ولادليل لهم الا الاستهزاء والايذاء بما يهرفون من جنة يدعونها وكذبة يفترونها . ذلك لقصر نظرهم عما أبدع فى الارض والسماء وما وزن فى المركبات من الذرات مما لا يفهمه الاعلاء دارسون لهذا النظام . فما أحرى السماء أن تنزل عليهم كسفا وما أجدر الارض أن تحسب بهم خسفا فانهم يعيشون عليها وهم لا يعقلون ويأكلون خبرها وهم لا يدرسون قال تعالى - ورى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد - الى قوله تعالى - ان فى ذلك لآية لكل عبد متب -

﴿ المقصد الخامس ﴾

فيه غرضان الاول من أوتى مالا وعلمنا وحكمة فعرّف وشكرو وآمن بالبعث وهدى الناس . والثانى من أوتوا النعمة ففرحوا وأعجبوا واستكبروا وطغوا فهلكوا هما امتان ذكرهما الله عز وجل كانتا فى جزيرة العرب فبنوا اسرائيل بالشام ومنهم داود وسليمان عليهما السلام وسبأ كانوا فى اليمن وما أنسب ذكرها بسورة الاحزاب وما أعجب قصص القرآن . ألم تركيب أنعم على النبي بنعمة النصر والفتح والهدى . وهل أنسب لذلك من أمر داود وسليمان عليهما السلام ولبلاذ سبأ ببلاذ الشام علاقة متينة قوية .

ألم ترى قصة لمقيس وسليمان عليه السلام أيام شباب الدولة الاسرائيلية فان بني اسرائيل كان لهم أدوار ثلاثة .
 (الدور الاول) ذلهم في مصر نحو أربع مائة سنة وعشرات (الثاني) ملكهم تحت حكم النبطيخ السبعين نحو
 من ذلك بالشام . (الدور الثالث) دور الملك والعظمة وذلك في زمن داود وسليمان عليهما السلام . وذلك أيام
 بلقيس . ولذلك الإشارة بقصة طالوت وجالوت وداود في البقرة وقصة بلقيس في النمل وأما قصص فرعون معهم
 فما أوضح ما ذكر في أول الشعراء في ذلك . واقعد كانت دولة الحبر بين والتبابعة قوية ذات مجد وسلطان وعظمة
 فما اشبهها بدولة بني اسرائيل في زمن سليمان وداود . (ولسكل من الدولتين قدم راسخة في صناعة التماثيل
 وبناء المحاريب والابنية والجلال والعظمة) ولقد أصبح القطران في حوزة الأمم الاسلامية الآن فالبحر معروفة
 أخبارها مشهورة آثارها خاوية من الصناعة فارغة من العلم الاقبيلا وكذلك ارض الشام . ملك الله المسلمين
 القطرين منذ أيام العصر الاول وقص عليهم قصص ادم التي سكنتهما والاجيال التي قطعتهما والموالك التي دبرتها
 ليدكر المسلمون وليعتبروا وليعلموا أن النقاط سفير العذاب ونذير الخراب وأن هذه البلاد سيملكونها
 فإياكم أن تكونوا كسباً إذ أغدقنا عليهم النعم وملكناهم اليمن وجعلنا بلادهم من الغناء والخصب كأنها جنتان
 بحيث يراها الزاهب اليها جنتين عن يمينه وشماله أولسكل مسكن جنتان هو قائم بينهما على النظام الاوروبي
 العصري الذي حرم منه المثلون عندنا وتمنع به صفار العملة هناك وهل كان ذلك النظام البديع الا باقتان علم
 الزراعة والابداع في فن الصناعة ودرس علم الصحة وكيف تنظم المساكن وكيف تحاط بالبساتين الا بالهندسة
 المدروسة وتقويم الصحة وكيف بنى السد المسمى بالعم أو السكر أو النجف أو المسناة ليحجز الماء الا باقتان
 فن الهندسة والبناء وعلم الري ونظام الجسور . وهل تلك الطبقات الثلاث في المسناة أو العم التي تنزل الماء
 بقدر معلوم فالمنفذ الاعلى يليه الاوسط فالاسفل ابجكمة وعلم . وهل تستطيع الأمم الوحشية ذلك ؟ كلا

ولقد كان العمران متواصلاً ماراً في تلك الصحارى المتفرقة الآن . والآثار الدارسة حتى يصل بلاد الشام
 التي بارك الله لاهلها من بني اسرائيل وغيرهم . ألا تنجب . كيف دمر ملكهم وهل ينزل البلاء ويستعصى
 الداء . ويعوز الدواء . الا اذا جهلوا ما به الحياة وانصرفوا عن الحكمة الموروثة وتقاطعوا وتميزوا طرائق ،
 وتباينوا حوائق ، فجهاوا الهندسة وتركوها ، وأغفلوا الصناعة ونبذوها وضلوا عن الزراعة فلم يتعهدوها ،
 وأعرضوا عن علوم الري فلم يدرسوها ، وانصرفوا عن نعم الله فلم يشكروها ، واتبعوا ما يقول الجاهلون ،
 وابتدعوا لهم الدجالون فيقولون (سيفتح العم قارة فاربطوا هرة تحفظه وترعاه كجافل المصريون أيام قنيز
 اذا حجبوا عن ضرب الفارسيين خوف الهرب أن تصاب) - قتل الانسان ما كفره . فلما أن أهملوا سدهم ،
 وتركوا ، أرضهم ، سال النوادي بالماء وبدل الجنتان بما لا ينفع الانسان من أثل لاثمله وشجر من التمر ونبق
 قليل ، وتباعدت أسفارهم ، وتناوت ديارهم ، وخربت القرى المتواصلة المنظمة في طريقهم الى الشام ،
 فأصبحوا مثلاً في الغابر ين قليل تفرقوا أيدي سباً : وأبناء سباً عشرة تشام منهم أربعة ، لحم ، وجذام ،
 وغسان ، وعاملة : وتبا من ستة : الاسديون والاشيريون ، وحير ، وكندة ، ومذحج ، وانمار ، ولما تفرقوا
 لحقت غسان بالشام والازد الى عمان ، وخزاعة ، الى تهامة ومراة الأوس والخزرج الى يثرب . ولحق آل خزاعة بالعراق
 ﴿ موازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن حنظل ﴾

فوازن وعاك الله هذا الملك العظيم ملك بني اسرائيل وكيف زال الأول بسيل العم بعد الأبهة والجلال . والعز
 والمنعة . والشرف . والفضل العظيم وكيف بنوا اسرائيل فني داود وسليمان عليهما اسلام بيت المقدس اذ رفع على أعمدة
 بلورية وبنى بالرخام الأصفر والأبيض والأخضر . وسقف بأنواع الجواهر وفضض سقفه وحيطانه بالآلتي واليواقيت
 وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع الفيروز وسخر العملة . فبنوا المحاريب وصنعوا التماثيل لسكل صنف من الحيوان
 الممثل للقوة كالاسد والصقر أمام كرسيه وفوق رأسه . واللطيف الشسكل كالغزال وغيره . ألم وكيف زال هذا الملك

اذ طفوا وبفروا وسلط عليهم يختصر من أرض بابل فأخذهم ورضعهم بأرض فارس وما والاها كما في أول سورة الاسراء . ان ذلك لعبرة للسامعين كما في قصص هود . وعاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين . فساكن هؤلاء جميعا اسلامية اليوم . وقد أعطاها الله المسلمين فتمت وعفوا أيام شباب دينهم فلما أدبروا وأعرضوا أصبحت البلاد عرضة للدمار آيلة للخراب ان لم يبق فيها مصلحون ويسعدوها المرشدون وذلك قوله تعالى . ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي - الى قوله - لعل صبار شكور -

﴿ المقصد السادس ﴾

(الاستقلال والحرية في الآراء)

خراب الأمم وذهاب الدول وخراب بلدانها لا يدعو اليه الا الجهل ولا يحده الا العلم باتاع أخس الآراء وتصديق الترهات كما يحدث في بلادنا من أكاذيب الجهلاء وأضاليل بعض السفهاء من المعاصرين الفاوين وكما حدث في سبأ من نبذ عوام اسلافهم واتباعهم أهواءهم ور بطا طرر ببحان سدهم كأنهم مهندسات ومنظمات ويقع الجهل خسة النظم والتقاطع والتدابير وذلك هو المعبر عنه في القرآن بالكفران . وشبه الاوهام كثيرة وأوديتها شاسعة وخزوق خفيها واسعة ولكن ترجع الى ثلاثة أصول ضعف في بصيرة . اغترار برياسة . وضلال بطر الفنى . فأما ضعف البصيرة فذلك ما ذكره الله عقب قصص سبأ من الاصنام المنصوبة والاشباح الخالية من الارواح وكيف صور الوهم للناس عبادتها وكيف يصدونها شفعاء ومن يشفع الا بعض المصطفين الأخيار فيخرجون فرعين ويفشى عليهم صغفان فاذا زال الفزع تساءلوا فيما بينهم ماذا أنزل ربكم قالوا انه قال الحق (وهذه الأصنام لحيات لها فضلا عن الشفاعة) وليس عباد الملائكة بأحسن حالا من عباد الاصنام فكاهم محاق وكاهم سر يوب . بل يقف الملائكة يوم القيامة ويتبرؤون ممن يصدون ويقولون ان عبدوا الا الارهام ، وما اتبعوا الا الجان اضعف بصائرهم . وذلك قوله تعالى - ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه - الى قوله عذاب النار التي كنتم بها تكذبون -

(الاغترار بالرؤساء)

وأما الاغترار بالرؤساء ، والخضوع للكبراء فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى وداية الشر . وداعية اساع الخرق . وغرور الجهال . وضياع الاموال ودمار البلدان . ولقد قطع الله الحجة واعذر . وقرر الذنب على الرؤسنا كالرؤساء والمحكومين كالحاكمين . وتأمل كيف يقول الضعفاء للمتكبرين انتم أضلتمونا فهل تنفموننا . فقال المتكبرون كلا فانكم مجرمون ولم لا تنفكرون أفلا تعقلون . فقال الضعفاء كم من حيلة نصبتموها . ومكيدة دبرتموها باذاعة الاخبار ونشر الآثار بالليل والنهار فقل الله - لعل ضعف من العذاب - ذلك كما نشاهده اليوم في الأمم التي ذهب مجدها وغاب سعادها وحضر جهدها اذ يقولون على الرؤساء تبعتها ونحن لآمال بأيدينا ولا سلاح ولا جنود فقطع الله الحجة وأوضح المحجة وأباط بكل شمسه وأوجب عليهم أن ينظروا مفكرين ولا يغترون بالمتكبرين فكهم يسمع المرء عجيبة ولا يرى طحنا فالصالح كالمالك في الاسلام على كل التفكير - ان أكرمكم عند الله أتقاكم - ومصدق ذلك ما تراه الآن في بلاد الاسلام من قوهم ظلم الحكام فباد الانام ونقول كلنا والله مسؤولون وعلينا أن نفكر للمجموع والاحق كلمة العذاب وذلك قوله تعالى - ولو ترى اذ الظالمون موقوفون - الى قوله - هل يجزون الا ما كانوا يعملون -

(الضلال بالفنى)

وأما الضلال بالفنى والبطر بالمال فما أشبهه بالعبادة الاصنام ولن يجادل الانبياء ويقاوم الرسل والمصلحين الا الاغنياء لئلا تفوت رياستهم ويعلمهم غيرهم ذلك شأن الانسان في كل زمان الا أن عابد الصنم متمتع خياله

وخباله والمفتقر بالمال أعظم شهوته وخضع للذات كالجماوات وذلك قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نذير إلى قوله آمنون - فالمال كالصحة والسلطان والولد وسائر النعم لادلالة لوجودها على الشرف والالهام على الضعة فهي تكون للبار كما تكون للناجر فليست تقرب بعيدا . ولا تبعد قريبا . ولا ترفع وضعا ولا تضع رفعا لذاتها ولكن هذه الاعراض أشبه بالسيف ينفع ان أمسكه العاقل الشجاع ويضر ان تناوله المجنون . هذه أهم مقاصد السورة الشريفة وما عدا ذلك فذئبت لحجة أو تأييد لحكمة كقوله تعالى - قل من يرزقكم من السموات والارض الى قوله ولا تستقدمون -

هذا وقبل أن ندخل في مباحث الفصل الثالث لابد أن نوضح المقام في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها - الى آخره وهو ما يأتي

﴿ جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير -

(الثانية) في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض - الخ ﴾

(كتب في ليلة الأربعاء ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد على انك أسعدتني بالحكمة وحبوتني العلم ، إنك أنت الحكيم الخبير ، فها أنا ذا الآن أصبحت على يقين أن من عبادك في أرضنا أناسا أشهدتهم هذه الأرض وهذه السموات في حياتهم الدنيا فراديس وجنات البقيع ، إن هذه العوالم في ظواهرها تمثل الشر ، ففيها الموت والحياة والمرض والظلم والقسوة والفجور والفسوق والخسران والحب والفراق والندامة والحروب والمدافع والبارود والديناميت والاهلاك والتدمير ، فهذه تشبه أن تكون ركنا من أركان جهنم ، اللهم إنك أنت حكيم ، ههنا قصرك المشيد أرض وسماء ومشاهد بينهما تمثل فيها المظائع والآلام والأرزاق والحياة والسرور والغرور ولكنك أنت مع هذا كله جعلت نفس هذه المشاهد روضة من رياض الجنة للحكماء والمفكرين ، أفليس من العجب أن تكون مبادئ النار والحكيم هي بعينها فراديس الجنان . كلا . بل هي مشاهد الحق ومظاهر الجلال والجمال ومبادئ مشاهدة الحق تبارك وتعالى ، في الأرض أقوام معذبون بهذه الحياة وإن كانوا لا يعلمون أنهم معذبون ، مسخرون وإن كانوا لا يعلمون ، أشقياء وإن كانوا لا يفقهون ، وهؤلاء هم أكثر هذا النوع الانساني ، هم في داخل أنفسهم في شقاء آلام الأمراض والعواطف والغم ومواقع الأعداء والحساد والحكام والوحوش والحشرات ورذائل الأصدقاء والأقارب والحزن على مصائبهم الخالة بهم والنسبة المتعدية منهم ، الحق أن الناس جميعا في الأرض مسوقون بعصا من حديد ، هم مسوقون كما تساق الأنعام ، فترية الولد وكسب العيش وتناول الطعام كلها ببواعث وزواجر يحس بها الناس وما هي إلا عصي من حديد تسوقهم وهم مرغمون

اللهم إن هذه حال أكثر نوع الانسان ، ولكن النادر منهم ينظرون هذه المشاهد وهم يسمعون كلاما ليس بحرف ولا صوت بل يقرؤنه في نفس المشاهد ويفقهونه والناس من أمرهم متعجبون هازئون وهم في أنفسهم للناس راحون ، العالم يرحم الجاهل والجهال هم أكثر نوع الانسان ، فهذه الجوع تستمد من الحكماء والحكماء هم الراحون لأن الآباء يشفقون على الأبناء ، فالحكيم أب لأئمة لأنه أقرب الى نبيها فاذا استمد منه الناس فهو بهم رحيم ، فاذا يسمع حكماء الأئمة من خطاب الله الذي ليس بحرف ولا صوت ، يسمعون يقول

« أي عباسي : أنا رحن رحيم ، رحتي سبقت شخصي ، ألم تسميوا إلى أبتدي كل سورة باسمي الرحمن الرحيم أألم أزل مضاتي في الأرض إلا عادة راحة ، وغاية الأمر أن أكثر الناس لا يعلمون ، هذا العالم الأرضي عالم يسير إلى الكمال ولا كمال إلا بالعلم ولا يتم علم إلا بمقدمتين مقدمة المحبوب ومقدمة المكروه ، فكما أن المنطقة منكم يقولون لا نتيجة إلا بمقدمتين هكذا حكمتي قضت أن لا علم لكم إلا بسابقة مقدمتين ولكن المقدمتان عندي هما المحبوب والمكروه ، أنتم يا أهل الأرض عبيدي وأنا أرحمكم أكثر من رحمة أبويكم آلاف آلاف المرات ، ولن تستطيعوا أن تعاقوا هذه الرسات إلا بدراسة جميع العلوم ودون ذلك خسر القطار

فهاكم أمثلة مما شاهدسون (الأول) حب الصور الجميلة طلبا للنسل ، أنتم جميعا تحبون الحكمة والأشكال الجميلة . فأول ما يصادفكم في حياتكم حب الوجوه الجميلة فيرى الرجل أو المرأة أن سعادة كل منهما في الاقتران بالآخر والاجتماع به وغير ذلك لأن صورة خاصة مقبولة في نظره ، ولا معنى لقبولها إلا بأن يكون الخلدان والعينان والأنف والفم على مناسبة مقبولة عند هذا الحب .

✽ إن الطيور على أشكالها تقع ✽
فهذا التناسب هو الذي يولع به الذكور والإناث فتكون الذرية . إذن الحكمة والنظام وحسن الابتداء هنا جعلت للشهوة البهيمية وبقاء الذرية وكان المقصد في ذلك كله هو اتقان تلك الصورة في نظر ذلك العاشق

(الثاني) حب الأعمال الصالحة . فإذا جاوز الناس الدرجة الأولى وهي الخسوع للشهوة البهيمية التي تنتج بقاء الذرية اعتلوا إلى درجة أرق وهي مزاولة الحكمة العملية فهناك يكون التعاون في الأعمال المنزلية والقيام بما يوجبه الدين والعرف والعادة من المحافظة ماديًا وأدبيًا على أراحة أهل المنزل من الزوجين والصغار

وبلى ذلك نظام القرية ونظام سياسة الجمعية الإنسانية كلها بالنظام العام ، ولا تمام لذلك إلا بالصناعات والأعمال العظيمة فهذا تمرين لكم أيها الناس على أن تكونوا خلغائي في أرضي (المثال الثالث) في الشوق إلى فهم

الصناعات الإنسانية المتقدمة وهو أعلى مما قبله ، إن نفوسكم تشرب للحكمة العملية لأن الحكمة العملية بالسياسة المنزلية والأخلاق الإنسانية والنظم السياسية العمدة مقدمات ومدرجات لعقولكم حتى تشاق إلى أن ترقى إلى فهم حكمتي في خاقي ولكن حكمتي فوق حكمة المهندسين ومهرة الصناع في أرضكم ، فأول ما يصادف

العقول الشريفة من الشوق العالمي أن تهرع إلى مشاهدات الصنائع القرية المتقدمة اتقاناً أنتم فوق ما تصنعون لغرائبها بالنسبة لما تقص من صناعاتكم ، إن أجسامكم هي الحاملات لأرواحكم وأنواع النبات والحيوان كل هذه

متقنات الصنع حولكم ، وهذه الشمس وهذه النجوم كلهن ناهرات الصنع ولكن لما كانت نفوسكم أرضية (وقد عجزت عن أن تعقل جمال تركيب النبات وإن كانت من علمائه ، وبهجة تركيب أصغر الحشرات وإن كانت من دارسيه ودقة صنع أجسامكم وإن كانت هي الحاملة له) أخذت تسعى إلى صنعة الإنسان لأنها إليه

أقرب وعتواكم إلى حكمة أمثالكم أميل ، ألم تروا كيف أقبل علماء أمريكا وأوروبا - من كل حذب ينسلون - على البلاد المصرية لما فتح الباب المخبوم بنحتم الملك (توت عنخ أمون) يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ وشاع

الخبير في الكرة الأرضية أن الغرفة الثالثة قد وجد فيها صندوق بديع داخله جثة الملك المذكور وجواهره الثمينة وهو مذهب ومنحرف ومرصع بالأحجار الكريمة وبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريباً ، وبعد ذلك وجدت الغرفة الرابعة وهي مملوءة بأثاث من أغنى المفاخر مرتبة ترتيباً

حسناً يفوق منظرها في بهائها وعظمتها ما رأوه في الغرفتين الخارجيتين ، وحضر لمشاهدة ذلك بعض ملوك أوروبا كملك البلجيكي والملكة لمشاهدة صنعة الخفوق لأن صناعاتها عقولهم أقرب إلى عقول أهل الأرض .

وأخذت الوفود تترى على مصر وهي عشرات الألوف بل أخذ الناس في دور الصناعات بأوروبا وأمريكا يقلدون الصناعات التي ظهرت في القطر المصري ، ويطلبون نماذج للأزياء المصرية الأثرية كالملابس وأثاث المنازل والأواني ليصنعوا نظائرها وهم بصرفون الألوف ومئات الألوف من الجنيهات ، وابتدأت النساء الأمريكيات

والاوروبيات يلبسن ملابس كالتى ظهرت في عهد (توت عنخ أمون) فانه في صباح (٨) مارس سنة ١٩٢٣ ظهر في شارع (فث افنيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسرن معا وقد لبسن من فئة الرأس الى أخمص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكانت بلباسهن هذه موضع إعجاب وقلة أقطار الجميع ومثلهن في انكسار . وأخذ الناس في أوروبا وأمريكا يقرؤن تاريخ قدماء المصريين . فلقد هالهم تلك الصناعات العظيمة من

- (١) سرير بديع لذلك الملك من الذهب المطروق
- (٢) وآنية من المرمر منحوتة من قطعة واحدة نروائح العطرية لذلك الملك
- (٣) وآنية أخرى من المرمر أيضا
- (٤) ونوع من الخلى الذى يزن الصدور من الذهب الخالص . هيئته تشبه هيئة السفينة
- (٥) وتماثيل داخل الغرفة الخارجية يحرسان باب الغرفة الشائبة المختومة التى بها جثة الملك
- (٦) وصندوق للملابس وعليه صورتان تملآن شكل (أبي الهول) يطأ أعداء الملك تحت قدميه وعليه نقوش غاية في الابداع والدقة تفوق سائر ما في المدفن من الاتقان والدقة والجلل
- (٧) وكبرى (عرش الملك) وهو مصنوع من الأبنوس والعاج ومحلى بنقوش جميلة قوائمه على شكل أسد من الذهب
- (٨) وصراة من الفضة منقوش عليها اسم الملك
- (٩) ولوحة قد كتب عليها تاريخ انتصارات القائد (هوس) النائب عن ملك مصر
- (١٠) وصورة الملك وهو يتلقى أخبار انتصارات القائد المذكور
- (١١) وصورا لهدايا والأسرى من بلاد الحبشة
- (١٢) وحذاء الملك المصنوع من الذهب وهو مزين بشكل زهرة (اللاوتس) الجميلة
- (١٣) وبرنس من نسيج كتان مصر المتين مع ملابسه ، وقفاز كتاني النسيج وهو أول قفاز مصرى قديم كشف ، صنع منذ (٣٠٠٠) سنة

هذا نموذج من مصنوعات العباد وهى التى يفرح بها الناس ويرغمون على السفر وترك الأهل والوطن وصرف السرهم والدينار ، كل هذا حب الصنعة والحكمة الانسانية التى هل أقل اقتانا وبهجة من الحكمة في السموات والأرض . ذلك لأن عقل الانسان الى عقل الانسان أقرب ولهم صناعته أسرع مع انه هو نفسه في جسم أبدع صنعا وأتقن وضعاً وأبدع حكمة وأبرج نقوشاً وأتم نظاماً من ملابس وصنادل وعروش وتماثيل (توت عنخ أمون) - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها - إذن هؤلاء العلماء السامحون من أقطار العالم لم يتعجبوا إلا عما يناسب عقول الانسان من صناعاته لامن صناعات الخالق جلّ وعلا فان تماثلاً بعقل ويبصر وينطق ويسمع أنتم وأكل من تمال جاهل أعمى أخرس أصم ، فهذا التمثال الأتم وهو الانسان لا يفرح بجسمه ولا بما فيه من النقوش ولا بما في الحشرات والحيوانات والنباتات حوله لأنه متقلب فيها صباحاً ومساءً فسقط وقعها من قلبه وهرع الى مشاهدة ما لم يره من قبل ففرح به لغرابته لأنه مما يناسب عقله من حيث انه منتهى ما يصل اليه الانسان (المثال الرابع) وهو أعلى من سابقه . هنالك أقوام في هذا النوع الانساني وهم أعلى ممن تقدمهم لهم ادراك أنتم وعقول أكل ، فهؤلاء يقولون هذه الدرجات الثلاث اثنتان منها انسانية وواحد منها حيواني انساني وهو الأول ولستنا نحن نريد مثلاً أعلى وهو مثل الملائكة فليكن نظارنا نظراً أكمل لنوع هذا الانسان فتكون آباء للدرجات الثلاث فهؤلاء يلدون ويعيشون في المنزل والمدن ويدرسون الصناعات ويدركون الجمال وكل منهم في أثناء بحثه

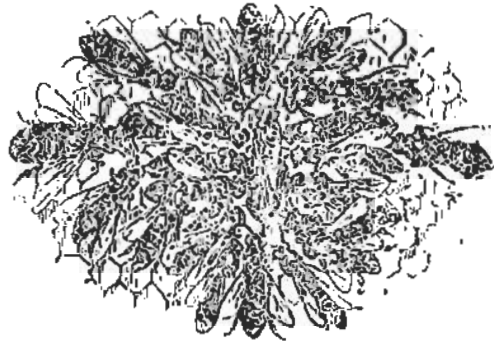
يعتريه الحس والسعد والفرح والحزن . ففي المنازل وفي المدن وفي الأسفار لمشاهدة الآثار أفرح وأتراح فقد يعيش العاشقان في هناء وقد يفترقان فيموت أحدهما كحدا ، وقد يعتري لآذان الدهش من هذه المصنوعات (المباحات في دين قدماء المصريين المحرم بعضها على الرجال في دين الاسلام) فيفرّج جالها فيقلدها فيبيع الأطراف والتليد من مقتنياته ويصبح خاوي الوفاض بادی الانفاض لا يملك شروى تغير ولا يكون في العير ولا النفير قد مسه الضرر وملكه الفقر إذن هذه الدرجات الثلاث أبنائنا فلنبحث نحن عن حكمة هذا الوجود ولن نظهر حكمته إلا في دراسة السموات والأرضين ، فننظر حولنا في الحشرات والدواب والنبات وفوقنا في السموات والأرضين . هل هذه الآلام ، وهذه اللذات التي تعرينا لها نتائج صادقة ، أم هي مصادفات كالتى رأيناها في الأمثلة الثلاث ، فهؤلاء يحسون بخطاب نفسى بالحرف ولا صوت وكأن الله يقول لهم : « أى عبادى هأنذا أخطبكم وقد تأهلتم للفهم عني وبذنم السابقين من بنى آدم أرباب الأمثلة الثلاثة ، انظروا : ألم تعلموا أن اللذات والآلام متدمات للعلوم فلو كانت اللذات وحدها والآلام وحدها لم تقم للعالم قائمة ، وهل يشئ الانسان على رجل واحد ؟ أم تخلق له يد واحدة أم عين واحدة وأذن واحدة وطاقة أنف واحدة ؟ فسكل واحد من هذين الزوجين مكمل للآخر ، فهكذا هنا الآلام واللذات زوجان يكفلان القيام بتعليمكم وارشادكم ولكن ليس كل انسان أهلا لفهم عني . كلاء وانما الذين يعقلون هم الذين ارتقوا عن الطوائف الثلاث السابقين ، وهذه الطائفة الرابعة لأجسمها مشاق السفر ولا يعوزها اتعال الحجر ولا توسد المدر ولا بذل (البدر) وان كان شعارها ﴿ لـسـكـل مـبـتـدأ خـبـر ﴾ و ﴿ لـسـكـل نـبأ مـسـتـقـر ﴾ بل هؤلاء ينظرون في منازلهم وفي قراهم فيجدون أنواع الحيوان كالحشرات وهي تطوف عليهم صباحا ومساء فإذا يرون ؟ يرون مثلا ان هذه الحشرات ونحوها ماهي إلا أساندة ومعلمون يطوفون على الناس ويقولون أيها الناس : نحن فريقان فريق يؤذيكم كالجراد والزناير ، وفريق يفسدكم ويشفيكم وينفعكم كالنحل ، فأكثر بنى آدم ينظرون للناموس والجراد نظر الخوف من نقص النفس والأموال وينظرون للنحل ودود القز نظر الرجاء أن يشتاروا العسل وينسجوا الحرير ، وهذه هي المرتبة الدنيا الحيوانية ولكن حكماء كم أبها الناس وهم في ذروة المراتب يشبهون باللائكة في مباحثهم ، فهؤلاء يقولون عجبا عجبا ، نظام النحل كنظام الزناير كنظام الجراد كنظام الأرضة التي سترى رسمها قريبا ، فلكة النحل وملكة الأرضة هما ذاتهما مرسومتين أمامك وحولهما جنودهما وخدمتهما وحشمهما . وهذا نظام عجيب . واحدى الملكتين مؤذية والأخرى نافعة لما فإذا لم يعقل الانسان النافع ولم يفكر عند أكل العسل في حسن نظامه ودقة صنعه ليدرس الوجود فمضى أن يفكر اذا لدغه زنبور فينظر في قرصه ويفكر في مدينته ونظامها واذا ذاك يفهم - ومن كل شئ خلقا زوجين اهلاكم نذكرون ففروا الى الله - فهنا زوجان مؤذ نافع وأحدهما ضئد للآخر كالليل والنهار ولولا الليل لم نعرف قيمة النهار ولولا النهار لم نعرف قيمة الليل فبهذه الضدين يدرك الانسان الفرق بينهما وهناك تكون السوانح العقلية وادراك الجوانب الحسية

فإذا شاهد أمثال النحل والنمل والأرضة والجراد وعرف نظامها ألفاها كلها على قاعدة واحدة وان اختلفت فروعها واذا يفهم معنى - له مافى السموات ومافى الأرض - لأن هذه الجملة تقتضى الاختصاص بالخالق لأن تقديم الخبر يفيد ذلك ولكن تقديم الخبر يفيد افادة افطية . أما هنا فان قارىء هذه النظامات يقول إن القاعدة واحدة لافرق بين ما يضرنا وما ينفعنا . كلها مما لك مؤسسات على نظام واحد . فلكة النحل وملكة النمل والأرضة كلهن ذوات أوامر لا ترد وما نظامها إلا كنظام أجسامنا وان كننا الى فهم هذه الحشرات أقرب منا الى فهم أجسامنا وكأن البقايين والضباط والجنود والمراضع في جنود ملكات النمل أشبه بما فينا من قلب وكبد وطحال ومعدة وامعاء وأعضاء حركة وأعضاء حس الخ كل له عمل يخصه

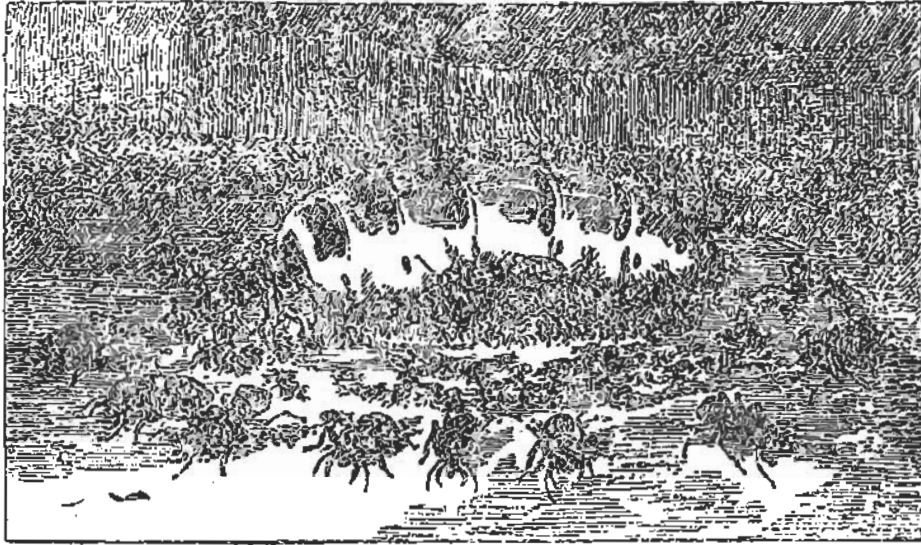
ولما كان هذا المقام يستلزم إعادة رسم أربع صور تقدمت في هذا التفسير وهي صورة المجموعة الشمسية وصورة ملكة النحل وصورة ملكة الأرض وصورة جسم الانسان رأينا أن نرسمها هنا اتساعاً لفائدة (النظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤) و (شكل ٥)



(شكل ٢ - رسم المجموعة الشمسية)

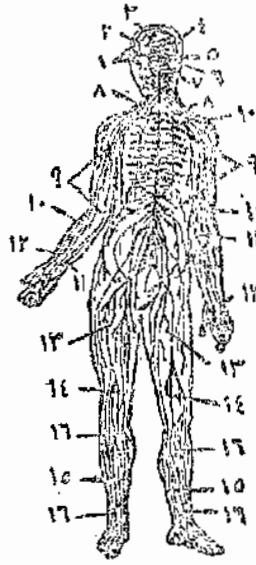


(شكل ٣ - ملكة النحل)



(شكل ٤ - الأرض)

(صورة الأرض المأسكة وأنبائها . رسمها العلامة الألماني أزر بك كالنحها . الكتلة البيضاء الضخمة هي الملكة وإلى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلونها ويلحسونها فالتقائهم بتغذيتها يتألفون عند قها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم التقاط البيض . وبين العمال جند من البوليس صغير الحجم وفي الصف الاول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدوهم فاجئ)



(شكل ه - جسم الانسان)

ثم يرفع هؤلاء طرفهم الى السماء بعد أن يعرفوا أن العالم السفلي على وتيرة واحدة فإذا يرون ؟ يرون شمسا يحيط بها نباتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والأرض والزهرة وعطارد وأكثر هذه حولها أقمار . كل هذه دائرات حول الشمس فيدهش هذا الفريق إذ يرى أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرضة كلهن سواء في النظام وهن متشابهات تمام التشابه للشمس مع سياراتها وأقمارها وهكذا مع (النيازك) التي لا حصر لاعتها وبعضها صغير جدا كالبلادة في منازلنا وبعضها أكبر وأكبر وهي التي نراها في الليالي المظلمات تنزل كسهم مضيئة نسميها (شهب) جمع شهاب وهكذا ذوات الأذناب كلهن دائرات حول الشمس كما تدور الشهب (النيازك) وكما تدور السيارات . وهناك يرون أن الشهب والسيارات إن هي إلا كأعضاء الجسم الإنساني أو كأفراد من ممالك النحل وممالك النمل . لنا نحن بني أوامر نلقينا على أعضائنا وأعضائنا تمثل تلك الأوامر . والموصل لتلك الأوامر من عقولنا الى أعضائنا هي الأعصاب فهن قَامَات مقام البريد البرقي (التلغراف) وسرعة الفكر في العصب ميل في الثانية وبعض العلماء يقول « إن القوة الحاكمة تشعر باللمس على الوجه وتحجب عليه بتحريك اليد في سبع ثانية من الزمان . وتشعر بالسموعات وتحجب عليها في سدس ثانية . وبالمرئيات وتحجب عليها في خمس ثانية » فبالامتحان ظهر أن المسموعات أسرع حركة من السموعات وهذه أسرع من المرئيات . ولقد حار الناس فلم يعرفوا كم من الزمن يمر حتى تصدر القوة الحاكمة حكمها . وقد عرف هذا أحد العلماء باللات دقيقة جدا فقال « إن حركة الفكر تستغرق في الاحساس والحكم ثم الاجابة خسا وسبعين جزءاً من (١٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة وتستغرق الإرادة في اصدار حكمها (٤٠) جزءاً من ذلك ولقد جربوا ذلك في رجل كهول والشاب أسرع في ذلك من الكهول »

إذن في الانسان قوة حاكمة . وأوامر تلقى . وأعضاء تأتمر . وهذه الأعضاء كثيرة جداً كأنها دولة أو كأنها مملكة النحل أو مملكة النمل أو مملكة الجراد أو الأرضة . فهناك تشابه وتماثل بين أعضائنا مع نفوسنا وبين ممالك النحل والنمل والشمس مع سياراتها وتوابع سياراتها . أفليس هناك اتصال ما بين الشمس وما

حوطها من السيارات والنيازك وذوات الأذنان كالانصال المتقدم بين النفس وأعضائها ، بين ملكة النحل مثلا وأفراد ملكتها إذ هناك صلة وثيقة بين الملكة والأفراد لا علم لنا بها . ولنا الحق أن نتصور الصلة بين الشمس وسياراتها الخ كالصلة التي بين نفوسنا وأعضائنا ويكون عالم الأثير قائما مقام أعصابنا . ذلك العالم الذي يقرب من العالم الخيالي أو الروحي الذي قد ثبت أنه وإن يكن غير مادي فيه ثقل لا يحسب بجانب الحديد ولا الذهب شيئا مذكورا فهو أمتن من كل مادة ولولا هذا لم يتحمل قوة الجاذبية التي تقوم به بين الكواكب

تبين بهذا أن مافي السموات ومافي الأرض من الممالك على وتيرة واحدة . فإذا رأينا ممالك الحشرات لها نظام سياسي عجيب . ملكة أمرة ورعية مطيعة . وإذا رأينا أعضاءنا همكنا مع نفوسنا . وإذا رأينا السيارات ومأمعها هكذا مع الشمس . فلنفهم إذن الآية هنا فإن اختصاص الملك بالغة المفهوم من تقدم الخبر يعرفه العقلاء بالبحث . فأنك ترى الخير يفتح الشجر أو الموسيقى أو النقش أو التصوير أو علم النبات أو صناعة التجارة أو الحداثة . إذا رأى نموذجها منها عرف أن هذه من صنع فلان . فترى من يسبح شعر شاعر أو نشر نثر وهو من علماء أدب اللغة يحكم حالا حكما لا شك فيه أن هذا من شعر العصر الأول أو الخامس . وهو من قول فلان كما أخبرني مئة الأستاذ (إدوارد براون) العالم الإنجليزي المستشرق المبرر في (كلية كبريدج) إذ قال : لما أرسلت الحكومة الإنجليزية ثياب رؤساء العشائر المنتولين أيام حرب السودان وكانوا نحو ثمانين أسيرا أخذت أقرأ خطوطهم ونماذج أنشأهم فوجدت منهم من نزحوا إلى السودان في العصر الأموي ومنهم من نزحوا في العصر العباسي ، واستدللت على ذلك بمشابهة الخطوط للخطوط والانشاء للانشاء

هذا ما قلته وهكذا كل أصحاب صناعة يدركون لأول وهلة متى رأوا أي نموذج في أي عصر هو ولأي أمة وهكذا ، إن من ينظر إلى نظام السجاجة وأفرانها والمرأة وأولادها والحكومة وأفراد شعبها وملكة النحل ونظام أفرادها والشمس وما حوطا يحزم بأن المصانع لم يتغير لأن الطراز واحد لم يتغير وأسلوب الصناعة هو هو بعينه إلا فبأنه أي فرق بين هذه الممالك كلها ، فهذا يعرف الحكماء اختصاص مافي السموات والأرض به ، وإذا عرفوا ذلك الاختصاص بهذا البرهان العقلي العملي انشروحت نفوسهم وفرحوا بالصانع بعد فهم صنعة واشتاقوا إليه وأحبوه إذ لا حب إلا بعد المعرفة كما أن أهل أمريكا وأوروبا منذ يوم (١٦) فبراير سنة ١٩٢٣ إلى الآن يقدون زرافات ووحدا على بلادنا المصرية إذ عرفوا قيمة الحكمة التي كشفت في المصنوعات الأثرية ، فهؤلاء يفارقون الأهل والوطن ويصرفون المال ويتعجبون المشاق غراما بالجمال ولا جمال إلا تبع الحكمة أي النظام المتقن في الصناعة . إذن هذا النوع الانساني متى عرف الجمال والنظام والحكمة سارع ليرى ذلك ويشاهد ذلك الحكيم كما يشاهد أولئك الزائرون تلك الصناعات ويشاهدون من عملت في زمان وهو الخاك (توت عنخ آمون) ويكتفون بمشاهدة جثته الهامدة وإن لم يروه هو لأنه هو وعلماءه وصناعه ليسوا هذه الأجسام بل هم أرواح كانت في هذه الأجسام ، فهؤلاء العلماء اكتشفوا بما أمكن لهم وهو مشاهدة الجسم وإن خرجت الروح ، فهذا مثل ضربه الله مثلا لناس في الأرض فهو يقول : يا أهل الشرق ويا أهل الغرب إن نظامي جميل في الأرض وفي السماء ومتى فهمتموه فهما يؤدي إلى شوقكم لي كما اشتاق علماء الأمم عنكم إلى مشاهدة آثاركم والذين عملت في زمانهم فإن ذلك يعملكم على حب والشوق إلى مشاهدتي ، فالمعرفة تبعث الشوق والشوق يبعث على السعي للمشاهدة ، وهناك لا تسكرهون الموت في حينه

وهذا هو معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »

أقول : وليس معنى هذا أن السبيل لحب لقاء الله وعدم كراهة الموت محصور فيما قلناه . كلا . بل هذه إحدى السبل التي نحن بصدددها وهذا الحب الذي كانت المعرفة بسببه هو الحامل للحامد على جده فإن متقن الصنعة محبوب والحب يوجب انقياد الأعضاء للعمل وانطلاق اللسان بالثناء . هذا هو السر في قوله بعد ذلك

— وله الحمد في الآخرة — وإنما خص الحمد لله بالآخرة لأن النفس تكون مجردة عن الجسم فيكون إدراكها أتم لنقل الحقائق فتريد حبا . أما في الدنيا فهي تتمد الخلق وشاهد أعمال الناس وتمسحهم . ولما كان ذلك كله راجعا للملكة ختم الآية بقوله — وهو الحكيم الخبير — فالحكمة بها النظام والنظام والاتقان كان الحب والحب الخلق بالحمد . وهذا هو تفسير الآية بالعلوم المعروفة اليوم فلما اطلع بعض العلماء على ذلك وهو من قراء هذا التفسير قال لي : لقد أسست في شرح نظام هذه الكائنات العالوية والسفلية وفي ترتيب الحمد على معرفتها ثم في تبين أن الحكمة هي الأصل الذي بني عليه هذا النظام ولكن العقل لا يكاد يفقه المناسبة بين ملكة النحل مثلا والمجموعة الشمسية فهي عظيمة المقدار جدا حتى أن الشهب وذوات الأذنان الجارات حولها لا تسكاد تحصى . يقول علماء العصر الحاضر أنها كمعد السمك في الماء . ثم إن المجرة التي منها مجموعتنا الشمسية قد علم أن فيها (٢٢٤) ألف نجم وكل نجمة منها شمس كشمسنا ولها مجموعة شمسية أكبر أو أقل من مجموعتنا الشمسية . فهذه كلها تكون مجرة واحدة وشمسنا منها ، وفوق ذلك هذه المجرات لها أخوات كثيرات كلهن مجرات مثلها فيهن شمس تعد بمئات الملايين ، وفوق ذلك أيضا قد كشف الناس اليوم مجرات أخرى تسبح بالسدس جمع سديم ووجدوها أنواعا فمنها السديم اللولبية ، ومنها السديم الحلقي ، ومنها السديم المستديرة ، ومنها التي هي غير منتظمة ، وإذا كانت هذه السديم مجرات كجراتنا المحتوية على شمس تعد بمئات الملايين كشمسنا التي لها مجموعة لا حصر لعددتها وإذا كان الذي عرف الآن من السديم اللولبية وحدها بالمظهر المقام (١٢٠) ألف وأوصلها الاستاذ (بيرن) إلى خمائة ألف ، ومن رأيه أنه قد يرى منها أكثر من مليون سديم إذا زادت آلات التصوير اتقانا فإذا كان هذا المقدار في السديم اللولبية وقد برنا السديم الأخرى بهذا المقدار كانت مجاميع المجرات اللولبية أربعة ملايين مجرة غير المجرات المعروفة ، وكل مجرة من تلك المجرات لها أبعاد ولا يكاد يصدقها العقل ، مثلا مجرتنا التي منها شمسنا تمتد إلى نحو مائتي ألف سنة نورية من جهة ومن جهة أخرى أقل من ذلك فكيف بباقي المجرات وكيف عظمت سطحا فهل بعد ذلك تقاس هذه بملكه النحل أو بجسم الانسان

فقلت له : إن ما هالك من هذه العوالم السماوية يرجع كله إلى ما يشبه جسم الانسان . فالمجموعات الشمسية التي تعد بالآلاف في كل مجرة من المجرات التي تعد بالآلاف أيضا أشبه بجسم انسان واحد أو بملكه من ممالك النحل وكل كوكب سيار في كل مجموعة شمسية أشبه بهضم من أعضاء الانسان وسكان الكواكب أشبه بما في جسم الانسان من الحيوانات الحية التي كل حيوة منها لها حياة مستقلة ومن اظف الله أنه جعل النظام واحدا متشابهها لتسهيل دراسته ومتى درس الانسان جسمه فكأنه درس العوالم كلها وعرف نفسه ومعنى عرف نفسه عرف ربه فاشتاق اليه . ومن عاش في الدنيا وهو غافل لم يشق الحكيم المدير للعوالم ومات فانه يسكن في عوالم على مقدار درجته ولا يلاق ربه إلا من أحبه وإن يحبه إلا المدارس لصنعه وغيرهم يتسكعون في عوالم لا تؤهل للقاءه إلا قليلا على مقدار ما اكتسبوا من الحب . إن الحياة لاسعادة فيها إلا بالحب ولا حب إلا بالعمل ولا عمل إلا بالمعنى في نظام الأرض والسماوات المدبر الحكيم الخبير . انتهت الجريدة الأولى والحمد لله رب العالمين

(جمال هذا الموضوع)

(كتب قبيل بفر يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠)

يا الله : ما أجمال ما صنعت . وما أبدع ما أتقنت . بهرتنا بجلال أعمالك . وسحرت عقولنا في دقائق وضعك . وغشيت على هذا الجمال بمحجاب من حوادث الأيام ودخان الآلام والمصائب . ولولا ما نصب به من

فواجع الأيام رحمة منك وفضلا انتفطرت قلوبنا وتمزقت أجسامنا واحترقت بأشراق أنوارك الجلية . هذه هي الشمس وهذه سياراتها . لقد برزت في الرسم (شكل ٢ المتقدم) بهيئة تمثل البطة وأفراخها جائحات حولها محيطات بها . ولكن الفرق أن بنات الشمس منتظمات الأعمال سائرات بقوانين لا خدلاً فيها طولاً بالأتاعار عظيمات الأنوار . أما أفراخ البطة والدجاجة والحمامة وأتباع الأرضة والنحلة والنملة فهن حفاة الأعمار والأقدار لا قانون لأعمالهن نعرفه ولا ضابط لسيرهن ندرسه والفرقان اتحدنا في حسن الاتقان وأبداع التركيب والنظام فهذا عطارد الجائحات حول الشمس تجذبها إليها وتطلف عليه حتى لا يتبدد في أطراف هذا الجوّ الواسع ولا يتيه في فسيحات المجاهل . هاهو ذا يجري حولها جرياً حثيثاً فلا يختل نظامه . جرياً متواصلاً . جذبته إليها جذبا رقيقا بحيث لا يلتصق بها لكلا يهلك سكانه من شدة حرها ولا يظلم وجهه من شدة برده بعد ضوءها . إنا كل شيء خلقناه بقدر . بحيث كانت سنته مقدّرة بمدة (٨٧٩٦٩) يوما . فهذه الأيام وأجزاؤها هي المقتررات لمدة الدورة الكاملة حول الشمس منذ خلقنا السموات والارض إلى الآن وإلى الأبد . وهذه الزهرة سنتها الكاملة (٢٢٤٧٠١) يوما والأرض سنتها الكاملة (٣٦٥٢٥٦) يوما والمريخ (٦٨٦٩٨٠) والمشتري (٤٣٣٣٢٥٨٥) وزحل (١٠٧٥٩) وأورانوس (٣٠٦٨٦٨٢١) ونبتون (٦٠١٢٦٧٢٠) .

هذه هي المدة التي تسير فيها هذه السيارات حول الشمس وهي لها جاذبة ، انهن لطيعات صادقات في مواعيدهن ، وأن أمهن الشمس لحبها ملن المفرط ورأفتها تهنهت جذبها لطيفا لئلا يتفرقن ويتبددن في باحات الفراغ الواسع كما تفعل البطة والنملة بأبنائهما . ماترى في خلق الرحمن من تفاوت . والله ان رأفتك يا الله بهذه المخلوقات وحكمتك لاحد لهما . فهذا حساب سائر السيارات لو اختل ثانية واحدة لأضر ضررا بليغا فهذه الأرض الجارية حول الشمس لو انما اختل نظام سيرها وقد علق عليه جري قطراتنا برا وسفنا بحرا لأورث ذلك خلا في أعمالنا جري القطر في غير حينه ، وفتحت الميناء بحرا في غير وقتها فتعطلت السفن بحرا وهشمت وطاحت العربات والركاب برا . تبارك الله رب العالمين .

ويجبني يا حكيم يا رحيم يا بدیع دقة صنعك ، وبهجة الجمال ، وعجائب الاتقان ، وبدائع التصوير في النملة والأرضة المرسومين هنا وفي جسم الانسان ، فهاهو ذا الشئاع الشوكي هو ومنبعه الرئيسي وهو المنع في الدماغ قد جعلهما أسسا لهذا الجسم الخفي بحيث تكون الأعضاء المفصلة حولهما العلامات بما يصل لهما من أواصرهما جائحات حولهما جثوم الأرضات والنملات والسمات والسيارات حول ملكات الأرضات والنملات والنملات والشمس ، انما مثل السيارات مع شمسها كمثل الأعضاء مع الجسم في الحيوان والانسان ومثل النمل والنمل ونحوها مع ملكاتها ، ألا وان عنايتك بالضعفاء يا الله لقوية متينة إذ كيف تخلق للنملة في العين الواحدة من عينيها المركبتين الموضوعتين في مقدم الرأس (٢٠٠) عين كما تقدم في ﴿رسالة عين النملة﴾ في سورة النمل ، وتخلق للذباب الواحدة (٤٠٠) عين بسيطة في عينيها المركبتين

إن حكمتك ورجمتك لانهاية لهما فيكون حبنا لك لانهاية له ، ولكن رحمتك الواسعة واتقانك البديع وحسبك لخلقك قد عميت الوجود كله ومنها نوع الانسان ، فسترت عن عقله هذا الجمال بأنواع المصائب والحوادث والأمراض والموت والحياة والفقر والغنى والعز والذل ففشى على عقله فلم يدرك فأخذ يتلمسه من المعلمين ومن الكتب كما تفعل الآن في هذا التفسير ، ولو أن هذه الرحمت ظهرت للناس فوعتها عقولهم لتزقت الأحشاء من ادراك ذلك الجمال فتقطعت القلوب ، ولكن الرحمة عامة والحكمة شاملة باهرة وأكثر الناس لا يعلمون ، ومن الغرابة بكمكان ما نراه من الاتقان في جماعات الحيوان المجتمعات اللاني تكون أمة واحدة وجماعات الكواكب اللواتي تكون في مجموعة واحدة ، فان النمل اذا اجتمعن في بيت واحد وجمعت الملكة من ذكر من غير ملكتها ألقينا النمل الذي في ملكتها قام قومة واحدة وانقص على ذكران

تلك المملكة فأهلكها لأنها لا تعمل لها ، فلا هي تجمع الفسل ولا هي تزيد في أن تكون سببا في حل المملكة هكذا نرى جوع الأرض الآتي الكلام عليها في هذه السورة والمتقدم بعضه في سورة النحل أيضا فان المملكة لها جنود يحرسونها ، وهؤلاء الجنود لهم عدد مخصوص ، فاذا زاد المقدار رأينا الجاعات الآتية تقدم لجميع المملكة الطعام تمتنع عن تقديم الطعام لما زاد عن المقدار المحدد حتى يموت . هذا في عالم الأرض . أما في عالم السماء فاننا نرى نفس الاتقان في تقابل الأرض والشمس والقمر . ذلك اننا نرى القمر الذي يدور ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية . وذلك في دورته النجمية أى التي تمضي بين رجوعين متتاليين للقمر إلى نجمة واحدة بحيث اننا اذا لاحظناه يوما وقت الغروب في دقيقة معينة موجودا بجانب نجمة خاصة من النجوم الثابتة فاننا بعد مضي (٢٧) يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية نراه سر جودا في ذلك المكان عينه بجانب تلك النجمة . فهذا القمر المنتظم السير البديع الصنع والنظام اذا قابل الأرض والشمس فيما يظهر للرأى في نقطة واحدة فانه يحصل هناك خسوف تارة وكسوف تارة أخرى فان كان القمر بين الأرض والشمس حصل كسوف وان كانت الأرض بين القمر والشمس حصل خسوف ، والمهم في هذا المقام أن نقول ان الخسوف والكسوف في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما يكون مجموع مرات الكسوف (٤١) ومجموع مرات الخسوف (٢٩) والمجموع (٧٠) ما بين كسوف وخسوف ، وهذه المدد لن تتغير ولم تتغير ، فهذا هو الابداع في الحساب ، فحساب الحشرات على وجه الأرض لن يعطيه حساب الكواكب في السماء ، فلم تعطل يا الله أعمال النحل أى انك لا تمنع إلهامك لها أن تقتل الذكور لأنها لا تعمل لها منى حلت المملكة ولا أعمال الأرضة فلم تمنع إلهامك لحاملات الطعام منها أن تقتل ما زاد من الجنود بحرمان الزائدات طعامهن ، فألهامك للطائفتين ولغيرهما مستمر منظم كنظام الخسوف والكسوف في العوالم العالوية بحيث لا تختل أوقات الخسوف بوقوع الأرض بين القمر والشمس ، ولا أوقات الكسوف بوقوع القمر بين الأرض والشمس بل النظام هناك لا يختل ، والنظام في أصغر الحيوان لا يزول ، فأنت تحسب الدورات الفلكية بالثانية ونصف الثانية ولا تغيره ، وهكذا تفعل في الحشرات فتحسب لها حسابها وتلهمها

هذا هو الذي نفهم به معنى قولك - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور - فهذه هي الحكمة ، وهذا هو العلم ، وهذه هي الرحمة ، وهذا هو الغفران ، فأى حكمة بعد هذه الحكمة في الاتقان والخبرة في الحساب ؟ وأى رجة ورأفة بهذه المخلوقات أعظم من هذه ! ثم اذا كان هذا الانسان يعيش في الأرض وأكثره جاهل بهذا النظام البديع وهو غافل عنه بل أكثره كافر أى غير شاكر لأن الشكر مبدؤه العلم بالنظام وأكثر الناس لا يعلمون هذا النظام البديع فلو لا تجارزه عن عبادته التي هي مقتضى جبلته الأرضية الطينية لمناه من الأرض ومنعه الرجود فيها غيابه وانكته غيوره سر ذلك الذنب الطبيعي وعفا عنه وأحيا الانسان في الأرض لأنه يعلم أن له مستقبلا في عوالم أخرى وهناك يفهم هذا الجلال من استعدله

﴿ تذكرة ﴾

إن هذا الابداع نراه لا يزول وهو محيط بنا ونجد أنفسنا في هذه الأرض مغمورين في أنواع الحروب الدولية والمطامع الشخصية والأحقاد القلبية والأمراض الجسمية فسكون مبعدين عن السعادة في الدنيا ، ولكن متى لحنا الجبال من خلال تلك السحب القائمة لدينا مصابنا وأدركنا جبالا في ضوء الشمس ونور القمر وبهجة النجوم وهناك نفسى مصائبنا الوقية ونفرح بهذا النعيم وهو العلم والحكمة والاتقان الذي نراه دائما لا يتغير ونرى قابونا به فرحة ، هنالك نسمع في نفس الحياة الدنيا ونرى أنفسنا أشبه بالمراهقين الذين لم يبلغوا السن وقد فرحوا بأنهم قريبا سيبلغون السن القانونية والرشد وتسلم لهم أمواهم . هذا ما خطر لي في تفسير هذه الآية

والحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية لم تكن في أول هذه السورة وفي أول سورة الحديد إلا الحكمة ، فهذا كلام الله وهو موزون كما وزن كل نبات وكل حيوان وكل كوكب ، يقول الله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - وقد علم سبحانه مايلج في الأرض من الآثار التي تركها الأولون كما ستعرف شرحه في ﴿ قصة سبأ ﴾ وترى ما فعله علماء أوروبا في بلاد اليمن وانهم استخرجوا منها صوراً وعرفوا بها علوماً ، فهذا بعض مايلج في الأرض قديماً وماخرج منها حديثاً ، وهكذا يقول تعالى - يعاين له مايشاء من محاريب وتنايل - والتنايل قد تكون من المعادن ، فهذه ممايخرج من الأرض ، وهكذا في ﴿ سورة الحديد ﴾ ذكر الله الحديد وابتدأ السورة بما يفيد هذا المعنى ، إذا عرفت هذا السرّ العجيب فاسمح الآن لما في هذه الدنيا من العجائب المناسبة لهذه الآية

﴿ تفصيل الكلام على الأرض ﴾

لأجمل الكلام في « مقامين » المقام الأول « وصف نفس الأرض » المقام الثاني « ما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم وما أشبه ذلك

﴿ المقام الأول . وصف الأرض ﴾

لقد جاء الحمد في أول الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة ، وأنيس من العجب أن يكون مقروناً بالترية للعالمين تارة وبذكر الأنوار والظلمات تارة أخرى وبزول القرآن آتية وبظهور نتائج الأرض والسموات في حال أخرى

فقال صاحبي : هذا كلام غامض ! فقلت اعلم أن الحمد متى ذكر في أول سور القرآن تجده ذكر العوالم بعامة فالحمد لله رب العالمين في الفاتحة ، ابتدئ بذكر الله في البسملة وأنه موصوف بالرحمة وأن الرحمة تستوجب الثناء بالجليل وأنه مرب العالم كله ، فهنا ذكر مبدأ الوجود وصفته وترتيبه وكل ما رآه ، وفي الأنعام ذكر الثلاثة الأولى وأبان كيفية التربية بجعل الظلمات والنور ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ دوران الأفلاك ، فدوران الأفلاك سبب في التربية المذكورة في أول الفاتحة ، فهنا أيضاً للتربية ، وفي الكهف شهد الحمد على العلم الذي رخص له بالقرآن . إذن هنا نور ظاهر لتربية الأجسام ونور باطن لتربية العقول ، الأول في الأنعام والثاني في الكهف فمن يبق الإنتاج تلك التربية الجسمية والعقلية للعوالم ، وهذا هو قوله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور - ولأنك أن مايلج في الأرض ومايخرج منها لا يختص بالأجسام ولا بالعقول بل هو عام . فنور الكواكب ونور العلم يصلان للأجسام كما في سورة الأنعام وللعقول كما في سورة الكهف . ومن الأرض يخرج الزرع ونحوه وهو جسمي وترفع الأعمال وهي عقلية . وملخص هذا كله أن هذه السور الأربعة جاء الحمد فيها من تبا ترتيباً جعلنا نستقدانه يفتح لنا باباً للدراسة توارخ العوالم فإذا رأينا الله أول ما يبدأ يذكر لنا أوائل الموجودات ثم تواربها وهو مرتب لها . فلتقل هذا هو آخر طرز في نظام التعليم وهو أن العلم الذي يدرس كالفقه والمنطق والاصول والتفسير لا يدرس الناس تاريخه اجمالاً ولا يعرفون سلسلة التأليف في ذلك العلم يكون طلابه فاقدى القرائح كلسدى الافهام . ألا ترى أن الفلسفة اليونانية المنتشرة في بلاد الاسلام قديماً قد أحدثت آراء وشبهاً وبدعا وكل ذلك للجهل بتاريخها فلقد ذكرت لك فيما مضى أن الاوربيين لما ترجوا فلسفة اليونان رأوا طياوس يحكم وسقراط يجزم بأن العالم حادث كما هو الرأى الحديث في أوروبا مع ان من قرأ الفلسفة القديمة المنقولة عن اليونان لا يجد فيها غير القدم مذهباً وهذا من الجهل بتاريخ الفلاسفة ومن عدم الاطلاع على جميع آراء الفلاسفة هناك . وقد قام كتاب ﴿ كشف الظنون ﴾ للكاتب القدير (ملاحبي) بما ينفع في هذا الصدد

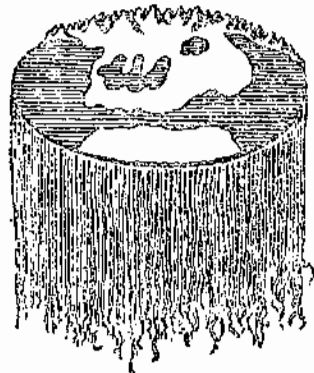
إذا صح هذا أفلا يجب على أن أقدم للأذكاء صورة الأرض وما قاله العلماء فيها حتى لا تكون آراؤهم جامدة جود من قرؤا العاوم ولم يدرسوا تاريخها

لقد أطلعني أحد الفضلاء على موضوع بديع في وصف الأرض والأقوال التي قيلت في هيئتها منذ القدم أدرج في « مجلة الجديد » فأحببت أن أذكره هنا ليكون ذلك تاريخاً لمعرفة هيئة الأرض ولنقف على ما يقوله الناس فيها ، فلعلنا نخطئ في خواطر فكنت أقول : ياليت شعري . ما فائدة باطن الأرض إذا لم تكن فيه نفوس حية ؟ فوجدت هذه الهواجس والخواطر والظنون هجست لقوم في أمريكا كما استراه وهذا هو الموضوع

(في زوايا التاريخ)

(ليست الأرض كروية)

كان أول تصور للإنسان في شكل الأرض أنها بساط عظيم هائل لانهاية لعمقه ، يعتمد عليه قبو السماء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصور أن الأرض سابعة في أوقيانوس من الماء لانهاية له كما في (شكل ٦) وكان ذلك خطوة لتصور أن الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جنود طويلة مثل الشجرة كما في (شكل ٧)



(شكل ٧)

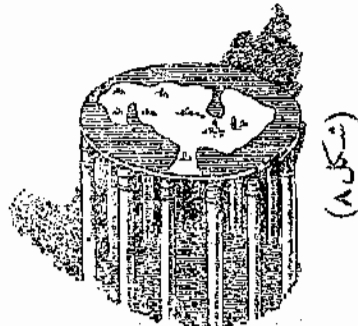


(شكل ٦)

وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثنتي عشر عموداً كما في (شكل ٨) ولكن على أي شيء تقوم هذه العمدة ؟ فيجيب قساوسة أوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من أهل النضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان (أناكسيمندر) الاغريق في القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالاسطوانة كما في (شكل ٩) وأن قطرها يساوي ثلاثة أمثال ارتفاعها ، وأنها سابعة في مركز القبول السماوي . وأنه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى . وتوجد أوروبا في النصف الشمالي وليبيا وأفريقيا وآسيا في النصف الجنوبي

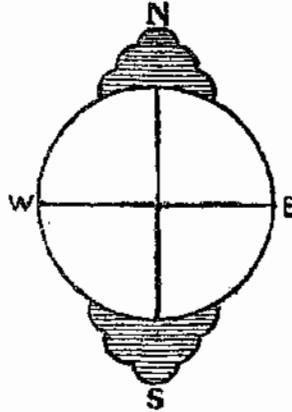


(شكل ٩)

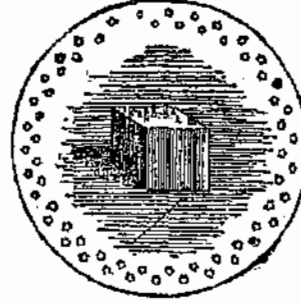


(شكل ٨)

ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال « ان الأرض مكعبة » (انظر شكل ١٠) لأنه كان يعتقد أن المكعب أكمل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطننا لأفضل الكائنات وهو الانسان . وانه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهى شمالا وجنوبا بجبال عظيمة الارتفاع كما في (شكل ١١) ونرى كذلك في هذا الشكل ادراكهم لعمود عظيم تعتمد عليه الأرض وهو الذى تطور فيما بعد الى ما يسمى الآن (المحور)



(شكل ١١)



(شكل ١٠)

وذهبوا الى أن جبال النصف الشمالى تخرج من أوقيانوس عظيم وترتفع حتى تبلغ مقرّ الآلهة فى السماء بينما تتدلى جبال النصف الجنوبى حتى تبلغ الحميم ومقرّ الشياطين . ونجد مثل هذه النظرية فى علم الفلك فى الهند مع اختلاف فى التسميات حيث يذكر أن جبل العالم يرتفع فى القطب الشمالى للأرض ليصل ما بينها وبين السماء وهو مثل محور تدور حوله الأجرام السماوية (انظر شكل ١٢) . ووجدت أيضا نظرية فى بلاد (الهند والكلدان تقول : « إن الأرض مثل محارة كبيرة مستديرة » (انظر شكل ١٣) تقوم على أربعة أفيال ، ويرمزون لذلك بالعناصر الأربعة أو الرياح . وتقوم الفيلة على ظهر سلحفاة كبيرة . ويرمزون بها للقوة والبقاء والصبر والجند والخلود

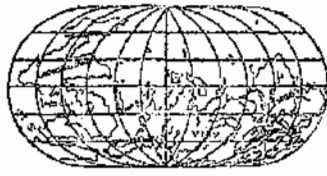


(شكل ١٣)

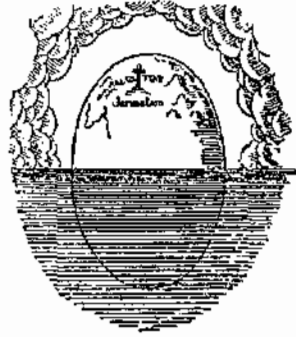


(شكل ١٢)

وانتقل الى الغرب منذ (١٥٠٠) سنة نظرية تقول : « إن الأرض بيضاوية وانها سابحة فى الأثير » (انظر شكل ١٤) وقال الادريسي وهو أحد الجغرافيين من العرب فى القرن الحادى عشر لليلاد « ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور فى الماء » وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان (بطليموس) فى القرن الثانى لليلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى أن الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القوطة (انظر شكل ١٥ فى الصفحة التالية)

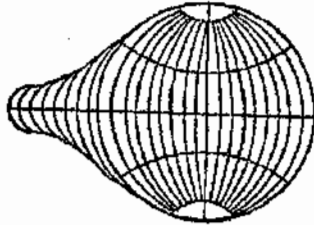


(شكل ١٥)

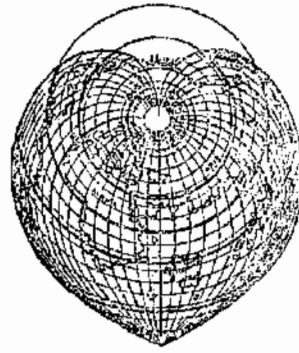


(شكل ١٤)

وجاء (أبيانوس) في سنة (١٥٢٠) ميلادية فقال ﴿انها تشبه القلب﴾ (انظر شكل ١٦) وصادفت نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في أوروبا فأيدوه قائلين ﴿انها قلب الله﴾ وأن هذه الكرة القلبية تشبه أرض المكتشف العظيم (كولبوس) حيث تصورها مثل الكمثرى ، فالنصف الكروي هو الشرق والنصف المستطيل هو الغرب ، والتمدد الذي أوجده فيه هو (العالم الجديد) الذي اكتشفه ، وأما (دانت) فقد تصورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلا هذا التمدد لجمه الذي صورته فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة (انظر شكل ١٧) بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن



(شكل ١٧)

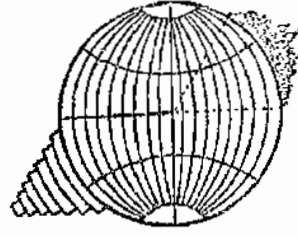


(شكل ١٦)

وظهر في سنة ١٨١٩ في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليغزسيمس) بنظرية عجبية تعرف باسمه أو بنظرية السكرات المتداخلة وهي أن الأرض أو أي كوكب يتكوّن من عدة من السكرات المتلاصقة والمشاركة في مركز واحد (كما في شكل ١٨) و (شكل ١٩) وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه السكرات . ويرى أن الأرض تتركب من خمس طبقات أو ذرات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية أربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل . وأن سطح كل كرة أو طبقة مسكونة فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدودة والسطوح المقعرة . وطلب إلى المجاس النيابي بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفينتين ليسافر إلى أحد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل إلى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه



(شكل ١٩)

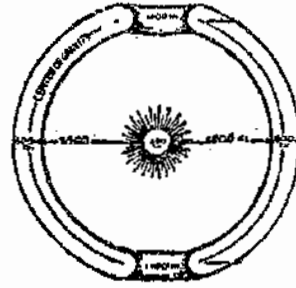


(شكل ١٨)

وطبع المارشال (جاردنر) في سنة ١٩١٣ م في الولايات المتحدة كتابا عنوانه «سياحة الى داخل الأرض» ذهب فيه الى أن الأرض مجوّفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين . ويوجد في داخلها شمس (انظر شكل ٢٠) ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا وأربعمائة ميل وقال (موريه) في كتابه «علم الفلك اليوم» ان الأرض على شكل هرم (انظر شكل ٢١) وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف انصاف أقطارها وتحل كثيرا من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى



(شكل ٢١)



(شكل ٢٠)

وهذه النظرية التي نشرها (نيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأيد لنظرية (لوئيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مشارا لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ م وهو يذهب الى أن الأرض هرمية الشكل وأن البحار تشغل بطون في سطوحه الأربعة بينما أركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذلك العهد ليحلها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث . والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق . ويقال انها أحسن نظرية في بيان حقيقة شكل الأرض . وأن مالا شك فيه أن نظريات كروية الأرض لا يؤيدها أحد اليوم من علماء الجيولوجيا والفلك . انتهى المقام الأول في وصف الأرض

(المقام الثاني)

(فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم الخ)

اعلم أن علماء الاقتصاد استقصوا مباحث المعادن والفحم وتربة الأرض ، فلاذ كر خلاصة ما يقولون في هذا المقام ايقاظا للمسلمين وتعلما للجاهلين

اللهم إنا نحمدك حمدا يوافي نعمك ، أنت الذي علمت وألهمت ، وأنت الذي جعلت الأمم كلها يخدم بعضها بعضا وكل يساعد كلا وان كانوا لا يقصدون ، فهانحن أولاء ننتفع بعلم الأمم ، فالعالم كله مرتبط ببعضه

بعض بطريق الجاذبية التي بين الكواكب والسيارات ، وهكذا الناس هم تجنون بالمصالح والعلوم شاقاً أم أبوا - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً -

﴿ التربة ﴾

إن التربة قد تكون سوداء وهي التي جعلها (الفرين) أي ما يسمى في مصر بالطمي وقد تكون نباتية وقد تكون بركانية كأراضي الدلتا . فالسوداء هي التي تجعلها الأنهار كنهر النيل بمصر وهذه لا تحتاج الى سقي كثير والرملية تحتاج الى سقي كثير ويزرع في الأولى أمثال الارز والقمح وفي الثانية الشعير والفول السوداني والبطيخ . ومن أحسن الأراضي السوداء الهندية في مقاطعة بنجاب فقد زرعت آلاف السنين بغير سماء . وأما التربة الثانية فهي التي امتزجت تربتها بما تحلل من النباتات قديماً فصارت ذلك غذاء للزراع التي تزرع فيها . قالوا ومن أحسن أنواع التربة الحمضية في العالم التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخاملة وتتكون من بعض المصهورات أو الرماد الذي ينبعث من جوفه البركان فتحمله الريح وتشره على مسافات واسعة حول البركان فيكسبها الخصوبة الكبيرة . ومن أمثلة ذلك الأراضي البركانية القديمة الواسعة في مقاطعات (الولايات المتحدة) و (شنتون) و (ارينون) انتهى

أقول : فإذا كان أحسن أنواع التربة هي التربة البركانية . فهنا ظهر بعض معنى قول الله تعالى هنا - وما يخرج منها - فهو الذي قدر الزلازل والبراكين ليستخرج لأهل الأرض تربة أصلح وأنفع من التربة التي يعيشون بها . إذن المصائب التي يأتي بها البركان والزلازل أقل جداً من المنافع هذا من معنى قوله - يعلم ما يلج - الخ وقد آن أن أبين لك الكلام على الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة من كتاب ﴿ الجغرافيا الرشيدة ﴾ لمحمد جدي بك فقد جاء فيه ما يأتي

﴿ الهزات الخفيفة والزلازل الصنيفة ﴾

الاهتزازات في القشرة الأرضية كثيرة حتى يكاد يقع منها نحو ٣٠٠٠٠ هزة في السنة ، ولكن هذه الاهتزازات التافهة لا يلتفت اليها ، ولا يكاد يدونها السيموغراف الذي يقضي الشهور الطويلة أبيض الصحيفة لا يجد فيها عن الخط المستقيم ، ثم تأتي المفاجأة الهائلة فيهيج القلم ويرتجف على الورقة ارتجاف الطائر الحائر حتى ينقضي المقدور وينتهي المسطور . ويظن أنه على قسر مدة السكون تكون شدة الزلازل المقبل ، إذ أن أشد الزلازل خطورة كانت تعقب أطول الفترات سكونا .

(التغيرات المترتبة على الزلازل)

ان حركات القشرة الأرضية الهادئة المستمرة أبعد مدى في تغيير معالم وجه الأرض من التغيرات الفجائية التي تحدثها الزلازل ، وأهم ما ينشأ عن الزلازل ارتفاع أراض كانت واطئة فجأة ، وانخفاض أراض أخرى ، وتغير مجارى المياه تبعاً لذلك ، وتخطيط القشرة الأرضية وتجزئتها بالشقوق والفتوق الطولية العريضة في أقرب وقت غير إن الزلازل وان كانت بمفاجأتها وأهوالها تلفت النظر اليها والى آثارها هي من الحوادث الصغيرة في تاريخ القشرة الأرضية ، وليست شيئاً بجانب بفيان الجبال وتغيير صورة وجه الأرض بهدوء واستمرار . وسرعان ما تنسلط عوامل التعرية على ما تخلفه الزلازل من الآثار فتتمحوها وتغيرها كأن لم تكن .

(نشأة البركان)

قد علمت أن جوف الأرض مكون من مواد شديدة الحرارة جداً درجة يوسيتها محفوظة بضغط القشرة الأرضية عليها . وفي أثناء تقلص الأرض والتواء قشرتها يحدث أحياناً أن يخف الضغط فجأة على تلك المواد

فتنصهر لوقتها وتتحول ، ويهيء وجوده في أوشق بعيد النور فرصة لخروج المواد المنصهرة الجائشة فينشأ عن ذلك البركان . وهو جبل مخروطي الشكل ، في قلبه قصبة مجوفة ، على رأسها فوهة وغائية الشكل تخرج منها الابخرة والصخر والمنصهرات . ويشيد البركان من الانقاض التي تخرج من فوهته سواء أسالت على جوانبه أم تساقطت من الجو بعد الارتفاع مخروطا بركانيا

(الحلم البركاني)

تسمى الصخور المنصهرة التي تخرج من فوهة البركان حمما : وقد تبرد أحيانا فتسكون سددا يسد القصبية فتخرج الحمم من الشقوق النافذة الى أحد جوانب البركان وتعمل لها فوهة صغيرة يشيد حولها مخروط صغير على جانب المخروط البركاني . وتسيل الحمم على جانب البركان في كل ناحية فتشيد فيه وتزيده في بنيانه . وعند ما تبرد الحمم تنشق كتنشق الأرض الشراقي فتسكون منها أشكال منتظمة كما ترى في أعمدة البازلت . ويحدث أن يتحات المخروط البركاني تاركا سددا القصبية وحشو الفوهة فيبقى صخرة منعزلة

(الثوران البركاني)

يخرج من فوهة البركان سحب من بخار الماء المتولد من المياه التي تتسرب الى جوف الأرض وتختلط بالصخور المنصهرة ، فيطرد البخار الصخور المتخلفة في قصبية البركان بعد أن يمزقها كل ممزق ، ثم تخرج سحب من التراب البركاني الذي يجعل الجو مظلماً وينتشر في الآفاق الى مسافات هائلة ، وتخرج من بعده الحمم والمواد المنصهرة ، فتسيل على الجوانب . ولذلك نجد المخروط البركاني مشيدا من طبقات من الحمم ، وأخرى من الرماد البركاني الذي تنزل به الامطار الموحلة على البركان ، وكلما تكررت ثوران البركان تكررت تكون الطبقات وتشيد الجبل . ومن أعظم الثورات البركانية ثوران بركان كركتوا في سنة ١٨٨٣ . وجزيرة كركتوا هذه في أرخبيل الملايو بين سومطري وجاوى ، تكررت فيها حدوث الزلازل ، وفي صباح ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ بدأ الثوران البركاني العظيم : فسمعت أصوات فرقة الغازات في جنوب استراليا ، وخسف ثلثا الجزيرة فحل محل الجبال العالية بحر عمقه الف قدم ، وهاجت الامواج الهائلة فطفت على سواحل الجزائر القريبة ، وهلك ٣٦٠٠٠ نسمة وخربت نحو ٣٠٠ قرية ، وصار الجو مظلماً كالليل في الجهات المجاورة من كثرة التراب البركاني الذي كان يرتفع الى عا ٢٠ ميلا من الفوهة . وقد انتشر هذا التراب في أجواء العالم فجعل للشفق منظرا شديدا الاحرار حتى في غرب أوروبا . وقد علمت أن في قرار المحيطات طينة حمراء مشتملة على بقايا الحيوانات البحرية ، فهذه الطينة مكونة في الغالب من الرماد البركاني . انتهى ما أردته في هذا المقام من كتاب الجغرافيا الرشيدة

فانظر وتجب : إن علم الله بما في السموات والأرض لا يحتاج الى بيان فكل متدين يعلم ذلك ولكن الله كرره في القرآن كثيرا في كل مناسبة وهو اذا علم كل شيء فهو يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها الخ ولكن لما قرأنا علوم أهل زماننا وجدنا أن ذلك التخصيص بالنص لحكم ظهر بعضها وسيظهر باقيا . علم الله أن المسلمين سيقروا القرآن وينامون عن العمل ويتركون الأرض لغيرهم فقال لهم « أيها المسلمون : أنا أعلم ما يلج في الأرض وما يخرج من الأرض ولولا نفعه لكم ما أخرجه منها . هذه البراكين مهلكة ولكنها نعمة لأن وجه الأرض كلما ضعف الزراعة فيه فلم تأت بالغرض المطلوب . سلطت عوامل سرية على تربة قوية فأظهرت المكنون في باطن الأرض فظهر على وجهها بالبركان ثم أمرت الرياح فجرت به وفرشته وفرقت على الجهات المجاورة . إذن هذا الخروج بعلم وحكمة وتقدير . هكذا الفحم والبترول والحديد ونحوها ،

(الفحم)

خزن الله الفحم في الأرض أجيالا وأجيالا . وما الفحم إلا مواد نباتية احتجبت في طبقات الأرض عن الهواء دهورا طويلة فجرت عليها سلسلة من التغيرات الكيميائية أدت الى فقد مقدار عظيم من الايدروجين

والاكسوجين وبقاء مقدار من الكربون . والكربون يكون في الخشب المعتاد بمقدار نصف ما يكون في الفحم العادي ، ولقد يكون منه في الفحم بنسبة (٨٥) أو (٨٨) في المائة

هذا كلام عام عن الاقتصاد ، ومعنى هذه العبارة أن الخشب يحتوي على ماء (الأكسوجين والادروجين) المتقدم ذكره ويحتوي على مادة خميية وهي الكربون ، فبقاء المواد النباتية مئات القرون تحت الأرض يذهب منها أكثر الماء ونحو نصف المادة الكربونية (الفحم الخالص) والباقي من ذلك كثير في الفحم ، وقالوا من أنواع الفحم

(١) انتراسيت وهو لماع صعب الاشتعال لا تنسخ منه اليد ، له قليل أوعديم اللمع ، شديد الحرارة عند الاشتعال

(٢) الفحم البخاري وهو قليل الدخان كثير الحرارة يحفظ للأساطيل

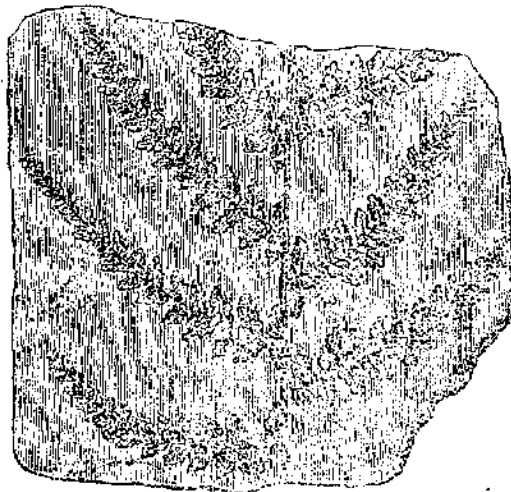
(٣) خم الغاز

(٤) خم السكوك ، نافع في المعامل والسكك الحديدية والبواخر وفي التناير لاستخلاص المعادن وصهرها ومعامل الغاز

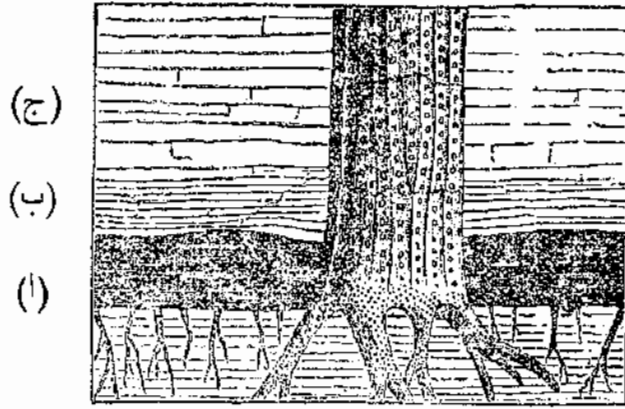
(٥) الفحم على وجه العموم هو المادة الأولية لمئات من الصناعات مثل السكوك المتقدم ، ومنه القار الفحمي ، ومنه زيت القار وهو وقود جيد ، ويعمل من الأول مستخرجات تستعمل في الصباغة وعمل النفثالين والتطهير ، ومنه البترول وغاز النشادر ، وتصنع منه الأسمدة ، ويستخرج من الفحم أيضا بعض الكيمياويات الداخلة في صناعة الطب مثل (السكرين) وهي العطريات والمفرقات وهلم جرا

فالعجب أيها الذكي لفحم أسود اللون منبوذ يكون وقودا وسماذا وعطرا وأداة حربية تهدد الحصون وتخرب البلدان وصباغة للثياب وتطهيرا ودواء ، قلن داوى المريض فقد نما به الزرع وان صبغ الثوب فقد أهلك المدن - إن الله لطيف خبير -

فهاك أربع صور للفحم (انظر شكل ٢٢ في هذه الصحيفة) و (شكل ٢٣ في الصفحة التالية) و (شكل ٢٤ في صحيفة ١٣٧) و (شكل ٢٥ في صحيفة ١٣٨)



(شكل ٢٢ - منظر رسم هندسي للفحم منظور من معدنه أثناء العمل)



(شكل ٢٣ - رسم هندسي بدعي)

(أ) هذا هو الجزء الذي تحت الطين مع الجذور الممتدة فيه

(ب) فرش الفحم وهو أسفل طبقة

(ج) سقف الفحم مختلطاً بالرمل وبنوع من لوح

هذا هو الفحم الذي خزنه الله في الأرض وأبقاه مئات الآلاف من السنين ثم أبرزه اليوم للناس بعد ما انضججه وجعله مدارق في الأمم في الزراعة والصناعة والعلم والحكمة ، ألا ترى أن العقول تزداد بصيرة بمزاولة هذه العجائب ، أبرزه للناس فعرفوه بعقولهم واستخرجوه من الأرض ، ولما علم أن المسلمين سينامون طويلاً كما نام الذين من قبلهم من الأمم قال سبحانه - يعلم ما يلج في الأرض - (كالأشجار والنباتات في قديم الزمان) - وما يخرج منها - (فهي قد استخرجت اليوم وانتفع بها الناس) لا المسلمين فهو يقول إنها بعلمي دفنت في الأرض بالزلازل والحوادث الكثيرة وبعلمي تستخرج الآن ، فعلمي متعاقب بها في الحالين وهي التي خزنت فيها ضوء الشمس الذي أشرق عليها أيام نوحاً ثم أنا الآن أظهره لكم لتجنوا ثمرة وتعرفوا خبره ومثل الفحم البترول

﴿ زيت البترول ﴾

(أنواعه ومستخرجاته ومنافعه - أشهر جهات العالم به - القوقاز . الولايات المتحدة . وغيرها)

(مصر وزيت البترول فيها)

سبحانك يا الله : أدهشنا صنعك . وبهرنا وضعك . جعلت في الأرض ماء . سلكته ينابيع فيها . ومنها الينابيع الحارة التي رسمت في ﴿ سورة الكهف ﴾ في أولها عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - فهناك من زينة الأرض قد رسم نوعان من العيون الحارة المرتفع ماؤها عن الأرض . نوع ينبع وسط الثلج . ونوع ينبع وسط الحجارة الصفراء . وهكذا نراك جعلت في الأرض أيضاً المعادن والفحم المتقدم ذكره . وهكذا نراك أجريت منها سائلاً ننتفع به في أعمالنا . فلم يقتصر عملك على الفحم الذي هو جامد بل خلقت لنا جسماً سائلاً وخزنته في الأرض . أليس هذا من العجب ! تخلق الزيت في الزيتون وفي السمسمة وفي برة القطن وفي غيرها وتجعله نافعا لنا مضياً لمنازلنا وهكذا شحم الحيوان . كل ذلك فوق الأرض مشاكلاً لما أبدعته من الأنوار التي أرسلتها من علياء سمواتك



(شكل ٢٤ - رسم الأعشاب في مدة النجم الحبرى)

بهذا الفيضان . لماذا ؟ لأريكم أن عندي منه كثيرا فالتسوه . نعم الشمس الناس البترول من باطن الأرض فخرج

(١) زيت طبيعي أسود قائم ثقيل فأجروا عليه عمليات كثيرة وصفوه بها فخرج منه أنواع وأصناف

تختلف وزنا وسيلانا وغيرهما من الخواص وباختلاف الخواص تختلف الأعمال والمنافع والأسماء فنها

(٢) صنف خفيف يسمى (كيروسين) وهذا مستعمل للاضاءة

(٣) وصنف آخر ثقيل يستعمل للوقود

(٤) وصنف آخر يستعمل للصقل أثقل منهما . وتسمى الزيوت المستخرجة من الولايات المتحدة باسم

(٥) زيوت البرافين

(٦) ومن عجب أن هذا الاسم لا يطلق في انجلترا إلا على نوع الزيوت التي يستخرجونها بالنفط

و بينما أنا أكتب هذا إذ حضر بعض الأصدقاء فقال : كيف يكون النفط هنا ؟ أي قطر من نبات ؟ قلت :

كلا . قال أي قطر من باطن الأرض . قلت . كلا . قال إذن من قطر ؟ قلت يقطر من صخور . قال وكيف ذلك

قلت قد كشفه رجل انجليزي يسمى (المسترجس بالي) عثر عليه وهو يبحث عن الزيت الطبيعي المتقدم .

ذلك انه رأى ذلك الزيت يسيل من سقف أحد المناجم بمقاطعة (در بشير) بالانجلترا فلاحته له فكرة أن

يستخرج هذا من الفحم الخالص فاستقطره فنجح وأحرز رخصة بمزاولة هذا العمل سنة ١٨٥٠ فاستخرج

زيت البرافين المذكور ثم استخرج مادة البرافين المشهورة . ثم إن هذه الصخور الفحمية تكون بالانجلترا

وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا والهند وأستراليا وزيتها كما عرفت يشبه البترول ويستعمل مثل استعماله . وليست

طريقة استحضاره بالآلات الماصة كما في الزيت الآخر . كلا . بل الطريقة هنا انهم يصهرون الصخور في أوعية

حتى يتبخر زيتها فيستقبلونه ويكثفونه فيكون زيتا خالصا . ومن العجب أن زيوت البترول والبرافين

أصبحت ذات شهرة واسعة بل انها أغنت عن الزيت النباتي والحيواني . لماذا ؟ لأن الله نور السموات والأرض

ولأنه واسع عليم ولأنه لطيف لما يشاء . هو الذي خزن ذلك في الأرض ووضعه على (نمطين) نمط هو

سائل وهو البترول . ونمط هو جامد وهو زيت البرافين . فيستنبط الناس الأول من الأرض ويستنبطون الثاني

من الحجارة والنتيجة واحدة . وقد أصبحت تلك الزيوت المستنبطة من الأرض أو من حجارة الفحم تغني عن

زيت الزيتون الذي كانت تفخر به إيطاليا ومعظم ممالك البحر الأبيض الشهيرة من قديم لسكثرة أشجاره فيها

فترى الناس يختارون زيت البترول للصقل لأنه يبقى مدة طويلة بلا تجدد أو لزوجة كما يحصل للزيوت النباتية

والحيوانية فانها بهذا السبب تلتصق بالمواد التي يراد صقلها ولا يتم الانتفاع بها الآن على الوجه الأكمل الأحسن

إلا اذا مزجت بمقدار من زيت البترول . إذن الله يقول لنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - والاخراج

قد يكون بالآلات الماصة وقد يكون بالاستقطار من الأحجار فهو يعلم أن مثل هذا النوع المستنبط يساعد في

الأحوال العملية كالصقل المذكور إذا الزيت الذي خلقته على ظهر الأرض فيه نقص فاحتاج الى الكمال فأخرجت

لكم زيت البترول من باطن الأرض لأدلكم على ما وراء ذلك وكذلك أنزل قطرات من الفحم الحجري ليدلكم

على ما فيه وأنتم لا تستكملون ذلك بعملكم . إذن هذه مخازن الله خزنها في أرضه وصخوره ودنا عليها وعلم

منفعتنا ثم قال للمسلمين استخرجوها كما استخرجتها الأمم قبلكم لأن هذا من فروع الكفايات وفروض

الكفايات لها مقام عال في الاسلام ، وأيضا أنا سخرت لكم مافي السموات والأرض وهذا مما في الأرض

أفلا تشكرون نعمتي أيها المسلمون ، وشكر النعمة بفهمها أولا وقبلها ثانيا ، أما الفهم فها هو ذا وأما القبول

فبالعمل والعمل قد استخرج الناس من زيت البترول ما يأتي :

(٧) زيت الفازلين : وهو زيت خفيف جدا يتولد منه غاز سريع الاحتراق يسمونه (بترول) فقط

وهو المستعمل في تسير السيارات وما شاكلها

(٨) والبنزين يحتاج اليه كثيرا في صناعة المطاط (بالقوطينا) لما فيه من خاصية اذا بهما
 (٩) والفارولين يستعمل دهانا ومنافعه شتى في الشؤون الطبية
 (١٠) والريشولين وهو أكثر زيوت البترول تطايرا ، ويستعمل أحيانا في الطب للتخدير المحلي الذي يحدث
 في العضو من البرودة الشديدة التي تسبب تطايره
 (١١) والنفثالين (النفط) وغير ذلك من المواد النافعة
 ثم ان أشهر جهات العالم في استخراج زيت البترول انما هي بلاد القوقاز لدى شواطئ البحر الأسود وعلى
 جوانب بلاد القوقاز على حدود فارس عند (سرو) وأشهر مصرا كرم (موردان) المورد الأول على جانب
 القوقاز الجنوبي ومينائه (باطوم) على البحر الأسود (المورد الثاني) على بحيرة زوين ومينائه (باكو) .
 وآبار هذه الجهة معروفة من قديم الزمان وكان الفرس يزورونها ليصيدوا النار في غازاتها اللطيفة المتدفقة من
 جوف الأرض ، واقدمت عليهم في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - الكلام على اندلاع
 النار في تلك الآقطار فارجم اليه واقرا صور ذلك هناك واعجب من حكم تجلت في هذه الدنيا ، ثم ان هذا المورد
 لم ينفع الناس منفعة تامة إلا حين خرج من قبضة الفرس الى الروس في أوائل القرن التاسع عشر ، وليس في
 الأرض مكان فيه من كثرة الزيت ما في هذه الأمكنة إذ يتدفق الزيت هناك على جوانب الآبار من غير حاجة
 الى استنباطه بالآلات ، وتنبط البئر في اليوم الواحد (مليون غالون) وقد يتدفق الزيت بشدة فينزع الأجهزة
 المركبة على فوهات الآبار ويقف بها في الجوف مسافات

وبلى هذه الجهات في استخراجها (الولايات المتحدة) وفيها الآن (٢٠٠٠) بئرها نحو (٤٠٠٠) ميل
 من الأنابيب لنقل الزيت الى المصافي في بلاد مركزية . ومن هذه يوزع في طول البلاد وعرضها أو ينقل
 الى الموانئ للتصدير ، ثم ان صناعة الحديد والصلب والزجاج وغيرها تقوم بجوار تلك المنافع
 هذه أشهر البلاد التي يستخرج منها الزيت ، ومن البلاد التي يستخرج منها الزيت المذكور مصر ولكنه
 قليل ، ففيها (شركة زيت انجليزى مصرية) جنوب السويس عند البحر الأحمر وانتظم العمل بها سنة ١٩١١
 وتحت إمرتها (آبار جسد) و (آبار هرغاده)

و يستخرجون منه بترول السيارات و بترول الاضاءة وسائل الحريق وزيوت الصقل وغير ذلك اهـ

﴿ عبرة ﴾

اعلم أيها النكح أن بلاد المسلمين قد خزن الله فيها للناس خيرات . فهل الله عز وجل يمنع النعم عن خلقه
 لأن المسلمين يجهلونها - إن الله لطيف لما يشاء - حكيم الصنع جزيل الاحسان . هذه دولة روسيا لما ملكت
 منابع البترول استخرجته ، ولما كانت ملك بلاد الفرس كانت محجوبة عن الأمم
 أيها المسلمون : اعلموا أن الأرض خلق الله وانما عبود الله والله عز وجل الذي خلقنا وخلق الأمم
 حولنا لا يمكن أن يرضى بتعطيل منافع ملكه لأجل جهل بعض عباده ، فهل يظن المسلمون أنهم اذا عطوا
 نعم الله يرضى هو بذلك . كلا . بل هو يزرع الأرض منهم ويعطيها لغيرهم ، وهل خلق الفحم وزيت البترول
 مثلا وهكذا الماس ؟ هل هذه كلها خلقها الله ليحبسها عن الناس . كلا . فأن الله خلق المنافع وبها في الأرض
 ومتى خلق من يستحقها لا يمنحها عنه كما لم يمنع الذكور عن زواج الاناث لما في ذلك من المنافع ، فاذ جهل
 المسلمون منافع أرضهم سلط غيرهم عليها فأخذوها وانتفعوا بها وهو القائل - وما خلقنا السموات والأرض
 وما بينهما الا عين - . لو خلق الله هذه المنافع ثم هو يمنحها الى الأبد لكان ذلك عبثا والله يحل عن العبث
 وهو الحكيم ، هو الذي يقول - اعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها - أي واعلم من يمنع منافعها فيناله
 ومن يستخرجها فيساعد له لأنه حكيم عليم ، والحكيم لا يخلق إلا الحكمة ، ولا يعطي النعمة إلا لمن يستحقها ،

فليعلم المسلمون مركزهم من الانسانية حتى ينطبق عليهم قوله تعالى - خير أمة أخرجت للناس - انتهى

(جمال العلم)

(في قوله تعالى - وما يخرج منها -)

جاء في كتاب « الجغرافيا الرشيدة » تحت العنوان التالي مانصه

(الينابيع المحجرة)

كثيرا ما يجري الماء ، مذابا فيه الجير فيكسو كل ما يصادفه من الاشياء بطبقة قد تغير الآثار الحية فتجعلها متحجرة ، ولا شك في أن الغابة المتحجرة في هليوبوليس تكونت بتأثير ينابيع حارة مذاب فيها الرمل .

﴿ الصخور الرسوبية الكيميائية ﴾

فالجبس الذي رأيته في الاعمدة من الصخور الرسوبية المتكونة بتأثير كيميائي ناتج من ذوبان الصخور الجيرية . ومثله صخور الملح . وفي قسكاسكزه بالقرب من كراكو في تشيكوسلافيا كيا أعظم مناجم الملح في العالم فهناك مدينة بتمامها مدفونة تحت الأرض في صخور الملح

﴿ أنواع الصخور الرسوبية ﴾

فن أنواع الصخور الرسوبية الطين والحجر الرملي وهما من الرواسب العادية ، والجير والمرجان من البقايا الحيوانية ، والفحم من البقايا النباتية ، والجبس والملح من الصخور التي تكونت بصوامل كيميائية .

﴿ الصخور الرسوبية المتحولة ﴾

وقد يطرأ على بعض صنوف هذه الصخور تحول بسبب الضغط أو الحرارة أو حركات القشرة الأرضية ، فيتغير شكل الصخر وخصائصه ويزداد صلابته ولحماته ، فمثلا الاردوزا أصله الطين والرخام أصله الطباشير .

﴿ الصخور غير الرسوبية والصخور النارية ﴾

هاك نوعا آخر من الصخور يختلف عن كل ما وصفنا لك الى الآن . هذا صخر الجرانيت الذي سمعت عنه كثيرا في الآثار المصرية كالمسلات والتمائيل . خذ قطعة منه واخصها تجد أنه ليست له حبات مستديرة ، بل يتكون من ثلاثة أنواع من الصخور البلورية المختلفة الشكل : فمنها الفلسبار بلون اللحم الاحمر ، والميكا ذات اللون الاسود اللامع المفضض ، والسكوارتز الذي تكونت منه حبات الرمل . وليس لوضع أجزائه أى نظام ، وليس له طبقات ولا فيه خروز بل هو من صنع الطبيعة ذاتها . ويرى أجزائه بذلك في الحال على أنه يتكون بالحرارة فهذا الصخر ناري ، من الصخور الأصلية التي تكونت منها قشرة الأرض قبل الصخور الرسوبية . والصخور الرسوبية كلها مشتقة في الأصل من هذه الصخور النارية . وهاك نوعا آخر من الصخور النارية وهو الطفح الذي يخرج من البراكين وترى فيه فتاقيع غازية ويسمى صخورا بركانيا ، يتميز له عن مثل الجرانيت الذي تكون بهدوء تحت سطح الأرض . وهذا جدول يلخص لك تقسيم الصخور على كل وجه :

﴿ الصخور ﴾

(١) متحولة (ب) ومائية (ج) ونارية

(١) الصخور المتحولة (١) مائية الأصل كالاردوزا من الطين (٢) ونارية الأصل كالانديس من الجرانيت

(ب) الصخور المائية (١) تكون عضوية كالجبس والفحم (٢) وكيميائية كالملح والجير (هكذا بالأصل)

(٣) ورسوبية كالطين والحجر الرملي

(ج) الصخور النارية (١) البركانية كالابازلت (٢) والباطنية كالجرانيت اه

﴿ نموذج التمارين التي اعتاد المدرسون أن يسألوا التلاميذ فيها ﴾

- (١) صف مجموعة من الحفريات التي توجد في جبال المقطم . ما الذي تستنبطه من وجود هذه الأصداف عالية في الجبال ؟
- (٢) أغلب الآثار المصرية مطمورة بالطين الى علو أربعة أمتار . فإذا كان عمر الآثار أو بعدة آلاف سنة ، فما سمك طبقة الترين التي ترسب على أرض مصر سنويا من الفيضان ؟
- (٣) من أي أنواع الصخور : البازلت والرخام ؟ حال وجود الرخام في قمة أي زهبل تحت طبقات البازلت
- (٤) في شرق هليوبوليس غابة متحجرة . ماذا تظن السبب في وجودها ؟
- (٥) بحوار ساحل البحر الأبيض المتوسط في مصر ، الاحظ عظمة . وضع كيف يحصلون على الملح منها وبأي كيفية تكونت الصخور الملحة الضخمة في فكلسكرة ؟
- (٦) ما الذي تعرفه عن أصل الفصم الجري ؟ وماذا في هيئة الفصم يؤيد نظرك ؟
- (٧) ما الأدلة على حرارة جوف الأرض وماذا تعتقده بشأن أصل هذه الحرارة ؟
- (٨) أي أنواع البحار يلائم النمو المرجاني ؟ كيف تساهل وجود الجزائر والجزائر المرجانية في البحار العميقة
- (٩) ما سبب تكوين المغارات في الصخور الجيرية ؟ أي نوع من أشكال التضاريس يختلف المغارة الطويلة اذا سقط سقفها على أرضها ؟
- (١٠) كيف تكونت عمدة الجبس في المغارات الجيرية ؟
- (١١) أذكر أمثلة من الصخور النارية الباطنية والبركانية والمتحولة .

﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾

(الزلازل والبراكين والنافورات)

قد اتضح لك أن الصخور الرسوبية تكونت في قعر الماء ، وأن وجودها فوق ظهر الأرض مثير للتعجب ومشوق لمعرفة السبب ، وبالأخص لوجود هذه الصخور في أغلب بقاع اليابس . فالسبب لا يمكن أن يكون إلا أحد أمرين : فإما أن ماء المحيط كان في العصور الطويلة فوق جميع اليابس ، وإما أن قشرة الأرض هي التي تتلوى وتثنى في مختلف الاتجاهات . وسنبين لك حالا أن السبب الأخير هو الصحيح .

﴿ السواحل الطالعة والسواحل النازلة ﴾

للمحيط الأطلسي ساحلان : ساحل شرقي وهو المجاور لأوروبا وإفريقية ، وساحل غربي وهو المجاور لأمريكا فإذا زرت الأقاليم الشرقية في الولايات المتحدة تجد السهل المجاور للمحيط الأطلسي مكونا من الصخور الرسوبية الحديثة العهد ، حتى اذا وصلت الى شرق جبال اليبس وجنتها محززة بحزوز أفقية متوازية تشبه الحزوز التي تعملها الأمواج في صخور الشواطئ البحرية في أيامنا هذه ، وتجد في الجبال كهوفا ومقارن لا يشبهها إلا الكهوف والمقارن التي تنحتها أمواج البحار . ولا يفترب هناك وجود الحفريات من أشكال القواقع والأصداف والسمك التي تعيش في المحيط الأطلسي حتى الآن . فلا يمكن أن يبقى في نفسك أي شك في أن هذا السهل الساحلي قد برز من أعماق البحر . فهل انحسر عنه الماء ؟ اذا كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون الماء قد انحسر أيضا عن شواطئ أوروبا الغربية فترداد علوا عن سطح الماء ، ويكون انحسار الماء عن السواحل علما ما كلة انتهاء الماء من هذه الدنيا . واسكن هذا غير صحيح ، والواقع يكذب ، لان سواحل أوروبا الغربية أخذت في الهبوط التدرجي تحت سطح الماء : فقد كان للرومان مبان في غرب أيرلنده وكانت هذه المباني مشرفة على ساحل المحيط الأطلسي ولم يكن الماء يطغى عليها طبعها ، وقد أصبحت الآن غائرة تحت مستوى ماء المحيط ، فلا تظهر

إلا وقت جزر البحر ، وأقمرها المياه وقت المد . فيبين لك من ذلك أن البحر لا ينقص ساؤه وأن قشرة الأرض هي التي تلتوى وتنثني ، وليس ذلك في جهات قليلة من وجه الأرض بل هي حركات آثارها ظاهرة في كل موضع على اليابس وتحت الماء .

﴿ الجبال الحديثة والجبال القديمة ﴾

تأمل في خريطة الدنيا وأعظم سلاسل الجبال الحالية موجودة في اتجاهات مربعة : فهي في الغالب على حافة المحيطات الكبرى ، أو عند مجمع انقارات (كما هو في السهل في موضع البحر الأبيض المتوسط) . وفي هذا الوضع المنتظم دلالة على العوامل التي أوجدها : فالقشرة الأرضية تلتوى وتنثني فيظهر أثر هذا الانواء في أضواء جهاتها ، فأعظم جبال الدنيا مثل روكي وأندس والألب وهمالية من الجبال الحديثة التي برزت من قعر البحر في أزمنة قريبة ، والازمنة الجيولوجية لا تقاس بالسنين ولا بقرون ، ولعلكم أسقاب طوي يسهل يمكن من إدراكها الخاسب

﴿ عامل الوجود وعامل الفناء وعملية التوازن ﴾

لا يمكن أن تبرز الجبال والسهول من البحر فتزيد مسطح اليابس ويحجمه بلامقابل فن من المسلم به في كل معاملة الموازنة بين الوارد والمنصرف ، ولا انتهى الأمر بأفلاس أسد الطرفين المتعاملين . فالذي يكسبه البحر عوض ما يخرج منه من الأراضي الجديدة والجبال الحديثة ، إن الذي يستفيد في مقابل ذلك ما تجلبه له الأنهار ، يساعدها في ذلك عوامل الفناء الأخرى المعروفة بعوامل التآكلية التي تسلب على الجبال من رقت ظهورها بمحاول الفناء فتحترق وتجرفها ولا يهدأ لها بال حتى تكشفها من على وجه الأرض وتبعث بأنقاضها مع الماء الجارى إلى المحيط ، تدفع بذلك ثمن الأراضي الجديدة التي تبرز منه

﴿ أسباب حركات القشرة الأرضية ﴾

(١) علمت أن الأرض تدور على محورها باستمرار ، وهذا الدوران من شأنه أن يغير شكل الأرض كما تتغير أوضاع حبوب الفصح وقت هز الكيلة ، وأن هذا الدوران هو الذي أعطى الأرض شكلها الخاص بها والذي جعل القطر الاستوائي أطول من المحور ، ففي القديم القابل كانت الأرض كلها سائلة أوليته كان هذا التفسير سهلا ولكنه قد صعب الآن بعد أن جددت الأرض وتصلبت قشرتها فلا يتم بدون طي الصخور المنة وكسر الصخور الشديدة الصلابة

(٢) كانت الأرض قبل أن تفقد شيئا من حرارتها أعظم حجما وكلما نقصت الحرارة انقلص قلب الأرض فتضطر الصخور القشرة أن تنثني وتتسكسركي تنطبق عليه كما تنثني ملابس الرجل البدن إذا هزل جسمه بسبب المرض ، ويدفعها لذلك ﴿ أضراس الأول ﴾ جذب مركز الأرض لها من تحت ﴿ والثاني ﴾ ضغط الطبقات الهوائية عليها من فوق

(٣) إن متوسط الثقل النوعي للصخور الكرة الأرضية أكثر من خفة أضفاف الثقل النوعي للماء على حين أن الثقل النوعي للصخور القشرة لا يزيد على الغالبين إلا قليلا ، ومعنى ذلك أن الصخور الخفيفة هي الموجودة على وجه الأرض في حين أن الصخور الثقيلة موجودة في قلبها ، وذلك بداهة إذ أن الخفيف من طبعه أن يطفو فوق الثقيل ، وقد حصل هذا الترتيب أيام كانت الأرض في حالة سائلة والصخور مرتبة على وجه الأرض بشكل يحفظ التوازن بمعنى أن الصخور التي في قعر المحيط تقيسلة النوع والصخور الجبال المجاورة له خفيفة ، وبذلك أمكن قيام الأخيرة محمولة بضغط الأولى ، ولكن عوامل التآكلية التي أثرت بها آثارا دنيئة في افناء الجبال والأنهار تحل الأناض إلى البحر أول فأول فيزيد الضغط في قعر البحر ويخفف على جبال اليابس باستمرار ويختل التوازن لولا حركات القشرة الأرضية التي تعيده إلى حاله كلما تزعزع

﴿ نتائج حركات القشرة الأرضية ﴾

ينتج من حركات القشرة الأرضية بديان السلاسل الجبلية الحديثة وظهوان البحر التدرج على جهات بارزة كما ينتج منها كسر الصخور الصلبة واشقةها وانزلاق طبقاتها بعضها على بعض فتنشأ عنها تضاريس جديدة وتغير اتجاهات المياه الجارية وقد تنشأ كسور مقاربة فيترتب عليها وجود أخاديد غائرة أو هضبات مدفوعة

﴿ بديان الجبال ﴾

قد رأيت أن أهم السلاسل الجبلية في الدنيا واقعة في اتجاهات معلومة فهي من جبال الطي . ومن جبال الطي أيضا سلاسل أصغر منها في القارات . فإذا خضت طبقات تلك الجبال رأيته منحنية تدل على التواء . ثم تنشأ ثلاث طبقات من الصخور الرسوبية مرتكزة على طبقة من الصخور النارية في وضعها الطبيعي قبل الالتواء . ومفهوم طبعاً أن الصخور العليا هي الحديثة وأن التي تحتها هي القديمة . فالطبقة الثالثة أحدث من الطبقة الثانية وهذه أحدث من الطبقة الأولى والطبقة التي تحت الجميع من الصخور النارية الأصلية . ولكن عوامل التعرية لا تلبث أن تهبط بهذه الجبال فتكسها سطوحها وتحتها وتعرف منها

فإذا رغبت في ارتفاع الجبل تصادف أولاً الطبقة الثالثة ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الأولى حتى إذا ارتقيت إلى أعلى الجبل وصلت إلى الصخور القديمة النارية . ومن ذلك تعرف كيف أن الصخور التي كانت بعيدة عن وجه الأرض قد ارتفعت بحركات القشرة الأرضية ثم انكشف عنها غطاؤها بفعل التعرية فأصبحت ظاهرة قريبة للإنسان لينتفع بها في أغراضه

﴿ كسر الصخور العلوية ﴾

يصادف المهندسون أحيانا وهم يتعقبون عرقاً من فلزات المعادن أو طبقة من طبقات الفحم عينا في الطبقات أي كسرا إذ ينتهي العرق أو الطبقة فجأة فيوجد بدلها صخور أخرى كان ينبغي وجودها فوق العرق أو تحتها

﴿ الأخاديد الغائرة ﴾

في الصخور التي تصاب بعيوب متعددة قد يحصل أن تنزلق قطعة من القشرة الأرضية فتهبط إلى عمق كبير وينشأ عن ذلك اخدود غائر ، وفي شمال أفريقيا اخدودان غائران يقع البحر لأخر بأكله ضمن واحد منها

﴿ الهضبات المرفوعة ﴾

وقد يحدث أن تغور الأرض من جوانب جزء من القشرة الأرضية وتنزلق عليه نارلة على حين انها تدفعه صاعدا فيظل قائما بنفسه على شكل هضبة مدفوعة ، وهضبة (منزلة) المتكون منها أرض إسبانيا والبرتغال من هذا الطراز

﴿ الجبال المختلفة ﴾

والهضبة إذا شققها الأنهار والوديان يتخلف منها سلاسل جبلية تفصل أحواض الأنهار ، فهذه السلاسل الجبلية متخلفة من صخور الهضبة ، وسلاسل جبال شبه جزيرة أيبيريا من هذا الطراز

﴿ الزلازل ﴾

قلما يمر العام من غير أن نسمع بوقوع زلزال في جهة من جهات الدنيا ، فرقة نسمع عنه في غرب أمريكا أو جزائر الهند الشرقية . وصرقة نسمع عنه في اليابان أو في إيطاليا . ولا يمر خبر الزلزال بهدره كباني الأخبار لما يقترن به من الخسائر الفادحة والأهوال السكار وهلاك الأنفس والأموال . وقد وقع زلزال في ليلة (٢٦) يونيه سنة ١٩٣٦ م شعر به أهل القطر المصري في الساعة التاسعة والدقيقة ٤٨ مساءً ومكث نحو (٤) دقائق هالت له قلوب الأهالي وحدثت بعض إصابات من سقوط المنازل القديمة . ووردت التلغرافات في الأيام التالية منبئة عن مركز الزلزلة الكبير في (بحر الأرخبيل) وهي التي انتشرت هزاتها إلى مصر . وكان

من الآثار الهائلة لذلك الزلزال انفجار ينبوع كبير بنى جديد في مدينة حلوان على بعد (٩) أميال من ينبوع القديم . ومن الزلازل التاريخية العظيمة ما يأتي بيانه

(١) زلزال (سن فرنسكو) في سنة ١٩٠٦ م وفيه وقعت من هول الرجة الأولى العمارات والمنازل فأصبحت بعد انضارة والعمران خرائب وأطلالا . وما زالت روادف هذه الرجة تهز القشرة الأرضية طول ذلك اليوم المصيب حتى بلغت أدوار الارتجاج اثنين وثلاثين دورا . وهاجت أمواج البحر ثم فغرت الأرض فها لتبلغ آثار العمران . واشتعلت النيران في الحطام وهلكت ألف نفس بشرية وبات مائتا ألف بلا مأوى

(٢) زلزال (لشبونة) في سنة ١٧٥٥ وفيه نشأت أمواج عالية طفت على الشاطئ من ارتفاع عشرين قدما فقط وحت بالسفن الراسية في الميناء الى جهات داخلية بعيدة وبثرتها كما يبذر الزارع الحب على الأرض وأهلكت ستين ألف نسمة غرقا

(٣) زلزال (مسينا) في سنة ١٩٠٨ م وفيه تخرّبت المدينتان (مسينا) و (رجيو) والقرى المجاورة لهما وهلك ثمانون ألف نسمة

(٤) زلزال (اليابان) في سنة ١٩٢٣ م وفيه تخرّبت المدن الكبرى وقامت الحرائق في (يوكوهاما) و (طوكيو) فأكات المؤن والأقوات وبات الناس بلا مأوى ولا طعام وهلك فيه مائتا ألف نسمة . وتبارت الدول العظمى في مواساة (اليابان) فأرسلت اليها الهدايا من الأقوات والملابس . انتهى ما أردته من الكتاب المذكور والله أعلم

﴿ جمال هذا المبحث العام ﴾

(في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ)
لأختم هذا المقال بالكلام على الفهم المخزون في القطب الشمالي ، وعلى الكبرياء المخزون الآن في شمالي ألمانيا فأقول :

سبحانك اللهم ، أنت أدركت الأرض وجعلت لها قوانين وحكمت على خط الاستواء قديما أن يصير قطبا كما حكمت على القطب أن يصير خط استواء ، إن جميع أهل الأرض الآن يعلمون أن القطبين لا يصلحان لظهور النبات ولكن العلم والكشف أثبت أن القطبين قد خبي الفهم في باطنهما ، ولكن كيف خبي ذلك الفهم ؟ لا وسيلة لظهور الفهم إلا بالشجر ولا ظهور للشجر إلا بحجارة الشمس الكثيرة والقطبان لا حرارة فيهما بل الثلج هو الذي يغطي تلك الأقطار ، فبئس تحلى خط الاستواء بالأشجار والمزارع النضرة ليتحلين القطبان بالشج ، تشع حوله الأنوار البديعة المتقدّم ذكرها ورسمها في أول ﴿ سورة الكهف ﴾ فهل أتاك ما شاع وذاع من أن باطن الأرض عند القطبين مملوء خفا ، أفلا تعجب من ذلك وكيف خزّنه الله قبل مئات الألوف من السنين ثم هو الآن قد أخذ يدل الناس عليه ويهتفهم إلهاما ، يقول لهم : أيها الناس . إن في القطبين خفا فيلا ذهبتم الى القطب الشمالي وانتفعتم به ؟ وهلا جعلتم لكم هناك محطة للطائرات والبالونات في القطب الشمالي تكون ملتقى الخطوط الهوائية بين أفريقيا وآسيا وأوروبا ، وإذا كنت في شك من ذلك فسمع ما كتبه بعضهم ناقلا عن المجلات الأفرنجية وهذا نصه

﴿ حلم علمي ﴾

(القطب الشمالي ملتقى الخطوط الهوائية)
القطب الشمالي هو قمة الأرض ، وكان يجب أن يكون ملتقى المواصلات لولا أنه لا يصلح للراحة أولئك

الحديدية لأنه مغمور بالثلج الذي لا يذوب طول السنة ، وقد خطر ببال أحد المهندسين أن يجعل القطب الشمالي ملتقى الخطوط الهوائية بين اقارات اثلاث افرقيا وأوروبا وآسيا ، وبذلك تختصر المسافة اختصارا كبيرا ، فالذي يريد الذهاب الى اليابان يحتاج الآن الى أن يقطع نحو نصف الأرض حتى يبلغها ، ولكنه اذا ركب طائرة وصعد الى القطب الشمالي وانضم منه الى اليابان قصرت مسافة السفر ، وفي القطب الشمالي مناخهم كبيرة للفحم يمكن منها استنباط الكهرباء للتدفئة والاضاءة فينار القطب وتبنى فيه العنابر الكبيرة لايواء الطائرات وتزويدها بالبنزين وتشيد القنادق الكبيرة للمسافرين ، وهناك يلتقي المسافرون فيبدلون طياراتهم ويذهب كل منهم في طريقه ، فهل يحقق العلم هذا الحلم ؟ ونظاما حقق ما هو أشد منه غرابة . انتهى

هذا بعض سرّ قوله تعالى - يعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها - فيها هوذا الفحم قد أدخله الله في الأرض ، وها هو ذا يخرج منها وينتفع الناس به

ومن عجائب الخزون في الأرض «الكهرباء . الكهرمان» لقد كنت أيام الصبا أرى الناس يدخلون في الأتواد بحيث يضعون ورق التبغ في حق صغير متصل بعود مجوّف ينتهي بفم من (الكهرمان) وهذا الفم هو الذي يمتصون به الدخان المستمد من ذلك التبغ المحترق في ذلك الحق الصغير فكنت أتأمله فلا أعرف من أين جاء هذا الكهرمان ، وما كنت أدري أن الله خزّنه في الأرض قديما كما خزن الفحم في الأقطاب الشمالية ، أفلا يجب على أن أجد الله على العلم بذلك ، فهناك ما رأيت من المقالات العلمية تحت العنوان التالي :

(الكهرباء . الكهرمان)

الكهرباء هو ما يسميه العامة عندنا بالكهرمان وهو ذلك الحجر الأصفر اللامع الذي يصنع منه خرز المساج ويتزين به النساء ، وقد كان الاغريق يعرفون الكهرباء وكانوا يعرفون منه أيضا (الكهربائية) وهي تلك القوة الخفية التي نستعملها الآن في دفع الترام والتلفاز والتلفون ولم يكن الاغريق يعرفون كيف ينتفعون بالكهربائية كما نتفع ولكنهم كانوا يعرفونها وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأن من خواص حجر الكهرباء اذا حك به شئ أن يجذب اليه الأجسام الصغيرة ، فالقاري يرى الآن أن هناك فرقا بين الكهرباء الذي يصنع منه الخرز وبين الكهرباء التي يسمونها الترام ولكن يوجد سوء الحظ من يخلط اللفظتين وقد قلنا ان الكهرباء حجر ولكن الحقيقة انه صمغ ، أو نقول بعبارة أدق انه شئ ، والثاني هو ما ينزل من الشجر اذا جرحت قشرته كالمادة اللبنة التي تخرج من (شجرة الجيز) عند ماطع إحدى أوراتها ، ولكن هناك أشجار الآن يستخرج منها الكهرباء وانما الكهرباء يوجد الآن مدفونا في الرمال تحت طبقات الأرض فقد عاشت منذ آلاف السنين أشجار عم طمرتها الرمال فصارت خمما ، وهناك أشجار أخرى أيضا كانت تنزل الكهرباء فيقع منها طريا ثم يجفّ وبعضه كانت تطمره الرمال وبعضه لا يزال قريبا من سطح الأرض كثيرا ما تنكسحه الأمطار وتخرجه الى السطح ، أما أشجار الكهرباء فقد انقرضت من العالم كما انقرضت من قبلها بالآلاف القرون الأشجار التي استحالت الى خم . ومعظم بل كل ما يوجد تقريبا من الكهرباء الآن يرسل من شمال ألمانيا على شواطئ بحر البلطيق . ففي كل عام يصدر من هذه الشواطئ الى أسواق العالم نحو مائتي ألف رطل . وقد كان المصريون والاغريق والفينيقيون يستوردون الكهرباء من شمال ألمانيا وكانت طرق الكهرباء معروفة في أوروبا محروسة من القبائل . وكان القسما يغالون به حتى قال (بليتي) الكاتب الروماني الذي عاش في القرن الأول لليلاد «ان تمثالا صغيرا من الكهرباء يزيد ثمنه على ثمن عبس ضخمة قوي» وكان شعراء الاغريق يستلهمون للتخيال في كلامهم عن الكهرباء . ومن أجل ما قلناه بعضهم عنه انه الدموع المنجمدة لاطيور . وقد بلغ من شغف الأمباطور الروماني (نيرون) بالكهرباء انه أرسل بعثة الى شاطئ بحر البلطيق فجلبت معها (١٣٠٠٠) رطل من الكهرباء . انتهى وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في مبحثين عظيمين)

﴿ الأول ﴾ مبحث الجن وهل يعلمون الغيب

﴿ المبحث الثاني ﴾ في سيل العرم وسبأ وما جاء في العلم الحديث مصداقا لهذا كله

﴿ المبحث الأول في مقامين ﴾

﴿ المقام الأول ﴾ في قوله تعالى .. ما دهم على موته إلهادية الأرض .. الخ

﴿ المقام الثاني ﴾ في المبحث الأول في قوله تعالى .. فله آخر تبيئت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ..

﴿ المقام الأول في قوله تعالى .. ما دهم على موته إلهادية الأرض تأكل منسأته .. ﴾

(الكلام على الأرضة)

اعلم أن هذه الآية قد أعطتنا ثلاث فوائد الأولى ﴿ انها أبانت أن الجن لا يعلمون الغيب ﴾ الفائدة الثانية ﴿ أن أهل الأرض خاضعون للنواميس سواء أكانوا أنبياء أم غيرهم ﴾ الفائدة الثالثة ﴿ إن من أصفر الحشرات ماله سلطان في هذه الأرض عظيم . يقول الله تعالى .. وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .. فنحن لولا تدبير الله لا نطيق أن نركب الدواب بل لا نطيق هذه الحشرات التي أكلت عصا نبي عظيم من الأنبياء ، فإذا كانت هذه الحشرة هذا شأنها فذلك فتح باب لمعرفة ما نخشع منها . اللهم إن القصص في القرآن لم يكن إلا لتعليمنا لا غير والا فإذا يفهم الناس في قصة بلقيس إذ تقول لقومها .. ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون .. وفي قصة فرعون إذ يقول له الملائ من قومه في موسى وأخيه هرون حين استشارهم في أمرهما .. أرجه وأخاه وأرسل في المداخن حاشرين ..

أقول : فهل يفهم الناس من ذلك إلا الإشارة إلى الحكومة الشورية وأن الأمة لها القول الفصل ، وما الملوك إذا كانوا فيها إلا منفذين كما يقول .. وأمرهم شورى بينهم .. فهكذا هنا يقول .. ما دهم على موته إلهادية الأرض تأكل منسأته فلما خر تبيئت الجن .. الخ ونقول أيضا فلما خر تبيئت أيضا أن للأرضة سرا عجيبا فلا بد من البحث عن أمرها واستقصاء خبرها ، فأكل الأرضة لعصا موسى أفهم الجن أنهم لا يعلمون الغيب فيقللوا من كبرياتهم ويرجعوا عن غيبيهم ويتزلزلوا عن عتوهم ويخضعوا عنهم لباس الكبرياء والعظمة والتباهي والافتخار ، هكذا يعرفنا أن للأرضة عملا منكرا إن لم نخشع منه خورنا صغيقين في هذه الحياة الدنيا بتدميرها واهلاكها ، وأيضا هي من آيات الله تعالى وعجائب صنعته ، فوجب إذن البحث في أمرها واستقصاء سرها على قدر الامكان ، وقد تقدم الكلام عليها في ﴿ سورة النحل ﴾ ورسمت الملكة من هذه الحشرة والملك بجانبها وحولهما جنود المملكة والضباط والعساكر ، وتقدم أيضا رسمها هنا (وكذا ملكة النحل) شكل ٣ وهى مأخوذة من كتاب ﴿ ملكة الظلام ﴾ أو ﴿ حياة الأرضة ﴾ تأليف (مترلنك) تعريب الدكتور (نقولا فياض) وهالك شذرات من الكتاب لتقف على سر ما أشاولة القرآن في هذه الآيات . قال :

﴿ الأرضة أو النمل الأعمى ﴾

الأرضة (١) أو النمل الأعمى . ويقال له الأبيض وما هو بالأبيض يرجع تاريخه إلى مائة مليون سنة قبل الإنسان على زعم علماء الحشرات والجيولوجيا أى طبقات الأرض . غير أنه من الصعب تحقيق هذا الزعم

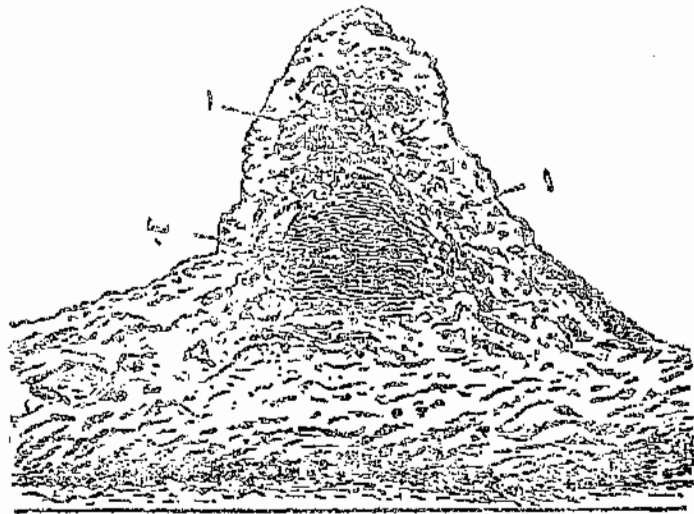
(١) الأرضة دودة بيضاء تبنى على نفسها بيتا مستطيلا وله شفران تنقر بهما الخشب والاجر والحجارة جمعها أرض وهي هنا ترجمة كلمة (ترميت) بالفرنسية لا كلمة (ميت) أى السوسة أو العثة التى تلحس الصوف والنياب

والايمان بأدلة ناصعة على صحته . على كل حال هذه الحضارة التي تعد أرقى من حضارة النمل والنحل هي بلا ريب قديمة العهد جدا أى أتى عليها بضعة ملايين من السنين . ولو تفحصنا المكتوب عنها لما وجدناه شيئا بالنسبة الى ما قيل وكتب عن النحلة والنملة مع انك لا ترى على هذه البسطة كائنا أقرب اليها وأبعد عنها فى آن واحد من هذه الحشرات التي تتمتع بالنظمة السياسية واقتصادية واجتماعية كأنها عالم انساني يؤاخيها فى آلامنا وشقائنا . وهنا مجال واسع للشعراء الذين يحملون شكلا جديدا للاجتماع البشرى ويسمو بهم الخيال والتصور الى خلق مثال خاص للأجيال الآتية فى نظامها وأحكامها فما عليهم الا أن يقتربوا من هذه المملكة الهائلة فيجدوا من الغرابة مثل ما فى أحلامهم وأغرب مما تتصوره فى عطارده والمربح والزهرة

يقال انه يوجد على الارض ألف وخمسمائة نوع من الأرض والمشهور منها لا يتجاوز الأربعين وكل نوع يمتاز عن سواه بصفات خاصة به فنه البناء الذي يقيم هضبا فوق الأرض ومنه ما يعيش مكشوبا ويحتاج السبابس فى خطوط طويلة بين صفيين من الجنود تحتوى بها العمال ومنه ما تسليح الطبيعة جنوده بما يشبه المحقنة ومنه ما يفتك بالاشجار الحية وينقبها وجنده كالكواسر أو الضواري على جانب عظيم من القساوة ومنه ما تشبه مشافره (١) قرون التيس فتتمدد كالزنبك وتقذف به الى مسافة عشرين سنتمترا الى آخر ما هناك

ثم قال بعد كلام طويل ما نصه : بعض هذه الحشرات يعيش فى جذوع الاشجار التي يحفرها ويمد فيها مسالك وأسرابا تذهب كل مذهب وتخرقها من كل ناحية حتى الجذور وبعضها يبني عشه فى الاغصان ويوطئه حتى يقوى على مقاومة الاعصار وحتى يتمتع على الانسان الاستيلاء عليه فيضطر الى نشره بالمشار إلا أن الغالب فيه أن يتخذ مسنه تحت الأرض وبناء هذا المسكن من أغرب ما عرف وهو يتغير حسب البلدان والسلائل والأحوال الموضعية والادوات التي يتاح للحشرة استعمالها بمركب فى طبيعة الأرض من التوسع فى الاستنباط والقدرة على ملائمة الأحوال والاصطباغ بصبغة البيئة التي توجد فيها . وأهم هذه المساكن يعزى الى الأرض الأسترالية فيكون نارة شبيهة نكبة (٢) تعلو عن الأرض نحو ٤ أمتار ومحيط قاعدتها ٣٠ قدما كأنها قالب ضخم من السكر وطورا كالكام من الوحل أو صلصال فى حال الغليان هبت عليه ريح الجليد فجذته فجأة وحينا كرهط من الخلالا التي يخزن فيها النحل الحوشى غسله وقد كبرت مائة ألف حصة . وآونة كطبقات من الفطر أو الاسفنج أو كاكاداس من التبن الذي طال عليه سقوط المطر الى ما شاكل ذلك . وأعظم هذه النى التي لا تراها الا فى أستراليا تختص به الأرض المغناطيسية وقد سميت كذلك نسبة الى الابر المغناطيسية فان ما تبنيه يتجه أبدا من الشمال الى الجنوب فيقع فى أوله ويضيق فى الآخر . وقد تعدد الافتراض فى تعليل هذا الاتجاه دون الوصول الى حل صحيح شاف (انظر شكل ٣٦ فى الصفحة التالية)

- (١) المشافر جمع مشفر وهى من البعير كالشفة من الانسان وقد تستعمل للناس فاستعملناها هنا على المجاز وترجناها كلمة (منديبول) ويمكن أن تسمى أيضا الاحناك
- (٢) النبكة اكمة محذرة الرأس جعلها نباك



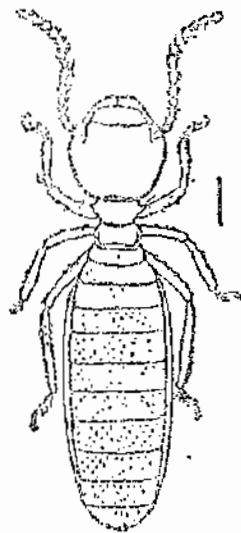
(شكل ٢٦ - قرية الأرض)

(١) غرفة الفطر (ب) خلية الملكة

« وأعظم ماشوهد من هذه المساكن هو في أفريقيا الوسطى ولا سيما في كونغو البلجيكي حيث يبلغ العلو من ستة إلى ثمانية أمتار . وفي « مونيونو » قبرأقيم على أحد هذه البيوت كأنه على رابية فيشرف على ماحوله من الجهات . وفي أحد الشوارع الكبيرة في مدينة الزابات من أعمال « كاتانجا » العليا قرية عالية شطرها الشارع إلى شطرين . وقد اضطر عمال سكة حديد سكانها أن ينسفوا بالديناميت بعضا من هذه الابنية فكانت أنقاضها تتجاوز في ارتفاعها مدخنة القطار . ومن هذه المساكن التي خربت ماصار أشبه بالبيوت ذات الطبقتين ولا يتعسر على الانسان أن يقعد فيها . وقد بلغ من متانة هذه البنايات أن سقوط الاشجار الكبيرة وهو أمر كثير الوقوع في تلك النواحي لا يقلقلها ولا يضعف من جانبها وإن قطع الغنم ينسلقها ليرعى العشب النامي فوقها دون أن يؤثر فيها . ونمو العشب فوقها راجع إلى خصائص الطين الداخل في تركيبها فهو يخزن الرطوبة فضلا عن انه كثير الخصب زكي المنبت لانه مكون من براز الحشرة وفضلاتها . وقد نخر مع العشب الشجر . والفريب ان الارضة التي تهشم كل شئ في طريقها تحترم هذا الشجر كأنه مقدس

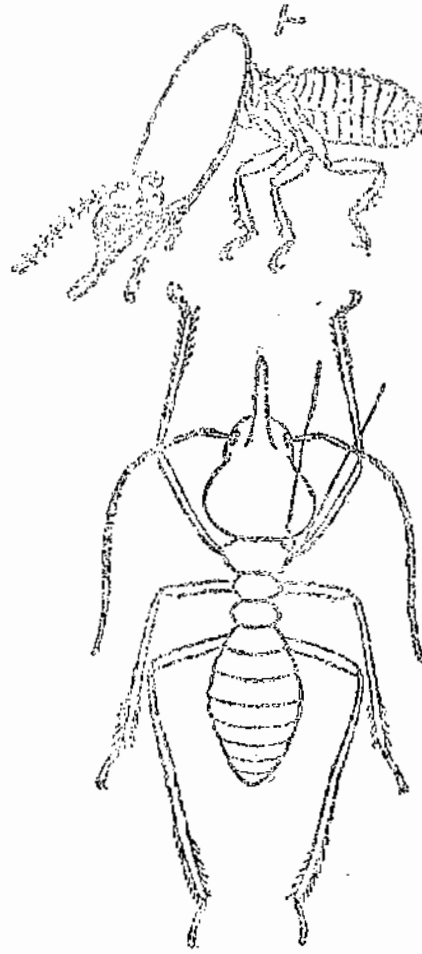
و بعض أنواع الارضة يستعمل قسما من الطبقات العليا في الوكر لزراع واستنبات الفطر الخصوصي الذي يقوم مقام الطفيليات (وسأتي الكلام عنها في الفصل التالي) وله وظيفة من تحويل الخشب القديم أو العشب اليابس إلى كتلة صالحة للعضم والتخيل . وبعض الأنواع الأخرى تقيم مقابر حقيقية في أعلى العمارة ووجود هذه المقابر يدعو إلى العجب لما نعلمه من ان الأرض بأكل موته ويتغذى بها إلا إذا افترضنا انه في أيام الوباء (أوطاريء آخر) قد يقصر عن مجارة الموت لأكل كل ما يسهل له من اللحم فيجمعها ويكدسها حين الحاجة على سطح المنزل حتى إذا جففتها الشمس أحالها إلى مسحوق وجعلها مؤونة يتغذى بها شباب القرية . ومن هذه الأنواع من يذهب إلى أبعد من ذلك فيتخذ مؤونة حية . وذلك أن القوة الحفية تدبر أمور هذه المملكة قد ترى سبب لانعلمه ان عدد الرعية قد تجاوز الحد المطلوب فتفرز الزائد منها في غرف خصوصية بعد أن تقطع قوائمها حتى لا تنهزل بالحركة ثم تؤكل بالتدريج تبعا لحاجة المجتمع . وهذا النوع له عناية خاصة بالنظام الصحي فان فضلات الدودة وبرازها يجمع في موضع على حدة ويترك إلى أن ينشف ويقسو ويصير ألذ طعما . هذا هو نظام الوكر كما يبدو لعين الباحث على أنه قابل للتغير لانه لا يتجدي الكائنات حيوانا مثل هذا يكره التقليد ويعرف أن يكون كالانسان في لينة وخضوعه للأحوال ومجاراته لها وسيتاح لنا غير مرة في عرض هذا الحديث ان نتحقق ذلك»

ثم قل «وهذا النفق العظيم الممتد تحت الأرض والمرتفع فوقها يتشعب منه أسراب لا نهاية لها تنتهي إلى حيث الأشجار والادغال والعشب ومنازل الناس فتجد الدودة محتاج إليه من الخلاوة وهي المادة الحوية يسليتها الجلمدة التي تتركب منها خلايا النبات وليافها . وعلى هذا الوجه تغزو أحياء بأسرها كما ترى في أستراليا وبعض أنحاء جزيرة سيلان فتعمد مسالكها إلى كل صوب وتجعل تلك الأرض غير صالحة لسكنى الإنسان . وقد تملأ البلد من جانب إلى جانب كما في الترنسفال ونانال حيث بلغ عدد القرى نحواً من ١٦ في مسافة لا تزيد على ١٣٥ ميلاً وفي كماشكا العالية تعثر في كل هكتار من الأرض على قرية يبلغ علوها ستة أمتار . والأرض بخلاف النحلة التي تعيش على سطح الأرض وهي حرة طليقة لا تفادى ظلمات قبورها الرطبة الحارة ولا تسير إلا في الخفاء فتعيش وتموت دون أن ترى ضوء النهار فهي دودة الظلام الأبدى وإذا مست الحاجة إن تجتاز للتموين حواجز لا قدرة لها على خرقها قاما تقوم بتعبئة الجنود والمهندسين وهؤلاء يبنون مراميتنا صر كبا من بقايا الخشب الموضوعة ومن البراز ويحاولونه على شكل الأنبوبة ولا يدعون فرصة تفوت دون الاستفادة منها اقتصاداً في الوقت والعمل والنفقات فإذا أصابوا شقوقاً فيها فائدة أصلحوها وملسوها وجمعوا بينها . وإذا فتحوا ممرهم على جدار جعلوا شكله كنصف أنبوبة بالاستفادة من الجدار أو على زاوية مؤلفة من جدارين اكتفوا بعموها (١) نجف عناهم ثلثا العمل . وهذا الممر الذي يفتح فيكون على مقياس الحشرة بالضبط يتسع من حين إلى حين ليفسح للحامل المؤونة إذا ما تلاقوا ان يفسحوا المجال لبعضهم لبعض بدون عائق وإذا كانت الحركة شديدة والازدحام عظيماً فإن الممر يكون أوسع ويجعل منه مذبح للذهاب وآخر للإياب . وليس مع لما القارىء قبل الخروج من هذا النفق ان تلفت نظره إلى خاصة من أغرب وأخفى ما في هذا العالم الكثير الغرائب والاسرار فقد أشرنا فيما سبق إلى الرطوبة التي لا تنفیر في الوكر على الرغم من جفاف الهواء والأرض المحروقة . وعلى الرغم من سحابة الصيف الطويل في تلك الاقاليم التي تفيض فيها الينابيع ويؤكل الزرع وينسف كل ذي حياة حتى جذور الأشجار الكبيرة والحق ان بقاء هذه الرطوبة في الاحوال التي ذكرناها مما يدهش له العقل ويقف دونه المفكر وقد أسقط في يديه حيرة وذهولا حتى ان لو نستون العالم الرحالة تساءل هل هناك طرق مجهولة تتمكن بها الأرض من اخذ اوكسجين الهواء وجمعه إلى الهيدروجين الموجود في غذائها النباقي ليتكون بهما الماء الذي محتاج اليه ؟ ذلك اقتراض لم يشته العلم بعد ولكنه غير بعيد الامكان وسنرى فيما يلي أن للأرض من العلم بالكيمياء والبيولوجيا مكانا نحسدها عليه (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨)



(شكل ٢٧ - رسم أرضة عاملة)

(١) غما البيت يغموها غموا . غطاه بالطين والخشب



(شكل ٢٨ - جنديان من الارض)
فوق : جندي يقاتل بفكيه - تحت : جندي يقاتل بمخففته

ثم قال « النملة عدو الأرض الالد وهي عداوة قديمة يرجع عهدا الى ثلاثة ملايين سنة ولولاها السكوات الأرضة قد اجتاحت القسم الجنوبي من الكرة الأرضية الا اذا صح الرأي القائل ان ما امتازت به من نقب الأرض وحفر الانفاق هو ابن الحاجة والضرورة دفاعا عن نفسها وهربا من النملة . ومن الأرض ما لا يعرف البناء فيجعل سكنه في الاشجار وهو من النوع البسيط في تركيبه وارتقائه ولا فرق في وظائفه أو تمييز بين أعماله فيكتفي بسد الثغرة ببقايا الخشب والطين على ان منه ما خلق لنفسه جندا خاصا وهذا الجندي يمتاز برأس كبير يستعمله اسد الفسحة كأنه صمامة من الخليل . وترود النملة قرية الأرض دائرة حولها ليل نهار باحثه عن صدع او شق تنسل منه اليها ولهذا كانت الحيلة لها بالغة أقصى المستطاع وكانت عملاقة الشقوق شديدة ولا سيما لشقوق المصنوعة للجنديد الهواء فان هذه المنازل تحتاج الى الهواء المتجدد وقد أقيم لذلك هندسة ونظام ليس من ورائها علماء الصحة اليوم مأخذها تب أرملق اطاعن . واذا أتيج للعدو أن يصيب أحدهذه الشقوق فان أول ما يرى هو رأس أحد الجنود المدافعين وقد أخذ يضرب الأرض بمشفره انذارا وتنبها فيسرع الحرس ثم القرقة بأسرها وتسد بجماعها الفسحة وهي تحرك في الهواء احنا كها الهائلة كأنها ادغال من الشوك أو تهجم على غير هدى هجوم السكلاب الضارية حتى تصيب العدو فتعض عليه عضا شديدا ولا تتخلى عنه الاحاملة قطعة منه »

وجنود الأرض تبقى بعد تفهقر العدو حينئذ أمام الثغرة ثم تعود إلى قشلاقتها وترجع العمال المار به طبقتا
لناموس توزيع العمل الذي يضع البطولة في جانب والخدمة في جانب شريعة في ترميم ما تحرب بسرعة هائلة مقدما
كل منها كتلة براز و قد حسب ان ساعة من هذا العمل السريع تكفي لسد ثلثة بحجم الكف فتأمل . وقد
روى سافاج انه دمر منزلا للأرض في المساء ولما عاد عند الصباح وجده قد أصلاح وتم ترميمه وعلى إتفاقته جديدة
من الطين ولا عجب فان السرعة في العمل مسألة حياة أو موت وأقل اهمال في ذلك هودعوة لاعداء كثر
وخاتمة ذلك الاستثمار

ان هناك قوة خفية تخضع لها جمهورية الأرض فاذا زاد عددها مثلا عن الطبيعي وهو خمس عدد سكان
القرية فان تلك القوة المحجوبة التي لا تجهل قواعد الحساب على ما يظهر تتكفل حالا بإزالة العدد الزائد وارجاع
النسبة الى ما كانت عليه من قبل ولا تحتاج في ذلك الى مذبحه كما يجري في ذكور النحل فان مائة عامل لا تقوى
على جندي واحد من هذه الضواري التي لاتنال الا من القسم الخافي الضعيف ، بل تفعل ما هو أبسط وأسهل وذلك
بامتناع العمال من إطعام الجنود فهلك هذه جوعا . أما الطريقة التي يتم بها تعداد الجنود المحكوم عليها بالموت
وقرزها ووضعها في مكان منفرد فلا تزال غامضة كالكثيرة من أمور هذه الاحياء العجيبة . وقبل أن نختم هذا
الفصل عن جندي مملكة الغلام نذكر للقارئ بعض حالات لها غريبة من الاستعداد أو الميل للموسيقى فهناك
أصوات خاصة تكون تارة انذارا وطورا استنجادا أو تحييا أو غير ذلك وكلها ذات ايقاع موزون تجيب عليه
جاعة الأرض بزجل خاص (١) مما جعل بعض العلماء على انقول بانها تتخاطب باللقرون فقط نظير العمل بل
بلغة نطق خاصة

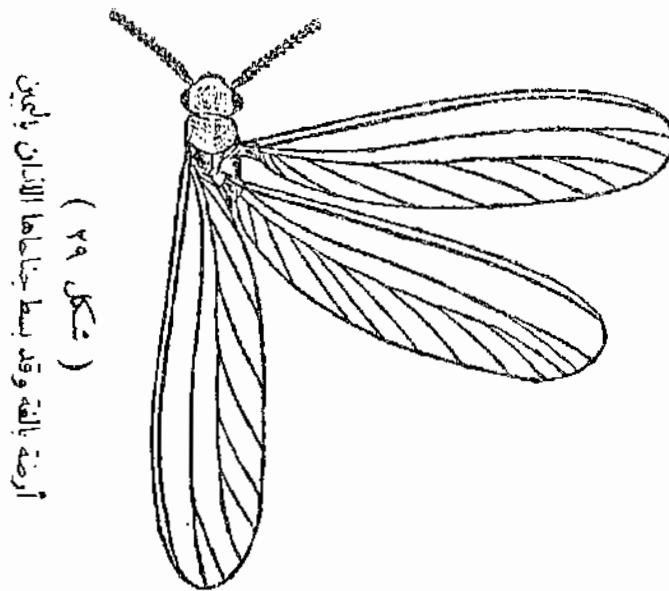
وبديه ان مثل هذا النظام الواسع الدقيق ومافيه من توازن في القوى وتضامن في الاعمال لا يمكن أن
يكون بغير تفاهم بين أبنائه وحسبنا دليلا على وجود هذا التفاهم انتشار المستعمرة الواحدة في جنود كثيرة
قد تكون متباعدة بعضها عن بعض ولكنها متتفة حول عرش واحد أي ليس لها الزوج ملكي فاذا زادت
في أحد الجنود فرقة الاحتياط التي يحفظها الأرض للتعويض من الملكة في حال الموت أو الهجر تسرع سكان
الجنود المجاور الى اعداد فرقة جديدة بدلا منها . وسنعود الى السكالك عن هذا الابدال أو التغيير الذي هو من
أغرب وأبداع أشكال السياسية الأرضية

وليست هذه الاصوات من غمبية واحتشاك أو صفير وانذار واقاع ينم على احساس موسيقى كل ما عنده
الأرض . فان لها أيضا حركات موزونة يشترك بها الجمهور ما خلا المولود الجديد كانها صادرة عن جوقة رقص
وأنغام مما وقف عنده العلماء موقف الدهش والهجز وهي نوع من الرقص الاختلاجي تثبت فيه القدم ويتهادى
الجسم متايلا من الوراء الى الامام وعلى الجانبين . ويدوم هذا الاختلاج ساعات مع فترات من الراحة قصيرة .
وأكثر ما يكون قبيل طيران العرس كأنه حفلة صلاة أو تقديس تفتح الباب لأعظم خفية تقوم بها الأمة .
ومن السهل مرأى هذه الحركات اذا خفضت أو أرت جفاة أنابيب الزجاج التي تحبس فيها الأرض في انخربات
على ان ذلك شاق صعب لدورة بقائها طويلا في الانابيب فانها تحرق الصمامة من فليل أو معدن وتصل كاحسن
الكيهيين الى خرط الزجاج

الملك والملكة في حجرة مستطيلة الشكل ملساء الأرض منخفضة السقف منيعة الجوانب يعيش هذا الزوج
الحزين الموكول اليه حفظ النوع دون أن يستطيع من موضعه حرا كما . أما الملك فهو ملك بالاسم لانه زوج
الملكة ، ضعيف حثير صغير جبان خجول لا ينفك محتبثا تحت بطن زوجته . وأما الملكة فهي من أغرب ما يرى
في هذا العالم الكثير الغرائب لان لها بطنا ضخما هائلا منتفخا بما فيه من البيض يكاد يتفزر لفرط ثمنه وقد

يبلغ طولها به نحو ١٠٠ ملليمتر حالة كون العامل لا يتجاوز ٧ ملليمترات طولاً . وهي عاجزة عن الحركة لانها لا تملك غير قوائم صغيرة في صدر غارق في الدهن ومتوسط ما تضعه من البيض هو واحدة في الثانية أى ٨٦ أنفاس في اليوم وثلاثين مليوناً في العام . ولا ينقطع وضعها ليل نهار مدة الأربع أو الخمس السنين من حياتها كما دل الاختبار والملاحظة

﴿فصل﴾ - إذا ولي الشريف ودنا موعداً طردت ساعة الحريّة فاذاباً قلعة الحصينة المحكّمة السدود والمنفصلة عن العالم الخارجي كل الانفصال والتي لا منافذ لها إلا ما كان تحت الأرض أو ما هو لتجديد الهواء قد أصابها نوع من الجنون فانتحرت في جوانبها فجأة نخار يب لا تحصى (١) ومن وراء هذه التخاريب وقفت الجنود تحمي برءوسها الدخول والخروج . هذه التخاريب تتصل بأسراب وأنفاق قد ازدحت فيها الجحشات وهي تنتظر بفروغ صبر إفلاتها من الأسر . حتى إذا صدرت الإشارة الخفية وأمرت القوة الحاركة المجهولة انسحبت الجنود من مواقعها فانتكشت الثغور وشق للعرائس طريق الفضاء . حينئذ كابدوا العناء مشهدين فوق مشهد التحل روعة وجالا فان البناية العظيمة نبكها كانت أو هرماً أو قلعة تصير كالمرجل الفاني يكاد يتفجّر . ومن شقوقها العديدة يرتفع ضباب كثيف مؤلف من ملايين الاجنحة الشفافة المضطربة في الهواء ساعية وراء الحب سفياً يساوره الريب وتصنعه الخيبة . منظر جميل غير أنه قصير العمر كمثل ماهو حلم أو دخان فلا يلبث الضباب أن يهبط بأجمعه الى الأرض جاعلاً لها غطاء من تلك الاشلاء وهكذا ينتهي العيد وقد نكث الحب بهوده وحلّ الموت محله . ولا يكاد يسدل الستار على هذا المشهد حتى تقبّ مأساة أخرى أشد هولاً فان الاستعدادات السابقة وإلهام السليقة الذي لا يندفع يدعو ان كل مشتاق الى تلك المأدبة السنوية التي تقيمها عرائس الأرض فتحتشد العصافير والحيات والحررة والسكّاب وسائر الحشرات ولا سيما النمل وتهجم على هذه الفرائس المحرومة من الدفاع والتي تغطي أحياناً ألوفاً من الامتار وتبتدىء الجزرة الهائلة كل على قدر جشعه وشهوته بل ربما أفرط بعضها في الاكل كالعصافير فخرجت من الوليمة وهي لا تستطيع اقبال مناقرها . والانسان نفسه يشترك في اقسام الغنيمة فيجمع ما يصبه بالحرفة ويأكله بعد التحميص أو يجهنم بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه في السوق كما في جزيرة جاوا . وبعد الطيران وخروج آخر مجنح من القرية تقفل هذه بأمر القوة المحجوبة المدبرة وتسد التخاريب في وجه الخارجين كأنما حكم عليهم بالنفي المؤبد (انظر شكل ٢٩)



(شكل ٢٩)
أرضة بالغة وقد بسط جناحها الأمامي باليمين

(١) جرم نخروب وهو الشق في الحجر أو الثقب في كل شيء

(تخريب الارض)

ان قرى الارض بانتشارها وتمدها وشرعها الفاسية الباقية منتهى النظام وبحيويته وتناسلها الهائل قد تكون خطرا عظيما على البشر وربما غطت وجهه البسيطة نولامعانة الاقدار لها وجعلها سرية المطب شديدة التأثير من البرد فهي لا تحتمل من الحرارة إلا ما كان تحت درجة ٣٣ ستنغرادو وفوق ٣٠ وهذا ما جعل بقية المناطق في مأمن منها . على انها حيث أقامت كانت عاملا تاهدم والتخريب وما أقلت الارض في البلاد الحارة حشرة مثلها في حرب دائمة مع الانسان فتأكل بيوتته من أساساتها وتفتي ماعنده من فراش وكساء وورق ومؤونة وخشب ونعل ونبات ولا ينجو شيء من موجوداته من هذا التخريب الفنايع الذي يتم في الخفاء فمعه من خوارق الوجود . وانك لتجد أشجارا كبيرة سليمة في الظاهر فلا تسكك قد إليها يدك حتى تنهار لتأكلها من الباطن

تلك هي عادة أعمال الارضة في التخريب المنزلى وقد يتسع نطاقها فيشمل مدينة بأسرها في عام ١٨٤٠ أسرت إحدى السفن المعدة لتجارة الرقيق فدخلت الى عاصمة سنت إالن (جامستون) نوعا من الارض البرازيلي الصغير ذي الجنود المسلحة بالمحافظ فهدم قسما من المدينة وفعل بها فعل الزلازل . وفي عام ١٨٧٩ نشب الارض بسفينة حربية اسبانية في ميناء «فروول» فلم يبق وليذر . وزعم الجنرال لسكر أن جزر الأنثيل الفرنسية لم تقو في سنة ١٨٠٩ على رد الأنجليز لأن الحشرة الهدامة كانت قد خرّبت المنازل وترك المدافع والذخيرة في حالة لا تصلح للعمل . ويطول بنا الشرح لو أردنا ان نعدد الجرائم التي يرتكبها هذا العدو الشديد الحول على ضعفه وقد سبق فقلنا انه غالب الانسان على أمره في بعض نواحي أستراليا وجزيرة سيلان فامسك عن الزراعة . وفي جزيرة فور مور أرضه تخرب حتى الهاون وتلك الجزران اذا لم تمسك بالطين امساكا شديدا

وقال أيضا « لو أعطى للنحل أن يتصور الجحيم لما كان في نظره أشدهولا من هذا لأنه يحوز لنا أن نعتقد أن النحلة لا تشعر بنفاسة حياتها ولا لعدم لذة الحبور عندما ترتوي من ندى الفجر وتعود نحلة من الزهر فستقبل باكرام في قصرها العسلي العاطر . أما الأرض الملاحقة بالقرب تدب ديبا في ظلمة خبايا القنرفن أين لها الراحة أو السرور واية مكافأة تنتظرها أو ابتسامة تنسيها عجايب الشاق وهل عاشت هذه الاحقاب الطوال فقط لتبقى كما هي أو بالآخرى كي لا تموت فتسكك بدون لذة وتخلد بلا أمل صورة من أحقر صور الوجود وأشقاها . من يدري الاسرار الروحية أو الحيوية أو الاثيرية أو السكهربائية التي تختبئ في هذه القرى ولا نصل الى حل طلاسمها ؟ والحق يقال ان الانسان كلما تقدم في ادراكه ادرك انه من أجهل المخاوف وأضيقها علما

إن المبادئ التي تديرها هي أسمى وأمتن نظاما من أحسن اجتماع بشري ولا يمكن التلاعب بالألفاظ للقول بأن حركات الأرض ليست حرة وانه لا يستطيع الخروج على نظامه الأسمى فان العامل الذي يرفض العمل أو الجندي الذي يهرب من القتال يجازى بالطرد أو على الأظهر يقتل وبؤكل ، أفليست هذه الحرية نظير سرّتنا ؟ ثم هل كان الذكاء البشري القالب الوحيد الذي تفرغ فيه قوى الوجود الروحية والعقلية ، وهل كانت أعظم وأعرب وأدق هذه القوى لا تظهر فينا إلا بواسطة الذكاء الذي اعتبره نابع الأرض والعلم ، إن أهم شيء في حياتنا أي سرّها العميق هو غريب عن الذكاء معاد له ، وما الذكاء إلا اسم نعطي له لإحدى القوى الروحية التي لا نفقهها * وفي المعنى

إنما نحن في اختلاف عقول * مثلما نحن في اختلاف وجوه

فربما كان للذكاء كما للحياة صور متعددة وليس لنا ما يدل على أفضلية بعضها على بعض ، وما الانسان الا فقاعة عدم يريد أن يقيس بها العالم . وبعد هذا كله فالتا لا ندرك كل ما اخترع الأرض لأنه يتقطع النظر عما ذكرنا من عمرانه ونظامه في الاقتصاد والاجتماع وتوزيع العمل والتعدين والكيمياء والصناعة وتوليد

الماء وتحويل الصور والأشكال فإن هناك أشياء لم يحط عنها البشر . لقد تقدمنا الأرض في هذا الوجود بملايين من السنين فليس ببعيد أن يكون اعترضه في طريقه من العقبات ما يعترضنا يوما فنحتاج مثله الى تذليله كذلك أن تكون تقلبات الجو والأقليم في الأعصار الجيولوجية أيام كان يقطن شمال أوروبا كما دلت آثاره المسكشفة في إنجلترا وألمانيا وسويسرا قد اضطرته الى الهيشة تحت الأرض فأفضى به ذلك الى تضاؤل بصره وكفه عند السواد الأعظم منه . من يدري اذا كانت هذه الرزايا لا تنتظرنا في المستقبل البعيد عند ما يجبرنا البرد على الالتجاء الى الكهوف والفيران في بطن الأرض أواذا كنا نقوى عليها مثله . ثم اننا نجعل طريقة المعاملة عند هذه الحشرات ولا نعرف كم اقتضى لها من الوقت والتجربة قبل الوصول الى هضم السليولوز . أما تحوّلها العجيب الذي نستطيع به أن نخلق هذا الشكل أواذا كان فهو فضلا عن غموضه يعد خطوة واسعة في طريق الابتكار والابداع لم يتسق بعد للإنسان أن يخطوها . ألا ترى اننا لا نستطيع تحديد الجنس وتكوين الجنين كما نشأ بل نجعل حتى ساعة الولادة أكان ذكر أو أنثى . فلو كان لنا علم الأرضة لاستطعنا أن نوجد عند الحاجة والضرورة أبطالا وعمالا ومفكرين لا يكون من عندنا اليوم من أهل البطولة والعمل والتفكير بالقياس اليهم شيئا مذكورا . ما الذي يمنعنا من الوصول يوما الى تضخيم الدماغ آلتنا الوحيدة للدفاع في هذا العالم كما وصل الأرض الى تضخيم مشافر جنوده وميض ملكاته ؟ وهل يمثل الخطر ما يستطاع عمله يومئذ فإن رجلا يبلغ من الذكاء أضعاف أضعاف ما بلغه (نيوتن) و (باسكال) مثلا فهو يتقطع من مسافة العلم في ساعات ما يحتاج نحن الى عصور لا يجتازها . ولعله يصل الى كشف الحجاب عن أسرار هذا الكون فنفهم لماذا كل هذا الشقاء الذي يحيط بنا وهذه الآلام اللازمة لبوغي الموت

هذا الانسان الجديد قد يصل الى اكتشاف حياة أخرى ، تلك الحياة التي يجذبنا سراها منذ القدم وقد وعدت بها كل الأديان دون أن تؤيد بالبرهان وجودها ، ومهما يكن دماغنا اليوم ضئيلا فانا نشعر أحيانا اننا على ضفة هاربة العلم بهيمنة الغور وان دفعة صغيرة قد تسكني لتلقينا في عبابها ، ولعل هذا التضخم الدماغي يكون خشية الخلاص في الأعصار الجليدية التي تهتد البشر ، على انه يحق لنا أن نفترض أن هذا الانسان وجد في سالف الأدهار وانه كان أوفر ذكاء من انسان اليوم بما لا يقدر ، غير اننا نبحث عنه فلا نجد له أثرا لنعد الى الأرض ، من يجسر على القول أن الخاصة التي تتكلم عنها لم تنلها إياها الطبيعة . فالطبيعة هي الهادي الوحيد لكل مخلوق قال (أرنست كابل) « كل مخترعاتنا وأدواتنا هي تقليد لعمل الطبيعة من غير أن نشعر ، فضخانتنا منقولة عن مضخة القلب ، وآلة التصوير هي غرفة العين المظلمة ، والتلفاز هو جهازنا العصبي ، والأشعة المجهولة رؤية الأجسام من خلال الحجب كقراءة الكتاب دون أن يفض عنه الغلاف ، واللاسلكي مناجاة الأرواح بواسطة تموجات غير منظورة وفي تحريك الأجسام بدون أن تمس (وهذا غير محقق) دلالة على ما يمكن عمله من تغيير شرائع الجاذبية والنقل والانتصار عليها »

ثم قال « يجوز لنا أن ننسب غريزة الحشرات ولا سيما النمل والأرض والنحل الى الروح المشتركة الخالدة فقد قلت فيما مر أن هذه الشعوب هي كذات واحدة أو كأن حتى مستقل أعضاؤه مؤلفة من خلايا كثيرة متفرقة في الظاهر مجمعة في الواقع حول الشرعة المركزية . وهذا الخلود المشترك هو السبب الذي من أجله يموت المئات والالوف من الأرض دون أن يؤثر في الذات أو الجسم الواحد المستقل لأن غيرها يقوم مقامها كما أن اندثار ألوف الخلايا فينا لا يغير حالة ما نعتبر عنه بكلمة « انا » ولهذا نظل الأرضة عائشة كما هي منذ القدم دون أن يضع لها اختبار أو ينفصل لها وجود ولا تنتشت تذكارنا لان هناك ذاكرة واحدة للجميع . وهذا ما يفسر لك كيف ان ملكات النحل لا تنفك تبيض منذ ملايين من السنين ومن دون أن تزور زهرة أو تجمع لقاحا أو تقتص عسلا تستطيع أن تخرج عاملات تعرف ما جعلته أمهاتها كل هذه العصور والدقيقة الاولى من طيرانها تفهم كل

أسرار الطريق وجمع العمل وتربية العذارى وكيمياء القدير . تعرف ذلك لأن الجسم الذي هي إحدى خلياته يعرف ذلك فتراها منبثقة في الفضاء وهي متفرقة الشمل في الظاهر ولكنها مبروطة بالوحدة المركزية . فهي تكلايا جسمنا تعوم في سائل إلا أن هذا السائل أوسع مدى من سائل الجسم البشري وأكثر ليونة وخفة وروحانية

هل يمثل الأرض لنا نموذجا للنظام الاجتماعي الآتي ؟ من يدري ما يحببنا الغيب . مما لا يمر له خيال في تصويرنا فقد يكفي أحيانا شئ لا يذكر ليقرب نظام الأدب وقدرات الشعوب . إن غاية ما نصبوا إليه اليوم هو حياة جال ورخاء وسلام . ونحن وقد أتى على الإنسان ساعات من الدهر قارب بها هذه الغاية في أثنا أو الهذ أو بعض أدوار المسيحية . فمن يؤكد لنا اليوم إذا كانت الإنسانية تتمشى حقيقة في هذه الطريق لأني الطريق المعاكسة لها إن ما لا ريب فيه أن السعادة الكاملة الثابتة لا نجد لها إلا في حياة روحية بحثة فهل هذه الحياة ممكنة ؟ نظريا نعم أما عمليا فنستحيل ذلك لأننا لا نرى من حولنا إلا المادة وبسوى المادة لا نشعر . ودماغنا نفسه مادة فكيف نرجو أن نفهم به غير المادة . كلما جرب الواحدنا أن يفات من قيود هذه المادة أصابه الدواخ وهبط إلى الخفيض . إن المادة عند الإنسان الوحيد وقد اتفقت الأديان على ذلك سواء سمي هذا العدو شرا أم خطيئة ولهذا كانت حالة البشر محزنة على الأرض لأنه لا سبيل إلى الخلاص من المادة . وكيف الخلاص وكل ما في العالم هو منها والقوة نفسها والحياة إنهما إلا صورة من صور المادة وشكل من أشكالها بل الجسم الجامع الذي لا حراك به والمادة الضخمة الميتة فيها حياة أكثر روحانية من أفكارنا . تلك الحياة الهائلة الخالدة ، حياة السكهارب التي لا تتعب متحركة كالسيارات حول نواتها المركزية . كيفما أجلبنا الفكر نرى شيئا وهذا الشئ هو غير العدم فما أن يصير « أنا » عظيم إلى حد أن ينسى معه ذلك الحيوان الصغير الذي كان يقال له الإنسان أو يبق حقيقا خاعلا على مدى العصور وهي لعنة لا يوازها أكبر عذاب من حجيم المسيحيين . على كل حال يقول أبكتت الفيلسوف : لا ينبغي أن نحاول تغيير طبيعة الأشياء فليس هذا بمستطاع ولا بمجد . ولكن على قبولنا بها لننعم أن تطبق تصرفاتنا على نواحيها « عشرون قرنا مرت على الإنسان منذ رنت في أذنه هذه الكلمات ولم تفصل به بعد إلى نتيجة ترضيه . انتهى » (يقول المؤلف عمل الطبيعة يريد عمل خالق الطبيعة) اهـ

(خطاب للمسلمين)

أيها المسلمون : هذا اخترته من كتاب « مملكة الظلام » أو « حياة الأرض » التي عرّبها الدكتور (تقي الدين) . نعم أنا أفضت في الكلام على (الأرض) ومعيشتها وسياستها ونظامها ، وإنما حركني لذلك قوله تعالى - ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - . يا سبحان الله : مالنا ولا الأرضة ، وما لنا ولمنساء سليمان ، وما لنا ولا كل الأرضة لها ، وما لنا ولكون سليمان لم يعلم اليهود موته إلا يعمل الأرضة ، عجيب والله هذا القرآن ! عجيب والله أن تكون هذه الكلمات باعثة لي على تعقب أحوال الأرضة ، فإذا عرفنا منها ؟ عرفنا أن لله جنودا وجنودا وتلك الجنود لها ملوك ولها سياسات ونظم اجتماعية عجيبة ، وعرفنا أن في أمم أوربا من يدرسون هذه الحشرات ليستخرجوا منها علما عسى أن يرتقي به الإنسان في مستقبل الزمان ولقد ظنوا أن هذه الحشرة الحقيرة قدرت أن تستخرج الماء من المواد التي حولها . يا الله : أنا أنوجه اليك وأسألك أن تبعث في نفوس قراء هذا التفسير حبا للعمل وحبا للعلم والحكمة حتى يكون للمسلمين نظام مع الأمم حوّلهم به يعيشون في جوار حياة منتظمة ، فأنت الولي الجيد

أيها المسلمون : إن الناس تمنوا الطيران فطاروا ، وهامهم أولاء يتمنون عقولا أرقى من هذه العقول ويسعون لكسبها فسيروا مع الناس بل أنتم أولى فان اشارات القرآن تبعث المسلم على العمل ، أولاترون

أيها المسلمون الصادقون كيف كان سليمان في هذه السورة هو سليمان في سورة النمل ، ويعجب يا الله وألف عجب . اللهم انك أنت المعلم ، أنت الملهم . أنت الحكيم ، كيف كان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ يتبسم ضاحكا من الخلة ، ونفس سليمان في هذه السورة تدل على مونه دابة الأرض يعجبا . كأن الله يقول لكم أيها المسلمون إن بين النمل والأرض علاقة فلتدرسوها ، فعلاقتها في القرآن قصة سليمان وعلاقتها في العلم اشتراكهما في المدنية والسياسة وأن بينهما عداوة ، فالدرس الدرس الله أكبر : قصة سليمان في هذه السورة وفي سورة النمل يفهمها العامة والخاصة ، شارحة للصدور وهي باب لدراسة النمل ولدراسة الأرض ، فائق عجب العامة والخاصة من قصة سليمان مع النمل وقصته مع الأرض فوالله ليكون عجبهم أكثر وأكثر حين يدرسون الجانب التي أبدعها الله فيهما - إن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم - انتهى المقام الأول في المبحث الأول

(المقام الثاني في المبحث الأول)

(في قوله تعالى ... فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -)
اعلم أن طائفة من الناس يقرئون عزائم ودعوات كفرة أودينية أو غيرها ويؤمنون انها تقضى حاجاتهم بها وينادون أسماء شيطانية ويتהלون اليها ، وهذا في الحقيقة نوع من العبادة ، وما الفرق بينها وبين الأصنام فالأصنام شفعاء وهؤلاء شفعاء ، فليحذر المسلمون من هذا ، إن الإيمان بالله يهمل الهمم ويرفع النفوس الى المستوى الرفيع الشريف كما كان الصحابة رضوان الله عليهم . فعلموا الهمة هو الذي يرفع الانسان عن العوالم كلها الى بارئها فينال ما يريد اذا كان ذا عزيمة صادقة . ثم ان الذين يحضرون الأرواح في هذا العصر يعلقون آمالا عليها في أمورهم الدنيوية أوفى معرفة الغيب . وهذا كله خروج عن القضايا الدينية ثم لا يفيد فاعله ويكون ذلك أشبه بالعبادة ويحجب الانسان عن ربه . ومن ذلك ما تقدم في هذا التفسير من الأوقاف التي كان يستعملها قدماء المصريين كالثلاث والمربع والخمس الى المتسع للكوكب السبعة . والمسلمون اليوم هكذا يستعملها بعضهم وهو لا يدري انها كالشرك بالله تعالى . ولأورد لك أسئلة من كتاب الأرواح ألقاها العلماء على الأرواح في أوروبا لما استحضروها . وهالك بيانها

- (س) هل من أسئلة تكررها الأرواح الناقصة
(ج) لا تكرر إلا الأسئلة التي تزعج النقاب عن جهلها وخداعها
(س) ما قولك فيمن يتخذون الخبيرة الروحانية بابا للهو والهلل أولا سنباء أمورهم صواخهم الزمنية
(ج) هؤلاء نسرتهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخداعهم
(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل ؟
(ج) كلا : إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر
(س) ماهي أخص دلائل النبوات الكاذبة ؟
(ج) هي التي لا تأتي بفائدة عامة أو يكون عرجها النفع الخاص
(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لاهين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها وعدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمر ما من وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الخائشة فلا يهملها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إثارة بصيرتكم وترقيكم الروحي لا العراقة وفتح القال ، فن أحب هذا تألفه الأرواح الماكرة

ويصبح السوء بين أيديها . انتهى المقصود من كتاب الأرواح
وهذا يكفيك من ذلك فان الأسئلة توضح الآية هنا ايضا كما نرى ، إن هذا من أعظم معجزات القرآن
كيف لا ونحن نجد أن أوروبا التي لم تسمع أن في القرآن هذه القصة لعدم إيمانها به تكون نتيجة حديثها
مع الأرواح أن الجن لا تعرف خبر الغيب ، ولا هي للجن إلا النفوس الناقصة كما لا معنى للملائكة إلا الأرواح
الكامنة وكل منهما درجات ، إن هذا معجزة وأي معجزة ، إن المسلم يمر على مثل هذا صرا وتكفى بالإيمان
أما اليوم فانه يرى اليقين في العلم ، فن كذبت أيها الفطن الغربي فبنوك العلم فستعمل الطرق التي أوتيتها
في كتابي «الأرواح» واجعل نصب عينيك الحقائق لا الامور الدنيوية . وهناك تعرف بنفسك لا بأوروبا
لكن مع الصبر والجد ، وإن أردت إلا الزيادة فعليك بكتاب الأرواح ، وإن شككت فاستقل بالعلم ، واعلم
أن الله جعل هذا الزمن هو الزمان الذي فيه يظهر سر القرآن - وقل الحمد لله - ببرك آياته فتهرفونها -
فالمسلمون إن لم يدرسوا فليرحلوا من العالم ويأتى الله بأمر أخرى لهذا الدين أرقى من هذه الأمم النائمة
فأما الكسل والتكذيب والاستهزاء فليس يجدى في زمن العرفان والعلم والحكمة والارتقاء . وبهذا تم
الكلام على البحث الأول بمقاميه معا

﴿ لطيفة في قوله تعالى - فلما خر تبينت الجن - الخ ﴾

(تذكرة في ليلة الخميس ١٣ يناير سنة ١٩٣٠)

في هذا اليوم حضر عندي رجل عظيم ذكوى عالم وقال لي : ألم تطلع على « مجلة الدنيا المصورة » في هذا
الاسبوع . فقلت ماذا فيها ؟ فقال إن فيها أمرا عجبا ، وقصص على ما أتى :

﴿ يد خفية تكتب من وراء الجهول ﴾

(يهمل البرلمان المصري عاما واحدا ، وتنفذ المعاهدة في خلال ستة أشهر)

بين المنجمين وقرء الطوائع الذين هبطوا مصر رجل هندي له طريقة مدهشة في الاجابة عن المستقبل
بحار العقل في تعليلها ، وهل هي سحر ساحر علم ؟ أم شعرة مشعوذ ماهر في خداع العقول والأبصار ؟ ونحن
نسرده فيما يلي بعض أعمال هذا الرجل الخارقة للمادة كما شاهدناها مندوبنا وترك للقارئ تعليلها

في شقة بسيطة الرياش يتيم رجل هندي لا يفتك مظهره عن خبره ، وكانت زيارتي لهذا الرجل حافلة
بالمدهشات ، ولو اني حاولت أن أدرك خفي أمره وأستطلع وسيلته التي يتوصل بها لتأدية أعماله فلم أوفق في
محاوئتي مع يقيني بأن الأمر مهارة خارقة لاعلاقة لها بالأرواح . لا ترى في شفته مظاهر التأثير والروعة التي
تصحب عادة منازل المنجمين وعلماء الروحانيات بل هي ذات فراش بسيط أشبه بكتب وكيل أعمال أو محام
مبتدئ . ورأيت في صغير السن هادئ النظرات حليق الوجه يتحدث في ابتسامة صغيرة وبسيطة . سألتني
بالانجليزية : أتريد أن تعرف شيئا عن مستقبلك ؟ أجبت : نعم . ودخلت حجرة مكتبه وليس فيها إلا مكتب
واحد عليه أوراق متناثرة وأقلام ودفاتر عادية وقد طليت جدران الحجرة باللون الاسود . ولما رآني أنظر لهذا
الطلاء الاسود اقامت مستعرا با قال لي في هدوء : انني أهبط الحجرة لاستحضار الأرواح فانها لا تظهر إلا في الظلام
وسألته : وفي أي ثوب تظهر الأرواح . فأجاب : تظهر متشكلة بشكلها الأرضي فتراها كما عهدتها على سطح
الأرض في الجسم نفسه والملابس نفسها ، ثم طلب مني أن أكتب أربعة أسئلة على أربع ورقات صغيرة غما
أود معرفته من شؤون المستقبل ، وتناولت ورقة صغيرة قطعها على أربعة أقسام وبينما أنا أقولها بتأن وبطء
استأذن مني ليغيب دقيقتين وترك الحجرة وانصرف ، ومضيت أنظر حولي فلم أجده في الحجرة ما يريب وتناولت
قلمي فكتبت على كل ورقة سؤال ثم طويت الورق وأودعته يدي ، وعاد الرجل بعد قليل وجلس الى مكتبه
وسألني : هل كتبت الأسئلة ؟ فأجبت : نعم . وجلس يسطر جداول ورموزا والورق في يدي اليسرى مغلوى

طيات عديدة وقد أطبقت كفي عليه ، ثم طلب مني أن أكتب فكتبت بيدي اليمنى على ورق أمانى وأغمض عيني ثم أملأت السؤال الأول فالثاني فالثالث فالرابع كلمة كلمة ومازالت الأوراق مطوية في يدي ، وكان يلى على الكلمات وكان نظره المنمض يخترق كفى ويخترق الأوراق المطوية ويتلو ما فيها ، وكان بين الأسئلة سؤال كتبت فيه كلمة ومجوتها وكتبت كلمة محلها ، فلما أملأت هذا السؤال ذكر الكلمة الأولى ثم طلب مني أن أبحرها بالقلم وأكتب بدليها الكلمة الثانية . كتبت الأسئلة وأنا أبسم وأغالب دهشتي ، ثم ناولني القلم من يده وطلب مني أن أضعه فوق الورق في كفي فوضعت ثم استعاده مني وقال لي : افتح الورقة فان الأجوبة مكتوبة فيه . رفعت الورق فرأيت في أسفل كل سؤال الجواب عليه مكتوب بالقلم الرصاص وكانت الأوراق لم تخرج من كفي وهي مطوية فيه طيا محكما . وكانت حقا مفاجأة لطيفة مذهشة . رقت له : لتحدث كما يتحدث الأصدقاء . ما سر هذه المقدرة العجيبة ؟ أجابني بهدوء : سرها بسيط فاني متصل بالأرواح أسخرها لخدمتي وأستطلع أنباءها فهي توحى الي ما يخفى أعمره على الناس . ولكنني لم أشاركه القول بأن هذا السر أمر بسيط وإنما أعدت سؤال : ومن أين لك هذه المقدرة ؟ وصفت طويلا وكأنيما يستعيد ذكريات قيصة ثم قال : سأحدثك بما لم أحدث به أحدا . كنت وأنا في التاسعة عشرة من عمري طالبا في (لاهور) ببلاد البنجاب في الهند . وكنت أقيم وحدي في شقة استأجرتها فأقضي نهارى في الجامعة وليلى في منزلى أراجع دروسى . وفي هذه الأيام تعارفت بفتاة هندية حسنة كانت طفلة صغيرة ولكنها جمعت كل معاني الانوثة الفتاة وأسرار الجلال الآخذ . همت بحبها وطفني غرامها على كل حواسى حتى أصبحت ولا تشغلنى إلا فكرة واحدة مستولية على كل مشاعرى ومائلة كل رأسى وهي هذه الفتاة . ولكن الحجاب القاسى كان يحرمنى من لقائها ورؤيتها . وكانت تمر بى الأيام دون أن أراها فأذوب وجدا وتضطرب أفكارى وتحتل أعصابى . وفي ذات ليلة جلست في منزلى وحيدا وأنا أفكر فيها بكل قواى . أفكر فيها وأرغب فى رؤيتها وأحصر كل أفكارى وحواسى فى هذه الرغبة القوية . وخيل لى أن كل قوى العالم اجتمعت فى ذهنى ثم تمركزت فى هذه الرغبة القوية واذ ذلك خيل لى أن قوة تفكيرى وشدة الرغبة الصادرة من ردى تخترق الجوائم والجدران والحوائل وتصل الى هذه الفتاة فى خدرها وتستدعيها وانها تخرج ملبية دعوى الخارّة وانها تقرب من منزلى وانها تسير تحت نوافذى وأطلت من النافذة فرأيتها تسير فى الطريق وهي تنظر الى نوافذ حجرى . وحدث ذلك مرارا فكتبت كلما فكرت فيها رأيتها أمانى . ولا ريب أن فى تلك إحدى معجزات الغرام والرغبة القوية . ولكنني لم أهنأ بحبيبتى فقد اختطفها الموت وهي فى زهرة شبابها وحزات عليها حزنا شديدا فهجرت الجامعة والدروس وأهملت نفسى ورحلت كالجنون لأريد من حياتى إلا أن أراها بعد موتها . وكنت أعلم أن بين جبال الهند وغاباتها يعيش جماعة الفقراء والدرائش الذين يقال عنهم انهم من طائفة قضت أيامها فى التمسك والعبادة حتى أزيلت عنها الحجب واتصلت بعوالم الأرواح وتجردت من شوائب المادّة الدنيوية فبلفت نفوسها درجة فائقة من القداسة . ودعائى شفى بحبيبتى الميتة وجنوتى ورغبتى فى رؤيتها الى الهيام فى الغابات والجبال والى غشيان مجامع الدراويش الفقراء فى العراء أملا بأن أستطيع أن أرى روح حبيبتى . وأخذت عهدا على بعض شيوخهم وكان لا بد لى من قضاء مدة التجربة بينهم . ولا أزال أذكر تلك الليالى الطويلة والحنن التى فاسيتها فيها حيث كنا نجلس حلقة كبيرة فى وسط الغابة تحت ضوء النجوم تتلو آيات معينة من القرآن الكريم ونكرر تلاوتها آلاف وآلاف المرات حتى تتجرد أرواحنا عن أجسامنا ونسبح فى عالم كله هدوء وسكينة وكنت أرى بعض وحوش الغابة تتسلل لحونا ، فهذا فهدا يرقب عن بعد يحملق الينا وكأن عينيهِ شعلتان تتقدان فى ظلام الليل ، وهذا أفعوان ضخم يزحف بين الحشائش ويدور حولنا ، وكان الفزع يتولانى فى أول الأمر ، ولكنني أرى الدراويش فى ذكرهم وتلاوتهم لا يشعرون بذلك الاضواى ولا يقيمون لها وزنا

فأجح قواى وأشد على قلبي وأستمر في التراءة والذكر . وفي صباح اليوم التالي أسأل أحد رفقي عن هذه الكواسر فيجيبني إنها الأرواح مشككة في أشكال مخيفة تحاول قطع قراءتنا حتى لا تسلط عليها وتسي لايقاع الرعب في قلوبنا ولهم ممتنا قبل أن نهزمها ، وقضيت أربعين يوما على هذه الحالة وأنا لا أتناول طعاما ولا أرتدى ثيابا ولا أقطع وقتي إلا بالتلاوة والذكر ، وفي ختام اليوم الأربعين شربت بأني بلغت ما بلغ أساتذتي الدراويش وانني أصبحت سيديا على الأرواح أناديها فتلقيني ندائي . وسألته : ومن كانت أول روح استحضرتها قال بهادوه : روح حبيبتى طبعها وقد لبثت ندائي وحادثتها وحادثتني

ومما يذكر عن نبوات رجل الأسرار واسمه الحقيقي (مير عبدالحيد) أن أحد النواب الوفديين ذهب اليه ليسأله في أمور سياسية وكتب الأسئلة وطواها وكان بينها هذان السؤالان

(١) - كم يعمر البرلمان ؟

(٢) - هل تعقد بين مصر وإنجلترا معاهدة في بحرسة أشهر قادمة ؟

فكان الجواب على السؤال الأول « يعمر سنة واحدة » والجواب على السؤال الثاني « نعم » ولم يجد النائب في هذين الجوابين ما يشفي غليله فان حل البرلمان لا يمكن أن يحدث اذا أبرمت المعاهدة وسأل سؤالا ثانيا : « اذا كان البرلمان سوف يعمر عاما واحدا فما هو نظام الحكم الذي يتلوه ؟ » وكان الجواب « يكون الحكم في يد حزب الأغلبية ويبقى في يده طويلا » وكان هذا الجواب يدل على أن الحكومة الوفدية سوف تحمل البرلمان بعد سنة واحدة ثم تعود الانتخابات فيخرج حزب الأغلبية وهو الوفد فتراو بتولى الحكم مدة طويلة والله أعلم اه

فلما قال صاحبي ذلك وقد قرأه في المجلة بنصه . قلت له : وهل لهذا علاقة بالتفسير . قال نعم : أذكرك بما تقدم في ﴿ سورة النور ﴾ ألم تذكر هناك أن الأسئلة التي وجهها الناس الى الشيخ أحمد بن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ في أمر السحاب والمطر والبرق والجبال التي في السماء ، ولما رأى الشيخ ان المبارك أن علماء الاسلام قبله لم يعرفوا أغلب تلك الجباب هرع الى الشيخ الدباغ فأجابه وشرح مسائل لم يظهرها إلا لعلم الحديث فكان ذلك معجزة إذ ظهر أن في الجوجبالا من ثاج ينزل منها برد وقد رسمتها أنت هناك ، وأنت قلت ان طبيعة دين الاسلام أن يسأل الناس علماءه عن كل شيء لأن القرآن يذكر أمورا كثيرة ، فاذا قال الله لنا ان الحق لا يعلمون الغيب فما بالناس نرى رجلا هندية في هذه القصة يخبرنا نحن المصريين بأن المعاهدة ستكون بعد ستة أشهر وأن البرلمان يغير ببرلمان آخر بعد سنة ، وكيف قدرت روحه أن تحضر محبوبة الى منزله من وراء الجدران والحيطان ، وكيف يخاطبها بعد الموت . واذا لم يكن تفسير القرآن هو الذي يوضح ذلك فن أين نعرفه ؟ ثم هذا الفتى الهندي يتمتع الآن بهذه المزية . فهل من المصلحة أن نسمي لنظيرها لأن الناس جميعا عندهم استعداد لأمثال هذا وان كانوا فيها مختلفين . فقلت له إن قولك يتضمن ما يأتي :

(١) كيف قويت روح الهندي على أن ينظر الفتاة من وراء حجاب

(٢) كيف قدر أن يحدث الأرواح

(٣) كيف يعلم الغيب والله يقول ان الحق لا يعلمون الغيب وهو يقول إن الأرواح تعلمه ذلك الغيب

(١) أما قوته على رؤية الفتاة من وراء حجاب فذلك يرجع الى قوة في نفوس جميع الناس وهذه القوة

لا تنجلي إلا نادرا جدا لأن قوانا في الأرض موزعة على أعمالنا ، ألا ترى أن أرواحنا موزعة قواها على الحواس

الحس الظاهرة والحواس الحس الباطنة وعلى ما فيها من قوى شهوية وقوى غضبية وعواطف وعادات وأحوال

لاحصرها ، وكل هذه مفرعات عن النفوس ، فاذا احصر المرء فكره في أمر ما نال منه على مقدار ما قسم له

وهذا الفتي حصر فكره في الفتاة وجميع السحرة في العالم من هذا الباب دخلوا ، فنفسهم حصروها في أمور خاصة بطريق خاص بهم تلقوه عن غيرهم وقد قالوا الشهوات فأتى على مقدار عزيمتهم ، وهذا الفتي ما حصر فكره إلا الحب الذي استحوذ على جميع قواه فصار هذا الجسم وحواشه الظاهرة والباطنة كأنها ملقاة لأهل لها وهذا تقدم تقريره في مواطن من هذا التفسير

(٢) وأما محادثته للأرواح فهو مفرع على ما قبله وقد تقدم تقريره في هذا التفسير كثيرا وهو مذكور شرحا تاما في كتابي «الأرواح» الذي ألفتة لذلك . ان النفس متى انصرفت عن أحوال هذا العالم اطاعت على عوالم أخرى

(٣) وأما جواب السؤال الثالث فهو المذكور سابقا وهو أن الأرواح لا تعلم الغيب سواء أكانت في أجسامها أم كانت مجردة منها بعد الموت ، وهذا الفتي الهندى إما أن يكون إخباره بالغيب في أمر البرلمان من قوة نفسية فيه ، وإما أن يكون بإخبار الأرواح وكلاهما ينبغي البحث فيه

نحن الآن لانعلم هل يصدق ذلك التنبؤ أم يكذب . ولم تمض الستة الأشهر ولم تمض السنة حتى نحكم بصدقه أو كذبه ، والذي ثبت في علم الأرواح انها لا تقدر أن تعرف الأحوال المهمة في الأرض وإذا أخبرنا وقع الصدق والكذب فيها إلا اذا كانت أرواحا عالية تسخر بأمر افرض شريف فهذه يباح لها ذلك الاخبار فأما الأرواح الصغيرة فانها طائفة تخبر بما لا يحفظه من الصدق استهزاء بالسائل لأنها تحب الهزء والسخرية هذا ثم إن منزلة هذا الفتي الهندى في النوع الانسانى وأمثاله من أولئك المتبطلين ليست هي المنزلة السامية . نحن خلقنا هنا في الأرض ولنا أعضاء وقوى وعقول فلا بد أن نعطيها حقها من العمل وحولنا عوالم أرضية وسماوية فلا بد أن نعطيها حقها من الدرس وحولنا نوع الانسان فلا بد من أن نكون نافعين له بقدر طاقتنا ، أما تعطيل قوائنا واتسكالنا على الأرواح فهذا نقص فينا كما هو مفسر في «كتاب الأرواح» وليس للأخبار بالغيب في عالمنا منزلة شريفة اذا صدق ولذلك قل الصدق في الاخبار بالغيب لأن الانسان اذا علم المستقبل أهمل الحاضر فنام وكسل وهذه هي سنة العوالم الأرضية ، الأرواح الصغيرة تخبر صدقا وكذبا والأرواح العالية لا تخبر إلا بالامور العالية للنافع العامة وذلك قليل ونادر ، إن عالما يضرب به العلم بالمستقبل فالجهل به هو السنة الصالحة في أرضنا ، وهذا الفتي الهندى هو وأمثاله اليوم لا يفيدون الانسانية أمورا عملية . نعم ربما كانت حياتهم مذكورة للناس بعوالم الأرواح ، فهم من هذه الوجهة قد أدوا خدمة وإن لم يقصدوها ، ولكن العرافة والاخبار بالغيب أكثرها كذب لا يصح التعويل عليه ولو صح ذلك لكان وبالاً على الناس إذ يعلمهم الكسل والاتسكال على المستقبل ، ومن عجب أن يقول « إن الأرواح تظهر للناس في أشكال مخيفة خشية التسلط عليها هذه العبادات » وهذا دلالة على انها أرواح من عوالم منحطة ليست راقية ، فإذا سخرت هؤلاء الناس فهي أشبه بالاستعمار في الأرض . فالأثم التي عذبا أسلحة تغزو التي لا أسلحة لها وهؤلاء ضعاف . إذن ظهورهم واختفائهم هؤلاء الناس وقت القراءة أشبه بمحاربة لاجباط أعماهم فإذا تغلب الناس على تلك الأرواح استخدموها . إذن هذه الأرواح صغيرة ضعيفة يسخرها كل من قدر عليها وهذه هي الأرواح التي تكذب تارة وتصدق أخرى وإخبارها بالغيب مشكوك فيه لأنها محجوبة عن المستقبل إذ العلم بالمستقبل لا يعطى إلا لأرواح عالية الى حد مخصوص ليساعدها فيما تزاره من اصلاح العوالم الأرضية . هذا ما يعطيه علم الأرواح . فأما هذه الموهبة التي أعطاها الشاب الهندى فليست منزلة شريفة في الانسانية

وإذا قرأت ما تقدم في «سورة الحج» في (صحيفة ٥٢) وما بعدها من الجزء الحادى عشر واطلعت على كلام الشيخ الدباغ والشيخ الخواص والشيخ الشعراى وجدت هذا المقام موضحا كل الايضاح وأن أهل الصلاح الذين اطلعوا على الامور الغائبة ليس لهم حظ في الآخرة لأنها شهوة نفسية ور بما يموت الصالح مغلسا لأنه أخذ

حقه في الدنيا ، ولذلك ترى الشيخ الخواص يقول : وإياك أن تقبل الفتوح والاطلاع على الغيبات بل استمد بالله من ذلك ، وترى الشيخ الدباغ فسر لنا آيات وأحاديث بما لم يقله غيره من العلم والحكمة العالية وهو هو نفسه يقول ﴿ إن الذين يعبدون الله ويقتصدون بالعبادة هذه الأمور يصححون أحسن نوع الإنسان ﴾ فاقرا هذا المقام هناك وفي سورة الكهف عند قوله تعالى : وما كنتم متخذاً لمخلين عضداً - وفي موضع آخر قبله في نفس السورة ، وإذا كان العباد والمصلحون إذا قرؤوا القرآن وعبدوا الله فلهذه المقامات منموين فإياك بهذا القبي الذي قصد من التجرد أن يتخاطب بمجربته . ثم إن القرآن لم ينزل لمثل هذا ، كلا ثم كلا . على أن حصر النفس واحضار الأرواح لا يتوقف على القرآن ولا على كتاب ، نأوى بل حصر النفس يتشغل بأمور كثيرة ومنها اتصاله بذلك الشيخ ومنها تلك العزائم التي تشتمل على ألفاظ لا يفهمها القارئ وهو مشغول بقراءتها فليس المقصود من قراءة القرآن أمثال هذا بل هو نزول تهذيب النفوس وإصلاح الأمم لا إخراجنا من الجسمية إلى حال الروحية مرة واحدة . هذا ما أعلم في هذا المقام - وفريق كل ذي علم عليم . فقلت الحمد لله رب العالمين كتب نصف الليل يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٠

فلما أتممت هذا المقال جاء إلى أحد الاخوان وقال انظر انظر الى ما جاء في مجلة « الدنيا المصورة » بتاريخ يوم الأحد ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ م وقرأ ما نصه

﴿ قوة الارادة تنتج أعمالاً خارقة ﴾

(كيف يسلط المشعوذون قوى ارادتهم فيأثرون بالثرائب والمدهشات)

لاشك أن في الانسان من القوى المعنوية المجهولة ما لم يستطع العلم بعد الوقوف على سرها أو كشف حقائقها ففي الناس من سمعنا عنهم أن نافورة من المياه المتدفقة تخرج من بين أصابعهم ساعات وأيام بلا انقطاع ، إلى أن يباغ حجمها أضغاف حجم الجسم الذي تخرج منه لو فرضنا أنه استحالة كله ماء . ومنهم من يضع نفسه في صندوق محكم الغلق ويبقى فيه مسدود الأنف والمنافس عدة أيام وليال ثم يخرج منه كأن لم يكن في الأمر شيء . ومنذ آلاف السنين عرفت قوة الادارة واستعمات ولكن في دوائر محدودة وبين أفراد قليل جسد ، إلى التحو الذي يمارسه فقراء الهنود إذ ينمون على السامير والحراب دون أن يشعروا بالأم ، ويمزقون جلودهم بالمدى والأسنة دون توجع أو أثنين

﴿ عملية جراحية بدون مخدر ﴾

ويقول علماء هذا العصر ان كل انسان يملك هذه القوة التي نرى أنها خارقة ، وكل ما يعوزه هو نتميتها وتدريبها . فقد حدث أخيراً في أحد المستشفيات أن مريضاً رفض أن يتعاطى مخدراً قبل اجراء عملية جراحية خطيرة ، وطلب إلى الطبيب أن يقوم بعمله رأساً ، بعد أن تمكن بقوة ارادته من أن ينام نوماً لم يشعر في غضون ذلك بمبضع الجراح . وقد فحص الأطباء بعض ذوي قوة الارادة فقرروا أنهم استطاعوا أن يزيدوا عدد النبض العادي أو يقللوه كما يريدون ، بل تمكن بعضهم من أن يوقف دقات القلب زماناً

﴿ طهروا بك في لندن ﴾

لقد كان الناس يعنون فقراء الهنود إلى عهد قريب دجاجة يفشون ويخدعون ويكذبون فيما يظهره من الخوارق ، ولكن العلم الحديث يعترف بأنهم لم يواكبوا كذلك ، إنما هم قوم ذوو قوة إرادة نافذة وسيطرة عقلية على الجسم جميعه . ولعل القراء يذكرون ما عرضه « طهرا بك » في مصر من مدة قريبة ، وقد عرض هذا الرجل كثيراً من أعماله الخارقة في لندن فليبر الأطباء أن فيها شبهة الكذب والخديعة . ذلك أنه دعا أربعين

طبيبا انجليزيا وأجلسهم معه على المسرح الذي كان يشتغل فيه ، ثم غرز سكيننا عادة في أجزاء من جسمه كان يسيل الدم منها ويشع جسدا تبعا لإرادته . ثم استلقى أمام الأطباء على لوحة من المسامير المربعة وأوقفه رجلا ضحا على صدره دون أن يشعر بأى ألم ، ولما نزل الرجل سبي ، بحجر كبير وضع مكانه ووقف رجلان يناديان بضرب هذا الحجر بفأس حتى تسكسر على صدر « طهرا بك » الذي قام بعد ذلك سالما متباني . وقد خفف الأطباء ظهوره فوجدوا به آثار دخول المسامير فيه ، ولكنهم لم يروا أثرا نقطة دم ماهرة . وقد ظهر في برلين في العام الماضي رجل قام بأعمال هذه الاعمال جميعا وزاد عليها أنه كان يظهر للجمهور صليبا داما على أديم ظهره ثم يخفيه ويعود الى اظهاره حسب إرادته . وقد قل هذا الرجل إنه رسم بموسى حلقة صليبا على ظهره بحيث لا يمكن أن تراه العين . حينما كان يريد اظهاره للناس يتسلط بقوة إرادته على الدورة الدموية فتدفع الدم الى خطوط ذلك الصليب ، فيظهر للناس داما رهيبا ، ثم يأمر الدورة الدموية بقوة إرادته فتمتص الدم من الصليب فتتمحى آثاره

﴿ يشق نائم ﴾

وقد أمكن تحليل مكان عدم الشعور بالألم باستعمال قوة السيطرة العقلية على الجسم . بمآزاه في النوم المغناطيسى حيث لا يشعر النوم بأى ألم تحدثه به أو توجع لما يصاب به أثناء نومه . وأغرب من هذا ما حدث في مدينة شيكاغو إذ شق شاب اسمه هارفى شيرش وهو نائم . فقد حوكم هذا الشاب ، من أجل حادثى قتل فظيعتين ثبتت أدانته فيهما وقضى عليه بالإعدام شنقا . وقد غلب الخوف والفرع ذلك السفاح ، فعمد الى السيطرة على نفسه ببطء الى أن غدا لا يشعر بشئ مطلقا مما حوله ، ولبت نائما في سبات عميق عدة أيام قبل تنفيذ الحكم وأخفقت كافة المحاولات لايقاظه ، وحل يوم التنفيذ غائب الوعى الى المشقة حيث شق وهو فى غيبوبة وعدم شعور تامين . وهذا مما يعزز صدق الافعال التى يقوم بها فقراء الهنود وغيرهم ، إذ أن السيطرة على الجسم بقوة الإرادة ، وتركيز القوى المعنوية الخفية ضد الشعور بالألم ، كل هذا يزعم اعتقادنا بأن هناك قوة غير طبيعية وخوارق شاذة ليس فى مقدور البشر حل مهماتها

﴿ تخونه إرادته ﴾

وقد خضت لجنة طبية فى بومباي « الهند » فقيرا استطاع أن يوقف النبض فى أحد ذراعيه دون الآخر وتمكن من أن يوقف دقات قلبه لمدة ستة ثوان حينما أمر قلبه بذلك . وقد استطاع أيضا أن يوقف حركة النفس بضع دقائق وبقى بعد ذلك حيا . على أن قوة الإرادة التى تمهد ل هؤلاء الناس التغلب على هذه الاشياء الخطيرة ، قد تخونهم فى أحرص المواقف فلا يكون نصيبهم منها أقل من الموت ، كما حدث لفقير « بلا كان » . فقد مارس هذا الرجل لعبة المكوت مدفونا تحت الرمل فى أحد المسارح دون نفس بضع ساعات ، وأجرو هذه اللعبة عشرات ومئات المرات كان يقوم بعدها دون أن يصاب بشئ . ولكن حدث مرة ، وهى الأخيرة أن أخرجوه بعد المدة المقررة . وقد فارق الحياة . فقد خانت الرجل قوة إرادته فى أروع موقف وأخطر ساعة

﴿ الموت والحياة بالإرادة ﴾

ومن الممكن أن تتأثر الحياة والموت بالإرادة ، و يعزز هذا القول ما رواه أخيرا الماجور سميت حكمदार بوليس مستعمرة الساحل الذهبى فى افريقيا ، ذلك أن أحد كبار الوطنيين المتعلمين ، تأثر من مشادة وشجار حدثا بينه وبين أحد مواطنيه فأعمل إرادته فى نفسه ومات فى اليوم التالى ، دون أن يكتشف الأطباء أى سبب لوفاة أو أى أثر لمرض فيه . انتهى

فقلت له : انك لم تفعل شئاً . ماهو إلا تكرار لما كتبناه هنا وهو ملخص ما كتبناه فى نفس هذا الموضوع فى ﴿ سورة الاسراء ﴾ وشرحنا نفس هذا الشرح فى (طهرا بك) المذكور فى الرجل الألماني .

فقال : حقاً أنت قلت نفس هذه المعاني . فقلت : فاجد الله على العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على الحكمة والعلم وإنارة أعم الاسلام في هذا الزمان

(المبحث الثاني)

(من الفصل الثالث)

(في سبأ وسيل العرم وعجائب العلم والكشف الحديث)

قد ذكرت لك في أول السورة أن قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - واختصاص ذلك بهذه السورة ايدان بما حدث في هذا العصر من العلم والحكمة وظهور آثار عربية في البلاد السبئية فبعلمه نزلت في أرض سبأ وخبئت في أرضها وبعلمه سبحانه استخرجت من أرضها وأظهرت النقوش في أحجارها سبحانه ربنا . قد كنت كتبت الفصل الثاني من تفسير هذه السورة منذ سنين وهو موجز السورة ولم أكن إذ ذاك لأطلع على ما عرفه الاوروپيون عن بلاد سبأ فكان القول اجاليا والعلم استنتاجيا . ثم ان العوائق وقفت في طريق اتمام التفسير ونشره نحو عشرين سنين فاطلعت في أثناءها على الكشف الحديث المصدق للقرآن العجيب البيان . فلما أن أذن الله بالتفسير الآن أخذت أكتب ما رأيته وألخص ما علمته

علم الله بخزائن الأقدمين من أمنا العربية وطمرها في الأرض أجيالا وأجيالا فعاملنا معاملة الأيتام مات عائلهم والجهال غاب سائسهم وكثر اليتيم لا يسلم له إلا تنسده باوغه . لقد مضى على المسلمين زمن كانوا فيه غير راشدين بعد الخلفاء الراشدين بأجيال فعميت عليهم آثار آبائهم وناموا في كهفهم لا نلثمائة سنين وازدادوا تسعا بل ستمائة سنين وازدادوا ثمانية عشر

نام المسلمون واستيقظ الغربيون وأخذوا يحلون الرموز ويكشفون الكنوز وقرؤا التوراة ، قرؤا فيها آثار الجمن فهاموا بالآثار والمسلمون قرؤوها في سبأ فلم يلقوا لها بالا ، فهم كالغلامين في المدينة والكنز تحت الحائط ، فأمر الخضر عليه السلام أن يظهر الكنز وهو مال مخزون وعلم منقوش ، هكذا المسلمون يتأخروا وقد خزن في بقاعهم العلم والمال فلم يسلمه الله لهم ، ولكنه اليوم أراد سبحانه أن يسلم إليهم الأمانة فأرسل أولا علماء الفرنجة فحاسبوا خلال البلاد الميمنية واطلعوا على الخزائن الخفية والنقوش الحجرية والكتابة السمارية فرجعوا ابلادهم ناشرين واصور أعمال أجدادنا مظهرين وهاهوذا سبحانه أراد ولاراد لقضاه أن يظهر القرآن بالمظهر العلمي للعالم الاسلامي ويعلم أبناء المسلمين أن كتابنا الكريم يحضنا على بحث أعمال الأقدمين وان من لم يشكر النعمة بتقبلها وحفظها يسلبها الله منه ، بل أقول فوق ذلك إن ذكر هذا المقال في التفسير الآن من علامات اقبال الدهر على أمة الاسلام ، سيقرا هذا الشبان المسلمون والشيخوخ الشرفيون فحسنتهم نفوسهم أن يرجعوا مجددهم ويحفظوا كنزهم ويدرسوا ما كن في أرضهم ، سيكون ذلك في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي اليمن ، وسيتولى البحث على هذا علماء الدين ، كيف لا . ألم تسم السورة باسم سبأ . ألم يذكر الله قصتها هنا ، نعم فبعلم الله وضعت الكنوز ورسمت النقوش ، وبعلم الله أخرجت واستخرج وبالوحي على رسول الله أنزل القرآن وفيه هذا السر المصون ، وبعلم الله جاء أمثال هذا التفسير ، فليبشر المسلمون باقبال الأيام وظهور الحكمة والعلم في الاسلام ، فلا شرع في المقصود في هذا المقال ولأجعله ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾ الأول ﴿ في الكاشفين لآثار سبأ ﴾ الثاني ﴿ في الكلام على مدينة مأرب ﴾ الثالث ﴿ في الكلام على سد العرم

(المقصد الأول في الكاشفين لآثار سبأ)

قد ذكرت لك في أول السورة أن أول من خطر له ذلك العالم الألماني (ميخائيلس) وهو عالم بالفلسفة

واللاهوت ومات سنة ١٧٩١ م وكان يميل الى نبد التقليد ويحب أهل النظر وهو المقترح على ملك الدنمارك ارسال البعثة الى اليمن سنة ١٧٥٦ ليحقق ما في التوراة من المسائل المتعلقة بجغرافية الشرق وعادات الشرقيين
 ياغبيا : انظر كيف ألهم الله الأمم أن تحفظ التوراة التي هي مجموع حوادث وقصص وكم فيها من خطأ ، ولكن الله لا يبق شيأ إلا حكمته . فانظر كيف كانت التوراة سببا في حب هذا العالم لكشف آثار اليمن .
 انظر كيف أحب القوم دينهم ولودخل قصصه الشعري . ومن حب الدين والمطالعة أحب كشف بلاد آياتنا . فإذا يقول المسلم بعد هذا : المسلم الذي يقرأ سورة سبأ والعربي المسلم ربما كان من نسل سبأ . بل العرب في مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا واجزاء يتون بالنسب والجوار واللغة الى سبأ إذ الجميع عرب فهذه الأمم كلها لم تنكر في آياتها ولا في بلادها ولا في آثار دينها . ثم يجيء (ميخائيلس) فيقول (لفريدريك الخامس) ملك الدنمارك : **شكل لجنة والبحث عن آثار سبأ** فأجابه الملك وأرسل خمسة علماء رئيسهم عالم اسمه (كارستن نيبوهر) . لماذا ؟ لتحقيق ما في التوراة عن اليمن . فإذا تم لهذه اللجنة ؟ سافرت في سنة ١٧٩١ الى الاسكندرية وصرت بمصر ووصلت اليمن سنة ١٧٩٢ م . فإذا حصل ؟ ماتوا بالتدريج من المشاق والعطش إلا الرئيس فرجع وألف كتابا ونشر في أوروبا وقال انه عثر على (مدينة ظفار) و (حدافه) وفيهما نقوش يجهل اليهود والعرب حلها . ثم سافر (زسن) الألماني الى اليمن سنة ١٨١٠ فعثر في ظفار على ثلاثة نقوش وفي (عنا) على خمسة وهو في كل ذلك معرض للموت من عرب اليمن . ثم سافر ضابط انجليزي اسمه (ولستد) سنة ١٨٣٨ م فعثر على نقوش حيريه في قلعة يقال لها (حصن غراب) ووجد هو ومن معه نقوشا من نفس مدينة مأرب التي كان فيها السيد المشهور . ثم ذهب العالم (ارنو) الفرنسي سنة ١٨٤٣ وعاد معه (٥٦) نقشا كما تقدم من صنعاء والحريمه ومأرب وحرم بلقيس ، وكان (ارنو) هذا صيدليا لامام صنعاء فأشار عليه أحد أصحابه أن يحتال ثلوقوف على آثار مأرب التي يتحدث الناس عنها في أوروبا والمسلمون لا يعلمون عنها شيأ مع أنهم في أرضها ، فاحتال بحيلة : وذلك انه أظهر الفقر والمسكنة للبدو واصطحب مع قافلة فقاسى في تلك الرحلة العذاب والشدائد من الخوف والتعب ، وذلك انه مع غناه وثروته الطائلة قد تواضع لهؤلاء وهم يجهلون أمره فكانوا يكفونه مالا يطيق من الأعمال والمشاق ، ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش أو يطبعها فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل حتى أصيب برمد فعاد الى صنعاء أعرج فأرسل ما كان نسخه الى صديقه (فرسنل) فنصل فرنسا بجده الذي أشار عليه بذلك ، وقد نشرت أخبار تلك الرحلة بالجملة الاسيوية ، وفي بعض الأجزاء خريطة سد مأرب ، وهو أول من تمكن من مشاهدة تلك الآثار وقد حل العلماء نقوش (ارنو) سنة ١٨٤٥

ثم شكلت **جمعية الآثار السامية** واهتم بذلك ناظر المعارف بباريس فأرسل المستشرق (هاليفي) سنة ١٨٦٩ م مهنديا يمن قبله فرجع ومعه (٦٨٠) نقشا وهو في ذلك خائف وجل من العرب ، وكان يتظاهر وهو ينقل النقش بأنه راقد أو بأنه يصلي صلاة الاسلام . كل ذلك خوفا أن يقتله العرب . واطلع (هاليفي) على بلاد الجوف مع ان علماء الجغرافيا يجهلونها وأهل صنعاء لا يعرفونها مع قربها منهم . ثم اطلع على بلاد (معين) عاصمة دولة المعينيين ولم يأت ذكرها إلا في كتب اليونانيين

ثم سافر العالم الألماني (ادوارد غلازر) ونقل ألف نقش من مأرب وغيرها وفي بعضها تاريخ سد مأرب واصلاحه . ثم سافر الى اليمن غير هؤلاء علماء فأتوا من فرنسا والنمسا . وبالجملة فإن في متاحف أوروبا الآن عددا كبيرا من آثار اليمن منها ما هو منقوش على البرونز والألواح والأحجار تزيد على ألفين قد نشر منها كثير في المجلات الألمانية والفرنسية والانكليزية

هذه صورة ما كشفه الاورويون من آثار اليمن ذكرتها ليفطن المسلمون وليقوم فيهم التدخوة والحمية وليكونوا أمة عالية الشأن وليغاروا على مجدهم ودينهم . انتهى المقصد الأول

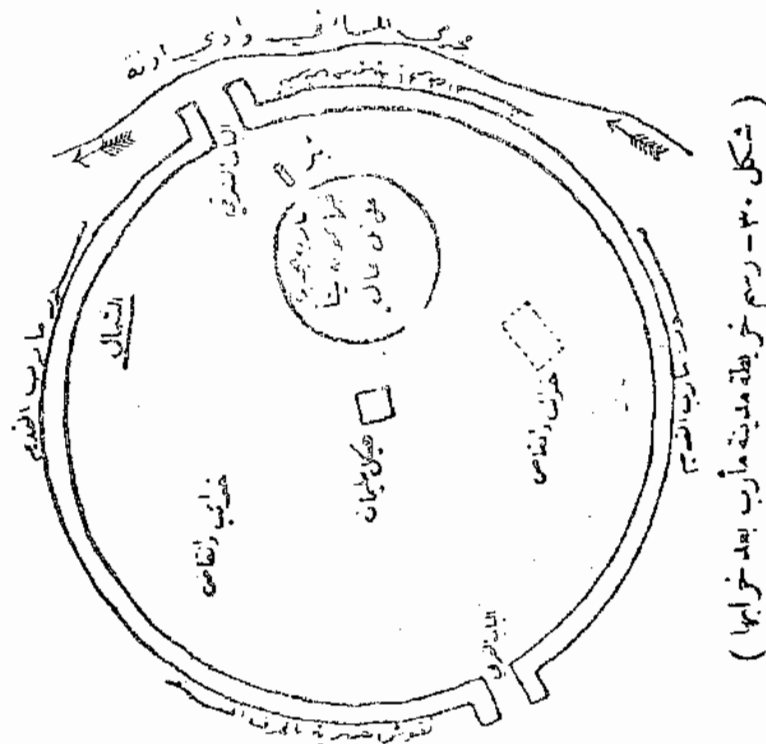
(المقصد الثاني في الكلام على مدينة مأرب)

اعلم أن اليعقوبي في القرن الثالث الهجري ذكر الخليفة اليماني التي كانت في عتسره . وجاء الهمداني في كتابه « وصف بجزيرة العرب » ففصل تلك الخلفاء وقراها وأوديتها وجبالها وهذا الكتاب أوثقي مصادر الكتب العربية وأوفاه . وأما لك تريد فهم الخلفاء فأقول لك :

إن الخلاف وجهه مخليف أشبه بما يقال له (مديرية) بالقدار المصري كالأكورة عند قدمائنا أو الرستاق ويحكمه ملك صغير يسمى (قيل) جمعه أقيال . والخلاف يشتمل على محافد جمع محفد أشبه بالمركز في بلادنا المصرية فكل خلاف مقسم إلى تلك المحافد والمحفد الواحد عبارة عن قصور والقصر الواحد كالقلعة أو الحصن ويعرف صاحب المحفد بلقبها (ذو) فيقال ذو غمدان وذو ميمين وهؤلاء الحكام يسمون الأذواء أو الذوين كاللوردات في أوروبا وقد يتغلب رجل منهم فيسمى نفسه ملكا عليهم جميعا ويتوارث الملك بنوه والذي عرف الآن ثلاثة الدولة المعينية والسبئية والجميرية وهي الدول الكبرى . أما الدولة المعينية فلا شأن لنا فيها . وأما دولة سبأ فهي الدولة التي نحن بصددنا الآن . واعلم أن التاريخ الذي وصل لنا عن تلك الدول غير موثوق به وهو مبني وغير منظم . وإنما يقال إن حطبان أبو اليماني كلها وقد أتى من جهة بابل وتعلم اللغة العربية من العرب البائدة . ولعل القحطانيين لما جاؤا من بلاد ما بين النهرين وهم لم تعلمهم المدنية والتعرف اختلطوا بالعرب البائدة وتعلموا منهم على طول القرون والسنين ثم عدوا عربا . وقد ثبت الآن أن أهل سبأ أنشأوا دولة عظيمة وبلغ عدد ملوكها الذين قرؤهم على آثار مأرب وصرواح وغيرها بضعة وثلاثين ملكا . وقد حقق بعض العلماء أن دولة سبأ ابتدئ سنة ٨٥ ق.م وتنتهي سنة ١١٥ ق.م ثم ظهرت دولة حير . أما دولة حير فقد كانت من سنة ١١٥ ق.م إلى سنة ٥٢٥ ب.م وآخرها دوناس وحكمها ٦٤ سنة ثم دخل الحبشة

ودولة سبأ التي كلامنا فيها كانت عاصمتها لما اتسع ملكهم (مأرب) التي كشفت حديثا بعد نقلها من (صرواح) وقد وجد في نقشها رسم ملك اسمه (يشمر) وهناك رسم خريطة مدينة مأرب (انظر شكل ٣٠)

* خريطة مدينة مأرب بعد خرابها *



هذه خريطة مدينة مأرب القديمة وتسمى (عاصمة سبأ) وقد عرفت أن طابا بين أحدهما شرقي والثاني غربي
قال الشاعر

ومأرب قد فطقت بار مقام وفي سقفيها الذهب الأحمر
وهناك أشعار كثيرة قيلت فيها أعرضنا عن ذكرها . وهناك على مسافة نصف ساعة من مأرب نحو
الشرق الشمالي أنقاض بناء عظيم يقال له (حرم باقيس) وهو غير قصر بلقيس
ها أنت ذا رأيت خريطة مدينة مأرب عاصمة سبأ التي ذكرها الله في القرآن ، ثم انظر في كتب التاريخ
العربية هل تجد دولة سبأ ذكرها ؟ هل هناك دولة اسمها سبأ . كلا ، انظر كيف يقولون « إن عرب اليمن ينسبون
الى يعرب بن قحطان » ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم تهربوا أي انتسبوا اللغة العربية من العرب العاربة
وهي البائدة ، ويقولون إن بني قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والملك واقحطانيون
كانوا لا يعرفون الملك والتعرف ثم كثروا وزاحموا العرب العاربة فأبادوهم وأنشأوا الدولة القحطانية على أنقاض
البائدة ويقولون إن أول ملوكهم يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد في اليمن والعمالة في الحجاز وولى اخوته على
جميع أعماله ، فولى جوهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشجر وحضر موت بن قحطان على جبال الشجر
وعمان بن قحطان على عمان (انظر ابن خلدون) وبعده ابنه يشجب بن يعرب ثم عبد شمس وهو سبأ
لأنه كان كثير السبي ، وهو الذي بنى السد المشهور في أرض مأرب ، وخلفه سبأ المذكور وأولاداً منهم حير
وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه حير مؤسس دولة حير ودولة حير (طبققان) الملوك والتبابعة وملوك حير
آخرهم (الحارث الرائي) وهو أول التبابعة ، ويقول بعضهم إن بين حير والحارث الرائي (١٥٠) عاماً وفي
اقصبة الجبزية عددهم جميعاً (١٦) فقط وجعلها أبو الفداء (١١) وابن خلدون (٨) والمسهودي (٥)
وأما التبابعة عند ورخي العرب قدمائنا فأولهم الحارث الرائي وآخرهم (ذرجدن) وعددهم (٢٦)
تبعاً حكموا (١٧٠٠) سنة

وهناك خطأ وخط في هذه السنين والأعداد كما قلناه نفس المؤرخين . ولذلك نقول ما لنا ولهذا المتحقيق
والتحقيق وما لتفسير القرآن وأمثال هذه الجداول . أقول على رسلك : فسكن في أسماء الدول ، هل رأيت هناك
دولة تسمى (دولة سبأ) . كلا . وإنما هي دولة حير الذي أبوه سبأ ودولة حير بعد قرون انقلبت الى التبابعة
فلمدة كلها تقرب من أربعة آلاف سنة ما بين حيريين وتبابعة ، والتبع هو الملك الذي تبعه ملوك كالأمبراطور
الآن ، وليس هناك في تاريخ أسلافنا دولة سبأ التبعة ، انظر كيف ذكر القرآن (سبأ) ولم يذكر حير ، خالف
القرآن قول المؤرخين ، خالفهم كل مخالفة وجاءنا بدولة (سبأ) اظهاراً للحقيقة ، ولقد ظهرت الآن وتبين أن
دولة سبأ هي التي أعارت على أمة يقال لها (معين) لم تذكر في التاريخ وهذه الدولة عمرت طويلاً كما رأيت
وانتقلت العاصمة من مأرب الى ريدان وهي ظفار بقلب الحيريين على الملك . من هنا تبين لك أن القرآن
يوافق الكشف الحديث ، وقد كان ذلك مجهولاً (١٣) قرناً وظهور الآن فهو من المعجزات لآل القرآن . انتهى
المقصد الثاني

(المقصد الثالث في الكلام على سد العرم)

قد عرفت مدينة مأرب وأنها كانت عاصمة دولة عظيمة وهي دولة سبأ ، وترى في الجنوب الغربي من
مأرب سلسلة جبال متشعبة من جبل السراة تمتد مئات الأميال نحو الشرق الشمالي ، وبين هذه الجبال متسع
عظيم يتجه الى واد كبير يقال له (الميزاب الشرقي) فإذا أمطرت السماء على تلك الأقطار انتهت أخيراً الى
وادي (أذنه) وهو يملأ (١١٠٠) متراً عن سطح البحر فتسبب فيه المياه الى مكان قبيل مأرب بثلاث ساعات

وهو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق ، أحدهما الأيمن والآخر الأيسر كما عبر القرآن وأخذت منه
المرحوم (جورجي زيدان) والمسافة (٦٠٠) خطوة بينهما ، والسيار يجري بينهما من الغرب الجنوبي إلى
الشرق الشمالي في واد هو (وادي أذنه)

ولما كان هذا الماء يجري من الجنوب إلى الشمال بلا فائدة فسكروا السيليون في ذلك فبنوا (سد العرم)
في المضيق بين جبلي (بلق) وبين المضيق والمدينة (٣٠٠) ميل مربع فأصبحت جنتان بسبب هذا السد ،
وهذا السد طوله من الشرق إلى الغرب ثمانية ذراع وعالوه بضعة عشر ذراعاً وعرضه (١٥٠) ذراعاً
ونشأ الغربي وهو الأيمن لا يزال باقياً الآن معجزة للقرآن (انظره في الخريطة) والثلاثان الباقيان فاض
الماء منهما وهجروا عن ترميمهما . وترى النقطة في الخريطة لحدتهما . وما مثل العرم إلا كمثل الخزانات التي
تصنع اليوم في مكوار على النيل الأزرق وجبل الأولياء على النيل الأبيض وخزان (اصوان) فيعالماء فيسقى
الأرض . وإذا ترك ذهب إلى البحر الأبيض المتوسط كما يجري الماء بين الجبلين هناك ويذهب في الشمال
والرمال بلا فائدة

هذا وقد عثر الباحثون على ﴿ نقشين ﴾ أحدهما ﴿ على الصدف الأيمن وهو ﴾ ان يشعمر بين بن
سمهلي ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق و بنى مصررة رجب تسهيل الري ﴾ والنقش الثاني على الصدف
وهو ﴿ ان سمهلي ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق و بنى رجب تسهيل الري ﴾ فأحدهما ابن
الآخر وكما في القرن الثامن قبل الميلاد وهكذا يتوالى ملوك سبا ببناء سدودهم . ولما أعياهم حفظ السد تفرقوا
في البلاد كما ذكره القرآن

قال الأصمغاني « إن السد تهتم قبل الاسلام بأربعمائة سنة » وقال ياقوت « انه هدم في نحو اقرن
السادس للميلاد » أي قبيل الاسلام ويؤخذ من كلام ابن خلدون انه تهتم في القرن الخامس للميلاد ولا طائل
في هذا النقل إلا معرفة ما قاله المؤرخون

﴿ الحمداني وسد مأرب ﴾

إن وصف الحمداني لسد مأرب مطابق للكشف الحديث وربما كان يقرأ المسند . قد ذكر الآية - لقد
كان لسبأ - إلى قوله - ورب غفور - . قال : ﴿ إن سبأ كثيرة الجحائب والجبلتان عن يمين السد ويساره
وهما اليوم غامرتان أي لازرع فيهما . وأما ما اندحق السد فارتفع عن أيدي السيل . وذكر انه
وجد جند نخلة أسود فقال من معه له انه بقي من مزارع الجنتين . فأما هو فقال لا أظن ذلك . قال ورأيت
مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع قائمة كأن صانفها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحسد
الصدفين وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحاله على أوثق ما يكون ولا يتغير إلا ان شاء الله . قال وقد بقي
من العرم شيء مما يلي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله (١٥) ذراعاً ﴾

وقال تبارك وتعالى - فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل خطوأئنل
وشئ من سدر قليل - قيل الخلد الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف وهو الطيب وبها من الأراك ما ليس
بيلد . ومن الخلد المطوق في الأراك ما يجلب عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواقع
باليمن (من عروش وجوانب ردمان وشرعة ودمار وجهران وكومان واسيل وكثير من مخاليف خولان) والوادي
اسمه (اذنه) وفي هذا السد يقول الأعشى :

كفى ذاك للؤتسى أسوة * ومأرب قفى عليها العرم
رخام بناه له جسيم * اذا جاء مأوهم لم يرم
فأروى الحرث وأعناهم * على ساعة مأوهم ينقسم

فعاشوا بذلك في غبطة * فجار بهم جارف منهزم

فطار القيول وقيالها * يهيماء فيها سراب يطعم

وكان العرم مسندا الى حائط مابين عضاد بالمنخر بمهاذيب من الصخر عظام ماحمة ملاس الأساس بالقطر *
الهمداني كلام

وظل الناس مع ذلك في شك من أصل هذا السد حتى تمكن المستشرق الفرنسي أرنو من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣م وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤م وزار مأرب بعده هالبي وغلاز روزافقاه في قوله وصادق على وصفه وهو يطابق ما قاله الهمداني من أكثر الوجوه . وعثروا في أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره تحققوا بها خبره وأكثروا اشتغالا في هذا السبيل غلازرو بين الأساطير التي وقت عليها اثنتان جاء فيهما خبر ترميم السد في زمن الأحباش بالقرن السادس للميلاد فبدل ذلك على أنه ظل قائما الى قرب ظهور الإسلام . واهل السبب في نسبة بنائه وتهدمه الى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه فكانوا يعدون كل تصدع تهديما وكل ترميم بناء

و بعد ما قدمناه من أقوال المؤرخين والناقين بشأنه يحسن بنا الاتيان على أصل وضعه وما هو عليه الآن وبوضع ذلك (شكل ٣١ و (شكل ٣٢) الآتيان قريبا

(أصل وضع سد مأرب)

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالي . وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير يهر عنه العرب بالميزاب الشرقي وهو أعظم أودية الشرق تميزاله عن ميزاب مور أعظم أودية الغرب المتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة تتجه في مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالي . وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية رداغ العرش وردمان وقرن والجبال المشرفة على سويقي وفي ناحية دمار بلد عنس جيعا وهو مختلف واسع وبه بينون وهكر وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا وجبل أسبيل ورجة وجبال بني وايش من مراد وغيرها ومختلف ذي جرة وجهران وهران ومساقط بلد خولان من جنوبية ومانيا من من القحظ (١)

فشعاب هذه المواضع وأوديتها اذا أمطرت السماء تجتمع فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي أخيرا الى وادي أذنة وهو يعلو نحو ١٠٠ ، ٩ متر عن سطح البحر فتسير فيه المياه نحو الشرق الشمالي حتى تنتهي الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جبليين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن أحدهما بالأيمن وعن الآخر باليسر والمسافة بينهما ستائة خطوة (أو ذراع) ويسميهما الهمداني مأزعي مارب يجرى السيل الأكبر بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي في واد هو وادي أذنة

واليمن مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر . فاذا أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعا في الرمال . فاذا انقضى فصل المطر ظمى القوم وجفت أغراسهم فسكانوا إما في غريق أو في حريق قلما ينتفعون حتى في أيام السيل من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فينهطم من أذاه أكثرها يناون من نفعه . فسائقهم الحاجة الى استنباط الحياة في اختزان الماء ورفعها الى سفوح الجبال وتوزيعه على قدر الحاجة . فاختر السبايون المضيق بين جبلين بلق وبنا في غرضه سوراعظما عرف بسد مأرب أو سد العرم الذي نحن في صدده لرى ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول أو سفوح الجبال

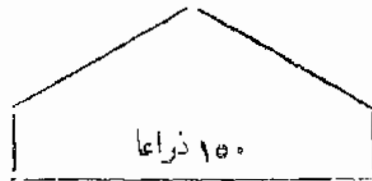
والجبلان المذكوران بعد أن يتقاربا عند بلق بفرجان وينسع الوادي بينهما . وعلى ثلاث ساعات منهما نحو

(١) الهمداني ٨٠

الشمال الشرقى مدينة (مأرب أوسبا) في الجانب الغربى أو الايسر من وادى اذنة . فذا جرى السيل حاذى بابها الشرقى (راجع الخريطة شكل ٣) وبين المضيق والمدينة متسع من الارض تبلغ مساحته ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء قاحلة فاصبحت بعد تدبير المياه بالسدغياض وبتأمين على سفحى الجبلين وعلى المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنتى اليمنى والجنبة اليسرى

رسمه وكيف ينصرف الماء منه

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخيم أقاموه في عرض الوادى على نحو ١٥٠ ذراعا (أو خطوة) نحو الشمال الشرقى من المضيق وسموه «الهرم» وهو سد أعظم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعرضه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال نحو ثلثه الغربى أو الايمن باقيا الى الآن كازى في الخريطة شكل ٣٢ (ج د هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما المذنب تفجرا وفاض الماء منهما وعجزت الدولة عن ترميمهما وسقطت السيول انقاضهما . وقد نقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان في أصله بعرض الوادى ويظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبنى بالتراب والحجارة ينتهى أعلاه بسطحين مائلين على زوايا منفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ولوقطعت ذلك الحائط أو السور قطعا عرضيا لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة



فالهرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصد عن الجرى فيجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان أصوان بأعلى النيل . وينتهى الهرم في طرفيه بمصارف للماء يختلف شكلها وأساؤها عن مصارف خزان أصوان . وذلك أن الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين أبقية من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ ينصرف منها الماء الى احدى الجنتين اليمنى أو اليسرى

فانشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرقى الجنوبي) وهو جبل بلق الايمن بنائين بشكل الخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين أحدهما (١) قائم على الجبل نفسه والآخر (٢) الى يساره وبينهما فرجة عرضها خمس أقدام . وقاعدة الايمن منهما تعاق قاعدة الايسر ثلاث أقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والايسر مبنى من حجارة منحوتة تمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤ ذراعا ينتهى في الهرم نفسه ويندغم فيه . وعلو الجدار المذکور مثل علو الصدف ومثل علو الهرم وفى جانب كل من الصدفين المذکورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا فى الصدف الآخر . والميزابان مدرجان أى فى قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الأخرى . ونظرا لشكل الصدفين الخروطى ولما يقتضيه شكل الميزاب السلى أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أضغر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب فى الخارطة بشكل (ع غ) كذلك ننظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع الخروطين أو الصدفين على هذه الصورة أن أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الى سفح جبل بلق الايمن فيسقى الجنة اليمنى . وانهم كانوا يقفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل فى الميزابين عرضا كل عارضة فى درجة فتكون العارضة السفلى أقصرها جميعا

(١) هذا من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ناقلا عما رمزله بحروف (أم أ) صفحة ١٣٧

فوقها عارضة أطول منها فاطول إلى العليا وهي أطولها جميعا . والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تراكب فيه أو تدخل حتى يتألف منها باب متين يستد المصرف سدا محكما يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء في علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجري الماء على ذلك العلو إلى سفح الجبل في أقبية ممتدة لذلك وتقر أو أحواض لتزين الماء أو توزعها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف في أرضه أو يردوا ربا آخر نزعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الأيسر من الحرم وهو النربى الذي ينتهى بالجنة اليسرى بناء كالحائط (س ط م) دعونه السد الأيسر عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعا وطوله نحو ٣٠٠ ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان (٣) و(٤) أحدهما (٣) متصل بالحرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيشكل من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لمصرف الماء إلى الجنة اليسرى . وينتهى الحرم من حده الغربى بحائط منجلى الشكل (د ف) مبنى بحجارة منحوتة صلبة لهله الذي يسميه الهمداني « العضاد »

فكان السيل إذا جرى في وادى اذنه حتى يتجاوز المضيق بين جبلي باقى صده الحرم عن الجرى فيتعالي ويتحول جانب منه نحو اليسار إلى السد الأيسر . فاذا أرادوا رى الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا رى الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجري الماء في أقبية وأحواض في سفح الجبل الأيسر حتى يأتي مأرب لانها واقعة إلى اليسار كما تقدم وسترى في (صحيفة ١٧٢) وهي الصفحة التالية رسم (خريطة بلاد العرب) في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى السادس بعده . وسترى أيضا في (صحيفة ١٧٣) رسم خريطة سد مأرب أو سيل الحرم (انظر شكل ٣١) و (شكل ٣٢)



هأت ذاً أيها الككيّ اطلعت على سد مأرب وهو سدّ الحرم وعرفت مدينة مأرب وعرفت أن دولة سبأ لم تكن معروفة في تاريخ أسلافنا ، فانظر كيف جاء الكشف الحديث كما في القرآن ، وانظر في كتب التفسير التي وصلت إلينا كالنخشي والرازي والبيضاوي وأمشاطا التي ألّفها الفحول من العلماء ، كيف صهروا عليها رحمة الله ولم يذكرها غير تفسير يرجع أكثره إلى لفظ القرآن

أفلا ترى أننا جئنا في عصر نسميه بحق عصر القرآن ، هذا العصر الذي يظهر فيه بأجلى بيان هذا السد كما رأيت . فحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وانظر كيف يقول علماء التاريخ (إن اليونان لم يعرفوا اسم حير قبل السنة العشرين قبل الميلاد ولم يكونوا يعرفون إلا سبأ لشهرتهم) وانظر كيف كان أسلافنا لا يعرفون إلا الحبشيين والتبابعة وجاء القرآن بما هو حق في التاريخ

(عجائب القرآن في العصر العشرين)

يقصّ الله علينا قصص طوفان نوح . ويقصّ علينا قصص سدّ الحرم . ويقول إن سبأ أعرضوا ونارة يقول كفروا . فماذا جازأهم ؟ جازأهم بخراب الديار . لماذا هذا الجزاء ؟ لتفريطهم في السدّ سبحانه لك اللهم أنت الربّ المحمود فماذا هذا في دين الاسلام ؟ هذا هو المسي فرض كفاية وما هو فرض الكفاية ؟ هو أن يقوم في الأمة أناس لكل عمل من أعمال الحياة فيحسنونه والا هو قبّ الجميع . ويقول امام المسلمين (فرض الكفاية أفضل من فرض العين) وأي منفعة للأمم أكثر من الماء والأنهار فانظر ماذا كتبت بعض مجلات مصر لما طغى النيل سنة طبع هذه السورة إذ ذكرت أن نهر المسيسي كاد يهلك الأمة فاجتمعوا لدرء خطره . أليس هذا هو الذي أنذره نوح قومه . وهذا هو الذي أهلك سبأ ! إذن القرآن يحمل أعمال أعمال الدولة تارة كفرًا وتارة اعراضًا ويجازي بالهلاك . والمراد بالكفر كفر النعمة وجزأؤه في الدنيا اهلاك وفي الآخرة العذاب . إذن في القرآن أسرار تظهر اليوم بالعلم . فانظر المقال التالي وهالك نصه :

(عبرة لمصر والمصريين)

(كارثة فيضان نهر المسيسي - بمناسبة ارتفاع مياه النيل في نحو سنة ١٩٢٨)

مضت أسابيع والأنباء تترى بارتفاع مياه النيل ارتفاعاً لم تألفه مصر من قبل وقديت مهدد المدن والقري والارواح والأماك . ولقد اتخذت الحكومة لهذا الأمر الخطير أهبتها بقدر ما تستطيع حكومة أن تفعل وأنا انسر إذ تراها نعمد الى بحث قانون (العونة) لحراسة الجسور والى انشاء خط دفع ثان يقي البلاد غوائل الفيضان ولكننا الى جانب ذلك نحزن إذ نرى الأهالي يتبرّمون بهذين الاحتياطين ويرون في الأول تسخيّر للناس فيما لا يليق بكرامتهم أن يسخروا فيه ويرون في الثاني تبيداً لأموال طائفة في سبيل اتقاء خطر من عوم . ولا شك أن أولئك المتبرّمين لا يدركون ما قد يصيبهم من الرزايا في أموالهم وأرواحهم لو فُضّ النيل وتقطعت جسوره وتدفقت مياهه تفرار الأرض وتكتسح الزرع والضرع ولا تبقى ولا تذر ويجهلون أن جسور النيل الرخوة قد تكون أوهى جسور الأنهر الكبيرة في العالم وإن أراضى مصر سهّل اذا جرى فيه الفيض لا يجد جبلاً يصده أو تلاً يحمي وراءه قرية أو مدينة . والواقع أنه أصبح من أوجب الامور على الحكومة أن تنظم من الآن طرق رقابة البلاد بتدعيم الجسور تدعيماً يضمن دفع ذلك الخطر كما أصبح من أوجب الامور على سكان وادى النيل أن يلبوا دعوة الحكومة متى دعيتهم ليعاونوها بكافة ما يستطيعون لتقوية الشاطئين . ولكي يدرك الناس أهمية ما تدعو الحكومة وقد دعواهم اليه نصف لهم كيف حلت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عامين تلك الكارثة الهائلة التي ترتبت على فيضان نهر المسيسي حتى اذا ما أدركوا مدى الأخطار التي تنجم من أعمال الجسور

مهرعوا الى القيام بما عليه عليهم تلك الأخطار من الاحتياطات

نهر المسيسيبي أكبر أنهار الدنيا طولاً وعرضاً . يبلغ طوله خمسة آلاف كيلومتر ، و يبلغ عرضه من ألف الى ألف وخمسمائة متر ولكنه يتسع في بعض الأماكن حتى يبلغ خمسة وثلاثين كيلومتراً ، وتسير مياهه سيراً وئيداً من الشمال الى الجنوب فتشطر الولايات المتحدة شطرين متساويين وتقطع الموجة المسافة بين المنبع والمصب في ستة أسابيع وتجمع هذه الكميات الهائلة من المياه عند المصب الضيق الذي لا يتجاوز عرضه سبعمائة وخمسين متراً ثم تنصب في خليج المكسيك بمعدل ثمانين ألف متر مكعب في الثانية الواحدة . أما الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة كل عام فأنشئ عن غزارة مياه النهر واتساع مساحة معرضه مع ضيق مصبه ضيقاً يجعل تلك الكميات العظيمة من الماء تتجمع بوفرة ضخمة عند هذا المصب فتصعد ما وراءها وترتفع المياه وتفيض على الجوانب أحياناً وأحياناً لا تقوى الجسور على تحمل ضغطها فتقطع وعندئذ تندفق المياه بقوة تجرف كل ما تصادفه في طريقها ، ولقد حدث في عام ١٩١٣ أن فاض المسيسيبي فبلغت الخسائر في (مقاطعة الاوهيو) وحدها أربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات وهلك من الأنفس البشرية خمسمائة ، وهذه الكارثة مع فداها لا تعد شيئاً يذكر إذا قيست الى الكارثة التي حلت بأمريكا عام ١٩٢٧ م والتي نحن بصدددها في هذا المقال

لاحظ السكان في ربيع سنة ١٩٢٧ م أن الأمطار تهطل بغزارة لم يروا مثلها من قبل وأن التلوج تنهار من أعلى الجبال وتندوب بسرعة غير مألوفة ثم تهوى الى نهر المسيسيبي فتزيد مياهه ارتفاعاً ، ولاحظوا أيضاً أن فروع النهر قد علت مياهها بنسبة لم يعهدوا لها مثيلاً ولكنهم ظافوا رغم هذه العلامات الخطرة آمنين مطمئنين معتمدين على متانة الجسور وقوتها . والحقيقة أن جسر المسيسيبي من أقوى وأضخم المنشروعات التي حققتها يد الانسان في العصور الحديثة ، فهي تمتد على طول النهر وترتفع الى عشرة أمتار فوق سطح الماء في الأوقات العادية وتتسع حتى يبلغ عرضها خمسين متراً . ويسهر على رعايتها ومراقبتها بضعة آلاف من العمال ، وقد نصبت بين كل مسافة وأخرى آلات التلفراف والتليفون وأقيمت محطة رئيسية تتصل بجميع المحطات الأخرى في وقت واحد لتنبيهها الى الخطر في الوقت المناسب ، ولا يمر أسبوع إلا ويطوف المهندسون يرتادون الجسور لفحصها ، وقد خصصت الحكومة عدة ملايين من الجنيهات تقطعها كل عام من ميزانيتها لحساب تلك الجسور ظل السكان آمنين مدة أربعة وعشرين عاماً حتى كانت سنة ١٩٢٧ فخاب اعتمادهم على قوة منشآتهم وأيقنوا أن قوة الطبيعة أكبر من أن تعالها قوة الانسان ، ففي السادس عشر من شهر ابريل نقل البرق الى واشنطن أن النهر قد خرج من مجراه فظن أولوا الأمر أن الخطب يسير وأماوا أن يتداركوه ، ولكن الفيضان كان يزداد من ساعة الى أخرى حتى أضحت الوسائل المقامة لصيانة الجسور عديدة الجدوى لانقيد ، وتحوّل الفيضان الى كارثة لم يسمع بمثها بنو الانسان ، لم يمض يومان حتى غمرت المياه سبع ولايات وحتى بامت مساحات كبيرة من الميسوري والاركنساس وكنتوكي وتينيسي ولويزيانا وتكساس تحت الماء ، ثم انحدرت مياه النهر على الأراضي الزراعية فغطتها وكوّنت فوقها طبقة مائية ذات ارتفاع يبلغ ثمانية أمتار ، وقد انجلى السكان عن ثلاثين مدينة وتركوا مئات من القرى نهبا للماء الذي ظل يرتفع ويغذى فروع النهر حتى انهارت جسورها هي الأخرى وعند ذلك جلّ الخطب وعظم المصائب (انظر شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٣٣ - مياه نهر المسيسيبي ترتفع على الجانبين بالقرب من (نيو أورليانز) وقد ارتفعت على المنازل وأغرقت القرى)



(شكل ٣٤ - نسف أحد جوانب المسيسيبي حتى تتدفق المياه من الفتحة التي يحدثها النسف الى سهل مجاور للنهر فيخف الضغط عن (نيو أورليانز) وتنجو من الفرق)

وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تتعاون في التخريب والتدمير فقامت زواجع وهبت عواصف قطعت أسلاك التليفون والتلغراف وعطلت وسائل المواصلات بين الولايات المنكوبة وجاراتها وقضت على كل محاولة للإنقاذ ، أفرغت الحكومة قصارى جهدها لحصر الكارثة وتخفيف آثارها فسيرت القطارات السريعة تحمل فيالق كاملة من الجيش تحفظ النظام بين المنكوبين وتعاون السكان والعمال فيما يحتاجون الى المعاونة فيه . وسيرت أسراب الطائرات تحمل الأطباء والعقاقير والمؤن لاسعاف الضحايا والمصابين . ولكن الحالة تفاقمت باطراد ارتفاع الماء حتى أبلغ المهندسون حكومتهم « أنها اذا لم تبذل أكبر الجهود وأضخم النفقات لتحاصر الفيضان فستبلغ الخسائر في الأرواح والأموال مبلغا لا يحصىه الأرقام »

وقد كان مخاف المهندسون أن يكون وبلغ الفيضان أشده وتدفقت سيول النهر تكتسح في طريقها المداين والقرى والكبارى والعمائر والجسور حتى بات أكثر من مائتي ألف نفس من سكان مناطق المديسي بلامأوى ولا مأكل وطفئت الجشت البشرية تغطي سطح الماء

رأت الحكومة الأمريكية نفسها عندئذ عاجزة عن مقاومة هذه الكارثة إذا هي اقتصرت على مالدتها من الوسائل فأصدر الرئيس (كوليدج) نداء ناشد فيه الشعب الأمريكي أن يهب بأسره ليشارك في عملية الانقاذ فتقاطر المهندسون والبنائون والعمال والأطباء والمرضى من كل صوب وأقبلوا جميعا يلجون نداء الحكومة ويسعون اخوانهم المنكوبين وأشرف رئيس الجمهورية ووزراؤها على اجراءات المقاومة والاعانة وظن الناس أن هذا الجهد العظيم لاحتمال منتج خير النتائج ، ولكن ما الذى تستطيعه حيل الانسان اذا تألبت عليه عناصر الطبيعة العمياء ؟

أخذت الأمطار تهطل طوفانا في المناطق الشمالية فتزيد مياه النهر ارتفاعا ، والرياح الصرصر العاتية تهب بعنف فتهدم كل وسائل المواصلات بين المناطق المنكوبة وسائر بلاد الدولة فاشتدت وطأة الفيضان على الأرض ، واشتدت أيضا وطأة المجاعة على الناس وارتدت أسراب الطيارات على أعقابها بما حلت من أقوات وملابس وعقاقير وهي لا تقوى على مقاومة العواصف والأعاصير الهوجاء ، وهكذا بقيت مئات الألوف من الناس لا يجدون كهفا يلجؤون اليه ولا قمة يتلفون بها ، وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تمنع في التشكيل بهم فأرسلت عليهم موجة من البرد أودت بحياة الكثيرين ، ولقد كان السكان يفرّون أمام الماء والماء يتعقبهم حتى التجأ ستة آلاف شخص الى لسان من الأرض ضنوه بعضهم من الطوفان الذى يطلبهم ولكن سرعان ما أحاط بهم الماء وكاد يتلهمهم لولا أن تداركتهم همة الحكومة بفيلقين من الجيش أنقذاهم من بين براثن الموت ، ولكن يدرك القارىء ضخامة الوسائل التى عمد اليها الشعب لمعاونة الحكومة نقول : إن جمعية الصليب الأحمر وحدها استخدمت أر بعين ألف سيارة وخسين ألف سفينة ما بين تجارية وذات شراع ، وإن الأهالى قدموا للحكومة كل ما يملكون من سيارات وعربات وخيول وزوارق وسفن حتى أصحاب اليخوت الجلية لم يرضوا بها ووضعوها تحت تصرف المنقذين ، ولقد كان المنقذون يحاطرون بأرواحهم كلما زجوا بأنفسهم فى المناطق المغمورة بالمياه حتى ان سفينة كبيرة غرقت برانها وبحارتها وهي تحاول انزال كمية من الأسمت لمحصرة الفيضان ، وإلى هنا قدّرت الخسارة المادية بمائتي مليون من الجنيهات ، ولو وقف الخطب عند هذا الحد لكان ، ولكن ما وفى اليوم السابع والعشرون من شهر ابريل حتى بدأ الفيضان يهدد المدن الكبرى فانقل رئيس الجمهورية ووزراؤه الى مكان الفاجعة وهناك ألفوا مدينة اركنساس غارقة لا يبدو منها غير سطوح المنازل والقباب وأنفوا المياه تنذر مدينة (نيو أورليانس) بنفس هذا المصير ، عندئذ استولى الذعر على النفوس ووجدت الحكومة نفسها بين (أمرين) إما أن تترك المدينة العظيمة فرسة افغيان المهر ، وإما أن تتحول جريان السيل الى الأراضى الزراعية فتضحي بثروة لا تحصى وبمحاصيل اذا ضاعت آذنت البلاد بنقص فى الأقوات لا يقدر ، وكان الفيضان يقترب والآفة تأزف ، وقد عجز مائة وخمسون ألف عامل عن تحويل مجرى الماء وبدأت المنازل تهتدم مئات مئات ، وارتفع الماء فوق سطح الأرض خمسة أمتار ، ورفرف الموت بجناحيه على (نيو أورليانس) الزاهرة الفنية بما تحويه من الثروات وكنوز الفنون ، عندئذ لم تتردد الحكومة فى اختيار أخف المصبتين وأصدرت الأوامر لنسف الجسور بالديناميت حتى تتدفق منها المياه الى المزارع والحقول ولكن الحكومة إذ أصدرت تلك الأوامر لم تفكر فيما ستلقاه من مقاومة أصحاب هذه المزارع والحقول . فما اتصل بالزارعين والملاك نبا اعتزام الحكومة نسف الجسور فى سبيل المحافظة على مدينة لازرع لهم فيها ولا ضرع حتى هبوا صفوفًا مسلحة يندرون حكومتهم بالحرب اذا هى لم تعدل عن عزمها الخطير . ولكن الحكومة

بادرت فالتحذت لهذا الطارئ الجديد عتته فأرسلت اليهم الجنرال (باركر) على رأس جيش كبير . وأعلنت الأحكام العرفية وأصبحت قائد جيشها حاكماً بأمره يحكم بما يقتضيه الموقف من الحزم والصرامة وصرحت انها ستحل النظام محل القوضى مهما كلفها الأمر وأعلنت الثوار نصف يوم ليلقوا السلاح . ولكن ذهبت كل هذه الاجراءات سدى وهب المزارعون يدافعون عن أموالهم فنشبت بين الفريقين معارك حامية استعمل فيها الفلاحون القنابل والمتراليوزات وانتهى الأمر بانتصار جيش الحكومة ونسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً وعلى طول بضعة كيلومترات وقد استخدم في هذه العملية وحدها عشرة آلاف من الرجال ، وهكذا استطاع أولو الأمر أن ينقلوا مدينة (نيو أورليانس) بتضحية مائة وخمسة وسبعين ألف كيلومتر مربع من الأرض ملائ بالبحر والمحيطات وبحرمان خمسمائة ألف نسمة من الأقوات والأرزاق وبحجوة عشرات من المدن ومئات من القرى من فوق سطح الممورة . وتحولت هذه المساحات الشاسعة العامرة الآهلة الى بحر ما كان نوح ليحجراً أن يجري عليه بسفينته ، وهالكة مرسى على مفاجئة ستنتان رقة أقامت السماء وبلغت الأرض ماءها وعاد الناس يستوون على هذه الأرض التي كانت بالأمر عمراً فقدت قفراً يحاولون أن يصلحوا ما أفسد الدهر ولكن كم يمضي من السنين حتى تسترد هذه الخراب عزها البائد وزهوها الزائل وكم تنفق أميركا من المال لتحيي بيد الإنسان ما أودت به عناصر الطبيعة العمياء انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما اطلع على ذلك صاحبي الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . قال : لقد جعلت طوفان أميركا كطوفان سدّ العرم ، وأثبت أن أهل أميركا قوم ذرّوجت ونشاط وأن الحكومة قوية ومتمينة وأن حكومة سبأ كانت ضعيفة جاهلة فتهتم سدّها ، واني والله لفي عجب أن تكون الحكومات الاسلامية في بلاد اليمن وغير اليمن لم تفكر كما فكر أهل سبأ فضلاً عن أن تكون كأهل أميركا . فهل لك أن تفيض القول في أمر سدّ العرم فتبين لي ﴿أميرين في الأول﴾ هل هناك أسداده غير سدّ العرم ببلاد اليمن ﴿الثاني﴾ من هذا الذي بنى سدّ العرم ؟ بطريق أوضح مما تقدمت

إذا ذكرت لي ذلك فأنك تكون خدمت أمم العرب المسلمين إذ يعلمون أن الكافرين قبلهم كانوا أعمر ببلاد الله منهم فيفكرون إذن ويجهنون في ذلك . فقلت : أما الأسداده فاسمع ما قاله مؤلف كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » وهالك نصه

﴿الأسداده﴾

ومن أدلة العمارة في (بلاد اليمن) الأسداده وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى الأراضي المرتفعة كما يفعل أهل المدن الحديث في بناء الخزانات ، وإنما عمد العرب الى بناء الأسداده لئلا المياه في بلادهم مع رغبتهم في إحياء زراعتها فلم يدعوا وادياً يمكن استثماره بالماء إلا حجزوا سيوله بسدّ . فتسكّثت الأسداده بتسكّث الأودية حتى تجاوزت المئات ، وذكر الهمداني في تحصيل العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سداً الى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالبتعة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً

وكانوا يسمون كل سدّ باسم خاص به أو بالإضافة الى بلده ، فمن كبار هذه الأسداده قصعان وربوان وهو سدّ قتاب وشهران وطمهان وسدّ عباد وسدّ طحج (وهو سدّ عرايس) وسدّ سحر وسدّ ذي شحال وسدّ ذي رعين وسدّ نقاطة عند قرية ذي ربيع وسدّ نصار وهران وسدّ الشجبان وسدّ المكي وسدّ النواصي وسدّ المهباد وباقيها لطاف

وأشهر أسداده اليمن (العرم) وهو سدّ مأرب الشهير الذي تقدم الكلام عليه ، وسدّ الخاني بضعة بناه

نوال بن عتيك . ولى سيف بن ذى يزن في القرن السادس للميلاد ومظهره في الحنف بن من رجبان . وقد أضر به
ابراهيم بن موسى العاري بعد هدم صعدة . وسد ريعان لابن ذى مأذن وسد سيان . وأسداد بلاد عس منها
سد خيرة وسد بيت كلاب في ظاهر همدان وآخر في ظاهر دعان وسد شام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها
ولم يقتصر بناء العرب للأسداد على ما بنوه في جزيرة العرب ففي مكران وبلوستان في عدوة خليج فارس
الشرقية آثار اسداد كثيرة لا يعرف عنها أهل تلك الناحية شيئاً فلعل بعض العرب نزحوا الى تلك البقاع قديماً
وابتغوا فيها تلك الاسداد

وأما الذي بنى سد العرم بطريق أوضح مما تقدم فاسمع ما جاء في الكتاب المذكور وهالك نصه : « وقد عثر القابون
في أنقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالطرف المسدود متداوياً منها على بانيه أهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن
الملاصق للجنة اليمنى تفسيره « ان يشمر بين بن سمه على ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق وبنى نصرف رجب
لقسهيل الرى » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « ان سمه على ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق
وبنى رجب لقسهيل الرى » وسمه على هذا هو والد يشمر المذكور وكل منهما بنى صدفاً أو حائطاً وكلاهما من
أهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه ولم يتمكننا من اتصافه قائمه خلفاؤهما وبنى كل منهم جزءاً
نقش اسمه عليه . فعلى المخروط أو الصدف في اليسار نقش قرأنا منه « كرب أيل بين بن يشمر مكرب سبا بنى »
وعلى جزء آخر من السد اسم « ذمر على ذرح ملك سبا » وفي محل آخر اسم « يدع ايل وتار » وعلى السد
الأيسر مما يلي الجنة أيسرى عدة نقوش يمثل هذا المعنى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد
تلك هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان

أما تهديمه فالعرب يقولون انه حدث جفأة ففرقت قبائل الأزد وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ
من مجمل أقوالهم أن ذلك وقع حوالي تاريخ الميلاد أى نحو ظهور دولة حبر (ملوك سبا وريدان) وانتقال عاصمة
السبائيين الى ظفار . فالظاهر أن السد تصدىح حينئذ للمرة الأولى فرموه وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى
تعمير ظفار وقل تمسكهم بالبقاء في مأرب نصاروا يزنحون بطوناً وأنفاذا لأسباب مختلفة ومنها التمهيط وغيره
وأخذت مأرب بالتقهقر وكلما انتفى النعم من ناحية زعموه الى قبيل الاسلام تهديم وأهمله

ووفقى غلاز في أثناء زيارته أنقاض ذلك السد الى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بهدم السد
بعد دخول اليمن في حوزة الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٨ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما رقتوا
عليه من آثار تلك السولة لما فيهما من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلائق السياسية أحدهما كتبه أبرهة
الحبشي وهدم خلاصة : « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان أبرهة عزيز الأحباش الاكسوميين
ملك أراجيس زيمان ملك سبا وذوريدان وحضرموت ويمت وأعرابهم في نجد وتهامة قد قس هذا الأثر
تذكراً لتغلبه على يزد بن كشة عامه الذي كان قد ولد كندة ودى وعينه قائداً ومعه اقبال سبا الصحاريين
وهم مرة وثمامة وحنش ومرند وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدى كرب بن السمينغ وهفان واخوته
ابناء الاسلام فانشدوا لك اليه الجراح داز نبور فقتله يزد وهدم قصر كدار وحشد من اطاعه من كندة وحرب
وحضرموت وفر هجان الذماري الى عبران . وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجند الأحباش والحباريين
ألوفا في شهر ذو القياط ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أودية سبا . فجاء يزد وبايع وخضع للملك بين يدي
القواد . وهم في ذلك جاءهم النبأ بهدم السد والحائط والحوض والمصرف في شهر ذو المذرج سنة ٦٥٧ فامر
بالعفو . وبعث الى القبائل بانفاذ الحجارة للساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب . لترميم السد في مأرب
فتوجه أولاً الى مأرب صلى في كنيسها ثم عمداً الى الترميم فنبشوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه
وعلم وهو في ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ورأى اعدائهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم وحبرهم

وأذن بانصرافهم . ورجع الملك الى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقبال الآتي ذكرهم : الكوم ذو ماهر
ابن الملك وصرجف ذو ذرناح وعادل ذو فائش واذواء شولمان وشعبان ورعين وهمدان والسكلاع . الح وجاء
اليه وفد النجاشي ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جيلة وآخرون جاؤا بعون الرحمن
يخطبون مودته . في أواخر شهر داروان وبعثوا اليه من غلة أراضيهم اتميم ما ائصدع من البناء فروعوه ووسعوه
حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما اتفق فيه من الحجارة والأطعمة للعملة والحوانات للعمل)
واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا وكان الفراغ منه في شهر ذوهج سنة ٦٥٨ هـ

وهذه السنة في حساب الجريين تعدل سنة ٣٥٥ للميلاد لانهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد
ولغلازركلام في هذا الشأن سنأتي عليه في الكلام عن التوقيات عند العرب ونكتفي هنا بالإشارة الى تاريخ
الفتح من نقش حصن غراب فقد رأيت أنه سنة . ٦٤ هجرية أو حبشية والمقول عليه أنه كان سنة ٢٢٥ ميلادية
والفرق بينهما ١١٥ سنة . انتهى من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

﴿ تذكرة ﴾

أما أن المسلمين أن يستيقظوا . إيه يا أمة الاسلام . إيه يا أمة الاسلام . أهذا يكون المسلمون . هأنتم
أولاء رأيتم أعمال الأمم الغابرة والدول الفاتنة وشاهدتم سد العرم صنع الجاهلية الأولى ، صنع أهل سبأ قبل
الميلاد بنحو ثمانية قرون ، هل بهذا أمر القرآن ؟ أيجعل في دين المروعة والنجدة والشرف أن يكون
الجاهليون يعمرن أرض الله أكثر من المسلمين ، هل لهذا جاء نبينا ﷺ ؟ ألم يجيء نبينا راحة للعالمين
وكيف يحفظ الجاهلية الماء بين البلقين ويسقون به الأرض والجنتان هناك عن يمين وشمال قائمتان ثم يجيء
الاسلام فلا يساوى أهله في العمران الجاهلية مع انهم كانوا الأولى بحفظ نعم الله ، هم الأولى بشكر النعمة ،
وشكرها بحفظها والقيام بها لا لا ، إن أمة الاسلام ستأخذ دورها عن قريب ، أمة الاسلام النائمة قد انتفضى
دورها . وستأتي أمة الاسلام البقطة التي تحفظ نعمة الله فلا تضع الماء يذهب في الرمال

أيها المسلمون : إن سيدنا محمدا ﷺ لم تقف رسالته عند هذا الحد . كلا . إن رسالته شأننا بعد أيامنا
هذه ، ومن دلائلها ما ترونه في هذا التفسير من عجائب القرآن وأنه يعلم المسلم شكر النعم وحفظها
يا ليت شعري : لم ذكرت سورة سبأ ؟ ألقصة تذكر . كلا . والله ذكرت لنا الآن ، ذكرت لمن يتعظون
دفن الله المال والعلم في السخور والألواح وعلى الجدران ، ثم أخرج ذلك الآن كأنه يقول للمسلمين : هاكم
اقرأ كتابيه ، انظروا في علوم آبائكم ، هل تقومون بالأمر ؟ هل تحفظون النعمة ؟ هل تقومون بالشكر
هل تبحثون عن نعمي فوق الأرض وفي باطنها ، إن لم تفعلوا بعد هذا كله فهاهم أولاء الفرنجة أحاطوا بكم
من كل جانب فإن لم تقوموا من غفلتكم وتعمموا التعلم لآخذن منكم أرضكم وأسلمها لهم كما فعلت مع
بنى اسرائيل إذ سلطت عليهم بختصر فأخذهم الى فارس ودولة الرومان فأسروهم في بلاد الروم

أنظنون يا أهل اليمن اني سلمت لكم الأرض لتمتعوا نعمي فيها عن عبادي ، انظروا حولكم في شمسى
وقرى وكواكبى وهوائى ومائى ، ألم أجعل العوالم كلها متجاذبة بحيث تجرى الأرض حول الشمس وهكذا
كواكب أخرى وهكذا العوالم تتجاذب ، فهكذا فليكن نوع الانسان ، لتكن كل أمة مستخرجة من أرضها
كنوزها وزراعة أرضها ليعيشوا بذلك ويرسلوا ما فضل بالتجارة غيرهم وهكذا غيرهم يفعلون ، فان غفلات
أمة عما لديها أو عزت الى غيرهم فسلطتهم عليهم لأنى عدل ولأنى رحيم ومن رحمتي أن الناس يخدم بعضهم
بعضا ، وهذا المطر النازل في بلادكم اذا لم تحفظوه فقد ضيعتم نعمتي فأعاقبكم على ذلك الضياع

هذا وإن آية سد العرم تدل على أن الأمة كلها معذبة اذا فرطت فيما لديها من النعم . والآية الآتية وهي
- ولو ترى إذ الظالمون - الح مثلها في أن الرؤساء لا يشفعون الرؤسين اذا تركوا مواهبهم لافى الدنيا ولا فى الآخرة

فتحة سبأ وآيات التقليد متقاربتان من حيث أن كلاهما منذر بالويل والهلاك لمن تراكما
هذا ما أنفهمه من ذكر هذه السورة التي ظم أثرها في هذا الزمان والحمد لله على نعمة العلم والحكمة
والدين والحمد لله رب العالمين

(جوهرة يتيمة)

(في آية - ولترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ)

(بيان خطر التقليد والاغترار به)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم إني أجدك على نعمة العلم والحكمة وأسألك جبر الخلل واجتناب الزلل واجادة الدليل وفهم التأويل
وصدق القول وحسن العمل

اللهم إني أرى اليوم في بلاد الاسلام حالاً أحسن ، ورجالاً أكمل ، وعقولاً أبهى وأبهر ، نام المسلمون
قرونا وقرونا بعد الصدر الأول والقرون الثلاثة الأولى خير القرون ، ثم جاء هذا الزمان الذي اشتدت فيه الاحن
وكثرت النجس وظهور الخطر والخلل وزالت الخلافة اللفظية من البلاد التركية وقد أنامت الأمم العربية نحو أربعة
قرون فلم تهم فيها قائمة ولا سمعت لهم فيها كلمة ، ولكن هاأنذا الآن في هذا اليوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩
أسمع أن بلاد العراق رفعت الصوت جهاراً نهارة الى الأمم الغربية قائلة : « أينها الأمم : اسمي . إياكم أن
تهينوا اخواني في فلسطين وتقدموا عليهم اليهود الذين وعدتموهم بالوطن القومي ، وهامهم سكان شرق الأردن
وبلاد سوريا وجميع المسلمين في الشرق والغرب يطلبون بلسان واحد ازاحة الكابوس والظلم عن أهل
فلسطين . سبحانهك اللهم وبحمدك . أنت الذي أخذت تغيير حال المسلمين من ضعف الى قوة ومن ذلة الى
عز ومن جهل الى علم . أليس هنا معصداق قولك في التنزيل - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين - وقولك - ليظهره على الدين كله - إن هذا زمانه وهذه أيامه وكما
تجلت أنوارك في قلوب الأمم الاسلامية برابطة الجأش وقوة البأس وعزة النجدة وعلو الشمع ورقى الهمم
هكذا أخذت التأليف تتغير أساليبها وتتجدد أصولها وتختط خططها جديدة وأحوالها جديدة وأقوالها مفيدة
وانشرت الصحافة وقامت الخطابة وظهرت بوادر جيل جديد وقد تقدمه أمثال هذا التفسير ليكون فيه
لقطة عجلاان ويقظة وسمان وبهجة ندمان وحديث خلان ومجالسة عاصم وأنس حكام وسرفضلاء
وهدى وبشرى للمؤمنين . ولقد بسطت لي فيه القول وشرحت لي الصدر ويسرت لي الأمر لأن الأمم الاسلامية
اليوم أجدر بالفهم وأقبل للعلم وأحق بالاقبال فأسألك اللازم أن أكون لك من الشاكرين
أما بعد : فإني أريد افاضة القول في التقليد ، ذلك الذي خيم على عقول كثير من الأمم الاسلامية في
الأحقاب العابرة والأيام الخالية وأضلّ سعيهم وأحبط كثير من أعمالهم

كانت الأمم الاسلامية في القرون الأولى طفلاً ترعرع وتعذى بالبان النبوة المحمدية إذ القرن في حياة الأمم
سنة واحدة في حياة الفرد ، وعلى هذا الحساب صارت هذه الأمة الآن في سن الرابعة عشرة كما أشرت اليه
في السور السابقة فهي كالنسان مرهق شارف البلوغ . ومتى بلغ بالسن أو بالقوة أخذ يظهر على الأمم الأخرى
كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يتغنّون بلبان النبوة فرضعوا أفريق أيام الصحابة والتابعين فنفعوا
عباد الله من بلاد الصين الى جنوب بلاد فرنسا فدانّت لهم أمم من آسيا وأوروبا وإفريقيا . ذلك انهم كانوا
محمديين . ثم لما كان القطار بعد الحولين (هما قرنان) نحوأت الحال شيئاً فشيئاً وخذت جنوة الحاسة وأخذوا
يفكرون بأنفسهم فعل الصبي بعد سني الرضاع يلتمس الطعام بنفسه . هنالك يحضر له المؤدّبون والمعلمون

والمربون وفي هذه الأجيال التي اعتبرناها سنين لم تكن هذه الأمم إلا عالة على الملوك والعلماء ورجال الدين
 وشيوخ الطرق . فهم كانوا كأيام إن أحسن الوصي القيام عليهم استقاموا وإن أساء التصرف ولم ينم بالأمانة
 ناموا ، فقامت دول فارسية وأخرى تركية وثالثة إمارات عربية . ولا زالوا يتدهورون المرة بعد المرة . ولقد
 مضى في هذا التفسير نبأ من بعض أماراتهم وهما السكهم وكيف اختلت الحكومات وبارت النظم وضاعت
 الأمم . لماذا هذا ؟ لأنهم كانوا بعد سئ النظام قبل سئ المراهقة والباوغ . ولا جرم أن الطفل في تلك الأيام
 يعمل المر بون بالآمال ويوارون عنه الحقائق ويخيلون له مستقبلا سعيدا وعمرا مديدا ويعطونه الحلوى
 والمغسب والسكر . ويقولون له أقوالا لذيذة ويفرونه بكل ما لذ وطاب فيستقيم لأقوال المر بين وتستوي به
 أكاذيب المواعيد وتخدعه خرافات الأسانيد وهذه السق خلية بذلك . لذلك كثرت الفرق وتباينت الطرق
 وظهرت الخواارج وادعى المهدي كل من أحسن من نفسه بقوة اللسان وسعة العقل ورجاحة القلب . ومن قرأ
 كتاب (الفرق بين الفرق) عرف تلك الأضاليل أوقرا ما تقدم في (سورة الشعراء) من أكاذيب الدجالين
 في الاسلام واستوائهم على عرش الامارة عرف كيف تنجس كواذب الأقارب واحتيايل المحتالين . ذلك كله
 لأن الأمة كانت لاهي في سئ الرضاة من أفوايق النبوة احمدية . ولاهي بلغت السق التي تؤهلها لقبيل زمام
 أصرها والقيام بشؤونها فلا يحصى لها من التقليد . ولا مفر لها من اتباع من تتوسم فيه مخايل النجابة فسلم
 زمامها أقوام منهم الصادقون ومنهم الخادعون وكل يعاملهم معاملة ذلك الطفل الصغير . لذلك كثرت فيها
 الخرافات وشاعت الضلالات وانكسروا على الشيوخ فغطت العقول وسادت النقول فجاء جيلنا الذي نحن فيه
 فماذا أقول ؟ أقول : أحذركم أيها المسلمون بحديث أحد المهديين في الاسلام أجهله مثلا من أمثال أسلافنا
 السابقين أريد بذلك استنارة الشيعة الاسلامية ومتى عرفت الشر أقلمت عنه أو الخير اجتلبته فأقول :

لقد كان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد استوثق له الأمر في الأندلس بعد القبض على أبي القاسم
 ابن عباد المعتمد على الله بعد أن تولى الملك ٢٠ سنة وذلك سنة (٤٨٤) هجرية . ولقد قام بالأمر خير قيام
 إذ أثار الجهاد والغزو وقمع ملوك الروم والحرص على المصلحة في جزيرة الأندلس إلى أن توفي سنة ٥١٩ هـ وقام
 بالأمر بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمى أصحابه المرابطين فجري على
 سنن أبيه في إثارة الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد . وكان حسن السيرة . جيد الطوية . تزه النفس .
 بعيدا عن الظلم حتى كان إلى الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتغلبين . وأخذ يكرم الفقهاء
 والعلماء ولا يفعل أمرا إلا بمشاورتهم ولكنه تمادى في الغفلة واختلت حال أمير المسلمين بعد الجملة اختلالا
 شديدا فظهرت في بلاده من أكبر كثير . وأخذ أكابر المرابطين يدعى كل منهم صريحا أنه أحق بالامارة منه .
 واستولى النساء على الأحوال وصارت كل امرأة من أكابر (لتنونه) تحمي شريرا وقاطع طريق وصاحب خمر
 وما خور وأمير المؤمنين يزداد غفلة واكتفى بإمرة المسلمين وبصيام النهار وقيام الليل . فماذا فعل الله للمسلمين
 إذ ذاك ؟ قوم لا قوام لأمرهم إلا بالأمراء فإن صلحوا صلحت الأمة وإن فسدوا فسدت . فهم على حسب
 من يديرهم . ألم أقل لك أيها الذكي أنهم فطموا من الرضاة أولا فهم الآن في السنة الخامسة وهي سن الطفولة
 وهذه سن الغفلة واليتم ولم يصلوا السن الرشيد : لما طغى أمراء الأندلس وشربوا الخمر وأولعوا باللهو والزهو
 أرسل الله لهم (يوسف بن تاشفين) فأدخل عليهم تحت إمرته ولما قام ابنه أضاع الأمة من طريق الاشتغال
 بالعبادة كما أضاعها أولئك من طريق القسوق والخور والجهالة . هنالك قبض الله لهم رجلا آخر يأمر بالمعروف
 وينهى عن المنكر . فبينما عمال الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يعثون في الأرض فسادا ويهتكون أعراض
 الرعية علنا بالاقتسام جهارا بعد الجملة إذ لهم الله رجلا يقال له (محمد بن تومرت) ينسب إلى الحسن بن
 الحسن بن علي بن أبي طالب من أهل (سوس) من قبيلة تسمى (هرغه) من أقوام شرفاء هناك أحب العلم

فرحل الى المشرق سنة ٥٠١ هـ أى فى السنة التى ابتداء فيها فساد الدولة وانتهى الى بغداد أى كما ينتهى المسلمون اليوم الى أوروبا ولقى أبا بكر الشاشى فدرس عليه الفقه والاصول وسمع الحديث على أكابر الشيوخ ، ويقال انه لقي أبا حامد النزالى بالشام أيام زهده وذكر له ما فعله أمير المسلمين بكتبة انى وصلت الى المغرب من امرائها وفسادها وابن توصرت حاضر ذلك المجلس فقال النزالى : « ليهين عن قريب ملكه » وأشار الى أن ذلك يتم على يد حاضر المجلس أى ابن توصرت ، وهذا الحكاية سره صحت أم لم تصح لا يخرج فى روايتها ، ويقال إن هذه الإشارة قوت طمعه فى ذلك فرجع الى الاسكندرية ثم الى بلاد المغرب . وبينما محمد بن توصرت كذلك اذا رجعل آخر هناك يسمى عبد المؤمن بهم الصبيان فى موضع اسمه (فزاره) من بلاد (ميتجه) وانفق انه رأى فى النوم كأنه يأكل مع أمير المسلمين (على بن يوسف بن تاشفين) فى صحبة واحدة ثم زاد أكله على أكل أمير المؤمنين ثم زاد فيه الشره فاختطف الصلابة وانفرد بها وحده وفسرها لها المشرق بأن هذه تكون لرجل غيرك يكون أهلا لأن يشارك فى الملك ثم انفرد به . فهذا الأحاديث والرؤى قد أعدت الرجلين لعمل عظيم فتلاقيا فيقال إن محمد بن توصرت عرف عبد المؤمن بعلامات رسمها فى نفسه وعرفها من كتب المتقدمين . وقد كان عبد المؤمن عند المقابلة متوجها الى المشرق فى طلب العلم فاستصحبه محمد بن توصرت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقاما بمدينة (ماله) أشهراً ورحلا ورجل معهما رجس آخر اسمه عبد الواحد . وقد كان محمد بن توصرت شديد الصمت كثيرا لا يقاوض إلا فى مجلس العلم . وحل مع صاحبيه فى (تلمسان) وقضى بها مدة ثم توجه الى (فاس) فأظهر عقيدة الأشعرية فى التوحيد وأخذ يعظ الناس فاجتمع الفقهاء عليه فوجدوه رجلا قوى العارضة فأشاروا على والى باخراجه لئلا يفسد عقائد العوام فأخرجه . وإنما فعلوا ذلك لأنهم كانوا جميعا صائمين عن جميع العلوم ما عدا الفقه فتوجه الى مراكش وكتب الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . ولما دخل عليه أحضر له الفقهاء فناظروه فغلبهم ومنهم رجل يقال له (مالك بن وهيب) له معرفة بعلم كثيرة حتى الفلسفة فأشار على الملك بقتله لأنه فصيح حسن العبارة وهو مقصد لا تؤمن غائلته فلم يقتله الملك خوفا من الله فقال له اسجنه حتى يموت فقال الملك لا ذنب له . هناك نفاذ عن مراكش وهناك كانت الطائفة الكبرى فتوجه الى (سوس) فشرع فى تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأخذ يذكر المهدي ويشوق اليه (كما فعل المهدي السوداني محمد أجد فى زماننا سواء بسواء) فكلاهما ابتداء أسرد بالتشويق للمهدي من غير أن يذكر نفسه وجهه بل له أنصارا يستميلون له رؤساء القبائل . هنالك تقرر فى نفوسهم فضل المهدي ونسبه ونعته . فلما سم ذلك قال أنا محمد ابن عبد الله ورفع نسبه الى رسول الله ﷺ وصرح بأنه معمر وأنه المهدي المنتظر . فلما استقر لهم ذلك بايعوه على انه المهدي وألف لهم كتباً فى العلم وعلمهم فكان يبطن التشيع . وأول درجة من أصحابه كانوا عشرة وهم المهاجرون الأولون سماهم الجماعة وهم أول من صدقوه والطبقة الثانية سماهم الخسين . ثم قال لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن بإيمانكم وأتم العصاة المعينون بقوله ﷺ لا تزال طائفة بالغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله . وأتم الذين يفتح الله بهم فارس والروم ويقتل السجال ومنكم الأمير الذى يصلى بعيسى ابن مريم . ولا يزال الأمر فيكم الى قيام الساعة . ويقال انه كان يخبر ببعض الحوادث فتقع . وكان يقول : « لو شئت لعددت خلائكم خليفة خليفة » ولقد جاء هذا القول فى نظر رجل من أهل الجزائر من مدينة من أحمال (بجاية) وقد وفد على أمير المؤمنين أبى يعقوب وهو (بقينمال) فقام على قبر محمد بن توصرت بمحض من أتباعه الموحدين وأندس قصيدة بليغة وهاك نصها :

سلام على قبر الامام الممجد : سلاله خير العالمين محمد
وهشبه فى خلقه ثم فى اسمه : وفى اسم أبيه والقضاء السند

ومحبي علوم الدين بعد مماتها * وه ظهروا أسرار الكتاب المسدد
 أن تنبيه البشرى بأن يعلوا السما * بقسط وعدل في الأنام محمد
 ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً * ويملك عرباً من مفر ومنجد
 فن وصفه أئني وأجلى وأثمة * علامات خمس تبين المهدي
 زمان واسم المصكان ونسبة * وفعل له في عصمة وتأيد
 ويلبث سبعاً أو تسعاً يعيشها * كذا جاء في نص من النقل مسند
 فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا * فذاك المهدي بالله مهدي
 وتبعه للنصر طائفة المهدي * فأكروهم اخوان ذي الصدق أجد
 هي الله المذكر في الذكر أمورها * وطائفة المهدي بالحق تهدي
 ويقدمها المنصور والنصر الذي * له النصر خبز أذير روح ويغدي
 هو المنتقى من قيس عيلان مفخرا * ومن مرة أهل الجلال الموطد
 خليفة مهدي الاله وسيفه * ومن قد غدا بالعلم والحلم مردي
 بهم يجمع الله الجبارة الاولى * يصعدون عن حكم من الحق مرشد
 ويقطع أيام الجبارة التي * أبادت من الاسلام كل مشيد
 فيغزون اعراب الجزيرة عنوة * ويعرون منها فارسا وكان قد
 ويفتحون الروم فتح غنيمة * ويقسمون المال بالترس عن بد
 ويسدون للدجال يغزونه فخي * يذيقونه حد الحسام المهدي
 ويقتله في بابل وتجلى * شكوك أملت قلب من لم يوجد
 وينزل عيسى فيهم وأميرهم * امام فيدعوهم لحراب مسجد
 يصلي بهم ذاك الامير صلاتهم * بتقديم عيسى المصطفى عن تعمد
 فيمسح بالكفين منه وجوههم * ويخبرهم حقا بعز محمد
 وما أن يزال الامر فيه وفيهم * الى آخر الدهر الطويل السرم
 قابلق أمير المؤمنين تحية * على الشأى منى والوداد المؤكد
 عليه سلام الله ماذر شارق * وما صدر الورد عن ورد مورد

فهذه حال (محمد بن تومرت) الذي هو المهدي المنتظر وأصبح القوم مشغولين به حتى لو قال لرجل اقتل
 أباك أراك تقتله . وكان اظهارة المهدي سنة ٥١٥ هـ وفي سنة ٥١٧ هـ جهز جيشا عظيما من المصامدة جلهم
 من أهل (تندملل) ومعهم قوم من أهل (سوس) وأمرهم بحرب المرابطين وأن يدعوهم الى الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر واتباع المهدي المعصوم ، فان أجابوا فهم اخوانكم والا فقاتلوهم وأمر عليهم عبد المؤمن
 وقال أنتم المؤمنون وهذا أميركم ، وقاتلوا المرابطين قريبا من مراکش بموضع يسمى (البحيرة) وأمير
 المرابطين الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعا المرابطين لما اتقى الجيشان الى ما أمروا به
 فردوا عليهم أسوأ رد ، وهكذا كتب عبد المؤمن الى علي بن يوسف بما عهد اليه محمد بن تومرت فرد عليه
 ردّا يحذره فيه من سنك السماء ، ولما اتقى الجمعان قتل من المصامدة خلق كثير وانهمز الجيش ولكن نجا
 عبد المؤمن . ولما رجعوا الى ابن تومرت هون عليهم أمر الهزيمة وبشرهم بالشهادة والجنة ، ومن ذلك
 الوقت أخذ المصامدة يشنون الغارات على نواحي مراکش وهو يزاد تقي وصلاحا وتشددا في دينه واقامة
 الحدود كلها حتى مات سنة ٥٣٥ هـ وقام بالأمر بعده عبد المؤمن فبايعه المصامدة ، ولد بضعة من بلاد تلمسان

وقد ولد سنة ٤٨٧ هـ وتوفي سنة ٥٥٨ هـ وقد ملك بلاد المغرب وأكثر بلاد الأندلس ، وقد خلفه في الملك ابنه أبو يعقوب يوسف ومات سنة ٥٨٠ هـ وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتوفي سنة ٥٩٥ هـ الذي أمان الفيلسوف ابن رشد وسجده ثم عفا عنه ، ولم تقم بالحكمة بعد ذلك قائمة في الاسلام وبعده ابنه محمد بن أبي يوسف أمير المؤمنين وتوفي سنة ٦١٠ هـ وتولى بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد هذا ملخص كتاب تاريخ الأندلس المسمى « بالمعجب في تالخيص أخبار المغرب » تأليف الشيخ محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي

أقول : إن هذا العالم كان في زمان تلك الدولة فلم تطل مدته الى انقضاءها حتى يعرف ما آل اليه أمر هذه الدولة ، وأيضا انه كان تحت حكم ملوكها فلم تكن له الحرية التامة في إبانة الحقائق الخاصة عن المهدي (ابن تومرت) ووظيفة هذا التفسير امتحان الحوادث العامة وعرض نتائج الامتحان على أم الاسلام بعدنا أما مجرد سرد التاريخ فقيمته زهيدة ضئيلة ونحن الآن في تفسير آيات قرآنية تنفيذ التقليد وهذا التاريخ الذي سردته هنا مسوق لتبيان أن الوقوف على التقليد بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هو الشؤم الأكبر والخطب الجلل والموت الزؤام

فلأذكر إذن في هذا العدد ما عثرت عليه في الكتب الأخرى وما ذكره أيضا العالم الفرنسي (سديو) ليحقق الحق ويبطل الباطل . واذن يفرح المؤمنون والعلماء الخالصون والأمم الحمديون بنصر الله بالهداية العالمة والله هو الولي الحميد

جاء في كتاب « خلاصة تاريخ العرب » للسلامة سديو ما ملخصه : « إن العرب بإسبانيا انشقوا على المرابطين أيام علي بن يوسف الذي ظهر عجزه كما تقدم القول عنه . وأنه كان مشغولا بالصلاة والصيام وكلا أمر الرعية للنساء مع إكرامه للعلماء . وقد كان هؤلاء العرب لا يفسكرون إلا في محاربة أمراءهم المرابطين ولم يعرفوا كيف يتحدون ويتخذون لهم مركزا عاما حريا لاصد النصارى المحيطين بهم من سائر الجهات وغاية الأمر أن الفرص قد سنحت لأناس منهم استقوا بالامارة من سنة ١١٤٤ في مرسية ووالنسة وقرطبة واشبيلية وقرطبة وغيرها فادعى كل هذا المنصب بالحق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من إسبانيا سنة ١١٤٦ وغاية الأمر أن عبد الله بن غانية بقي تحت يده جيش ضعيف وقد اضطر الى مساعدة النصارى له فساعدوه حتى أخذ قرطبة وأشبيلية حتى اذا ما جاء جيش عبد المؤمن فقتل ابن غانية وذهب أمر المرابطين . ثم إن الأميرين يوسف ويعقوب المنتقم ذكرهما أبلوا بلاد حسنا في منع غارات النصارى عن مدن الاسلام ثم بعد ذلك أغاروا على من جاورهم من النصارى . وهناك نجد الرونق والعز في بلاد الأندلس . وقد زاد ذلك النصارى وعز المسلمين بما فعله الأمير يعقوب حتى مات وخلفه ابن محمد الناصر سنة ١١٩٩ م

هذا وقد هزمه النصارى في واقعة (طولوسه) سنة ١٢١٦ م وهناك ضعف أمر الموحدين فانتطعوا عن محاربة النصارى ، ولما مات الأمير محمد خلفه أبو يعقوب وقد عصته الأقاليم بالمغرب وإسبانيا لأنه غير كفء ثم إن أرباب المشورتين الذين أنشأهم المهدي كما تقدم (وهم العشرة الذين سباهم المهاجرين الأولين والحسين الذين سباهم الجماعة) كانوا متشوقين الى الاختصاص بالحكم لما رأوا فساد الأمر في البلاد فهددهم المأمون ، وقد قام بشد أزره حزب ذو قوة و بطش وجعلوه أميرا عليهم ، فنصب أرباب المشورة المذكورون يحيى بن ناصر فقلب عليه وعليهم المأمون وعلق رؤس هؤلاء الشيوخ على أسوار مراكش وألقى المشورتين ونسخ سياسة المهدي ومنع ذكره في الخطب وعامل أهل المغرب بقسوة لم يتدروا بعدها على العصيان سنة ١٢٢٨ ثم إن محمد بن هود من ذرية قنماء ملك سرقسطه أوقع البغضاء بين مغاربة إسبانيا ومغاربة افريقيا وأخذ منهم جيشا جوارا هزم به المأمون سنة ١٢٢٩ قرب (مدينة طاريفه) وألزم المأمون الإقامة بمراكش

هناك اخذت دولة الموحدين شيئاً فشيئاً ، فانهم لما انتزعت منهم الأندلس أخذت بلاد المغرب تسليح
منهم شيئاً فشيئاً فقد عصى الزمخشري في أيام خلفاء المؤمنين وإلى تونس سنة ١٢٤٢ م وعائلته ثم بنو حنّس
وفي سنة ١٢٤٨ أسس بنو زيان في تلمسان والجزائر سلطتهم الممتدة إلى نواحي تونس ، وكذلك بنو سريين
في جهات كثيرة . . . وثمة الأسرى من قبل ومن بعد . . .

هذا ملخص ما جاء في كتاب سديو ، وأريد عليه ما قرأته سابقاً في المخطوطات من أخبار ابن تومرت ثم
أتبعه بالتأليف العامة التي هي المقصودة بالذات في تفسير هذه الآيات فأقول :

إن محمد بن تومرت كما قلت جعله الله لهذه الأمم أشبه بمربي الأبطال ، ولقد جاء في كلام علماء الفقه أن
السندب جائز في سياسة الأبطال ، وقد قلنا إن الأمم لاسلامية في القرون الأولى كانت في أيام الرضاة فشكل
قرن سنة واحدة في عمر الأمة ولما كان الفطام أخذ الناس ينظرون شؤونهم بأنفسهم ولكنهم لكان العلم سخر الله
لهم أناسا يفعلون معهم فعل المربي مع الطفل . فإذا فعل محمد بن تومرت ؟ لزم الخواة كما تقدم وإلى أقول أنا
معتقد في الرجل حسن مقصده . وأنه يريد للمسلمين في تلك الأصقاع خيراً ، ولقد رأى أن يسوهم بالدعوة
المشجورة وهي المهدوية . فإذا يفعل ؟ نصب له دعاة وأعلن العصمة كما أعلنها فسيره من الزاطميين بمصر
وأعلنها أيضاً (أغا مئون) بالهند في زماننا وغيره ، ولقد كان من أمر (محمد بن تومرت) أن بث الأرصاء
والعيون والجواسيس ليستطهروا أسرار القلوب ومن المصدق للمهدي ومن المكذب وأخذ يوازن بين الشهادات
الواردة إليه عن عظماء أتباعه ، فمن ذكائه وفطنته لم يحكم على أحد بالكفر بمهديته إلا إذا توافرت الشهادات
المختلفات بذلك من بطائنه الذين جعلهم عيوناً عليهم . أما الذي اختلف فيه الشهود . ومعلوم أن أحدهم لا يعلم
ما يقوله الآخر فانه لا يحكم بكفره به . فهناك اجتمع له من أسماء أتباعه جدول منقذ عنده أوقت الحاجة

وبينا هو يبث الأرصاء والعيون والجواسيس لتهرئة أسرار أتباعه كان قد أسر لرجل من أتباعه يدعى
على ما أذكر (الونشري) فهذا الرجل كان عالماً فاضلاً جليلاً وأخذ يهيم على وجهه بمر في المجالس فلا يأتبه
له أحد لأنه مجذوب لا يمي . وكان إذا مر على (محمد بن تومرت) يقول إن في هذا الرجل لسراً . وبقي الأمر
هكذا إلى أن كان ذات يوم محمد بن تومرت يصلي الفجر نظر فرأى رجلاً وراءه يصلي وعليه ثياب بيض بهيئة
جيلة فاطهر الدهش وأذ سألته من أنت ؟ فقال أنا الونشري . أتى في هذه الليلة أتاني النبي ﷺ بقطة وعلمني
كذا وكذا وعرفني العواقب وأهل الجنة وأهل النار . ولا جرم أن هذه هي الجيلة التي تسكررت كما تقدم في
هذا التفسير إذ ذكرت نظيرها في (سورة الشعراء) عند آية السجدة فليتفطن المسلمون وليستيقظوا فقال
ابن تومرت له بهيئة رقيقة : سبحان الله . أخبرنا بأمرنا من أنا ؟ فقال أنت المهدي ومن كذب بك في النار
(ولا جرم أن الجدول الذي فيه الأسماء قد سلم إليه سرا حتى عرف جميع الكفار بأشخاصهم) فهناك قال له
المهدي : أخبرنا بأهل النار وأهل الجنة . فأمر المهدي فاجتمع القوم وصفهم الونشري صفين صفاً أمام صف
فنظر إلى صف اليمين فقال هؤلاء أهل الجنة وصف جهة اليسار فقال هؤلاء أهل النار . ثم قال ليقتل أهل الجنة
أهل النار ف ضرب صف اليمين صف اليسار حالاً بالسيوف واستولوا على ما يمكن ، ولكن هؤلاء المقتولون وإن
كان أمر قتلهم سهواً على حسب الاعتقاد بقي له أثر سيء في النفوس فشغلهم المهدي بالحروب المتقدم ذكرها
ضد المرابطين أيام (علي بن تاشفين) كما عرفت وصار يعدهم بمجئهم بملك فارس والروم وأنهم هم الذين يبقون
حتى أيام نزول المسيح إلى آخر ما تقدم . هذا هو الذي وعدته الذاكرة بما قرأته من الكتب والله أعلم

﴿ امتحان هذه السيرة والأحوال ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك . أنت ناظم الأمم والجماعات ومعط كل ذي حق حقه . أنت الذي علمت أن
هؤلاء قوم جهال مشتتون فهيأت لهم محمد بن تومرت ليمنع الظلم عنهم فقام وادعى المهدوية . اللهم إن المهدوية

قد تقدم السلام عليها في أول (سورة الحج) وقد ذكرنا هناك أمر المهدي وأن الأحاديث كلها مطعون فيها .
 سمعناك اللهم وبمحمدك . إن أحاديث المهدي قد سرت إلى نفوس أكابر الأمة وأن يحيى الدين بن عربي
 قد وقع فيما وقع فيه غيره وسرت عقيدة المهدي في الأمم الإسلامية وقلت هناك أنها لا تزال باقية لم ينقص منها
 شيء حتى ظهور المهدي السوداني ، فما نتيجة ذلك كله ؟ نتيجة ضعف العقول والالتكال على الشيوخ ونوم
 القوى العاقلة ، نام المسلمون آمداً وآمداً ، تركوا مواهبهم ، تركوا عقولهم ، كما تركت الحيوانات المنزلية تدير
 أنفسها للانسان بخلاف الحيوانات البرية الوحشية كالفلان ، إذن المسلمون المتسكون على المهديين أو على
 الشيوخ والذين استناموا لمن ملكوا قيادتهم من الظالمين مساكين وغير مساكين أصبحوا كالغنز والبقرة
 اللتين ضعفتا عن تدير أنفسهما وفاقتهما الغزاة والبقرة الوحشية ، فصارت الأمة ذليلة والعقول التي لا عمل له
 يضمرو ويضعفون ، وليس الأمر قاصراً على محمد بن تومرت فهو رجس ففع القوم بأساويه ومنهجه واستعان
 بالكتمان والصبر وعلوم السيمياء وبإيهامهم أنهم خير أمة أخرجت للناس وانهم هم الذين يبقون إلى نزول
 عيسى عليه السلام وقد فعل ذلك معهم ولكنه في الوقت نفسه علمهم الصدق والاخلاص والشجاعة والعلم
 على حسب زمانه ، الرجل مزيج الحق بالباطل وقد أفاد القوم . ولا يزال بعض شيوخ الطرق الآن في أم
 الاسلام يرفعون نفوسهم إلى مقام العظمة ويحفلون أنفسهم وسائط بين الله وبين خلقه . وقد أنام كثير منهم
 المسلمين إذ أفهموهم أنهم يتعاليهم مع جهلهم الفاضح ينجون من العذاب يوم القيامة . تعلم ابن تومرت
 وغير ابن تومرت نافع وضار . النفع مؤقت على مقدار همته . انظر الفرق بين هؤلاء الصالحين وبين الأنبياء
 انظر إلى الأنبياء كيف دامت دياناتهم آمداً وآمداً . كثير المهديون في الاسلام ولكل مهدي أيام تنقضي
 واسكن الاسلام باق لم ينقص منه شيء وما يفعله هؤلاء الشيوخ تمحوه كرور الأيام لأنه لا ثبات له وهل لغير العلم
 ثبات ؟ الأمم الإسلامية يجب تعليمها وترقية عقولها ونشر التعليم والثقافة العامة فيها . ليسكن التعليم اجبارياً في
 جميع الأديان ليتعلم الرجال والنساء

هذا هو المهدي . فأما إني أؤمن ببلان انه المهدي ومتى ذهب ذهب ذلك الايمان (كما فعل المؤمنون
 فأبطل اسم المهدي ونسخ تعاليمه وقتل الشيوخ) فان الدولة تدمحل وتذهب كما رأيت في دولة الموحدين
 لا لا أيها المسلمون : - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - قال موسى ماجئهم به
 السحرة إن الله سيبطلهن إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

تذكر أيها النكبي ما جاء في (سورة طه) وأن بني اسرائيل لما رأوا العصا قلبت حية آمنوا وهم في مصر
 ثم لما خرجوا منها ومردوا على قوم يعكفون على أصنام لهم - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال
 إنكم قوم تجهلون - ولما رأوا عجن السامري المصنوع من الذهب - قالوا هذا إلهكم وإله موسى - فهذا
 الايمان المشوّم الذي لا يرجع إلى تمام العلم يكون عرضة للقلب فان من رأى عصا انقلب حية لحري أن
 يكفر اذا رأى مجلاله خوار مصنوعاً من ذهب فانه أجهل وأبهي وأعظم هيئة من الحية

وهل وردت تلك القصص في القرآن إلا لهذه النتائج . ألم يقل الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم - وهو القائل - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة
 مبصرة فظاهاوا بها ومانرسل بالآيات إلا تخويفاً - والآيات المذكورة هي خوارق العادات . إذن القرآن في
 ناحية وجهور المسلمين في ناحية . القرآن يدعو إلى التعقل والعلم وتعليم الناس . واذا كنت قد خلقت في
 الزم الميتة دوداً وساطت على الأحياء منها الاسود والنمور الخ رجمة مني وعدلاً وحكمة أفلا أخلق في رمم الأحياء
 باطنند وبلاد الاسلام ما يشبه هذا الدود ويشبه الاسود والفهود والنمور من رجال الدين ومن الأمم المستعمرين
 أولاترون أني أخلق العنكبوت تنصب الخيام لاصطياد الذباب . أفلا أفعل كذلك في الانسان الذي أشبه الذباب

فأسلط عليه عنكبوت الشيوخ والبراهمة والديالين . هذا فعلى وأنا الحكم العدل . أتم أيها الناس جميعا اليوم في حال تشبه حال الأطفال من حيث مجونكم والأطفال لا يستمعون غالبا لما يقفه البالغون . ملأت أرضكم بالأصنام وبالخرافات لأنكم لا تعقلون سواها . ثم أرسلت رسلا وآخرهم خاتم الأنبياء ﷺ فسرت دعوته في الأرض ووصلت الهند وفيها نحو خمسين مليوناً من المسلمين وهم أرقى الجميع . وهذا العدد لم يسلم إلا بعد حروب دامت قرونا وقرونا . ثم مضت فترة ولم يقدر المسلمون على إزالة الأذى عن عباد البقر والأصنام هناك فأرسلت دول أوروبا فأخذوا يمنعون بعض تلك العادات تيمنا لما فعل المسلمون قبلهم . وكل ذلك اليوم تهديد للزمان المقبل القريب إذ يظهر الجيل الجديد من المسلمين لآسيا قراء هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يرون أن الناس جميعا اخوانهم وانهم خلفاء الله في أرضه . فهؤلاء هم الذين يرقون الانسانية كلها بعلمهم وحكمهم وامتناعهم بالأمر وهناك يراون الخرافات أولا من بلاد الاسلام وثانيا من بلاد غير المسلمين من أهل الهند وغيرهم . هنالك يفهم المسلمون معنى قولى في القرآن - كنتم خيرا مة أخرجت للناس - وقولى - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - وقولى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

هنالك يفهم الناس لماذا ذم الله التقليد في هذه الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها ومافوائد الهدى والعلم والاستبصار

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : والله لقد شفيت ما في نفسى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم الأربعاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

(جمال العلم وبهجة الحكمة)

(في ذم التقليد)

أيها المسلمون : اننى بينا أنا أكتب هذا الموضوع يوم الاثنين (١١) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وقد اختمرت هذه الفكرة في نفسى طلع «الاهرام» وفي صدره هذه المقالة الآتية من بلاد الهند فأدهشنى صدر هذا القول اليوم وفكرت في أمر الاسلام وأمة الاسلام وقلت إن هذه من المصادفات العجيبة . كيف يظهر اليوم هذا المقال وقد ظهرت فيه أحوال الهند المقسمين الى أربع طبقات وأن البراهمة أو هموهم أنهم نواب الله في الأرض وعاشوا عالة على الشعب وأن هذا هو أكبر سبب في خضوع الهند التي تعد بمئات الملايين الى عشرة آلاف من الانجليز . اللهم إن هذه المقالة سيتجلى بها هذا المقام حقاً وصدقاً ، كيف لا والبراهمة قد نبغوا في احتقار الشعب وادخال الغفلة عليه وبعض النصارى والمسلمين قد فسدوهم في ذلك الاحتقار ، فيالاهرام ، وبالله الشار

أيلق بخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وأتباع النبى ﷺ (ذلك الذى قال « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » والذى أمر بلالا أن يؤذن على الكعبة بمحضر من قریش والذى نزل عليه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ذلك النبى الذى منع الاستئثار ونبذ كل خوارق العادات وحكم عليها بأنها كهانة ، وجاء بالانصاف والعدل ، وأتى بمدينة تختقر بجانبها مدينة بعض الاوربيين ، أولئك الذين يحقرون أن يكونوا مع السودانيين في مكان واحد كقطعهم أو ملعب ، ذلك هو الذى سمعناه اليوم عن بلاد الانجليز) أن يكونوا كالبراهمة فيفسدوا عقول الشعوب الاسلامية بمهدويتهم أو بمشيختهم . كلا . والله لا يلقى

فهذا هو المقال الذى به نعرف معنى قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ووصفه ﷺ بأنه سراج منير وأنه خاتم الأنبياء ، فقد ضرب المدينيات القديمة ضربة زلزلت الأرض ولكن لا تزال الأمم في حاجة

الى ارشاد المسلمين الذين سيظهرون بعد ظهور أمثال هذا التفسير ، فالاسلام لا تزال أمامه مشاق وأعمال ملقاة على عاتق الأجيال المقبلة قراء أمثال هذا التفسير .

إن أكثر المسلمين يهوش على عقولهم قوم بطواغر أحوال أو بأخبار بالغيب صدقا أو كذبا أو بالتكشف والزهد ، كل ذلك أمره قد مضى في حال طفولية الأمم الإسلامية ، ولقد قلت لك أيها الذكي أن الأمم الإسلامية اليوم في القرن الرابع عشر قد أزف زمان باؤها بالسق وقد صارت كمن بلغ بالحلم والعلم ترى الحقائق في زماننا هذا وتخرج من حضنة أولئك الذين لا يرون لها سياسة إلا بالايهام وحجبهم عن الحقائق وإبعادهم عن سواء السبيل

أيها المسلمون : لا عطر بعد عروس . ولا عجباً بعد بوس . هذا كتاب التفسير والجواهر هاشوذا بين أيديكم فتسكروا فيه وقلبوا صحائفه وسيظهر جيل جديد سائر على منواله . فويل لمن تركوا مواهبهم وعقولهم واتكوا على شيخ من غير تعليم . وويل ثم ويل لمن نسوا نعم الله عليهم بالعقل والحواس والنعم الجليلة ثم انتظروا محيى المهدي ليهدي أبناء أبنائهم وهم لا يهتدون كأن الله عز وجل ليس هاديا للناس الآن مع أن من أسماه تعالى (الهادي) وكان النبي ﷺ ليس من أسمائه الهادي . الله جعل الهدى في الأرض في كل زمان ومكان ولا يحجبه إلا التقليد الذي ذمه الله في هذه الآيات إذ يقف المستضعفون أمام المستكبرين ويقولون لهم أأنتم سبب جهلنا فيقول المستكبرون . كلا . بل أنتم قوم مجرمون أي لأنكم لو كانت لكم عقول ما أطعتمونا وكيف تركتم مواهبكم وعقولكم

اللهم إنا نحمدك على ظهور حقائق القرآن في التاريخ الذي جعل نبراسا ونورا لمن بعدنا . فانظر أيها الذكي إلى أهل الأندلس كيف قصرت أنظارهم أيام على بن يوسف بن تاشفين إذ انهم بعد أن عصوا أعمال المرابطين لم يتفطنوا أن الفرنجة من خلفهم بل استقل كل بمملكته . لماذا هذا ؟ لأن العقول خدت بسبب الجهل . ثم انظر إليهم بعد أن طردوا الموحدين من بلادهم كما تقدم فأنهم تفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وذلك من نقص العلم والغفلة إما بالفسوق والاكتفاء بالشعر كما تقدم في ﴿سورة الشعراء﴾ . وأما بجمود القرائح بتعليم شيوخ يجعلونهم بالأمانى قانعين وعلى الرؤساء متكئين والله لا يهدي القوم الظالمين

إن الله قد أذن في هذا الزمان بظهور الحقائق ونشر الخجالات والصحف فسهلت على مؤلف هذا التفسير الأسي واستبان حقائق كثيرة كانت مطوية بالتفصيل عن أنظار الجمهور . فهذا المقال الذي سأذكره هنا عن الهنود يريكم أيها المسلمون مضار التقليد بأوضح سبيل وهذا عار على أمم الاسلام الذين بعدنا الدارسين العارفين . أما أكثر الأمم الإسلامية المتأخرة فإن شيوخهم فعلوا معهم بعض فعل البراهمة مع الهنود وكان من حقهم أن يكونوا مرشدي جميع الأمم لأنهم هم يتبعون الشهوات كأولئك البراهمة القدماء والخالين . فهاك نص المقال المذكور

﴿ حديث الهند ﴾

(من عرف العلة في جسم غيره دفع شرها عن جسمه)

مصر مع العالم تنظر الى الهند وتصفى باسمائها لشكواها . ومصر دون العالم تهتم بأمر الهند لان شأن تلك البلاد شأنها ولأنها تشاركنا بالامنا كما تشاركنا بالامها . ونتمنى خلاصها كما هي تمنى خلاصنا واذا قلنا الهندة قد أردنا الهند المفكرة الناهضة . ولكن هاهي الهند ؟ أهى كصراثة واحدة بلغة واحدة وعصر واحد بجو واحد وتقاليده واحدة وآداب واحدة ؟ وهل هي تحيا حياة ديموقراطية كصمر لا يفضل فيها المصري المصري الا بعمله وبما يقدمه لوطنه ؟ لا . انها ليست مثانا ولا نحن مثلها فهاهي الهند اذن ؟ وماهي أدواؤها اندفع شر

تلك الأدواء عن أنفسنا إذا نحن أحسننا بها. إن أصدق الجواب على هذا السؤال هو بالآرقام. فلهذا أتينا أسماها
 الاغريق باسم أحد أهلها ليندركمادتهم في التسمية إذا كانت شلوا من القارة الآسيوية فهي تسكد تسكون
 ينساق من الماء من جهات البحار والجبال الشاهقة بعدا حتى لا تجاز من جهات البر. مساحتها
 ٤٩٢٤٥٥٩ كيلو مترا مربعا يسكنها ٣١٩ مليون منهم ٢٤٧ مليون هم المستعمرة الانكليزية والآخرون ١٢
 ابارة خاضعة للانكليز وهذا المجموع من الأهالي مؤلف من ٢٠ عنصرا وهم بتكامون ٢٢٢ لغة أولوية وليس
 لهذا المجموع لغة عامة ولغاتهم ٥٠ نوعا من الكتابة ولكل كتابة من ٢٠٠ حرف الى ٢٥٠ حرفا كذلك تعدد
 أديانها. وجو بلادهم يختلف باختلاف المناطق ففي مقربة من السواحل يهبط مستوى الأرض الى ٢٠٠ متر
 فوق سطح البحر فيكون الجو محرقا بدرجة ٤٧ بميزان ستيفن في أعلى القمم على ارتفاع ٨٨٩٠ مترا يجدد
 البرد السم بالعروق. جميع الفاتحين الكبار غزوا تلك البلاد وملكوها من سيزوستريس الفرعون المصري
 الى الاسكندر المقدوني الى غزاة التبت الاربين الذين ملكوا ناصية تلك البلاد وأسماها أهلها بالبار بين
 النجسين ثم تفرقوا بعد ذلك قبائل وصلت الى أوروبا وملكها والى العرب الى الهولنديين والبرتغاليين
 الذين فتح قائدهم البحري فاسكودي غالبا طريقها سنة ١٤٩٨ الى الفرنسيين الى الانكليز الذين تملكوا
 ناصيتها من الفرنسيين واتخذوها مزرعة لشركة من شركاتهم الى أن ابتاعها حكومتهم من تلك الشركة في سنة
 ١٨٣٣ وأخذت بتوسيع حدودها. وظلت حتى الآن لتلك الدول التي تقدمت انكسار أملاك وجزر في جوانها
 والانكليز يستعمرونها للرزق والتجارة لان مبادلاتها التجارية من الصادر والوارد لا تقل في السنة عن
 ٥٠٠ مليون جنيه وكل استعمار للرزق ولرخاء العيش. وأقدر الدول على الاستعمار من قن رزقها في وطنها
 ولا يتعب الانكليز كثيرا في حكمها وجيشهم بأحصاء ١٩٣٦ لا يزيد فيها على ستين ألفا. وكبار الموظفين على
 ٣٤٣٣ موظفا ورجال البوليس منهم على أربعة آلاف كما أن عدد الأورو بين وأكثرتهم من الانكليز لا يزيد
 على ٢٠ ألف فهل من المنقول أن يحكم هذا العدد القليل مثل ذلك العالم الضخم؟ إن الجواب على ذلك يجده
 الباحث في حياتهم الاجتماعية والادبية. فالسالمون وهم أرق العناصر كانوا عضدا للدولة الحاكمة وهم خمسة
 مليون لان حكم التفريق كان سائدا بينهم ثم الجهل الذي ترك فيه الأهالي ولا يزيد الآن عدد الذين يعرفون
 القراءة على ٨ بالمئة. ولأنهم يقسمون الأمة الى طبقات بحكم شرائعهم القديمة. فالطبقة العليا هي طبقة البراهمة
 ثواب «الاله الأرضي» في خلقه. وهم فوق الجميع. ثم طبقة الكشانياس أي المجاهدين والمقاتلة ثم طبقة
 الغاشياس أي الفلاحين والزراع. ثم الطبقة الأخيرة الفقيرة النجسة وهي السودا التي خلقها الله لخدمة
 الآخرين. وعند البراهمة نص في شريعة «بها كافلا» بان من قتل برهانا تحول له الى حشرة من حشرات
 الاقنار الى أن يولد ثانية بعد موته فيأتي من عنصر باريا أي السودا ويظل أعشى بعد شعر البقرة من السنين
 ولا يغفر له ذنبه الا اذا أطمع. ٥٠ ألف برهاني أما اذا قتل أحد البراهمة واحدا من السودا فيكفي للفران ان
 يرتل الفويالي وهي من أناشيدهم المقدسة ليظهر. فانظر الى قيمة هذا وذاك في شريعتهم المقدسة ثم اسأل
 أين المساواة؟ البرهمة من آفة الهنود منذ عهد بعيد لا يقل عن ستة آلاف سنة. كان العلم محصورا بهم دون
 سواهم قبل دخول الغزاة بلادهم لذلك زادوا على الكتب المقدسة ما يعزز نفوذهم وبوصفهم وكلاء «اله
 الأرض» وجد البغاء المقدس في الهياكل لاجلهم. وحكم على الناس أن يقدموا لهم جميع حاجاتهم دون أن
 يقوموا بعمل فاذا ولد الطفل الهندي أعطوا الجعفل واذا بلغ اليوم السادس عشر من عمره أعطوا الاتاة
 ليظهره من رجس الولادة واذا بلغ الشهر الثالث أعطوا الاجزاقص شجره. واذا بلغ الطفل الشهر السادس
 أعطى البرهانا الأجر عن فطامه. كذلك اذا أتم السنة. ومن السنة الواحدة الى السنة السادسة عشر وهي
 سن الزواج يعقد البرهانا الزواج مقابل الأجر وكذلك في حالة الموت واحتراق الجثة ووضع الرماد بالحق وفي كل

شهر من السنة الاولى بعد الوفاة يقدم للبرهانة كل ماهوعز يز على الميت على اعتقاد أنه يتبع به في آخرته وفي كل حفلة من هذه الحفلات يساقون أقدام البرهانة ويشربون ماء النخل . تلك طبقة ليست عاطلة فقط بل كالمعلق تتنفس دم الامة وتقبل جميعها ونفوسها لما ابتدعتها من الاحكام والشرائع . كذلك تقديس البقر حتى انه لا يموت منهم ميت الا اذا هو أمساك بذيل بقرة من تلك الأبقار المقدسة . وهم في الصحة والمرضى يلتقطون رؤسها وبولها ويمزجونه بلبنها ويضعونه في أحقاد ليؤكل ويشرب فيشفي من كل داء ويدخل الأكل والشرب الى الجنة وقد بلغ عدد البقر في سنة ١٩٢٠ مليوناً ١٤٦ ألف بقرة وبلغت النفقة عليها ١١٧٦٠٠٠٠ جنيه أي أربعة أضعاف غلة الأرض ومن هذه الأبقار ٧٠ ألف بقرة لا يجوز الاقتطاع بلبعها وعظمها وجملها . وفي كل سنة تقوم المعارك بين المسلمين والهندوسيين من أجل ذبح البقر والذين يزورون الهند قد يشاهدون تلك الأبقار المحترمة المقدسة والناس يتراكمون لالتقاط بولها بأرجعيتهم . بل ذلك في زعزعة رقي تلك الامة ما يؤخذ أيضا من احصاء ١٩٢٠ أن عدد الشجاذين والسجلين خمسة ملايين و ٨٠٠ ألف وعدد الراو يش والاولياء ٤٥٢١٧٤ شخصاً فأى جسم يتحمل مثل هذا العلق ويظل قويا ؟ الهندو يقدسون الزواج والاطفال يصلحون له عندهم من سن الواحدة فصاعداً فاذا أتم الطفلاق فعل الزواج قبل البلوغ قدمت الهدايا لوكلاء الاله الأرضي أي البرهمان . وإلهم سيفاً يصورونه في كل مكان بصورة أحد أعضاء التناسل وإلهم فيشو بصورة فعل الزواج . فلما قرر مؤتمر جنيف في سنة ١٩٢٣ أن تحرم الدول نشر الصور المغيرة للأدب وأن تنص قوانينها بالعقاب الشديد قابل مسلمو الهند هذا القرار بالارتياح بل بالفرح والسرور وقابله الهندو بالسخط والغضب فنص في القانون الذي يحرم نشر الصور القذرة على اشتراط مخالفة الدين وسن قانون الزواج بعد ذلك على أن يكون سن الشابين بين العاشرة والثانية عشرة ونادى غاندى بهذا الإصلاح ولم يكتب به وأعان ناغور شامره حوياً على هذا القانون الذي عده فوزاً للأداة على الروح وأصر على تزويج الاثنى قبل أن تصير بالهة بحجة أن الاثنى في هذه الحالة لا تعرف أنها أنثى الا وهي متزوجة . أما حجة غاندى فسكثرة الوفيات وضعف النسل وشيخوخة الرجال وهم في الخامسة والعشرين وربعهن النساء في سن الشباب وكانت حرب شعواء وانتهت بان اقترح مجلسهم في سنة ٢٥ رفع سن الزواج الى ١٤ سنة ودل الاحصاء على أن البنات اللاتي يمتن في سن الطفولة بسبب الزواج يبلغ متوسط عددن في السنة ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف وقد عرف الناس أنهم رفعوا السن في تشرع هذا العام الى ١٦ سنة أما الارامل وعددن في الهند ثلاثون مليوناً فلا يمكن أن يتصور الانسان على ما وصف داسر وغاندى والمس مايو الأميركية حالاً أسوأ من حالن مرضاً وسقماً وضعفاً . فللراة اذا مات زوجها كانت تحرق نفسها على قبره أرهم بحرقونها الى أن تبطل الانجليز ذلك بعد جهد جهيد . أما اليوم فانها تخلق شعر رأسها ولا تطعم الا العيش اليابس مرة في اليوم ولا تتخاطب الا بعبارات التحقير والازدراء ولا تقابل أحداً وقد نادى غاندى بالهنديات الرقيقات لينشرن الدعوة لزواج الأرمل ولا كرامهن وكانت فكرة هذه الجمعية موجودة منذ سنة ١٨٩١ ولكنهم لم يفعلوا حتى الآن كما أنهم لم يفعلوا بإبطال البغاء المقدس وهو أن يقدم الرجل بنته وهي طفلة للاله فيتوم وكيل الاله الأرضي مقامه وهكذا تصير الفتاة بغياً مقدسة لمن يدخلون الهيكل . وفي معبد كالي ألهة الدم المسماة كالكونا باسمها . ألوف منهن . ومن أسباب انحطاط الهند طبقة السودرا أي الطبقة النجسة وعددها ٦٠ مليوناً فهم في نظر الطبقات الأخرى الثلاث دون الناس فلا يجوز لهم دخول المدارس ولا دخول اهلها كل ولا المحاكم ولا الخازن ولا المستشفيات حتى انه لايجوز لهم امتياز المياه من الآبار العمومية وفي بعض الجهات لايجوز لهم السير بالطرقات العمومية واذا وقع ظل واحد منهم على شئ أو على انسان نجسه واذا وقع على مأكل أو مشرب حرم أكله وشربه . واذا رأى أحدهم برهماً مقبلاً وجب عليه الابتعاد عن طريقه نحو مثنى متر على الأقل . كما انه يجب عليه الابتعاد عن الطبقات الأخرى نحو ٣٠ متراً ولم يتعرض الانكليز

لهذه الحالة احتراماً لاسر ملكتهم في ٣ ديسمبر ١٨٥٨ بالابتزاز أى الانكاز لاحكام الدين والعتاق وهؤلاء
 التعساء يعتقدون أن ذلك حكم الله عليهم . ولكن غاندى هب للدفاع عنهم بحجة أن الدين لم يحرم ربح هذه
 الطبقة الى مضاف الطبقات الأخرى فمن الواجب أن ترفع اليها فسقوا في بمباى مستورا ضحفا لتجارة هذا المبدأ
 ولما صدر القرار في مارس بان يكون تعليم الهندوس جميعا اجباريا خصصوا ٦٩ كتابا لاولاد هؤلاء النجسين
 وعينوا ٨١٥٧ مكتبا للآخرين وفي سنة ١٩٣٦ أصدر مجلس الشورى بمبباى قرارا بقبول أطفالهم بالمدراس
 وبالسماح لهم بتناول الماء من الآبار العمومية ولما أوفدت السلطات المستر وونتاغو الى الهند في سنة ١٩١٧
 ليسأل الهندوس عما يريدون لبلادهم جاءه أناس من هذه الطبقة وقد تنورت أذهانهم من الاحتكاك بالاجانب
 وقالوا انهم يرفضون الحكم الذاتي لانه لا يصحكون الا أداة لتسليم الخندق للشعبان ولما نزل الى عند انجائرا في
 بمبباى سنة ١٩٢١ وذاع غاندى رسالة قال فيها ان هذه الزيادة اذانة للهند واحترار أدب الناس عن مقابلة
 الأمير وسادت الاضطرابات في شوارع تلك المدينة مدة أربعة أيام قتل ٥٠ وجرح ٤٠٠ . ولكن لما أراد الأمير
 السفر من بمبباى الى دلهي ركب من القصر الى المحطة وهي تبعد ثلاثة كيلو مترات فاجتمع ألوف الألوف على
 طريقه بحبونه وسبقه ألوف الى دلهي للفرض ذاته وكان هؤلاء جميعا من طبقة السود لانهم يحبون رجلا قويا
 وكل قوي إله وهكذا جعلهم جماعة منهم على تحية ذلك الأمير فبذل رأى القارئ ما هي الأمراض الاجتماعية
 التي تجتاح ٣١٩ مليون انسان خاضعين خائفين لستين ألفا وهم هم الذين كان من أبنائهم ٩٨٥ ألفا في ميادين
 القتال للدفاع عن الامبراطورية فظهروا في ذلك الدفاع أبطالاً أشداء تلك أمراضهم ومن عرف مرض سراد وفي
 نفسه واذا أردنا وصفا للهند جامعا وجدنا هذا الوصف الجامع بين شقي قلم غوستاف لبيون القائل : ان الهند
 حلقات أولها مع أول عهد الانسانية وآخرها مع آخر مرحلة وصلت اليها المدنية . فهي سجل صادق لتاريخ
 الانسانية وأديانها . وتقاليدها وأطوارها وضعفها وقوتها وتدينها ورقبها اه

عاده صورة أهل الهند قد وضحت الآن في هذه المقالة وظهرت حقائق يترق لمعرفتها العتلاء في الاسلام .
 ولقد تقدم في هذا التفسير ما فعله (ابن الصباح) في قلعة الموت وكيف تعلم تلاميذه شرب الخشيش فصاروا
 حشاشين وخيل لهم أن الجنة تحت أقدام رؤسائهم . وهكذا ما فعله كثير من رؤساء الصوفية . وكيف كان
 التدليس في أمم الاسلام . ألا انما مثل هذه الأمم كمثل نوع من الطير يعيش في بعض الفصول في بحيرات
 مصر بالوجه البحري وسياسته هكذا : ينام الطير ليلا ويحرسه أربعة طيور من الجهات الأربعة والمقدم هو
 الرئيس وهذه الطيور النائمة لا تطير إلا بأمر ذلك الرئيس اذا صرخ عليهم . وقد اعتاد الصيادون أن يقتلوا
 ذلك الرئيس بطريقة وهي أن يلبس الرجل على رأسه ما يشبه وجه هذا الطائر ومنقاره وهو مختلف وراء تلك
 الصورة وتعم هذه الصورة على وجه الماء فيظن الطير أن هذا من جنسه حتى اذا وصل الى ذلك الرئيس جره
 من رجليه تحت الماء فقتله . فاذا أحس بذلك أحد القواد في اليمين واليسار والخلف من الحراس الأربعة
 أسرع وصار رئيسا بدله . وعليه يأتي الصيادون أربعة رجال فيقتلون هؤلاء الأربعة مرة واحدة وتبقى تلك
 الطيور بلا قائد ، ثم يأتون الى أرجل تلك الطيور النائمة فيكسرونها تحت الماء حتى لا تطير

هذا فعل الصيادين في بحيراتنا كبحيرة المنزلة مع ذلك الطائر ، وهذا العمل عينه هو الذي حصل في تلك
 الأمم الاسلامية المحكومة برجال أناموا عيونهم وأقنأوا قلوبهم

ألم ترالى ما فعله المرابطون إذ أحرقوا كتب الغزالي واقتص له محمد بن تومرت . ألم ترالى الموحدين في
 آخر دولتهم لما حرموا الفلسفة وأهانوا ابن رشد كما تقدم في غضون هذا التفسير وبعد ذلك لم تقم للعلم قائمة
 حتى أوائل هذا الزمان

ولقد أذن الله عز وجل بالاقبال والعز والنصر للمبين ، لقد نصر الله أمم الاسلام ، والدليل على ذلك نشر

هذا التفسير ، فأننا والحمد لله نكتب فيه آراء الأمم قديما وحديثا ولم نضع حكمة قلت أوجلت مما تفنخر به الأمم قديما وحديثا إلا أدرجناه فيه ومع ذلك قبله المسلمون جميعا في أقطار الأرض إلا طوائف ضئيلة لا يعتد بهم ، وإنى أقول بأعلى صوتي : إن المسلمين في هذا القرن الرابع عشر قد صاروا أشبه بغلام بلغ بالحلم . ذلك لأن الحروب والحوادث المريعة في الشرق والغرب أيقظتهم وإن لم يبلغوا القرن الخامس عشر الذي اعتبرناه السنة الخامسة عشرة بخير بأن تسمى هذه الأمة قد بلغت الحلم والله أذن لها بالارتقاء والسعادة والحمد لله رب العالمين . كتب مساء يوم الثلاثاء ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩

﴿ نور على نور ﴾

﴿ الكلام على البراهمة ﴾

تفسيرا لقوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ
التي تحض على التفكير ونبذ التقليد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضر صاحبى اليوم (الأربعاء) بعد الظهر (١٣) نوفمبر سنة ١٩٢٩ واطلع على ما كتبت وأخذ يقرأ طوائف البراهمة والظلم والخرافات . فقال : إن هذا التفسير قد عودنا أن يبحث في الشبه التي تعرض لنا في أثناء المباحث العلمية ، وماهى ذه الشبه ترى عند قراءة مقال البراهمة ، ذلك المقال الممتع فأقول : إن قراءتى لأكثر هذا التفسير قد جعلتني لا أرى طائرا ولا حشرة ولا غزالة ولا كوكبا ولا شمسا ولا قرا إلا تمثل أمامي كأنه حكمة مجسمة وقبسة نورية وبهجة للأبصار ينظر الإنسان فيرى الحشرات الطائرات مملوءة بحكمة مزدانة بالأتقان . أليس من أعجب العجب أن يمر في هذا التفسير نقلا عن علماء الأمم في الأرض بالانكسار أن للذباب أربعة آلاف عين كل عين منها مستقلة . ألم يتقدم في ﴿سورة النمل﴾ أن للنملة خمسة أعين منها عينا من كبتان كل عين منهما مركبة من نحو مائتي عين . فيا ليت شعري ماهي النملة ؟ وماهى عينها ؟ وما هى الذبابة ؟ وماهى عينها ؟ وما هذه الحسكة البديعة الجميلة الكثيرة التي لا حصر لها في مخلوقات منبذات قدرات محقورات ، وما هذه العناية بها حتى سمعنا الله في القرآن يقول - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - ثم أعقب ذلك بما يفيد أن الناس ﴿قسمان﴾ قسم يعلم أن هذا حق ، وقسم جاهل مستهزئ . وأيضا سمعناه سبحانه وأعالى يسمى سورا بأسماء الحشرات من نمل ونحل وعنكبوت هذه عناية الحكمة الإلهية بأفقر المخلوقات وأحق الحشرات فكيف عمت رحمة هذه المخلوقات كلها ثم هو نفسه سبحانه يدع أمما من نوع الإنسان في الضلال والوالب والخسار والجهالة العمياء . وإذا منح الذبابة أربعة آلاف عين باصرة قد ثبتت فعلا ورؤيت بالمنظار المعظم بشهادة جميع العلماء في الأرض ، أفليس من رجه أن يمنح أمثال هؤلاء الحنود قوى عقلية ترفعهم عن هذه الجهالة والذلل والخمران وضلال العقول الذي أورثهم ذل الأبد وضياع البلد والخزي المين

فقلت : حياك الله . لقد أجدت في إيراد هذا السؤال وحسن منك انك أوردته لأنك فتحت لي بابا واسعا من الحكمة لولا سؤالك لم يخطر بنفسى معناه ، إن الله فعل مع هؤلاء الحنود من الرحمة أكثر مما منح تلك الحشرات وأعطى كل ذى فضل فضله . فقال أريد الايضاح . فقلت : إن الله بهذه الأحوال الهندية كأنه يخاطب الناس قاطبة يقول : « أى عبادى ، أنا حكم عدل في الدنيا والآخرة ، فهل أخرجت الشمس ثانية واحدة عن موعداها ؟ أم سيرت القمر في غير طريقه ؟ أم أخلت بأى جسم من الأجسام السماوية ؟ هل نسيت حقيرا لحقارته ، أم حاييت عظيما في نظركم لعظمته ، أما ماتظنون مما يشبه الجور منى في هذه الأمم

الإنسانية فذلك ليس جوراً مني وإنما هي الحجب أسدلت على عقولكم كثيركم في ظنهموها ، وذهلت الذنوب غشت على أفئدة أكثركم فلم تقولوا ما نحن بأهل الهدى وبغيرهم من الغفون .

« أيها الناس : أنا لأعطي ولا أمتنع إلا بحق فلست أعط الأطفال علم العلماء ولا أمتنع مستعق الحكمة علم الحكماء ، والناس في الأرض ليسوا على شاكاة واحدة بل هم طوائف وفرادى وأصناف لكل طائفة شأن يغنيها وحال ترواها ، إن هذه المادة قد قبلت الصلابة والسيولة والذلال والغزبية كاليد والماء والهواء فلم أبخل عليها بجميع هذه الأحوال هكذا الحيوان اختلفت أجناسه وأنواعه وأصنافه ، فله بنة ومنه فيل ومنه سيران ذرئ لا ترونه بأعينكم ومنه جل كبير ، أنا واسع ، أنا حكيم ، وكل طائفة من هذه الحيوانات سعيدة بما لها فرحة بحياتها شاكرة لخالقها فتكون الخواص كلها خواص لي ، فهل من العدل أن أوسع نطاق الحيوان والمعادن والنبات والجمادات ثم أعهد إلى أرقى سيران وهو الإنسان فأجبه له في دواخيقه . كلا . أنا واسع . أنا حكيم . تتعجبون أيها الناس من قوم عبدوا البقر وهذا البقر يطوف عليهم آباء الليل وأطراف النهار . تتعجبون أنهم تركوها في سبلهم وحقوقهم ترتع وتأكل ما تريد . تتعجبون من ذلك كله وتقولون أيضاً إن البراهمة استحوذوا على عقول القوم وغشوا على أبصارهم واستعبدوا (٩٠) مليوناً وحقوقهم وعدوهم في الأذنين وهم الفريق الرابع . كلا . لا ظلم اليوم ولا ظلم في الخواص كلها من حيث النظام العام ، هؤلاء أناس استعبدواهم بديانتهم وأخلاقهم وتركيب عقولهم لا يسع أكثر من هذا ، نظرت إلى تركيب عقولهم وإلى نظام أمورهم فوجدتهم لم يتجاوزوا المحسوسات وهذا لا عيب فيه ولا ظلم ، ألم أخلق في البراري والغفار ما لا يحصى من الحيوان . ألم أخلق في الغابات في خط الاستواء طوائف من الحيوانات والطيور ولكل منها مكان خاص إما في أسفل الشجرات وإما في أواسطها وإما في أعلاها ، وكل سعيد في مكانه ، مقيم في بيته ، راض عن ربه ، فهكذا من نوع الإنسان طوائف ارتقاوا عن الحيوان ولسكنهم لم يسألوا منتهى الكمال وأحبوا القرب مني ، ولكني أنا لست كخاؤفي . وإذا كنتم أنتم لا ترون الهواء ولا السكر به فكيف ترونني أفن رحمتي إذن أن أقيض لهم أناساً يضربون لهم الأمثال الجسمة إما بالأصنام وإما بالحيوان ومنه هذا البقر . فإذا رأيتم البقر يطوف عليهم ليلاً ونهاراً وهم يعظمونه فما هذه إلا أصنام متحركة . بمنظارها يتخضعون لما يتوهمون فيها من القوة القدسية فيعبدونهم بما بسلام وأمان لأنهم يتذكرون الحلال والحرام في نظركم بالأصنام في المدن والبقر في الحقول والسبل . أصنام متحركة اخترعوها وعجول سائبة نظموها . فهؤلاء ليس في طاعتهم ولا في إمكانهم أن يفكروا في جلال شمس وغري وكواكب ولا في تركيب نفوسهم تفكيراً جدياً ويعرفوا بذلك مقدار عظمتي فأعطاهم رؤسائهم تلك الصور والأشكال لتكون تذكرة لهم كما قلت لكم في القرآن حاكياً من الكفار ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... وإذا كنت أنا قد سلطت الذباب على قفري العيون وممسحني الأجسام وأرسلت طوائف المسكروبات (الحيوانات الذرية) على ضيعتي الأجسام ليفارقوا الحياة في هذه الأرض رحمة بهم ، وخلقت الدود وسلطته على أجسام الناس في قبورهم فذلك لأني حكيم أضع الأشياء مواضعها ولا أعطل موجوداً ، وكيف أسطل الأجسام الميتة وهي جديرة أن تكون قوتاً لأمة من أمة الحيوان ، وتنبئ المنافع الخلال بحكمة الوجود ، فهكذا إذا ضلت أمة من أمة الإنسان على مقتضى سنن الكون وأخذت تقترب من أخلاق الحيوان فأنا أعطيها ما يشبه العلم رحمة بها ويكون ذلك أشبه بالأواء انقاسد بعيش فيه الناس والحيوان إذا لم يكن سواء وهواء فاسد خير من الاختناق والموت السريع بسدم الهواء وبعض الأتراهون من بعض وليس في طائفة أرضكم وعوالمها بحسب النظام أن تكون على غير هذا النظام ، ألم تروا يا معشر المسلمين أنكم في حال جهالتكم (كان ذلك منذ خمسين سنة وأنا مجاور بالجامع الأزهر وسكنت في قريتنا كفر موسى الله حجازي شرقية وشاهدته بنفسي) إذا قل العلم وكثير الجهل تفعلون فعل الطغاة مع أنكم مسلمون وأنتم بذلك

فرحون ، ألم تعينوا عجولا من البقر ومن الجاموس وتطلقوها في الحقول والفيضان باسم ولي من أوليائى عندكم (ذلك كان فعلا في بلادنا فيقولون هذا البقر لمسيد البدوى وهذا النرب) وهكذا فما كان الناس ليقدروا على طرد تلك الدواب من حقولهم خوفا من السيد ومن النرب بل الاصوص كذلك لا يتسرعون على سرقة تلك العجول لاخوفا منى بل خوفا من عبادى الميتين (وقد تنورت بلادنا اليوم بالعلم والفتنة تلك الأحوال) « يقولون أيها المسلمون إن البراهمة غشوا على عتول الهند ، أولستم قرون شيوخ الطرق والمشيخين بهم يفترون ويروجون في طول بلاد الاسلام وعرضها لشدة جهالة المسلمين وفيه العلم عندهم ، وهؤلاء الشيوخ أقم فقدقون النعم عليهم وتطلبون منهم الاء كأتى لنا أطلب منكم وسدناء بينى وبينكم مع ان النمل والنحل والذباب أنعمت عليهما بلا واسطة بينى وبينهن ، ألم تروا بأعينكم في جميع أقطار الاسلام في جهاتها (ذلك رأيت) بنفسى في قريننا أيضا منذ خمسين سنة) شيوخا معمدين يطوفون على منازلكم وينصبون حلقات الذكر وينفى مقبيهم وأتم تهطونهم (العادة) من أموالكم (وهذا اليوم قد ألتى إذ تورأهل بلىدى الآن) وإنما طاف عليكم هؤلاء لأنكم لما حرمتهم من العلم سخرت لكم قوما يعطونكم ما يشبه العلم من التخص الخرافية وجعلت هياتهم تدل على الصلاح لتعيشوا في بلادكم بسلام على قدر الامكان ، فإذا كان جهالة الشيوخ عندكم أيها المسلمون يأكلون من أموالكم ولا عمل لهم إلا هذا ، وإذا كان البراهمة يحقرون الشعب وينهون عقوله وليس لهم عمل إلا هذا ويعيشون من أموال صريديهم فذلك ان هؤلاء الشيوخ وهؤلاء البراهمة أشبه بالحكام الظالمين الذين أسلمهم على الأمم المجرمة فيكون نفعهم أكثر من ضررهم في الحياة الدنيا لئلا يقتل بعضهم بعضا إذا لم يكن لهم حاكمون ، قوم جهلاء لم يستعدوا للعلم فلتسكن لهم صورة الصلاح يرزنها بأعينهم وليأخذ أولئك الشيوخ من أموالهم ليرزؤهم عسى أن يفكر مفكر فيخرجهم من الجهالة الى مرتبة العلماء ، هذا هو نظامكم في الدنيا أيها الناس

« أما نظام الأرواح ومراتبها بعد الموت فأمره عنكم مستور ، ولكنى أقول أيها الناس : إن الأعلى هنا أعلى هناك ، إني خلقت (حشرة الأرض) ذات المملكة الواسعة وهى عمياء ، أفلا أخلق انسانا أرق منها بما لاحذله وأضعه في مرتبة بعد الموت لا يستحق سواها ، فان كان أعلى البصيرة هنا أهميتها له هناك ، وان كان مفكرا هنا جعائه مفكرا هناك . إذن لاظم اليوم . أنا خلقت النمل وخلقت الأرض وما قالت إحداهما لماذا لم تخلقنى كالأخرى بل كل يسعمل على شاكلة . هكذا أهل الهند الذين ضلوا ببقيرهم وأسمانهم وجهال المسلمين الذين اتكأوا على شيوخهم وأنباع (أغا مهنون) في الهند من الاسماعية الذين قتلوا رؤسهم . وكذلك رجال البهائية اليوم الذين انتشروا في الفرس وفي غيرها وأمريكا وأوروبا . وكذلك أنباع (غلام أحمد) بالهند وغيرها . هؤلاء وأمثالهم يقولون ان رئيس مذهبهم هو المسيح . وعزى وجلالى أن لم ينه المسلمون من التوائى والكسل لأسلطن عليهم أقل الرؤساء الحكاكين عدلا وأبسهل الوعاظ علما وهذا فى الحقيقة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون . أهل الهند معذبون بشيوخهم . معذبون ببقيرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون . والمسلمون معذبون بجهالة شيوخهم وبأساطيرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون »

فلما سمع صاحبى ذلك قل : لقد وفيت المقام حقه وأراح الله عز وجل بقولك خرافات أسدات على القول عجبا ولكن أرجو أن تبين هذا المقام (أولا) أن تفيض القول فى أمر الهند الذين خضعوا للبراهمة فتضرب مثالا أضمرهم من التقاليد (ثانيا) أن تبين لى نموذج من كتب أكابر المسلمين تدعو الى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة حتى يظهر لنا بامتاحتها انها لا تصالح لهذا الزمان ، ومتى فعلت ذلك انصرف المسلمون عن هذه الأحوال (ثالثا) أرجو أن تضرب مثالا تتعله بعض الأمم التى لم يقتلها التقليد فى زماننا حتى يوازن

المسلمون بين من قتلهم التقليد الجاهل وبين من أحيأهم العلم . فقلت : إذن ذلك (ثلاثة فصول : الفصل الأول) في بيان الضرر النعلى في بلاد الهند من سوء التقليد (الفصل الثانى) في نموذج من كتب منسوبة لبعض عظماء الاسلام تدل على الخرافة التى كانت متوارثة فيما بين الملوك ورجال الدين (الفصل الثالث) في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا . وهالك بيانها

(الفصل الأول)

(في بيان المضار الحاصلة في بلاد الهند في هذه الأيام بسبب سوء التقليد تفسيراً لهذه الآيات)

جاء في جريدة « الاهرام » بعنوان « رسالة الهند بالبريد الجوى » من مدراس بتاريخ (١٧) أكتوبر سنة ١٩٢٩ م ما نصه :

كانت الجمعية الهندية التشريعية في خلال الأسبوع منهمكة بمشروع اصلاح اجتماعى نال الشيء الكثير من اهتمام أعضاء الحكومة والزعماء الوطنيين وهذا المشروع هو من اقتراح رأى (هو بيلاس سردا) أحد الاعضاء الخصوصيين وهو عبارة عن مشروع قانون عقوبات على زواج الذكور قبل سن الثامنة عشرة والاناث قبل الرابعة عشرة وقد اجتاز هذا المشروع المصاعب الأولية بفوز ونجاح . وذهبت جميع مساعى المدافعين عن تقاليد المذهب الهندى وبعض المسلمين أدراج الرياح وتقرر النظر فى المشروع مادة مادة . ولا ريب أن مالم يههذا الموضوع من التأكد العظيم سيفتح العالم الخارجى أن الرأى العام فى الهند قد بدأ يثور على العادات القديمة وهذه علامة تبعث على الرجاء . ان الزواج فى الهند يكون عاما للنساء والرجال . فالهندوكيون يكررون فى الزواج أما عنصر البارسى فلا يتزوجون الا كبارا وهناك شيعة من الهندوكيين تجيز تعدد الزوجات وطائفة السكوليين من مذهب البراهمة يتزوجون أكثر من زوجة واحدة والمسلمون وان كانت ديانتهم تبيح زواج أربع نساء فانهم لا يتزوجون عادة أكثر من زوجة واحدة . ولا تزال عادة الزواج بالأسير شائعة فى طائفة الخول فى أواسط الهند . والهندوكيون يعتبرون الزواج سرا مقدسا والزوجة الهندوكية تعتبر شريكة مساوية لزوجها . ولا تزال سيدنا زوجة راما بطل لامايانا لدى الهندوكيين المثل الأعلى للزوجة وحسبنا أن نقبس هنا ما وصف به جنكا والديتيا ذلك الملك الحكيم ابنته عندما زفها الى عروسها البطل (السر راما) فجاء وصفه مطابقا لما بعده الهندوكيون المثل الأعلى للزوجة فى كل عصر وقد قال مخاطبا (السر راما) شعرا مؤداه : « هذه هى سيدنا ابنة جنكا التى هى أعز عليه من الحياة . وستكون من الآن فصاعدا شريكة فضيلتك أيها الأمير وزوجك الأمين . وستشاركك فى السراء والضراء فى كل بلاد . فأكرم مشراها وتلطف بها فى البهجة وفى الاخران وضع يدك فى يدها . ان الزوجة الامينة يجب أن تكون كالظن لزوجها لا تفارقه . وبنى سيدنا خير النساء ستبعتها فى الموت والحياة ان سراسيم الزواج فى الهند بدعيعة يفتقها الشئ من الأفراح والمسررات . والطلاق نادر عند الهندوكيين ولكنه شرعى جائز عند المسلمين . أما البارسيون سواء من المسيحيين أو البوذيين فقسمة المتزوجين منهم الى غير المتزوجين هى ٤٣٨ فى الألف من الذكور و ٤٩٧ فى الألف من الاناث . وتكاد تكون هذه النسبة ذاتها فى الطوائف الأخرى . والزواج المبكر شائع لدى بعض طوائف الهندوكيين والاقتران قبل سن العاشرة أكثر شيوعا فى باهار واوريسا وبمباى وأواسط الهند وحيدرآباد وهونادر جندا فى عسلم و بورما ولايات الحدود الشمالية الغربية والسند ولكنه على كل حال فاقصر على الطبقات الدنيا غير المثقفة . فكثيرا ما يتفق أن يقرن شيخ فان بفتاة فى ربيع العمر وهذا بنوع خاص عند الهندوكيين . فالوالد الذى يهب بنته لقاء قبضة من الذهب لشيخ بقية أيام حياته معدودة يكون عبارة أخرى قد ابتاع لها الترميل الأبدى وهو نوع من قتل الاطفال وأسوء الحظ لا ينهى عنه القانون الا فى ولاية ميسور الراقية حيث لا يجوز قانونا أن يقرن رجل فى الخمسين من العمر بفتاة دون الرابعة عشرة من عمرها وفى بارودا قانون يمنع زواج البنت دون الثانية عشرة من العمر والغلام دون

السادسة عشرة . وهذه الأعمار ليست طبعاً استوائياً ولكن بقية الولايات الهندية حتى الهند البريطانية لم تقتد بهاتين الولايتين الرافيتين اللتين يحكمهما أصراء متطورون احرار المبادئ من الهندوكيين ولم ينسج على منوالها عدة أسباب ، والذي زاد هذا النظام ضرراً هو ما يتبعه الهندوكيون في مسألة الأرمال لان مذهبهم لا يحيز زواج الأرملة وان كانت في زهرة صباها حتى ولو كان الزواج لم يعد عقداً خطبة . و يبلغ عدد النساء الأرمال في الهند ثلاثين مليوناً ومعنى ذلك أن بين كل مئة امرأة ١٩ أرملة مع ان نسبة الارامل في أور بالاتزيد على ٩ في المئة ولكن بينما لا يوجد بين أرمال أوربا سوى ٧ في المئة دون سن الأربعين من العمر يوجد بين أرمال الهند ٢٨ في المئة دون هذه السن وما يدعش قراءكم أن هناك ١٦٠٠٠ أرملة في الهند لا تتجاوز سنهن خمس سنوات وهناك نحو ألف أرملة لا يزيد سنهن على سنة واحدة . فالقضاء على هذه المخاوف البريئة أن تقضى العمر في الترميل مع ما فيه من الحرمان عند الهندوكيين سخافة جنائية

وقد اهتمت الطبقة المتعلمة أخيراً وبذات كل ما في وسعها لالغاء هذا النظام المتعلق بالأرمال . وتبذل الآن مساع عظيمة من عدة مصادر لتشجيع مشروع زواج الارامل الذي أبيع قبل الآن بفضل جهود المصلحين ومن مجموع أرمال الهند عشرون مليون أرملة من الهندوكيين فهذه المسألة وغيرها من المسائل الاجتماعية كزواج الاطفال والامومة المبكرة قد انتقدت أشد انتقاد ولاسيما من الكتاب الغربيين وأخص بالذكر منهم (المس مايو) الكاتبة الأمريكية الشهيرة التي صورت هذه المسائل تصويراً مجسماً وأفادت في وصف هولها وشاعتها وقد ذكرت في رسائلها الماضية الجهود التي يبذلها زعماء الهند لتحسين حالة المرأة الهندية . والحقيقة ترغمني على القول انه حتى نهار أمس كانت حكومة الهند أكبر حليف للرجعيين الذين يأبون اصلاح النظام الاجتماعي من جميع الطوائف . وبالرغم من هذا كله فان الحوادث سائرة سيراً سريعاً شطر الاصلاح وشعرت الحكومة بانها مرغمة لان تعين لجنة تمثل الهندوكيين والمسلمين للنظر في مشروع تحديد سن الزواج . وقد كان العضوان المسلمان في هذه اللجنة كلاهما من معارضي المشروع ولكن أحدهما وهو منان شاو وأخان رأى نفسه أخيراً مرغمًا بالأدلة الساطعة التي قدمت الى اللجنة على أن يغير اعتقاده فاعترف في الساعة الاخيرة إن زواج الاطفال المتبع حتى الآن يجب أن يحرم وتقرض على مارتكبيه العقوبات وإن معارضة المتمسكين بحرفية أصول المناهب يجب أن لا يأبه بها ثباتاً . وكانت سيادة هندية ضمن أعضاء هذه اللجنة . وقد أصدرت هذه اللجنة قرارها قبل انعقاد جلسة الجمعية التشريعية الحالية . وهما استوقف الانظار في أثناء التحقيق الذي كانت تقوم به اللجنة هو الزيادة الرأي العام الذي يؤيد فكرة وجوب تغيير مشروع قانون عقوبات زواج الاطفال واعتبار البغاء الخارج عن دائرة الزواج جريمة خطيرة قبل سن الثامنة عشرة وهي السن التي يمكن اعتبار المرأة فيها راشدة وان مارتكبه يكون برضاها . وفوق ذلك فان البعض طلبوا بالخالف أن يعتبر البغاء جنائية بصرف النظر عن سن المرأة . وقد أوصت اللجنة بوضع قانون يحدد النهاية الصغرى لسن زواج البنات ١٤ سنة وأوصت بأن يكون سن الرضا بدخول الزوج على عروسه ١٥ سنة . وأن يكون سن الرضا لصيانة البنت من اغواء شخص غير زوجها الشرعى ١٨ سنة وأن يعتبر دخول الزوج على عروسه قبلما تبلغ سن الخامسة عشرة جريمة تدعى سوء استعمال حقوق الزواج . وانه لما كان كل شئ يتوقف على سن البنت أوصت اللجنة بوجوب اتخاذ تدابير فعالة لتسجيل المواليد وتسجيل عقود الاقتران واصدار شهادات بالولادة والزواج . في جو مثل هذا عقدت الجمعية التشريعية جلستها أمس للنظر في مشروع قانون زواج الاطفال المعروف بمشروع سردا . انتهى الفصل الاول

(الفصل الثاني)

(في ذكر نموذج من نماذج الكتب الإسلامية التي تدور الى ما تبه بعض اشبه ما قوله البراهمة في الخلد)
 هاهنا ذا أسامي كتاب (سر العالمين) لأستاذي وأستاذ المسلمين جميعا (الإمام الفزائي) وهذا الكتاب
 يخالجي في نسبه اليه شكوك بل وجود لأن فيه ما يخالف طريقته ، ولكن الكتاب فيه آراء هي التي
 ظهرت في كل زمان ومكان بأمثل المذاهب كمن تومرت المتقدم ذكره وشيوخ الطارق ، الكتاب صنعة
 وافضة بها يتجلى للشبان بهدنا كيف كان رجال الصوفية ، وكيف كان الملوك يهتمون بالشعب ويخطمونده
 ويفعلون بهض ما ينفع البراهمة أيام أن كان أبوا في زمان طفولة الأمم الإسلامية فحجبوا عن العلم ، الكتاب كما
 يرجع الى جملة واحدة ذكرها العلامة (ابن المقفع) في كتاب (كيلة ودمنة) الذي ترجمه من الفارسية
 الى العربية وهي يجب أن تكون أحد رجلين ملكا عظيما أو ناسكا عابدا ، وهذه الآراء بانشارها في الاسلام
 أضلت الأمة ، فكل متعلم يتعالى على الشعب إما بالعظمة العلمية وإما بالنظمة الروحية والزهد . وهذه النظمة
 بأبها الاسلام . فالأمة كلها متعاونة وعلى كل أن يكون له عمل يواقي قدرته فتكون الأمة كجسم واحد . هذا
 ولأسمك شذرات من الكتاب تبين مقاصده . وهالك نفسها

قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الفزائي قدس الله روحه ونور
 ضريحه لما رأيت أهل الزمان همهم قاصرة على نيل المقاصد الباطنة والظاهرة وسأني جماعة من ملوك
 الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص المماليك وما يهينهم على ذلك استعمرت الله
 فوضعت لهم كتابا ، وسميته بكتاب (سر العالمين) وكشف ما في البارين) وبؤيته أبوابا . ومقالات
 وأخبارا . وذكر في فيه سرائر صوابا . وبطلته دالا على طلب الملكة وعائنا عليها . وواضحا لتحصيها
 أساما جامعا لمعانيها . وذكر في صكينية ترتيبها وتديرها فهو يصلح للعالم الزاهد . وللعالم الممالك
 بتطبيب قلوب الجند وجذبهم اليه بالواعظ . فأقول من استمعته وقرأه على بالمدرسة النظامية سرا من الناس
 في النبوة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أئمة المغرب ، يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ،
 وتوسمت منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته أسرار لا تقدر الى كشف إذ طباع العالم نافرة
 عنها وتحتها علوم عزيزة وإشارات كثيرة دالة على غوامض أسرار لا يعرفها إلا خول الحكماء ، فانه يوفقك
 للعمل به فانه دال على كل ما تريد ان شاء الله تعالى

وقال أيضا « فاركب بسر علو الهمة وحصل الاتها لئتم لك كباؤها وصير عندك نديما كأنما مطلعنا
 على كتبها ، أعني بها كتب سر العالمين ، ثم حصل أرباب صناعة القلب الذين هم علماء قلب الكهان
 قادرين على صبغ الأجر والأبيض . فن كنت قليل الرجال ضعيف العضد وقليل المال فكنت كثير الفضل
 والعلم واتخذ لنفسك زاوية على طريق التزهد واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ طريق الكرامات
 لينصبوا اليك واستهو الكبار واسلك طريق الصلاح وزنها لنفسك واختل . فإذا هب نسيم سعادتك
 فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور وارسل كتابا لا يجوز من كل أمر منكرو وأمر أصحابك
 تستهوى وتجذب كل طائفة منهم قوما آخرين »

وقال أيضا « وقد شاهدت محمد بن الصباح إذ ترعد تحت حصن الموت . وكان أهل الحصون يشبهون
 أن يطاع اليهم فلم يفعل وهو يحصل المريدين ويعلم طريق الإرادة والتعذبة وشيا من الجبل . ثم حصل يهتذر
 بكلام على قدر عقولهم . ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين ، أما ترون الناس قد تركوا الشريعة . فاما
 كبر الأمر خرج اليهم بطريق - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فصبا اليه خلق كثير . وخرج صاحب

القاعة الى الصيد والتلازمة أكثرهم أهل القاعة فقتلوا الحسن ودخله وقتل الملك في الصيد وفشا أمره ومذهبه حتى صانت في الرد عليهم كتابا وسميته (قواعد الباطنية) ومنتظرهم ذللا بد في آخر الزمان أن يهجروا النرائع ويبيعوا المحرمات .

وقال أيضا : « ولي مات ضارون استضاف الأمن وفر المأمون الى مدينة أصفهان ومعه الحسن بن سهل وكان المأمون ذا فنون وعالم وأدب فقمع المأمون في المسجد الجامع وقد فرشه بالبلد زهدا والناس يهرعون اليه ليعلم انامهم وابن سهل يوحى الي الطوائف ويقول لهم أليس هذا هو الخليفة عفا فبايعوه ويقول لهم سنة هذا سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدريج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفا وكانت الأعاجم تسمع بطريق الآيين الفاسد ففروا وطابوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون . فسكن من هذه السير المذكورة وانما نسمكك بعضها تقوية وإعانة لمتك . »

هاعودنا بعض ما في الكتاب . وقد ذكر اظهار الكرامات وذكر حسن بن الصباح . وأنت اذا قرأت الجزء الأول من الكتاب أيقنت أن ما فيه هو ما فعله محمد بن توصرت . وأذكر كرك بما صرت في (سورة الشعراء) من أن كثيرا من الأمراء كانوا مشهورين والأهم تبعهم بالتقليد . وانظر نبذة مما جاء في الجزء الثاني من كتاب (سر العالمين) المذكور وهالك نصها :

(واعلم ان الزمان حبيب أهله وطائفة تختزع لها مذهبا في الناموس بطريق الزهد كالسبع والمزروعات وجلود النعم والبرانس وأذان الليل والانتطاع في الكهفان وكبر الامور بحيث أن يقول لصاحبه اذهب ففي الموضع الفلاني كذا وكذا . وطائفة تظهر النور وأخرى تقعد بين القبور واظهار الخزعبلات والنيرنجيات تعرض الكرامات ودهن الاقدام ولخوض في النار واظهار الطرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها الار وما الشعبذة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ووقوف السجادة في الهواء وشعلة القناديل واشعال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لا عسدد لها . والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام الشيء واظهاره للناس كآثار المجيد فهو المعجزة الأكبر والناموس الأعظم) اه

إن هذا الكتاب أكثره أوكله مدخول على الامام الغزالي . وقد قلت لك انه صفحة من تاريخ المهديين وكثير من الأمراء والرؤساء الروحانيين وغيرهم

فقال صاحبي : يا سبحان الله . انك إذن تذكر كرامات الأولياء (وبعبارة أخرى) إن كتابك هذا انكار لأعز شيء عند المسلمين وهي الولاية . فقلت حاشا لله أن أنكر الولاية والله سبحانه وتعالى يقول : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم المسمى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . فقال نعم ولكنك وازنتهم بالبراهمة وقلت إن هؤلاء الأكابر يسيطرون على الشعوب بأحوالهم وبأعمالهم . فقلت : أنا أقول لك إن هذه الحياة غرابة ونحن على الأرض أياما معدودات ولا بد لنا من السفر منها وتوديع أهلها والحياة بدون حب حياة محالة والمحبة للجمال والجمال وللوالد وللوالد وللصيت وللذكر الحسن لا تقوم لأن الجمال وما بعده في الأرض كذا ز ثلاث سرعات العطب ، والعلماء لما فكروا لم يجدوا محبوبا أجلا من كل محبوب إلا من هو منبع الجمال والملك والملك وليس يعطي الجمال ولا الملك إلا من يملكه ، فلو أن صانع العالم أجلا من كل جميل ، وأحكم من كل حكيم ، وأظلم من كل عظيم ما خلق الجمال ولا الحكمة الخ لأن فاقد الشيء لا يعطيه . حاشاك جعلوا حياتهم كلها وقفا على (أمرين) العلم بذلك الجليل المبوب بدرس مصنوعاته والعمل لاسعاد أشرف من على الأرض وهو نوع الانسان ، فالولي هو الذي انصف بهاتين الصفتين وهما العلم بهذه العوالم حتى يحب الصانع والسعي في اسعاد الأمم ، إن ذلك الولي يرى أن محبوبه الذي عرفه بمصنوعاته له عاية تامة بكل مخلوق على الأرض ، فهو إذن يحب ما أحبه ويسعى

في اسعاد عبادده وأقربهم اليه بنو آدم ، فالتة عليم وحكيم في صنعه ، فهنا أيضا يغفر وتكون له أعماله الحلة متقنة اتقاناً تاماً بنظام بدیع . وكل صانع متقن صنعه سواء كانت الصنعة تأليفاً أو آلة نابعة للناس كان قريبه على مقدار اتقان صنعه بمقتضى درجته .

فقال صاحبي : هذا حسن . ولكن ما تقول في الكرامات . فقلت : هذا هو بيت القصيد . لقد تقدم في هذا التفسير ما نقلته عن الشيخ الخواص والشعراني والديباغ من كبار الأولياء في الاسلام إذ أجمعوا أن الكرامات ليست مقصودة لذاتها . وأن الصالح إذا ظهرت على يده خوارق العادات إن فرح بها واطمأن كانت سبباً في حرمانه وإذلاله وطرده لأنه لا فرق بين المال وبين تلك الكرامات حتى قال الشيخ الديباغ : « إن من كشف له عن العوالم العلوية يكون في خطر شديد ، وهذا الفتوح أكثره عذاب واستدراج وبعد عن الله فالجواب خير من هذا لأن هذا الفتوح يغتر النفس فتقف عن الرقي فيكون استدراجاً قال الله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - » فهذا القول اجماع من القوم

فقال صاحبي : ولكن النفوس الانسانية يدهشها أن ترى اخباراً بالغيب أو أمورا خارقة للعادة فمن حقها أن تتبع أولئك الذين ظهرت على أيديهم تلك الخوارق . فقلت : هذا هو الذي جاء الرسل بنبأه وانكاره . إن خوارق العادات المنقولة عن الشيخ أكثرها كاذب والذي يدق منها ليس يدل على الفضيلة لأن الفضيلة كما قدمت في العلم والعمل وأما هذه الخوارق فليست من خواص دين الاسلام بل هي أمر عام عن الجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان . فكيف في البراهمة من مخبرين بالغيب . وكم في الأمم الوثنية من لهم أعمال خارقة للعادة . وهؤلاء وهؤلاء يموتون ولا فضل لهم إلا ان الناس يهدوهم الهدايا ويتقدمون لهم القرايين . فجزاؤهم قد أخذوه في الدنيا . وقد قدمت لك قول الشيخ الخواص للشعراني « ان الولي يجب عليه أن لا يأخذ من الناس شيئاً . وانه اذا أقبل الناس عليه كان هذا الاقبال جزءاً من محبته في الدنيا فيموت مفلساً لا له ولا عليه ، وربما مات مديناً ولا ثواب له بعد الموت »

وانما ذكرت لك كلامهم (وأيضاً أحياك على كتبهم) لأني أعلم أن الأمم الاسلامية توقن اليوم ايحاً تاماً بما يقوله نفس هؤلاء الأولياء رحمهم الله وإن يقدر أحد أن يقول . كلا . وأعظم الكرامات العلم واحساس النفس بحب صانع العالم ثم الشوق الى لقائه . ومن لم ينل هذه المرتبة وهي الشوق الى لقاء ربه وحبه والغرام به وانتظار الموت للاقائه فهذا ليس ولياً . ومن قصدت به همته عند اعظام الناس له بسبب كراماته فهذا رجل جاهل مسكين أحب الدنيا وانقطع لها بقلبه والناس من غفلتهم يقبلون يده . فقال : وما ذللك . فقلت قوله تعالى - قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - ولا يتمونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين - قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون -

فقال صاحبي : إن هذا القول منك حسن وأنا نظرت ما نقلته أنت في هذا التفسير عن هؤلاء الأولياء ولكن لماذا لم يقل القرآن ولا النبي ﷺ هذا ؟ القرآن مملوء بخوارق العادات فحسبنا ذلك فيها وفيمن ظهرت على أيديهم . فقلت القرآن هو الذي نزل لا يقال هذا الباب ، ألم ترالى عجل اناسمى إذ عبده بنو اسرائيل إذ رأوه أفضل من عصا قلبت حية والى سحرة فرعون كيف آمنوا لأنهم علماء ، إذن المذاق على العلم لا على هذه الخوارق والله يقول - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الخ وأذكركم بحديث الدجال ذلك الذي تظهر على يديه خوارق العادات ، فانظر حديثه الذي رواه البخاري بسنده عن المغيرة بن شعبه أن المغيرة قال له يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهراء قال هو أهون على الله من ذلك ، ويقول الشيخ محي الدين النووي عن القاضي عياض « انه شخص ابتلى الله به عباده فأفرد على أشياء من المقدرات

من إحياء الميت الذي يقبله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب منه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له ﴿ الى آخر ما قاله انقلره فيما نقله الخازن في تفسير آية - نخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون - في تفسير ﴿ سورة المؤمن ﴾ وهي سورة غافر

وأنا أقول إنما جاءت مسألة عجل السامري في القرآن وجاء أمر الدجال في الحديث وحذر النبي ﷺ المسلمين منه وأفادهم أن الأنبياء حذروا قريتهم منه . أقول إنما جاء ذلك كما يعرف قراء هذا التفسير وأمثاله أننا نحن الآن قد خدعنا الدجالون في داخل الإسلام وفي خارجه . وقد يكون الرجل دجالاً ولا علم له بحاله . وكل من صد الناس عن الحكمة والعلم وأرجعهم الى طريقتة وحده فهو دجال علم أولم يعلم . فإذا يصنع الله للمسلمين بهذا هذا . ذكر لهم في القرآن أن المدار على النقل والفهم . ان عجل السامري عبده الجهال وأما العلماء فلا . وأخبرهم ﷺ أن الدجال تكون على يديه خوارق العادات وأن جنته يجب الاحتراس منها وأن ناره تصير برداً وسلاماً على داخلها

وأنا أقول كما قلت في مواضع كثيرة من هذا التفسير ﴿ العلم والعمل صعبان على الناس والجهل والخلوة والذكر مع اهمال أعمال الحياة سهلة على الناس ﴾ فلينجز المسلم بنفسه في العلم والعمل وإن كانا شاقين عليه فهما سعادة له في الدنيا والآخرة . أما السكسل فانه معطن للأوهاب وهو جنة ظاهراً وجهنم حقيقة . وإذا وجدنا أن عيسى قتل الدجال فلنقتل نحن الدجالين في أمم الإسلام قتلاً أدبياً بأن نعمم التعليم في ديار الإسلام فاعلم وحده يقضى على الخرافات ويحيى النفوس . فالمسيح رمز للعلم والدجال رمز لأوثك الذين أضلوا الأمم وهم جاهلون . لا دجل أكثر من الجهل . انظر الى الأمير عبد القادر الجزائري . ذلك الرجل الحكيم كيف حارب الفرنسيين سنين وسنين . ولكن لما عمّ الجهل بلاده جاء عالم فرنسي وصار مطالعاً على أسرار . ومن هنا غلب المسلمون على أمرهم لأنهم لم يقرؤا توارخ الأمم فقل احتراسهم . ثم انظر الى محمد أحمد المهدي السوداني ظهر للناس بالكرامات ولكن لنقص العلم بأحوال هذه الدنيا لما أسلم رجل نمساوي كان في الجيش الانجليزي (أثمه) وبه وحده فتح السودان ولقد كان ينال على باب المهدي ويبيت به يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدي ولي الله » وهكذا

فقال صاحبي : أنا الآن اكتفيت أن تلك الخوارق لا تقم أمة وأن المدار على العقل . فهل لك أن نخدثني عما رأيته أنت منها . فقلت انظر كتاب الأرواح تأليفي . فلقد صر في هذا التفسير منه كثير وهو مملوء بهجائب الخوارق العجيبة على يد الأرواح المحضرة من احضار الفاكهة في غير أوانها ومن الاخبار بالغيب الخ واني أحدثك حديثاً حصل في مصر . وذلك اني يوما كنت جالساً مع المرحوم صديقي حسن باشا جلال في منزله بالاسكندرية فحضر صدفة مستشار كبير في محكمة الاستئناف وقل أنا أريد أن أحدثكم حديثاً عجيباً . أنا كنت قاضياً في قنا بصعيد مصر فحضرت عند عمدة البلدة وكان هناك رجل يسمى الشيخ سليم فقالوا له أظهر شيئاً (للبك) أي القاضي فرفض وأبى فألحوا عليه ثم قالوا للبك اطلب شيئاً فقال أطلب منك أن تحضر لي زجاجة (فيها روائح عطرية) قال وهذه لانكون إلا بالاسكندرية . فقال له : طالا أعطني (٢٥) قرشاً فأعطيتها له فرماها في الجوّ وصار يضرب على عجب ذنبه في مؤخر ظهره ثلاث دقائق ، ثم قل ضع يدك في جيبك قال فوضعت يدي في جيبى فوجدت الزجاجة فدهشت وقرأتها وهي باللغة الفرنسية وعجبت أشد العجب فقال المرحوم حسن باشا جلال دني يمنع ذلك وكنت لم أطلع على علم الأرواح الحديث اطلاعا تاماً ولم أولف كتاب الأرواح . فقلت إن كتاب الاشارات لابن سينا فيه ان بعض النفوس الانسانية تقدر على أعمال عظيمة وعلى اخبار بالغيب ، وضرب مثلاً لذلك بأن الترك يأتون برجل يعرفونه ويربطون حبلاً في رقبته ويذهبون به ويحيون فيغشى عليه فيخبر بالغيب . وهكذا يقول : ﴿ إن قوما يضعون قطرة حبر في زجاجة فيها ماء

ويأمرهم شخصاً مخصوصاً فينظر إلى تلك القطعة نظراً طويلاً فيخبر بالغيب . واتسبى المجلس على ذلك . ثم إن الشيخ سلباً المذكور سمعت بعد ذلك عنه من كثير من الفضلاء والمستشارين والعلماء والمدرسين شرائب تنوق التصور ومع ذلك كان رجلاً جاهلاً . ثم اتى لي أصحاب من شيوخ الطرق أخبرني غير واحد منهم أنهم يتظاهرون بالأخبار بالغيب إيهاماً للعامة واستعدوا على عقولهم

فقال صاحبي : أنت الآن أعلمتني علماً اقناعياً أن هذه الخوارق ليست مقصودة ولا نافعة بل قد تكون ضارة فهل يوافقك علماء الإسلام على ذلك ؟ فقلت أنهم يقولون : « إن خوارق العادات كما تكون على أيدى الأنبياء تكون على أيدى العامة وعلى أيدى الكاذبين والفاستين وتسمى على يد الولي كرامة وعلى يد النبي معجزة وعلى يد الجاهل معونة وعلى يد الفاسق استدراج » فقال والله هذا عجيب فأرجو الآن أن تختم هذا القول بمجادته تكون مدونة في الكتب موقوفة بها عند الأمم التي تعيش معنا حتى تكون مقبولة لما ذكرته أنت لأن ما ذكرته أنت يسمى خبر الإنسان واحد ولكن ما ذكره عن أهل العصر يكون قد اطلعت عليه الأمم وأقرته . فقلت : أحذرك عما جاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

(أسطورة أم علم ؟)

اعلم أن (هوديني) رجل ساحر أمريكي كان يعيش في عصرنا هذا واشتهر بأفعاله الغريبة التي برز بها كل ساحر سبقه حتى إذا مات منذ سنوات دفن معه سر كثير من أعماله التي لم يجد لها الناس تعليلًا ، فن ذلك أنه يأتي بكرة ضخمة يدخل فيها رجال ثم يرتبط شرائط السكر إلى بعضها ويلتصق من الرجل أن يخرج من السكر دون أن يمزقها ودون أن يفك الشرائط ، وهذا العمل مستحيل كما هو ظاهر ، ولكن هوديني استطاع أن يفعله بكل بساطة وسهولة ، ويحبس (هوديني) نفسه في تابوت من الرصاص أحكم إغلاقه ثم يدفن على عمق ستة أقدام من سطح الأرض فإذا بك تراه أمامك بعد لحظة ، وقد يدخل أيضا إلى الخزائن الحديدية الهائلة التي تستعملها البنوك الكبيرة وتوصد الأبواب الضخمة عليه ولكنه لا يلبث أن يبدولها كأنما هبط من السماء ، وهذا (هوديني) بجميع سجون أمريكا وأوروبا كما أن الأغلال لا تستمر في يديه إلا ريثما يمضي ثوان معدودة فإذا يدها طليقتان وإذا هو حر يرح ، والآن بعد أن مات يقسم الناس : كيف تسنى له أن يمارس كل هذه العجائب ؟ ويقول (السرارثكونان دويل) « انه يعمل هذه الظواهر الغريبة بأن لهوديني القدرة على التحلل من الحالة المادية » ولكن هوديني نفسه سخر من هذا الرأي الذي يريد أن يقرره (السرارثكونان دويل) فقد كتب هوديني يقول :

« لست أتحلل أو أتجسد ، وكل ما في الأمر أنني أحكم في إرادتي وأسيطر على الأشياء المادية على طريقة أفهمها وحدي ولا يستطيع أن يفهمها سوى من قد أبوح لهم بأسراري ، على أنني أرجو أن أدفن بأسراري معي لأنها لا تشيد الإنسانية ، وإذا عرفها بعض عديتي الزمة تسنى لهم بواسطتها أن يسيؤوا إخوانهم » ولقد بلغ من ركون (هوديني) إلى كفايته وقدرته الشاذة أنه سجن نفسه في سجن (سبيري) الشهير الذي يفخر البوابس الروسي باستحالته الطرب منه على أي سجين ولكن (هوديني) استطاع أن يرى الضوء بلامشقة ، ولقد قيد (هوديني) بالسلاسل الضخمة وربط إلى فوهة مدفع تنطلق منه قنبلة بعد ربع ساعة ولكن هوديني تخلص من قيوده في ست دقائق

ومجلة القول أن (هوديني) أتى بعجائب يحار فيها العقل ومازنا حتى الساعة نجعل شأنها . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وضع الأمر وعرفنا لماذا دم الله التقليد ، والله لقد كنت في حيرة

وشك في أصراة الاسلام ، فيما أنا قرأ تاريخ النبي ﷺ وأصحابه فأجدهم قد تفانوا في خدمة النوع الانساني وهدايتهم فمات عمر ممتولا وعثمان كذلك وعلى كل هؤلاء كانوا صادقين صالحين لم يحبوا الدنيا ومع ذلك لم تنقل عنهم هذه الحوادث المدهشة . أقول فيهما هؤلاء كذلك إذ أنا أجد جميع مشايخ الطرق إلا قليلا وكذلك المهديين كابن تومرت وغيره ، كل هؤلاء تنقل عنهم أحوال لم ترد عن الصعابة والتأبين في حجار الانسان . أيرجع الى المصدر الأول والى فعل رسول الله ﷺ فيكون بلاكرامة ولا يقبل عليه الناس اقبالا روحيا ، أم يترك الدنيا ويهديها عسى أن يتبعه الناس ويقبلوا عليه ويكونوا له أعوانا وأصحابا فان لم يكن لهذا فتد أراج نفسه من الناس واستراح في منزله وتبسط لربه وصار وليا واتهى الأمر . قال : فأقول الآن إن هذا كله أصبح في نظري جهالة وأنا أقول أنا الآن مطمئن لقولك وسأرفع صوتي بين المسلمين قائلا لهم بالبرهان لا بالتقليد

« أيها المسلمون جميعا : نحن اليوم مغرورون فكونوا جميعا عاملين علماء مفكرين وياكم أن يخدمكم قوم عن طريق النبي ﷺ وأصحابه وصالحوا بالليل لتقربوا من ربكم ولا تشغلوا أنفسكم بما لا يفيد دنيا ولا أخرى . فقلت له : لقد فتح الله عليك وأرشدك يقينا بأن هذه الطرق القديمة ضارة بالمسلمين قاتلة لهم وانها طرق دجل وخداع وإن كان بعض أصحابها مخلصين على مقتضى تعليم شيوخهم كحسن بن الصباح وأمثاله أذكرك بأمبراطور اليابان وهو جسد الأمبراطور الخالي فانه كان من أسرار ديانته أن جسده التي مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت امرأة نازلة من السماء فكان يعتبره اليابانيون نصف إله باعتبار أمه وهي إلهة وعلى ذلك كان لا يراه أحد لأن من رآه احترق بالنار . فإذا فعل ؟ نظر الرجل فوجد أن أوروبا أكلت الشرق - أكلنا - . فإذا يصنع ؟ نزل الى الشعب وسار في الشوارع وقال للناس أنا الأمبراطور انظروني لا تخافوا فأزال هذه الخرافة . ثم انه أمر بالتعليم العام وقرأ الشعب علوم أوروبا كلها وحاربوا الروس فانتصروا فعظموا هم وعظم الشرق في أعين أهل أوروبا . فهل يلقى لعظماء الاسلام وشيوخ الطرق أن يبقوا على هذه التقاليد العتيقة التي أهلكت المسلمين والتي هي فعل المسيح الدجال . فليعلموا أن من الجهالة أن ينتظر المسلمون ذلك الدجال والمسيح الذي يقتله وإن كان هذا لا مانع منه ولكن المهم لنا الآن أن نقتل الدجل والكذب بالعلم كما فعل الصعابة والتابعون أولئك الذين رأوا الفرس والروم حوطم وهم أولوا حول وطول فناموا فاضاعوا الدولتين ليرجعوا العالم الى الصلاح

فليعلم المسلمون قاطبة الآن أن الدجل والكذب الحاليين في بلاد الاسلام يجب محوهما وذلك بالروح العلمية العامة وبغير ذلك لا سبيل لاسعادهم . لهذا جاء ذكر الدجال ولهذا جاء ذكر عيسى فانه بل لهذا جاء رسول الله ﷺ ولهذا ألف هذا التفسير في الزمان الملائم - والله الأمر من قبل ومن بعد -

(تذكرة)

(المهديون وبعض شيوخ الطرق . وماذا يفعل المسلمون بعدنا اذا لقوهم ؟)

لقد ذكرت فيما تقدم في هذا التفسير في (سورة مريم) مأسطره صديقنا (اللورد هيدلي) الانجائيزي الذي يقول في كتابه (ايقاظ الغرب للاسلام) ما يأتي :

« إن جماعة من الألمان عثروا على كتابة في بلاد آشور تاريخها قبل المسيح بنحو (٩) قرون مسطورة في الألواح ملخصها أن ابن الله البكر قد صلب ، وهذا الصلب يشبه صلب المسيح من كل وجه . فقال لأهل الغرب : بأي أبناء الله أقتدى ؟ أبين الله الذي كتب تاريخ صلبه قبل المسيح بتسعة قرون منقولا عما كتب عنه قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة ، أم أبين الله الذي حدث بعد ذلك ؟ وهو المسيح ابن مريم ،

فأنا لا أتبع هذا ولذا ذلك بل أقول ان عيسى نبي الله وروحه وأتبع دين الاسلام لاغير . هذا هو قول الأمر وآخره . اهـ

هذا خوى ما تقدم في ﴿سورة مريم﴾ وأقول الآن : يظهر لي أن العالم الانساني عالم كله مقلد جاهل إلا قليلا . وقليل من عبادى الشكور . وان تطع أكثر من في الأرض يضاولك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخوضون . قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو القى له مائى السموات ومائى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون . . تبين لي من أحوال هذا الانسان انه يشبه

كرة طرحت بصوالجة فقتلها رجل رجل

فانه قبل الاسلام أدخلت عليه الغفلة في جميع أنحاء الكرة الأرضية فقال له الأجاز والرهبان وأمثالهم « إن لله ابنا فاتبعه » وكلما تقدم العهد جتدوا له ابنا آخر . وفي الاسلام حوورها وقولوا هذا هو المهدي فن السفاح وهو أول خليفة عباسي أزال الدولة الأموية وأخذ بثأر الحسين رضى الله عنه واستمر ملكهم عدة قرون الى المهدي الفاطمي الذي ظهر في بلاد الغرب وجاء مصر . والمهدي بن تومرت . والمهدي السوداني . والمهدي الفارسي وهو بهاء الله . والمهدي الهندي وهو غلام أحمد وغير هؤلاء كثير

ويقول الاستاذ (هنري دي كاستري) الفرنسي قريبا في هذا الكتاب : « انه لمثل هذه الأفهام وجد في الاسلام (مذهب الواصلين) والذين يدهم توزيع كثير من الميراث في اعتقاد العامة واليه صار يرسل الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل الخ » انظره في ﴿سورة الأحزاب﴾ عند الكلام على انه ^{صلى الله عليه وسلم} خاتم النبيين وانه سراج منير

أقول : فاذا رأينا هؤلاء الاورو بين يفر علماءهم ويهرب حكاؤهم من دين اخترعته عقول للأئم إذ كانوا أطفالا . فهكذا سيقول المسلمون بعد قراءة هذا التفسير « بأى المهديين نقتدى ؟ أبلهمدي السوداني أم بلهمدي الفاطمي ؟ أم بلهمدي (محمد بن تومرت) ؟ أم المهدي العيسوي البهائي ؟ أم المهدي الذي انتهى أمره من ولد العباس أم المهدي الهندي ؟ لا هؤلاء ولا هؤلاء بل أقرأ القرآن وأتخلق بأخلاقه وأهتدي بهديه هذه هي الأمة الاسلامية المستقبلية . أما تلك الفرق المفاكسة والأقوال المتضاربة فاما هي من اتباع أمة الاسلام الأئم كما في الحديث ﴿لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لبخاتموه﴾ وما يحزنني وأسف له انك اذا قرأت القصيدة المتقدمة التي قرئت على قبر (محمد بن تومرت) وانه هو المهدي المنتظر وأن أتباعه يبقون الى زمان عيسى ابن مريم وأن الحديث الوارد في المهدي انه يبق سبعا أو تسعا وانه هو بئى تسعاجمول عليه

أقول : اذا قرأت ذلك فانك تجد هذا بهينه هو الذى يكرره الامام (عجى الدين بن عربى) في الفتوحات بعد موت (محمد بن تومرت) بعشرات السنين . ولا يعتبر رجه الله بما تم له وأن ملكه زال وأتباعه انقضوا من حوله وبشر هو بهدي آخر وعين زمانه وظهر اليوم عدم صحته . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يعقلون .

واعلم أيها الذكى انى أكتب هذا وأنا أعلم أن كثيرا تحذتهم أنفسهم بأنهم المهدي المنتظر ومنهم واحد كان صديق في مدرسة (دارالعلوم) ولكنه عاقل فانه بعد أن أراد اظهار انه المهدي ترك ذلك

إن هذه الأمة الاسلامية بعد اليوم ستقرأ التاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية وسياسة الأئم وأحوالها . وهناك سيظهر فيهم مصلحون مجتدون حقا . وهؤلاء هم الذين سيزيلون الخرافات واللعادوى من بلاد الاسلام وسيكون ظهورهم عقب تمام نشر هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يظهر الاسلام ظهورا أئم على أيديهم فينش لهم من لا يعرف دين الاسلام وينش لهم من يتبعه ولكنه متحير في أمره فيجد البلاد قد لاهها الشيوخ

❖ وكل له غرض يسعى ليدركه ❖

هذا آخر ما خطر لي في تفسير آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ حوالى فجر يوم الأرباء (٢٣) إبريل سنة ١٩٣٠ م والحمد لله رب العالمين
فلما سمع صاحب ذلك ، قال : لقد اتضحت آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا - الخ . هذا هو أهم سرها ومقصودها في زماننا وكل من قرأ هذا من المسلمين يصبح وقد صار موقفا بهذه الفسكرة عاشقا للعلم مكبا على العمل والله هو الولي الجيد . فقلت الحمد لله رب العالمين

فقال هذا قد أفهمنى أمر خوارق العادات وأن التقليد ليس مفيدا ، فهل تذكر لى شيأ من التقليد في أمور أخرى كالطب ولوحدة واحدة . فقلت له : أذكر ك بما مضى في ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - . انظره هناك فانك تجدنى نقلت من كتاب فيه تراجم الأطباء لابن أبى أصيبعة أن الهرمة كانت تقاقل أفعى وكلما بلغت رجعت إلى نبات فتمزغت فيه فيزول ألمها فترجع كرة أخرى وتقاقل . قال في الكتاب المذكور (وهو الذى نقلته هناك) إن ذلك الذى رأى هذا قلع هذه الشجرة ، فلما رجعت الهرمة لم تجد تلك الشجرة فماتت . أقول لك : لما ظهر ذلك (في الجزء الثالث عشر من هذا التفسير) كتب كاتب في « جريدة الاهرام » يقص هذا القصص بنفسه ويدعى أنه رأى ذلك رأى العين وهو كاذب لأنه قرأه في هذا الكتاب وطاب من الأطباء بحث هذا الموضوع فبحثوا وردوا عليه وقالوا إن هذا النبات هو المسمى في مصر « رعراع أيوب » وليس فيه هذه الخاصية مع أنه هو يقص نفس ما كتبه في هذا الكتاب بطريق النقل ، فهذا القول عن الأقدمين غير صحيح وليس هناك بحسب ما عرف الناس نباتا على هذه الشاكلة فهنا كذبان بحسب مظهر ، كذب القدماء في ذكر هذه الحكاية ، وكذب هذا الشاب الذى ادعى أنه رأى وهو رأى إلا ما كتبناه هنا . وبعد أن كتبت هذا عثرت على نفس المقالة المكتوبة في الاهرام فهناك نصها :

(حول تزيق سم الأفعى)

(ولعاب القط)

سيدى الفاضل رئيس تحرير جريدة الاهرام القراء

تقبعت بامعان وشغف ما كتبتموه تحت هذا العنوان سواء ما كان منه بقلم تحريركم أو بما وصل اليكم من حضرات قرائكم الأفاضل وأنا لا يسعنى إزاء سعة صدركم في متابعة هذه الحركة العلمية ومناهضتها على صفحة جريدة كبيرة كجريدة الاهرام الواسعة الانتشار أقول لا يسعنى الا ابداء شكرى لكم بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن كثيرين غيرى ممن يهمهم أمر هذا البحث المفيد . ويهمنى بصفة خاصة كسكياوى خيرى في هذا النوع من الابحاث أن ألفت النظر بانى قت بالتجربة التى نوهتم بها في هذا الصدد للتثبت من لعاب القط وهل في الحلايا اللسانية أو اللعاب الذى يفرزه عند المقاومة ما يصح أن يكون تزيقا لسم الأفعى يتقى به غائلته . الواقع ينكر ذلك بتأما والتجربة تنفيه اذ المفروض في اللدغة أن يتسرب السم الى الدم ويسير معه في دورته المعتادة فلا مقاومة والحالة هذه الا من دفاع الكريات البيضاء وعلى قدر هذه الكريات البيضاء ونشاطها يكون التأخر أو التقدم في التسمم فاذا كان للعاب القط والحالة هذه من فائدة (وهو ما لم يؤيده البحث بعد) فهمته في هذه الحالة أن يكون وسيطا ليس الا ليشير في الكريات البيضاء حركة النشاط المطلوبة للمقاومة . هذا تعليل . وثم تعليل آخر أن لعق القط لمكان اللدغ ماهى الحركة فسيولوجية بحثية يقصد بها امتصاص الدم الذى عساه أن يكون قد تلوث بالسم قبل سريانه وهذه هى نفس الاسعافات الأولى التى يتبعها العامة عادة من عمل تشريط

لاستخراج السم الملوث أو المص في مكان اللدغ على شرط خلط السم من أى جرح ينسرب إليه السم وهذا المنهال
الأخضر هو الذى أراه أقرب الى الصواب في مسألة لعاب القط . ثم مسألة اللدغ في نبات الغيرة أو الرعاع
(وعراع أيوب كإسمه العامة) لئلا يمسح به كواق من تسرب السم فهذا مدفوع من جهة وجوه فليس النبات
الغيرة أى ذكر في المادة الطبية ولا في النباتات الاقرب يذية ولم نسمع باستعماله في عقاير ما كعلاج لآى داء
وما هو النبات طفيلي كالخشائش التي تنبت في وسط البقول عادة دون الخس ولأنه تدور حوله أساطير خرافية
غريبة والمادة العامة فيه لدرجة حريفة قلبية ذات رائحة خصوصية وقد أبرزنا على هذا الرعاع المذكور
الصفة التحليلية فوجدناه خاليا من الجواهر السامة والخنصرة والبحث في تأثيره كعلاج لما ذكره كان يفيد في
حالات التسمم وذلك بأحداث اللدغ في خنازير غينا (كوباي) ومعالجتها بالمادة المستخلصة منه فكانت
النتيجة سلبية بحجة . فالقول بان نبات الغيرة أو الرعاع له أى فائدة كترىاق في سم الأفي والقرع قول
مردود لا أساس له من الصحة وإذا كان حقا مارواه شاهد عيان على صفحات «الاهرام» من أنه رأى القط
يلحق مكان اللدغ ويتمرغ في نبات الغيرة فهو كاذب كرت آنفا حركة فسيولوجية بحجة يقصد بها امتصاص الدم
الفساد وما تمرغه في نبات الغيرة . على فرض صحة وجوده مصادفة وقت اللدغ الامن قليل تخفيف الألم كملوكنا
نفرك محل الألم عند ما يشكنا دبوس أو نرتطم بشئ صلب . هذا ماعنى لى أن أسطره بخصوص ترياق الأفي
والقرع وأعلى قت ببعض الواجب المفروض على تفتقر قراء «الاهرام» الغراء من يهتمهم أمر هذا البحث انتهى
ما جاء في الجريدة المذكورة

هذا ما جاء في «الاهرام» أفلا نحمد الله إذ جعل في أمة الاسلام في مصر من نراه يبحث هذا البحث
ولا يشكل على آراء القدماء ، وإذا رأينا علماءنا يقولون لشكل من قلند في التوحيد إيمانه لم يخل من تردد
فهكذا نقول فيمن قلند في الطب أوفى السياسة أو غيره بل يجب البحث حتى تسقين الحقيقة . فبحث الفتى
الكماوى المصرى (أمين براده) في هذه المسألة قد أظهر لنا الحقيقة فيما قرأناه في كتاب (ابن أبى أصيبعة)
فهكذا نفعل في كل علم . انتهى والحمد لله رب العالمين

فقال صاحبي : وهل تذكر لي مسألة واحدة أيضا في نظام الأمم قلند الناس فيها وهم يحظون كالمسألة الطبية
فقلت : قلند أمان الله خان مصطفى كمال باشا منذ سنة واحدة في انه قتل علماء الدين الذين عارضوا في الإصلاح
فقام الشعب عليه فنزل عن الملك إذ اغتصبه رجل كان ابن سقا بحجة المحافظة على الدين ثم قام عليه الشعب
فأنزلوه عنه وقتلوه ، وتولى الأمانة (نادرخان) الذى كان قائد الجيش أيام أمان الله خان ، فأمان الله قلند
مصطفى كمال في ادخال الإصلاح بدون تدريج ولكن التقاليد خطأ لأنه هناك فرقا بين الأتمين ونفس مصطفى
كمال انتقده المنتقدون في تسرعه وتغييره نظام تركيا سريها ، فانه بينما هو يترك الحروف العربية ويكتب الشعب
كله باللاتينية نرى أوروبا تتبرم من الحروف اللاتينية وهذا عجب أن يقلد الناس بالبرهان . وهالك ما جاء في
إحدى المجلات العلمية وهي «مجلة الجديد» فقد جاء فيها ما نصه :

﴿ الحياة الاجتماعية ﴾

(تبرم أوروبا من حروفها الكتابية)

ظهرت في الشرق من هذا العهد نزعة الى حجارة العريبيين في حروفهم الكتابية ويعرف القراء أن تركيا بأجدها
قد دخلت المدرسة من جديد لتعلم الحروف الأوروبية كما أمر الغازى مصطفى كمال ولا فرق بين المحوز والفتاة
والهرم والغلام . فان العقوبة الزاجرة تترقب من يتوانى في تنفيذ هذا الأمر المشدد ويذكرون أيضا ماتهتزمه
فارس من تركها للحروف العربية واعتناق الحروف الأوروبية وما كان ينويه جلالة الملك الخلع أمان الله خان

في بلاد الأفغان ولو ننظر نقبسوا الإصلاحات الأوروبية إلى الجوهر دون المظهر لرأوا أن نقل المظاهر الشكلية لا ينبغي شيئا في تقدم الأمم وفي رسدناهم أن يحتذوا مثال اليابان التي أبقت تراثها القديم وأدخلت في بلادها الإصلاحات الجوهرية كالعليم والصناعات والفنون والزراعة والتجارة واعداد الجيوش البرية والبحرية . واقد كان من رأينا من زمن أن الحروف العربية تفضل الحروف الأوروبية من عدة وجوه لأنها في الحقيقة نوع من الخط المختزل الذي يدل على الكلمات بأقل رسم وأوجز حروف . وقد كان الأوروبيون يفسدون مثل هذا الخط الكتابة كلما هم فأوجدوا الخط المختزل ولكن طريقة ابتكاره لم تكن ناضجة ولم يقيس استعماله للدلالة على الكلمات بالضبط ولذلك قل من يكتب به على كثرة ما يعانيه متعلمه من آلام دراستها ومشاقها . ولذلك لا يزال الأوروبيون يفسدون نوعا مختصرا من الخط لأنهم يريدون أن يستمرارهم على الكتابة بحروفهم القديمة ضياع الوقت لهم وبعبء ثقيل ينالهم في دورته كاهل المتعلمين . ونسوق لقراء فقيرة مما كتبه رئيس تحرير مجلة «النبيش» الانكليزية في هذا الصدد :

«وإني أتساءل لماذا يستمر أبناء هذا العصر في حمل هذا العبء الثقيل وهو الكتابة بالحروف المطولة ؟ يقال إن الكتابة من أعظم الاختراعات التي توفى إليها الانسان . ولكن هل يلزم من هذا أن نلبث إلى الأبد عاكفين على ما اخترعه الانسان الأول في عصور التأنخ ثم نزع أننا شعوب الثقافة في المدنية ؟ ألا يعد ذلك من أكبر وأشنع سقطات مدنيتنا الحاضرة التي لا يقوم مظهر حضارتها وجوهرها إلا بالكلمات المكتوبة فهناك جيوش لا يمكن أن تحصي من الرجال أو النساء لا تكتب أقواتها إلا بالأعمال الكتابية ولا يمكن أن تجد أحدا في دوائر الأعمال يحاول من قلم الحبر أو الرصاص ليدون ما هو منوط به من الأشغال . وربما كانت مدة الكتابة تستغرق على الأقل نصف الوقت . ويرى المستراسبندر أن ما يكتبه الصحفي في اليوم لا يقل عن ٣٠٠ كلمة وهذا ما يقوله الناس اليوم في التقليد في أمور النظام العام . ولو شئنا لشرحنا التقليد في العوام كدوران الشمس حول الأرض الذي كان يقوله الناس قديما وكيف دحضه العلماء بعد ذلك وكسألة السكواكب السيارة وأنها سبعة فظهر بعد ذلك أورانوس ونبتون ولم يكن يعرف الناس إلا شمسا واحدة حتى عبدوها فعرف الناس اليوم آلاف آلاف الشمس وشمسنا بالنسبة لها كأنها برفقالة أو أصفر فان كوكب الجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة . إذن التقاليد جريئة . ولهذا نزلت هذه الآيات - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ انتهى الكلام على الفصل الثاني

(الفصل الثالث)

(في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا)

أذكر في هذا الفصل « حادثتين » الحادثة الأولى « الحرية السياسية » فانظر ماجاء في جز بدء الاهرام بتاريخ يوم الاثنين (١٨) فبراير سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(رجل انجليزى يفعل في السياسة ما فعله مؤمن آل فرعون في سورة غافر)

(مظاهرات ضد الكولونيل لورنس في إنجلترا)

« نظم المستر (سكلافالا) العضو الشيوعي في مجلس العموم البريطاني مظاهرة كبيرة في لندن ضد (الكولونيل لورنس) المعروف على أثر الاشاعات التي راجت بأنه أضرمت نار الثورة في قبائل الأفغان ضد الملك (أمان الله) فسارت المظاهرة مسافة طويلة تشمل صورة (لورنس) وأخيرا أضرمت النار فيها على دوت الخيلباء الذين وصفوه بأفجع الأوصاف » انتهت الحادثة الأولى

الحادثة الثانية نبذ التقليد في الزراعة

(البحث عن السعادة الزراعية بطريق خارج عن التقليد الذي دّمه الله في القرآن)
اعلم أيها الدكيّ ان هذا قد أشرنا اليه سابقا في هذا التفسير ، ونزيد عليه الآن ملجاء في جريدة الاحرام
يوم الخميس (١٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(الزراعات في الماء)

(طريقة جديدة لانماؤها)

ظهر في الولايات المتحدة اقتراح عظيم الشأن ينتظر أن يخلف الفلاحين وزراعي الفاكهة والازهار من
متاعب الزراعة وخدمة الارض ومن قيود المواسم والاحوال الجوية وأجور الأتبان ، ويحدث انقلابا عظيما
في فن الزراعة . فقد أعلن قسم فسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا انهم توصلوا الى انتاج غلال وخضروات
من مزروعات زرعوها في حياض رقراقة الماء ، وتمهدوها بأقراص كيماوية أسموها « أقراص النبات » في جو
جاف خال من الرطوبة أشبه بحول الصحراء وتسنى لهم انتاج الفاكهة والخضراوات الشبيهة بالفاكهة قبل أوانها
المعتاد . كذلك زرع أنواع مختلفة من الازهار التي لا تنبع الا في أواسط الصيف فازدهرت وقطفت أزهارها
في غرة فصل الشتاء . وتبين أن القمح والشعير والأرز اذا زرعت على هذا القط يزيد محصولها من ٢٥ في المئة
الى ٥٠ في المئة . أما البنجر والجزر والكرب وغيرها من الخضروات التي من فصائلها فقد نمت نحو أسرع
من نموها المعتاد بمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يوما . وقد زاد متوسط حجمها المادى ٩٠ في المئة بغير أن
تفقد شيئا من رسمها ونضارتها . وزرعت « البطاطم » بهذه الطريقة الجديدة فزاد محصولها ٤٠ في المئة
وتسنى زرع الورد في جوف المنازل في فصل الشتاء القارس فلما وازدهر في مدة لا تزيد على الستين يوما . وزرعت
« البازلة » في فصل الشتاء داخل المنزل ودرجة الحرارة في الخارج دون الصفر فتمت وبلغ طول أصولها خمسة
أقدام وازدهرت وأنت ثمارها في مدة تتراوح بين الستين والسبعين يوما . وقد بلغ عدد التجارب التي أجريت
نحو خمسة آلاف تجرية في خلال خمسة أعوام أسفرت عن هذا الاكتشاف العجيب الذي وصفه الدكتور
جاريك رئيس قسم تشريح النبات في جامعة كاليفورنيا بأنه أعظم منحة وأفضل هبة لقن الزراعة منذ بدء تطبيق
علم تسميد المزروعات حتى الآن ، وتؤيده في هذا الرأي كلية الزراعة في تلك الجامعة وعدد كبير من الخبراء
في الزراعة وخزيجي كلية الزراعة وتجار الازهار الذين ساعدوه في تجاربه . وخلاصة السر في هذا الاكتشاف
المؤدى الى سرعة الانماء وزيادة المحصول هي اعطاء النبات مقادير مركبة تحوى العناصر السبعة التي يتألف منها
غذاء النبات واعطاء كل نوع ما يلزمه من الغذاء بالدقة والضبط ، وهذه العناصر مركبة في أقراص اسطوانية
الشكل تذاب في الماء أو في التربة التي ينمو فيها النبات ، وهي تجمع معا في أنبوبة قصيرة أو اسطوانة بمادة كاسية
تشبه الخوصين وتحتوى هذه الأقراص على أجزاء معاومة من النتروجين والفوسفور والمغنيزيا والحديد والبوتاس
والكبريت والكالس (الجير) . وقد وجد في أثناء اجراء هذه التجارب والاختبارات أن كل نوع من الشجر
والحبوب والخضراوات والأزهار يتطلب تركيبا مخالفا من حيث الكمية من العناصر السبعة كلها أو بعضها
فالتركيب الذي يفدى « البازلة » ويجهل نموها ويزيد انتاجها مثلا لا يفيد الورد وفسيلة البنفسج .
وقد دلت التجارب على أن عدد التراكيب اللازمة يمكن حصره في عشرين نوعا . ومع أن أقراص النبات
استعملت بنجاح للمزروعات في التربة ، فقد أسفرت التجارب أن خير وسيلة للانماء هي الماء بمقدار لتر لكل
نباتة . فقد سبى بشتلة ورد زرعت حديثا في الأرض ولم تسكد جذورها تمتد ، روضت في الكمية اللازمة
من الماء بعد أن أذيب فيه المقدار اللازم من أقراص النبات المختصة بفسيلة الورد ، فتمت وترعرعت وتفتحت

أكامها عن ورد نصير كبير الحجم في خلال ثمانين يوما . وأجريت مئات من التجارب من هذا القبيل في الجنوب
والخضراوات وشجيرات الفاكهة وأشجارها فكان النجاش في زراعة الحبوب والخضراوات عظيما جدا ، فتبين
أن حجم الهليون (أسبارجوس) قد تضاعف تقريبا من غير أن يطرأ أى تغيير في غضاظته أو عدد فروعه ،
وكذلك البطاطس زاد حجم محصولها خسين في المئة بغير أن يزيد نمو شجيراتهما . وتبين أيضا أنه إذا زرعت
النباتات الغذائية في الماء بدلا من زرعها في التراب يزداد معدل نموها نحو مئة في المئة ويزداد حجمها ويتسنى زرع
عدد كبير منها في مساحة واحدة . وأسفرت التجارب في زرع القمح وافية . وختم الدكتور جاريك
حديثه قائلا إن أهم ما في اكتشافه هذا أنه يمكن ملايين من الناس أن يعيشوا على محصول تفتحها المياه في
أراض كانت لا تنتج سوى الشوك ، والقطن والتبغ لهما نتائج باهرة . فقد نما القطن من البذور حتى طرح
الاورق في مدة تسعين يوما . وظهر أن القمح إذا زرع في الماء المذابة فيه أقراص النبات يزيد نمو خسين في
المئة أكثر منه إذا زرع في التراب المغذى بأقراص النبات . وحلت نتائج هذه التجارب الدكتور جاريك
ومساعديه على الشروع في اجراء تجارب زراعة النباتات الغذائية في الماء لمعرفة نفقاتها إذا زرعت على قياس
تجارى فوجد أن الحياض التي عمقتها من ست الى ثمان بوصات هي أصلح ما يكون لزراعة الحبوب والخضراوات
وقد استعملت حياض طول كل منها عشرون قدما وعرضها خمسة أقدام مصنوعة من الخشب ومبطنة بورق
مدهون بالقار وترك الورق زائدا من كل جهة ليصلح غطاء للحوض وجعل في هذا الغطاء ثقب صغيرة
قريبة بعضها من بعض وأدخل في كل ثقب منها شتلة من النباتات بحيث تصل جذورها الى الماء الذي وضع فيه
عدد من أقراص النبات وقد تبين أنه يتسنى بهذه الطريقة زرع ضعف أو ثلاثة أضعاف ما يزرع في المساحة ذاتها
من الارض مع سرعة النمو وزيادة المحصول كما ذكرنا آنفا . وقد أدت مواصلة هذه التجارب الاقتصادية الى
أن هذه الحياض الخشبية المسقوفة بالورق المدهون بالقار أو بالاسلاك الوثيقة هي خير الوسائل وأقلها نفقة لزراعة
الحبوب والخضراوات في الماء وقد رأى الدكتور جاريك ومساعدوه أن نفقة حياض من هذا النوع تغطي
مساحة فدان مع ترك طرق بينها تبلغ على الأكثر ٢٥٠ ريالا في أية ناحية من أنحاء الولايات المتحدة حيث
المواد غالية الثمن وأجرة العمل باهظة . أما في الانحاء الأخرى من العالم فالعقد أن النفقة لا تزيد على ١٥٠ ريالا
وإذا زادت المساحة الى خمسة أفدنة أو أكثر فإن نفقة الحياض اللازمة لتغطيتها لا يمكن أن تزيد على مئتي ريال
في الولايات المتحدة ، وهكذا تبلغ نفقة حياض خمسة أفدنة ألف ريال أو ثلاثة أضعاف ما يلزم لتصلح الأرض للزراعة
كل عام . ولكن متى أنشئت هذه الحياض فاما تعمير على الأقل خسين عاما ولا تحتاج الى حرائق أو ري ولا عرق
أو تنظيف من العشب وكل ما هناك أن الحياض تملأ ماء وتوضع الأقراص الكيميائية فيها مع سرعة النمو وزيادة
المحصول ، والتخلص من آفات الزراعة التي تنشأ من الأرض

وعلى هذا المتوال يتسنى للزارع أن يربح نفقة صنع الحياض في عامين . ثم إن مسألة المناخ ورطوبة الهواء
أو جفافه وخصب الأرض أو عدم خصبها كل هذه العوامل الهامة في زراعة الأرض يظهر أن لاثاثيرها في
التجارب التي قام بها الدكتور (جاريك) ومع ان طريقة الزراعة في الماء لا يمكن بها زرع نباتات في غير
اقليمها فلها تجعل نمو النباتات وتزيد محصولها في منطقتها الخاصة بها . فقد قام الدكتور (جاريك)
ومساعدوه بتجارب اكتشافه في جو درجة حرارته ورطوبته مضارعة لدرجة حرارة ورطوبة جو صحراء
الاريزونا والمكسيك الجديدة والجنوب الشرقي من كاليفورنيا فزرعوا الفجل واللفت والبنجر والخس والسبانخ
والطماطم والباذنجان وغيرها من النباتات الغذائية فتبين انه في الامكان زرع ٢٠٠٠٠ شجرة من شجيرات
الطماطم في حياض مساحتها تعادل فداناً بمحصول يزيد على محصول عدد مثلها في الارض من خمسة وعشرين
في المئة الى ستين في المئة . ويرى الدكتور (جاريك) ان أهمية اكتشافه الحقيقية هي استخدام طريقة

زراعة الحياض في المناطق القاحلة القفرة في جميع أنحاء العالم إذ يمكن أن يزرع فيها الشيء الكثير من النباتات الغذائية . ويقول الدكتور (جاريك) أنه يعلم أن رمال الصحراء يمكن جعلها صالحة للزراعة إذا تسنى ربيها بالماء العذب ربا وافيا ، ولسكن يوجد ملايين وألوف الملايين من الأفدنة التي لا يمكن أن تصل إليها المياه العذبة لربها وزرعها . على أن كمية ضئيلة من الماء تكفي لاستعمال طريقته وزرع النباتات الغذائية في صميم أجندب الصحاري وأقفرها . فأى نبع صغير أو بئر أو ترازية أو صهر يجتمع فيه ماء المطر ويكفي لتغطية قاع حوض طوله عشرون قدما وعرضه عشرة أقدام يكفي مئة قدم مكعبة من الماء وهذا الحوض يمكن أن يزرع ١٧٠ شجيرة من الطماطم وإذا فرضنا أن نصف هذه الكمية تنرم لتعويض ما تقتصه الشجيرات في أثناء النمو وما يقبخر منه ويتسرب من منافذ الحوض كان مجموع كمية الماء اللازم لهذا الحوض طول موسم الزراعة ٢٠٠ جالون أو ثلثمائة صفيحة من حجم صفائح البترول مع أن هذه الكمية من الماء لا تكاد تكفي لرى نصف هذه المساحة من الأرض موسما واحدا مع العلم أن مساحة من الأرض معادلة لهذه المساحة إذا عهدت بالرى الوافي لاتسع لزراع أكثر من خمس ما يزرع في الحوض وكل نباته تزرع في الأرض لانتج من المحصول الاستين في المئة مما تنتجه النبتة التي تزرع في الحوض وينظر الدكتور (جاريك) الى مستقبل اكتشافه هذا فيرى أن كل نبع ضئيل أو بئر أو صهر يجتمع في الصحراء والأراضي القفرة القاحلة سيكون محوطا بحياض فيها ماء رقيق يغطي قيعانها الى ارتفاع ثلاث بوصات أو أربع وكل منها مزروع نباتا ذا محصول غذائي ومما تنتجه زراعة هذه الحياض كاف لمعيشة عدد كبير من السكان . ويرى سطوح المنازل المرتفعة بدلا من أن تترك بلا نفع ولا فائدة حدائق غناء بالرياحين والأزهار أو إساتين تزرع فيها الفاكهة والخضراوات ، ويرى كل صاحب منزل في المدينة يستعمل جزءا من فناء داره أو حديقة لانتاج ما يلزمه من الخضراوات والأزهار بريح وافر وأنه يصبح في رسع أى إنسان مقيم في أقصى بقعة من بقاع الأرض القاحلة أن يزرع كل ما يلزمه ومن معه من الخضراوات والنباتات والأشجار المثمرة التي يلائمها الاقليم . والعمل الذي يتطلبه الزرع على هذه الطريقة الجديدة لا يبلغ عشر معشار ما تتطلبه خدمة الأرض اه

﴿ تذكرتان ﴾

(الأولى) تذكرة في سورة الأحزاب في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - (والثانية) تذكرة في سورة سبأ في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وسر من أسرار الفهم المستخرج من الأرض ﴿ التذكرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - وهي سر من أسرار الطب في الصيام المذكور في الآية فوق ما تقدم في (سورة البقرة) من المسائل الطبية والصحية في آية - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي سورة الأعراف عند آية - وكأولواشربوا ولا تسمرفوا - وفي سورة الحجر عند التلميح الى قصة آدم ، وفي سورة طه عند قصة آدم أيضا ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - . ففهم هذه المواضع من التفسير أهم ما في علم حفظ الصحة من التجاني عن الأدوية المشهورة والاكتفاء بالمداواة الطبيعية ، وكذلك سر في سورة القصص عند قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ بيان كيف يكون الهواء الطلق وضوء الشمس حورا وسعادة وصحة ، وهكذا في أول سورة العنكبوت ﴿ عند ذكر الجهاد كيف كان الصوم أصبح نافعا في العلاج بإضاح تام ، أما هنا فاني أقول : جاء في سورة الأحزاب في هذا المجلد انه ﷺ سراج منير بنص الآية وأن ضوء الشمس هو الذي يفتك بالحيوانات النورية المهلكة الحادثة من العفونات المسطحات على أهل الأرض ، فهكذا آي القرآن التي هي أشعة من نور الله أشرقت على أهل الأرض يجب أن يرجع الى المسلمين اليوم مع أمثال هذا التفسير النزول من بلاد الاسلام

تلك الغفلة التي استحكمت بالآراء المنحرفة عن ادراك جنال هذا الوجود الذي يحرمه المسلمون أجيالا وأجيالا ولا جرم أن ما ذكرته هناك في القرآن على هذا النحو يمثل له في الحياة المادية الدنيوية بما يفعله أهل أمريكا اليوم من التمرض فشمس والصوم أى ترك الطعام مع شرب الماء أمد أربعين يوما فيزول من أبدانهم فقر الدم ، فإذا كان الصيام العلي (الذي له شبه ما بالصيام الشرعى وأيس من كل الوجود) قد اتحد مع ضوء الشمس والهواء النقي على إعادة الصحة وإزالة فقر الدم والمرض الناشئ عن المداواة بأكل اللحم في ذلك المرض هكذا أتم الاسلام باعراضها عن الخرافات والبسوع وتمسكها بنفس كتاب الله الذي يحوّرهم على معرفة ما في هذه الدنيا من الجدل والابداغ يرجع لها مجدها وشرقيها القديم العظيم ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية وهي « المصور » بتاريخ (٢٨) مارس سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ فقر الدم ومعالجته بالصوم ﴾

جاء في بعض الصحف الأمريكية انه طرأ تحوّل في الطب عند كثيرين من الأطباء فانهم بعد ما كانوا يصفون اللحم الدامى للصائين بفقر الدم أصبحوا يصفون لهم الصوم الآن ، وفي الولايات المتحدة مستوصفات ومستشفيات يعالج فيها من يصف لهم الأطباء الصوم ، ومن أوصافها وقوعها في مكان طلق الهواء نقيسه ، تعرض غرفها وسماوحها للشمس واحاطتها بخدائق تعطر الهواء بأريجها الطيب ، ولا يتغذى المستشفى إلا بالماء ومع ذلك لا يكون ما يطلب منه في مقابل اقامته في المستشفى مبلغا يستهان به وتتفاوت مدة المعالجة بين (٤٠) يوما و٥٠ يوما يكون المستشفى في خلالها تحت مراقبة الطبيب ، أما نتيجة هذا الصوم فتكون جلاء بضر من يشكو ضعف البصر وزوال ما يسببه من فقر الدم ، وشفاؤه من مرض البول السكرى واندمال قروح معدته وعودة القوة الى الذين هجرتهم من جراء الافراط في العمل ، ويكفى الانسان مدة ثلاثة أيام ليتوقد الصوم ويتخلص الجسم من السموم العائشة به بعد ستة أسابيع أو سبعة ، ويقول العارفون « انه اذا لاحظ الانسان الحيوانات وجد انها حين تكون مريضة تمتنع عن تناول الطعام ، وعند الانسان نفسه يكون فقدان الشهية للطعام دليلا على اضطراب صحته » وعلى كل حال ينبغي للمرء ألا يعتمد الى الصوم بدون أن يستشير الطبيب اه هذا ما جاء في مجلة « المصور » وبه تم الكلام على التذكرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ التذكرة الثانية ﴾

(خواطر في صلاة العصر في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها -)

(كتب يوم ٩ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

لقد علمت فما ذكرناه مشروحا ومرسوما موضحا أن أكثر الألوان التي تصبغ ثياب الناس في الشرق والغرب اليوم انما تكون من القطران ، وذلك القطران من الفحم والفحم مما يخرج من الأرض ، ومن عجب أن هذا الفحم مكث مئات الآلاف من السنين وهو يتلظى ويتقلب ويحترق في النار الحامية في جوف الأرض ، فهناك حرارة عظيمة جعلت الخشب فحما ، فلما أن أخرجه الناس اليوم كشفوا أمره فوجدوا فيه مئات الألوان فصبغوا بها الثياب فأكب عليها الناس في الشرق والغرب وكان هذا التهالك سببا في هلاكهم في الدنيا وعذابهم - والعذاب الآخرة أشد وأبقى -

ولذلك تجد جميع الأمم التي استعمرها الفرنجة مكبين على الزخارف والزينة التي تبهرهم ببريقها ولعانها فتزول ثروتهم وتضيع بلادهم . مثال ذلك بلادنا المصرية أيام المغفور له اسماعيل باشا فانه استدان واستدانت البلاد فكثرت دين الأمة وكثرت دين الحكومة ، فقد ضلت الأمة ودخل الانجليز البلاد بحجة المحافظة على الدين وهمل هذا كله إلا بتلك الثياب التي صبغت بالقطران المستخرج في تلك الدول العظيمة من الفحم الحجري

أوليس هذا هو ما شير له قصة المسيح الدجال إذ يأتي بجنة ونار وقد أمرنا أن نترك جنته وندخل ناره فتكون جنته نارا وناره جنة ، فينده الأمم المتأخرة الإسلامية لما بهرها بهرج الفرنجة استعملته فوَقعت في الذل وساءت الحلال ، ومتى ذلت الأمة ذهبت منها الأمانة والشرف والشجاعة والعفة فصاروا عبيد الفاتحين وصعيدا جززا تذروه الرياح فإذا ماتوا كانت أرواحهم ناقصة ، وهل للناقص إلا جهنم لأن جهنم للناقصين ، والمسلم الناقص يكون في جهنم يتم مدة عذابه ، أليس هذا هو سرّ قوله تعالى - سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار - . أوليس هذا هو سرّ القرآن ظهر الآن ، وإن كنت في شك مما قرّرت لك الآن وقلت هذا القول غامض بعيد عن الصدق . أقول : أفلا أذكرك بما نقلته لك في آخر ﴿سورة آل عمران﴾ عن الزعيم الهندي (غاندى) عن مجلة الجامعة الهندية إذ يقول فيها في الفقرة الخامسة مانسه : « إن الولوع بالمسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا ألا وهو العار على كثير من العائلات » اه فها هو ذا (الزعيم غاندى) من المعاصرين لنا يقول : إن المسوجات الأجنبية تجلب العبودية وما تبعها ، (وبعبارة أخرى) أنها تكون مثارا لأنواع الذل والشقاء ويتبع ذلك الخسة وهذه تجمع أنواع المعاصي أفليس هذا من أسرار القرآن إذ ذكر أن سرايل أهل النار من قطران ، وهما هي ذة السرايل ملونات بألوان من القطران الفحشى فتهاقت الناس عليها كما يتهاقون على جنة المسيح الدجال وهذا التهاقت أورث ضياع البلاد والاسراف والله لا يحب المفسرفين فتهلك الأمم وتضيع البلاد ، فهذه النفوس الناقصة تعذب ﴿عذابين﴾ عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة لأن ذلك هو استعدادها ، وذلك كله سرّ آية - سرايلهم من قطران - وهو مستخرج من الفحم الحجري وهذا الفحم مما يخرج من الأرض في قوله تعالى هنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ . تم الكلام على التذكرة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿خاتمة السورة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أيها المسلمون : انظروا معى نظرة عامّة الى هذه السورة ، هي مبتدأة بنعم الله الجزيلة وبأنه مستحق للحمد عليها وبأنها من السماء ومن الأرض والجنة خارجة نازلة صاعدة وهي مع ذلك لا تعزب عن علمه ، وأن هذه الحياة لا تقف عند حد الموت فهي ممتدة لتتكون أواخرها نتائج أوائلها ونهاياتها مبنية على بداياتها وأن علم العلماء في جميع القرون وكشف الكاشفين للعلامات في الأرض يبين لهم أن هذا القرآن حق وهاد الى صراط العزيز الحميد

هذا مبدأ السورة ، ثم انه أخذ يبين لنا حال أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب ، فهما أمتان متجاورتان ، فأما أمة اليهود فانها ازدهرت بالعلوم والعرفان والعمران أيام داود وسليمان عليهما السلام وكان ذلك الازدهار والعزّ موجبين لشكر الله على من أعطوا هذه النعم ، فأما أمة العرب وسبأ فانهم بطروا النعمة وكفروها فلم يشكروها فحاق بهم العذاب وساعدوا ابليس على تلبسه عليهم واصلاله فكفروا فحق عليهم الوعيد ، لذلك أرسل الله النبي ﷺ ليجمع الناس من عرب ويهود ويجمع فانتشردينه في أقطار المعمورة وازدهر العمران

ثم أخذ يقصّ علينا نبا النوع الانسافى من حيث التقليد واستقلال الرأى وأن المقلدين الخاملين لا ينفعهم عند الله الاحتجاج بأنهم غرّهم الرؤساء ، فكل عن عمله مسؤول وأن الرؤساء الضالين أشبه بالذباب يطوف على الوجوه والعيون فيبيض في القفرة منها فيخرج فيها بيضه دودا فيحصل الرمد للعين . فالعيب على من أصابه الرمد لأنه مستعدّ لوقوع الذباب على عينه وهذا هو قوله تعالى - ولن ينفعكم اليوم إذ ظننتم أنكم في

الغنايب مشتركون - وقوله هنا - وقال الذين استكبروا للذين استغفوا أنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين - ردًا على قولهم - لولا أنتم لكاننا مؤمنين - كما تقول العين الرمضاء للذباية لولا أنت لكانت سليمة من المرض ، فقتول الذباية : إن استعدادك لوقوعي عليك أغرااني بذلك فأصببت بالمد بسبب يئسى الذى وضعته فيك ، فأنا رقت عليك لأضع البيض فيك وهذا طبيعى الموافق لطبعك ، فنحن معا نشترك فى خلق واحد ، بيننا جامعة تجمعنا ، فأنت مرتضى الخصيب ، وأنا الراتسة فيه ، فأى فرق أيتها العين بيننا وبين الأنعام ، ترى فى الرياض النظرة والحقول الخضرة ذات الأزهار البهجة ، ألسنت أنت روضتى وجنتى ونعيمى لأن القذارة محبوبة لى وأنا بها قريرة العين سعيدة

فهذه المحاورات بين الذباية وعين الأرمد أشبه بالمحاوراة بين الرؤساء والمرؤسين إذ يقلد الآخرون الأولين كما اتفق فى أمة الاسلام المتأخرة إذ استسلم المجموع الاسلامى لبعض من قل علمهم وضعف يقينهم فاستنزلوهم بعد عز من مراتبهم حتى محموا عن آيات القرآن كالذى جاء فى هذه السورة وغاية أحدهم انه ربما يقرأ فى أمثال هذا التفسير فيفرح بمجراته صلى الله عليه وسلم التى ظهرت فى هذا الزمان كاتارسد العرم المرسومة فيما تقدم وأن ذلك يوجب تصديق أهل العلم ، فان من يقرأ هذا ويعلم أن المؤرخين كانوا يشكون فيه فظهر لهم الحق بكشف أولى العلم فانه لا محالة يصدق بالقرآن ومن أنزل عليه ولكن أيها المسلمون ليس التصديق بأن القرآن حق هو كل ما يطلب منا ، فهذه مرتبة الرجل المبخوس المنزلة الضليل المعرفة ، فبلاغة القرآن ومجرات العلم كل منهما يرشد قوما الى صدق القرآن ، ولكن التصديق بالقرآن بعد هذا الجدل يشاركنا فيه العالمى والصبي فهما مؤمنان والايمن شئ والتشهير مقتضى الايمان شئ آخر يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى : « إن من لم يكن له حظ من القرآن إلا لفظه وتفسيره واعتقاده بالقلب فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان ادراك اللفظ بسلامة حاسة السمع وفهم المعنى يكون بمعرفة اللغة العربية التى يشارك العارف بها الأديب اللغوى بل الفنى البدوى ، وأما التصديق بأن كلام الله حق فهذه مرتبة يشاركنا فيها العالمى الجاهل بل الصبي . قال :

وهذه درجات كثير من العلماء فضلا عن غيرهم » اهـ

إذن فلتعزنى أذنك أيها الذكى وتجلس معى دقائق أحدثك فيها حديثى عن أمة الاسلام التى أعيش معها مدة ما ثم أترك الأرض ومن عليها وأتوجه الى لقاء ربى . فأقول :

« يارب أنت أرسلت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة وقلت لنا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأسكننا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لنا فى آثارهم كيف فعلت بهم وضربت لنا الأمثال ، ومن الأمم المذكورة أهل سبأ وقد ملكتنا أرضهم . فماذا فعل المسلمون لما ملكوا ؟ هاهم أولاد تركوا مواهبهم العقلية والجسمية وتركوا نعمك التى أنعمت بها عليهم ولم يبالوا بنعم المطر النازلة عليهم من السماء . فآؤه يجرى بلاسد يصدّه ولاعزم يحفظه فعطوا نعمك . نعم ان جهورهم اليوم لا يعلمون إلا ماورثوه عن آبائهم من العلم وهذا تقليد والقليد مذموم . وهاهم أولاد يا الله يقرؤن فى سورة سبأ التى أنزلتها باسم بلادهم التى أهمها (مدينة مأرب) التى تقدم رسمها والتى تسمى باسم سبأ أيضا . وقد قلت فيها لا فى صنعاء كما يقول الجمهور من المفسرين - بلدة طيبة رب غفور - وقرؤا أن هؤلاء الوثنيين لما أعرضوا عن حفظ السد وتربيمه أنزلت عليهم عقابك فى الدنيا ففرقتهم فهم لم يشكروا النعمة ولم يحفظوها كما حفظها داود وسليمان عليهما السلام . فهم قوم غير شاكرين . والذى لا يشكر النعمة يحفظها تزول عنه . ثم أقول يا الله : قرأ المسلمون هذا فى القرآن ولكنهم وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ ولم يفتن أكثرهم لما نزل من هذه الحكم وهى أن يعمروا أرضك ليكونوا - خير أمة أخرجت للناس - كما كان سلفهم الصالح أيام الصحابة والتابعين لا أن يكتفوا على جمع المال وادخاره وعلى المالك والاكتفاء بالمجد الكاذب الذى هو كسر اب ببيعة

بحسب الظلمات ما حتى اذا جاء لم يجد شيئا ووجد الأمم المحيطة بانتغلب على أطراف البلدان الإسلامية لجهل أهلها وقلة تبصرهم وعدم تعقلهم أمثال هذه الحكيم في القصص القرآنية حتى انك ألهت محمد بن نورمت في بلاد المغرب فظهر لهم بهيئة المهدي الذي يتبعون قوله أمدا ثم دالت دولتهم بعد مائة سنة وكانت هذه سنة تلك الأمم إذ اقتعدوا غارب التقليد الأعمى بمن سيطروا عليهم من الرؤساء الذين سخرهم الله لهم لما عمت البصائر عن القرآن الهادي الى طرق الحقائق وأخذوا يتخبطون في ديجور الظلام الخالك حتى جاء زماننا فوجدنا بلادك التي سلمتها لنا خاوية على عروشها ، فيها هي ذه بلاد شمال افريقيا في القرون المتأخرة نصب معين الحضارة منها فأرسلت لها أم أوروبا أمة بعد أمة ، وهاهي ذه بلاد العرب التي كانت منبع حضارة الأمم شرقا وغربا قد حل بها البوار ولحقها النكال وهاهي ذه بلاد الصين وحضرموت وما والاها من البلدان لم نجد فيها ملكا اليوم يعادل ولا يقارب ملك السبئيين الوثنيين الذين عبرتهم بأنهم أعرضوا عن نعمك وضربت لهم مثلا باهمال سد العرم الذي هو واحد من مئات الأسداد في تلك البلاد فلم يفتن عالم من علمائهم الى هذه العبر وقد أحاطت بهم النذر من كل جانب ، وهاهي ذه أوروبا واقفة لهم بالرصاد ، أنت يا الله خاطبت المساميين بكلامك القديم اليوم منذرا ومحذرا ، فكلامك القديم لا يتسنى لنا أن نعرفه إلا بأحد طريقين إما بأناظ ترد على لسان نبي كالذي جاء في هذه السورة . وأما بفعلك أنت لأن المعاني تظهر بالقول تارة وبالفعل أخرى فأما القول في القرآن وأما الفعل فهو مظهر اليوم في العالم قاطبة . فكلم يا الله من نعم ببلاد العراق ونجد والحجاز والصين وحضرموت مخبوءة فيها . وكلم من سحائب ما طرات مطرا يحيي الأرض بعد موتها ثم ترك ذلك كله وشأنه فلم يحفظ في زمن الاسلام بالاستخراج وبالأسداد كما حفظ أيام الجاهلية فانتفع الناس به .

« هذه حال المساميين اليوم يا الله . وهاهوذا التفسير قد كتبته وهم يقرؤنه وهو آخر انذار للمسلمين فان فكروا ففهموا وانتفعوا وان أغمضوا أعينهم عن الحق أهلكتهم الأمم »

أيها المسلمون : هاأنذا أنذرتكم وحذرتكم . وبأبناء العرب اخواني وأصدقائي فكروا في قصص هذه السورة . فكروا في قول ربكم - فأعرضوا - ولما أعرضوا أرسل عليهم سد العرم . أليس هذا اصلاحا دنيويا . ألم يكن خراب سبأ أو (مدينة مأرب) من نتائج الجهل الذي وقعنا فيه الآن . أتم يا أبناء العرب اخواني قد أنزل الغطاء عن أعينكم فأخذتم تفكرون وهذا كسائي بين يديكم وأنا أعلم انكم تقرؤنه ومستحيل أن يمر هذا القول بلا نتائج بل أقول فوق ذلك انكم سترجعون المجد القديم الذي يجعلكم - خيرا أمة أخرجت للناس - كما كان آباؤكم الأولون . وانما خصصت الخطاب لكم الآن لأن مدينة مأرب وهي سبأ لا تزال في حوزتكم . فالفرصة سانحة لكم جميعا في العراق والحجاز ونجد وغيرها من البلدان . أنا أذكركم بقول الله تعالى في ﴿سورة الأعراف﴾ - لتذريه وذكرى للؤمنين - فالقرآن انذار لقوم وتذكير لآخرين . وجاء في نفس السورة - أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون - الى قوله - أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون -

فأمن أمة من أم الاسلام إلا حلت محل أم بائدة . وأهل الصين حاولوا محل أهل سبأ وأولئك أهملوا الماء فلم يحفظوا السدود وكفروا . وهؤلاء المسلمون أذنبوا وأعرضوا عن حفظ هذه النعم . أفلا يحق لي وأنا أكتب هذا أن أخاف عليهم . فأنا أنذرهم وأقول لهم ان الذنوب على ﴿قسمين﴾ ذنوب ترجع الى اهمال النظام في الدولة وهذه جزاؤها الملاك في الدنيا أو الدل . وذنوب جزاؤها في الآخرة غالبا وهي الامور الاعتقادية ﴿وبيانها﴾ أن أكثر الأمم التي هلكت قراهم في القرآن كانوا غير منتظمين في أمور الحياة . ونسمع الله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فاذا أصلحو نظام بلادهم وهم كافرون فلاهلك يلعنهم فالكافرون

المعمرون لبلاد الله العادلون يكون عذابهم في الآخرة غالباً . انظر الى أمة الصين وأمة اليابان . فهؤلاء ذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا لما كانوا غير متفكرين في أمر نظام مدنهم العام ، فلما أن عرفوا ذلك ونظموا البلاد خرجت أوروبا من بلادهم حاربة

في أبناء العرب ، وبأهل اليمن ، وهذا كتاب الله وهذا فعليه . يعذب الأمم في الدنيا بجهلها وإهمالها كما جهلت وأهملت سباً وأنتم ورثتم الأرض من بعدهم . فوعيد الله لكم ظاهر واضح . ولا سبيل لكم من النجاة إلا بصرف آخر درهم من أموالكم في تعليم الشبان تعليماً عالياً وهم هم الذين يقومون بنظام البلاد . والله لقد أنفرت وحدرت وأنت يا الله تشهد - وكفى بالله شهيداً - . فهل لكم أن تسمعوا ما جاء في كتاب « التجارة الاقتصادية والجغرافيا البشرية » فقد جاء فيه ما يأتي :

(الانسان ونهضة الاستعمار)

(هذه نقط الموضوع)

(١) معنى الاستعمار (٢) أقسام العالم الطبيعية طبقاً لنظرية هربرتسن مثلثة بخريطة (٣) الهجرة (٤) موقف المستعمرين . الأمم المستعمرة وميزانها (٥) أنواع المستعمرات (٦) ما يجب على المستعمر معرفته (٧) أوروبا بعد الحرب الكبرى

يدل معنى لفظ الاستعمار على عمران الأقطار وسكنى البوادي بعد اصلاحها واستيطان القفار بعد استنباتها واستثمارها فيقتل وحشها أنسا ويستحيل جذبها خصبا فينعم أهلها ببسطة في الرزق ووافر من الخيرات والثمار ثم يرقى المجموع الانساني تباعاً باستكمال أسباب الراحة المعيشية وهي كل صراميه في حياته الدنيوية قام الانسان في عصور الكشف الجغرافي بنهضة جلي كان غرضه منها تعرف جهات العالم جميعها فزج نفسه في المحيطات واخترق ظلمات القارات واستهدف للخطر وركب الغرر فهلك من هلك ولكن نال بغيته وأصبحت الأرض جميعاً قبضته فانقسمت الى أقسام سياسية ترجع الى مختلف المجهودات وما احتدم من قتال وما شجر من خلاف ، ثم تريت وأمعن فانكشف العالم أمامه أقساماً طبيعية لا تحول ولا تحور

عمد الى كل جهة جديدة وأقبل عليها بخيله ورجله يحدث فيها من الحرف والأعمال بمادته عليه تجاربه في الجهات القديمة المأهولة والتي أقام عمرانها من قبل ، فأثبت القمح في أمريكا في الجهات الصالحة لزراعة وفي الأرجنتين واستراليا وزيلنده وأوجد القطن بالنيجر والسكر بالبرازيل وبنغال واستراليا والبن والكاكاو والتبغ والفاكهة أشكالا وألوانا . غرس كلا في المثلث الملائم له . ثم استثمر الغابات والأحراج الجديدة على نمط القديمة وسبر غور الأراضي وانتزع من معادنها وغاص أعماق البحار وانتفع من لآلئها فعمت هذه الخيرات العالم وأثرى المستعمر وأثرت النفوس الى العوالم الجديدة الفاتحة لبنا وعسلا وخفت اليها الرجال واتيت اليها الآمال فأنعم بالاستعمار ! هاجر الناس من موطنهم على حبها وشدة تعلقهم بها فانتجعوا هذه الأقاليم طمعا في المال أو فرارا من شدة التراحم ووطيس النضال وأقبلوا يزفون على مزارع عذراء ومنجم لم تطمت وأرض لم توطأ فصالوا وجالوا وطبق صيتهم الخافقين وأصبحوا قدوة لبنى جلدتهم فأهتروا جميعا بحب الهجرة وأشربوها في نفوسهم وجرت منهم مجرى الدم حتى ليهذى بها الصغير في غضاضة الالهاب ويصوب اليها الفضل القوى في زمن الشباب ويحعن اليها شيخهم اذا هرم وشاب

الى ان قال : فاذا لم يكن في الاستعمار غير تمييز أجزاء الأرض قصيبها ودانيتها والأخذ بيد الشعوب المتأخرة للنهوض بها الى مستوى الحضارة الكافي لأن كثيرا من المستعمرات قد بلغ من الثروة الطبيعية أقصاها ولكن أهله الوطنيين للأسف غير قادرين عليه وعلى الانتفاع به لتأخر حالهم العلمية والكثير منهم همج وحشيون

يعيشون على الفطرة . فوقف المستعمرون في ذلك حرج . فلا هم بمنسفين اذا تركوا هذه الكنوز القيمة طلاس في يد من لا يعرف أن يرعاها ولا هم بمنسفين اذا تدخاوا فلا يسلمون من الثلب واندمج ودمهم بالطمع والجشع والتصدى غير شأنهم والتدخل فيما لا يعنيههم . واذن فليدخل المستعمرون لا الامتلاك بل لفرض الاصلاح وارشاد الوطنيين حتى يبلغوا بهم من المستوى العلمى والأدبى ما يؤهلهم الى الاندماج بمالهم وبلادهم فاذا تم ذلك كان الاستعمار نعمة ، والمستعمرون ملائكة الرحمة ، ولكن الانسان وما فطر عليه من حب الذات والسعى لها كثيرا ما يحد عن المبادئ القومية العالية ويغش عن واجبات الانسانية السامية فتشوهت صفة الاستعمار وخرج عن معناه الى معنى الاستعباد والاذلال

امتازت الأمم المستعمرة : **﴿أولاً﴾** بشدة البأس والسطوة والجبروت . فهي تعد الجيوش وتبنى الأساطيل لتحمي دمارها وتحفظ حقوقها وتتضرب بها العصاة الوطنيين اذا جنحوا الى العداة ورفضوا منهج الاستعمار الذى وضعته . وامتازت **﴿ثانياً﴾** بكثرة المال تنفقه فيما تشاء وعلى من تشاء فتفتح به المناجم والمصانع ويزهو به الزرع ، وتشقى القنوات . وتذل الطرق . بل تذل كل صعب . وامتازت **﴿ثالثاً﴾** بأنها الأمم العاملة المخترعة المتفنتة فى أساليب الرقى والحضارة . فمن المهندسون والزراة والصناع والكيميائيون والأطباء والفيف العالم الراقى جميعا . فأى قطر يحتله هذا النوع من الانسان وما وهب من المزايا ثم لا يرقى الى معارج الفلاح والتجارج أو لا يفيض على المستعمر والمستعمرة أرضه بالخيرات والبركات

والمستعمرات **﴿قسمان﴾** نزلية واستغلالية . فأما الأولى فينزل فيها الأجنبي اغرض الاستيطان اذا كان جوهها مما يلائم مزاجه وطبيعته لوجه الشبه بينه وبين بلاده الأصلية فيتمسك له اذا استوطنها أن يقوم بالعمل الجسائى فيها ويرتزق من هذا الطريق ان شاء . ويقع عادة مثل هذه المستعمرات فى الأصقاع المعتدلة . فمنها كندا واستراليا وزيلانده وأمثالها . وأما الثانية فهي التى ينزل عليها الأوروبيون لا للاستيطان بل لغرض الاستغلال والاستفادة من طيب أرضها وصيب خيرها حتى اذا جمع ما يكفيه قتل الى وطنه الأول وعاش فيه بقية حياته منعماً بما كسبت يدها فهو لا يستطيع القيام بالعمل الجسائى فى ذلك الوطن الثانى لعدم صلاح جوه له ولذا يضطر الى استخدام أهله الوطنيين فى ضروب الاستغلال والاستثمار على أحر معام بينما تكون له الزعامة العليا بفضل ما امتاز به من العدة والمال والعلم . انتهى ما أردته من كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » والحمد لله رب العالمين

أيها المسلمون : أليس هذا فعسل ربكم سبحانه وتعالى . جاء نبينا ﷺ فقام معه العرب ونشروا العلم والامن فى الأرض ثم خد المسلمون إلقايلاً وناموا فلم يتركهم بلامندرين . فهاهوذا القرآن يدرسونه . ولما غفلوا وقلدوا آثار الله أهل أوروبا وحركهم لاستخراج ثمرات أرضه التى جعلها المسلمون فأحاطوا بهم من كل جانب . انهم من مخلوقات الله تعالى وهو الذى أوعز اليهم أن يجعلوا المستعمرات **﴿قسمين﴾** نزلية واستغلالية ولاجرم أن بلادكم أيها المسلمون بلاد استغلالية . فهم ينزلونها للاستغلال لا للاستيطان . فدونكم كلام الله ودونكم فعسله . فان لم تفهموا القول أفلا تعقلون الفعل . فأيكم أيها المسلمون أن تذروا النعم فى بلادكم لئلا يستعمرها قوم غيركم . وإياكم يا أهل اليمن أن تتركوا الغابات والأشجار كأشجار الخروع الكثيرة فى بلادكم فلا تنفعوا بها . وكذلك السكوز والآثار المظمورة فقد حذرت وأذرت وبيئت - والله عاقبة الامور -

كتب فى صباح يوم الاثنين الموافق (٢١) ابريل سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على (سورة سبا) والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس عشر من كتاب «الجواهر» فى تفسير القرآن الكريم وبلية الجزء السابع عشر : وأوله تفسير سورة فاطر)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالانتباه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهامه هذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بالغيث	بالغيبة	١٨	١١٣	في الأرض وفي	في الأرض في	٤	٤
وبدلوا بالجنيتين	وبدلوا الجنتان بما	٢٥	١١٥	السورة	الصور	٧	٤
ملا ينفع	لا ينفع			ان	إن	١	٦
مرة الثمر	من الثمر	٢٥	١١٥	وجال	جال	٧	٨
وتيامن	وتبامن	٢٨	١١٥	فتكررت	تكررت	٨	٨
الاشعريون	الاشيريون	٢٨	١١٥	الغزالي	الامام	١٧	٩
هي	هل	٢٣	١١٩	فأنا	فانه	٢٧	٩
المصريين	المصريات	٣	١٢٠	في شجرة	في ورقة	٤	١٢
هاهنا	هاهنا	٢٢	١٢٠	منابر	منابر	١٧	١٤
نحن بنى آدم	نحن بنى	١٠	١٢٣	النقية	السفلية	٣٤	٣١
زمانه	زمان	٢٦	١٢٤	شكرا	شكر	٢٣	٣٥
الحجرة	الحجرات	١١	١٢٥	القولية	القوية	١٤	٣٧
جعلتهما	جعلهما	٢٢	١٢٦	الصاميم	الصاميم	٨	٥٢
غباوته	عبادته	٢٦	١٢٧	لم يعتد	لم يعتدوا	٣٤	٥٥
اننى	اننى	١٤	١٢٩	والغضب	والغضب	٨	٦١
إلا المسلمين	لا المسلمين	١٠	١٣٦	ليفهميا	ليفهما	٢٩	٦١
عنك	هتك	٢٨	١٤٢	أفت	أفت	٣٤	٧٠
إن شئ	أوهى	٢١	١٤٦	لكمهم	لكمهم	٣٥	٧٠
مشفران	شفران	٣٣	١٤٧	وضعت	وضعت	١٤	٧٢
تصوره	تصوره	٧	١٤٨	فبعد	بعد	٣٢	٧٥
الشقوق	لشقوق	٣٠	١٥١	السكرات	السكرات	١٣	٧٧
التخاريب	التخاريب	٧	١٥٣	متجارات	متجاورين	٣٤	٧٧
»	»	٨	١٥٣	ملا	ميل	٦	٨٢
»	»	٢٢	١٥٣	المشبه	المشبه به	٢٥	٨٢
أو بالأحرى	أو بالأحرى	٢٢	١٥٤	توجهوا	توجه	٥	٨٨
في شفته	في شفته	٢٤	١٥٨	أيقن	وأيقن	٩	٨٩
الأسئلة	ان الأسئلة	١٨	١٦٠	يأتون	يأتوك	١	٩١
وأياها	وأيام	١٧	١٦٢	أعزابا	أعزاب	٢١	٩٥
(سنة ٨٥٠)	(سنة ٨٥)	١٦	١٦٦	على ذلك	إن ذلك	١٩	٩٧

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
يد	بد	١٦	١٨٤	يشعر	يشعر	١٢	١٦٨
مأذر	مأذر	٢٤	١٨٤	كأراضي الدنيا	كأراضي الدنيا	٦	١٧٣
أبليا	أبلاوا	٢٤	١٨٥	سنة ١٩٢٩	نحو سنة ١٩٢٨	٢١	١٧٤
ابنه	ابن	٢٦	١٨٥	بخارية	تجارية	١٩	١٧٧
الدهش إذ	الدهش واذ	٢٢	١٨٦	غجرا	عمرا	١٩	١٧٨
الآريين	الاريين	١٠	١٩٠	في القرنين الأولين	في القرون الثلاثة	٣١	١٨١
بالبارسين	بالبارين	١٠	١٩٠		الأولى		
فيها	فيها	٣٥	٢٠١	والمكان	المكان	٥	١٨٤
أنى	أنى	٣٢	٢٠٢	ويغزون	ويغرون	١٥	١٨٤

(تمت)

(تذكرتان)

(الأولى) جاء في صحيفة (١٩١) أن ما يصرف على بقرالهند (١١) مليوناً و (٧٦٠) ألف جنيه وأن هذا أربعة أضعاف غلة الأرض ، وهذه العبارة نقلتها من الأصل وهذا الأصل خطأ لأن غلة الأرض أضعاف هذا بعكس ما جاء في هذه العبارة اهـ

(التذكرة الثانية) إن سنة وفاة (محمد بن تومرت) وهي سنة (٥٣٤) لا توافق ما جاء في القصيدة التي أنشئت على قبره انه عاش (٩) سنين مع انه أظهر المهدوية (سنة ٥١٥) ومن عجب أن المؤلف أهدي اليه كتاب فيه تاريخ (ابن تومرت) وأن وفاته كانت سنة (٥٢٢) وهذه أقرب الى الصواب فلهذا مات سنة (٥٢٣) انتهى والله أعلم

٢ تقسيم سورة الأحزاب الى ثلاثة أقسام وتفسير البسملة وأن ما تقدم في معنى البسملة في أول السجدة يرجع الى الفرق بين صفة الرب وصفة العبد مع ضرب مثل بالبترول والشمس وبيان الرحمة في الطيور والأشجار الخ وأن الشر لا يكون بالقصد الأول وأن العداوات والمواد الفاسدة وجدت ليتفرق الناس فيسعدوا بالمنافع ، فلنبين هنا كيف كانت الرحمة مثيرة لما في السجدة من الرحمت (بعد بيان معناها في سورة الروم ولقمان من حيث ان آلام الكسر والضرب الخ وآلام العقول بالحرية ، كل ذلك لا بد منه للأداة والتعليم) مثل الكلام على تدير الملك وأنه لا شفيع عنده إلا بأذنه ، وأن الانسان العاقل مخلوق من طين وأن العوالم السفلية مشاكلات للعوالم العالوية وهكذا وان أهم ما يدور البحث عليه في سورة انهم في ثلاث مسائل (الأولى) خلق الانسان (الثانية) موته (الثالثة) بعثه . فأما التسوية فان جسمي أهم ماركب هو منه أربعة عناصر الاكسوجين والاوودروجين الخ وهذه هي الأعمدة التي يقام عليها جسمي ، فالاكسوجين مع بعضها يكون به الحياة ومع البعض الآخر به الموت وهو مع آخره السم ، فهذه المركبات أكثرها مهلك ولكنها في جسمي صارت حياة ، وهنا يكون الدهش كيف حلت الحياة فيما أكثر طباعه الموت ، وهنا خطاب للروح واعلامها بأن اللذة والألم لغتان فصيحتان . وخطاب لله تعالى مبدع هذا الجسم وشكركه على تعليمنا انه سوى أبداننا فعرّفنا مسام الجلود فنطقت لنا وشهدت على المذنبين لدى حكوماتنا الخ

٧ أما الكلام على البسملة في (سورة الأحزاب) فقد بدى بذكر السبب في تكرارها في أول كل سورة وكيف نام المسلمون في تلك القرون وجهوا الحكمة في تكرارها فجمدوا على اللفظ ونسوا رحمة الله كلهم سواء منهم الخطيب والواعظ والعالِم ، فهم جميعا لا يعرفون من الله إلا عذاب جهنم ونعيم الجنة . أما رحمت الدنيا فهي منسية عندهم ، وبيان أن رحمة الله تعطى للعبد على مقدار ما يدرك منها ويطلبه ولا طلب إلا بعد العلم . ولو أن عاقلا عظيما من غير هذا العالم نظر الى المسلمين اليوم لقال لهم ان تكرار الرحمة اعظم قدرها كتكرار الآلاء في سورة الرحمن التي تعتبر كتفسير لبسم الله الرحمن الرحيم . فاذا كرر الله الويل في سورة المرسلات للتهويل وكرر الآلاء في سورة الرحمن لعظم مقام الرحمة فيها وهذا يكرر البسملة لعظم أمر الرحمة المشروحة شرحا تاما في سورة الرحمن المفسرة لمعنى هذا الاسم الذي هو في البسملة وفي سورة الرحمن قد قدمت آيات النعم الدنيوية على الأخروية لتعلم أبنائنا على هذه الطريقة . فنعلمهم عوالم الأرض والسماء أولا كما رتب الله الآيات كذلك وكما رتب الامام الشافعي أعضاء الوضوء اتباعا لنظام آية الوضوء . ولقد صرفت عقول علماء الاسلام عن تعليم تلك الرحمة لأن الأمة اتخذت فتح البلاد مرتزة لهم وشهوة ولذة فخانهم جهلهم غفر عليهم السقف من فوقهم . فالظلم حرمهم من العلم فنبذوا كتب ابن رشد ونفوه فتهلها أهل أوروبا فظهرت آثار نور الاسلام في أوروبا من كتب ابن رشد ثم كتب اليونان وهكذا . ومن العجب أن سورة الفاتحة في أولها علم وفي آخرها عبادة . وهنا بيان أن العلماء سيقروا هذا التفسير ويسارعون الى هذا النظام في تعليم الأطفال وأن أوروبا رجعت الى كتب اليونان وان

هناك تحريفا في نقلها مثل مسألة حدوث العالم فهي عقيدة المحققين منهم . ولكن المنقول عنهم قديما أن العلم قديم ونموذج كتب المطالعة تكون ذات نماذج جميلة كما ترى في ﴿سورة يس﴾ من حجر في الأوراق لاتراها العيون كثيرة العدد فيها مواد سائلة يعوم فيها ما يلقونها بالحضرة الخ وفيه بيان كتاب القراءة الملوكة وموضوعاته (٤٦) موضوعا وهذا كله مناسب لكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

١٣ ﴿كتاب الرحمة﴾ فيه ثلاثة فصول وهو من كتاب (تيسر الوصول لجامع الأصول) في الأحاديث النبوية وفيها وعيد من لم يرحم وأن الرحمة غلبت الغضب وأن رحمت الله مائة واحدة منها في الدنيا الخ

١٤ وجوب رحمة الحيوان وأن رجلا سقى كلبا فغفر له وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم غفر لها لما سقت الكلب ، وذكر الجبل الذي شكيا بإسنان حاله من التعب للنبي صلى الله عليه وسلم ودعت عينه ، والنهي عن اتخاذ ظهور الدواب مجالس . والكلام على رحمة النمل

١٥ ﴿القسم الثاني﴾ من السورة وأولها - يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين - إلى قوله - قديرا - ثم تفسير هذا القسم اللفظي

١٨ تفسير قوله تعالى - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم - وبيان أن غزوة الخندق ذات ﴿ثلاثة فصول بد الفصل الأول﴾ في ملخص الكلام عليها ﴿الثاني﴾ في تفسير اللفظ ﴿الثالث﴾ في ربطها بما قبلها وملخص الفصل الأول أن اليهود حاقوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم المسلمون حول المدينة فكان ما كان من الأخبار عند ظهور النور إذ ضرب صلى الله عليه وسلم الصخرة بالمول وقوله : « سأملك فارس والروم وغيرها » ثم بيان تحاذل اليهود والعرب وانهزامهم ﴿الفصل الثاني﴾ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - إلى قوله - وكان الله على كل شيء قديرا -

٢١ ﴿الفصل الثالث﴾ في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة الخ . وهذا أيضا من الكلام على أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله . وجاء في سورة السجدة - ولقد آتينا موسى الكتاب - الخ فكما ذكر موسى قومه بأيام الله كالنجاة من آل فرعون ذكر صلى الله عليه وسلم المسلمين بنجاتهم يوم الأحزاب أمة الاسلام اليوم وأنه واجب على المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة الخ

٢٣ ﴿القسم الثالث﴾ من السورة من قوله - يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى آخر السورة بيان أن هذا القسم فيه فصول وأن الفصل الأول في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه بالزهد في الدنيا وتفسير قوله تعالى - إن كنتن تردن - إلى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا -

٢٧ ذكر سبب نزول آية التخيير وحكم الآية . وأن المرأة إذا خبرت فاخترت زوجها لا يقع شيء عند بعضهم وتقع طلقة واحدة عند الآخر . وأن اختارت نفسها تقع طلقة رجعية أو بائنة أو ثلاث طلاقات على الخلاف ﴿الفصل الثاني﴾ في أحسن الأخلاق التي يكون عليها الرجال والنساء في الاسلام وهي عشر : الاسلام والایمان الخ . ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

٢٨ تفسير - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - إلى قوله - وكان أمر الله قدرا مقدورا - بيان أن عتاب الله على نبيه في مسألة زيد وزوجه وأن المسلمين أحق بالعتاب في عدم اظهار الحقائق التي يعرفونها

٣٠ ﴿الفصل الثالث﴾ في فضل النبي صلى الله عليه وسلم وعظم رسالته وتفسير ذلك من قوله تعالى - ما كان محمد - إلى قوله - وكفى بالله وكلا -

٣١ بيان أن السراج نقبس منه السرج . فهذه كالأبوة النبوية فهي ولادة نورية

٣٢ ﴿الفصل الرابع﴾ في المطلقة قبل الدخول الخ وتفسير الآيات من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - إن الله كان على كل شيء شهيدا - ، وذو حكم من تهب نفسها

٣٥ ﴿الفصل الخامس﴾ في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه - الخ

٣٧ بيان معنى آية - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الخ وههنا سبع لطائف

٣٨ سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وههنا أسئلة موجهة من (المدرسة) الى المؤلف ، وكيف تزوج النبي ﷺ تسعا مع أن غيره يتزوج أربعا ، والاجابة الأولى بأن ذلك ربما كان قبل تحريم الزيادة على الأربع

٣٩ ولم يطلق ما زاد على الأربع لأنه حرم عليه أن يستبدل بهن من أزواج وأن يتزوج غيرهن ، فهذا الحجر عليه في مقابلة إباحة الطلاق والاستبدال ، فهذه الخصوصية إذن ظاهرة ، وأيضا لو أنه طلق عائشة لمكان ذلك خلافا في سياسة الأمة الاسلامية وهكذا حفصة فأمر أبويعها معروف وأم سلمة كانت أرملة أخيه في الرضاع ومعهما ذرية ضفاف ، وزينب ابنة جحش أمرها معروف في القرآن

٤١ ﴿المجلس الثاني﴾ وههنا نظر في طلاق (هند بنت أبي سفيان) إذ أعيبت بتقصير زوجها في غربتها وبعد أبويعها فلا يحصى من زواجه ﷺ وجويزية من بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ وهى بنت سيد قومها ، ثم بيان أن رؤساء القبائل ليس لهم ماله من هذه السياسة الزوجية وأن النساء يقدرن نعمة الزوجية الشريفة حق قدرها حب في الشرف ، والدليل على ذلك أن أخت دحية الكلبي لما علمت أنه تزوجها ماتت من الفرح ، وأنهم رضين بالقوت مع ترك القسمة على أن يكن أمهات المؤمنين

٤٣ بيان أن تحريم أزواجه على المؤمنين بعدهم لسد باب الفتنة وحسم الامور السياسية لئلا يتناول زوج أم المؤمنين بذلك الى التدخل في السياسة ، وبيان انه اختص ﷺ بأربع وترك باقية لما ذكره الحكمة والقرآن وأن هذه أول مدرسة نسائية في بلاد الاسلام ومدرسة الرجال كان تلاميذها أهل الصفة ﴿المجلس الثالث﴾ في بيان رجال الصفة وأنهم أربعمائة يحفظون القرآن ويتعلمون . وبيان انه ﷺ لوفجأ نساءه الباقيات بعد الأربع بالطلاق لقامت فتنة كالفتنة التي قامت في زمن عمر إذ تنهر (جبله) ومعه ستون ألفا لأجل مفاجاته بالقصاص لأجل الاعرابي

٤٤ أما الجواب الثاني : وهو أن غيلان ومن معه إنما اعتنقوا الاسلام بعد التحريم فوجب عليهم ألا يزيدوا عن الأربع فهو غير مفيد لأن الأمة أجمعت أن ذلك خاصية له ﷺ فإذا قلنا ان من عددوا قبل نزول الآية يباح لهم ما زاد على الأربع كان ذلك قولاً باطلاً وخطأً لمخالفته الاجماع . فأما الجواب الثالث : فهو أن هذا النوع الانساني يعكس الحقائق عكسا والافا بالنار نرى داود وسليمان عليهما السلام كان عندهما زوجات كثيرات ويعظمهما جميع المسلمين والنصارى واليهود . فكيف إذن يعترض المسكرون على نبينا ﷺ إذ تزوج تسعا ! إن هذه من جهالة هذا الانسان وتعصبه

٤٦ ﴿المجلس الرابع﴾ في ذكر مآقاله (كارليل) الانجليزي . وتبين أن البناء الجاهل لا يدوم بناؤه وهذا الدين دام (١٢) قرنا فكيف يدوم بناء بانيه دعى في البناء . إذن محمد ﷺ نبي حقا . وانعام الكلام في أن الأحاديث التي أنصقت به الغرام بالنساء كلها أحاديث كاذبة كحديث ابن سعد انه ﷺ جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا في الجماع وتبين كذبه بالدليل

٤٧ ﴿المجلس الخامس﴾ وفيه استطراد في كيفية الكذب على رسول الله ﷺ فالكاذب إما مبتدع ينشر

بدعته وامار انفس يضع الحديث لما شاء وامام مستحل رضع الاحاديث للترغيب والترهيب . ومن الوضاعين غلام خليل ترك الشهوات واستحل الكذب على رسول الله ﷺ وقد انزلت أسواق بغداد يوم موته الخ

٥٩ وقوم من الوضاعين كانوا يتقربون للاموك بوضع الاحاديث . اقسام الوضاعين ثمانية : الزنادقة والذين ينصرون مذهبهم حقا أو باطلا والذين يضعون الحديث للترغيب والترهيب والذين يخينون وضع الاسناد لكل كلام حسن . والذين يضعون الاحاديث لمجرد الغرابة . وآخرون يشحنون بالاحاديث ومنهم وهب ومحمد بن السائب ومحمد بن سعيد وأبو داود النخعي الخ . ومنهم من اعترف بذنبه . كل هؤلاء ذكروا للاستطراد على ذكر حديث طبقات ابن سعد المسكوب عليه ﷺ من حيث نسبة حبه للشهوات النسائية

٥١ الكلام على تعدد الزوجات في الاسلام . وبيان أن أهل أوروبا وان برعوا في العاوم الصناعية لم يزالوا مقلدين في أمور كثيرة ومنها هذه المسئلة وهو تعدد الزوجات عند المسلمين . وبيان أن كتاب ابن الانسان الذي ألفته لنظام الأمم العام قد أثبت فيه أن تعداد الذكور والاناث في الامم كلها متقارب وانما لم نسمع أن أمة قل نساؤها فأخذت تطلب نساء من غيرها بالعكس . اذهناك نظام لا يتغير ولا يتحول وأن في الرجال من هم ضعاف أو فقراء فلا زواج لهم كما أن منهم من هم أقوى وأقدر جسما ومالاً وشهوة فلهؤلاء يعتدون في مقابلة الضعاف وهؤلاء في الاسلام بحسب أقوال الخبيرين اما ثلاث في المائة واما خمس في المائة وهذا العدد الضئيل لو أنه كان مفسدا ما أضمر هذا المجموع شيئا اذ في كل ألف (٣٠) انسانا فسد في الأخلاق . فهل هؤلاء يضررون الألف . كلا . ثم كلا . هذا اذا كانوا مفسدين فكيف اذا ثبت أنهم مصلحون لأنهم حفظوا العدد الزائد من النساء فأولادهن البنين والبنات وأطعموهن وحفظوهن من الزنا والخنا . اذن هذا الانسان لا يزال طفلا يقاب التفضيلة وذيلة والحق باطلا والاحتجاج بان الاخوة من الأب يتعادون مردود بأن الاخوة الاشقاء ايضا يتعادون . وبأن الناس جميعا يتعاسدون ويتعادون ولم يوجب ذلك ازالته من الارض . ولعمري الله لم يعب الاوروبيون ذلك الا لأنهم حسدوا الشرقيين على نعمة تكاثر النسل وهم حرموا منه فيريدون إغلاله كما فعل بعضهم في جنوب افريقيا اذ يتزوج الرجل نساء كثيرة كأنه (ديك) معه دجاجاته ففرسوا ضريبة على أمثال هذا الزوج حسدا وبغيا لأولئك الوثنيين على كثرة ذريتهم

٥٤ بيان ما جاء في (مجلة المرشد) من أن عدد النساء في إيطاليا يزيد على عدد الرجال مليونين . وفي جريدة الماتان الفرنسية أن عضو مجلس البرلمان الفرنسي قال : ان في فرنسا مليون ونصف مليون فتاة غير متزوجات . وقال ان الفتاة لاصحة لها بغير الزواج . وأثبت أن هذا معيار لقانون الطبيعة . ويقول (شو بهور) الفليسوف الألماني : ان قوانين أوروبا في الاقتصار على امرأة واحدة أوقعت الفقيرات منهق في الشقاء والغنيات في التعسر أمد الحياة حزنا على عسدم الاقتران برجل . وطلب أن يكون تعدد الزوجات أمرا واجبا

٥٥ وقد ألف عالم فرنسي كتابا في العشيقية الشرعية فطبع منه نصف مليون نسخة

٥٦ (اللطيفة الثانية) في معنى قوله تعالى وخاتم النبيين وذكر جواب عبد الله كويليام الانكليزي المسلم وابتداء جوابه بنظرة عامة في السموات والأرض وما بينهما من السحب والنبات والحيوان ثم زوال ذلك وحياة غيره وهكذا

٥٧ بيان أن هذه العجائب توجد في القلب اذ عانا لخالق هذا العالم وإيمانا به وامثالاً لأمره . وبعد معرفة

الله نحمد أنفسنا متشوقين لمعرفة السكرة الأرضية فنرى العلم يقول لنا انها كانت كرة حارة بردت بالتدريج وخلق عليها المواليد الثلاثة بالتدريج ومنها ما انقرض ومنها ما حدث وآخرها هذا الانسان وهو عالم كبير في أول أمره كان كالحیوان ولم يكن من الكواكب ولا غيرها إلا ما تدركه البهائم واهتم أولاً لما كنه ومسكنه في الاشجار والغارات هائماً في الفلوات يقتل غيره لشهوة نفسه فكان لا بد له من قانون . فهياً الله له أناساً مصطفين كل واحد أتى بشرع أرقى مما قبله بحسب القابلية . ففهم من علم الناس الملابس وستر العورة ولو بالورق . ومنهم من علم بعض الاخلاق الجبيلة وهكذا حتى جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . واذالم يحرم عيسى الخمر وحرمه محمد ﷺ فليس معناه نقص عيسى . كلا . وإنما النقص في استعداد المرسل اليهم لاغير

٦٠ والقصد من الرقي انما هو في العموم والافنى كل عصر أناس متوحشون حتى في عصرنا هذا . ولما جاء محمد ﷺ أصبح الانسان أرقى من الانسان الذي كان قبل بعثته بمراحل وهو في تعليمه يدعو للترغيب والترهيب . وهنا ذكر جميع محاسن الاسلام كالعدل والتواضع الخ تقرب من الثمانين عدائاً عشرة أسطر ثم ذكر المنهيات وعسى ما يقرب من الأربعين . ثم بين ههنا أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بسياسة الملك والميراث والصحة والاعجاز في البلاغة . قال : وكل هذه المباحث لم توجد في الكتب السماوية . وهناك أمور ستعلم في المستقبل وهذا الدين لم يكن هكذا طفرة فهو آخر الأديان وهو ناسخ لما قبله من الشرائع لأنه أكملها ولا ينسخه غيره

٦٢ نبذة من ترجمة المؤلف عبد الله كويليام المذكور وأنه كان واعظاً عالماً بالعلوم الرياضية وأصيب بمرض استوجب تبديل الهواء في جبل طارق وطنجة فأعجبه دين الاسلام وصلاة المسلمين فقرأ القرآن بالانكليزية ووازنه بالديانات الأخرى فأسلم وأسلم معه أصدقه له

٦٣ ثم بعد ذلك اتخذوا لهم مسجداً يقيمون فيه الصلاة وقابل السلطان عيسى الحميد ثم رجع الى مدينة ليفربول بلده وله كتاب يسمى (دين الاسلام) . هذا ومن آثار نبوته ﷺ أن أتباعه لا يمتحنون باختلاف اللون . أما أمريكا وانجلترا فانهم يطردون ذا اللون الاسود من مطاعمهم وهذه صفة أقل من صفة الانعام التي لا تبالي باختلاف اللون . ومن تلك الآثار الاسلامية أن اليهود دخل في دينهم بعض الاصلاح في التوحيد على يد موسى بن ميمون الذي ولد سنة ١١٣٥ م وأدخل في كتب اليهود خلاصات من علوم كتاب المل والنحل واخوان الصفاء وتحقيقات الغزالي وغيره من علماء الاسلام

٦٤ ومن الدلائل الساطعة على أنه ﷺ سراج منير ما شهد به الجاسوس الفرنسي الذي أرسلته فرنسا لعبد القادر الجزائري وقد صار من خواصه وقرأ الاسلام فأفاد أن دين الاسلام حق ولكن العلماء لا يصلحون لشيء بين الناس . ومنهم من اشترى الفتوى منه بالتمن اذ شهدوا أن فرنسا خير أمة اخرجت للناس وهكذا ولو كان علماء الاسلام أرقى من هؤلاء لكان المسلمون مثل تلك الأمم . من تلك الشهادات الفرنسية مناجاة في كتاب (خواطر وسوانح) للعلامة هنري . وهالك ملخصها

٦٥ انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية . ابتدأ بإبطال ما يقوله الأوروبيون في أسباب انتشار الاسلام وأخذ يبين الحقائق قائلا : لو كان الاسلام ينتشر بالسيوف لوقف انتشاره بانتضاء الفتوحات الاسلامية أو بزوال التمدين العربي فاذا كان هذا صحيحاً فلماذا يتقدم الاسلام الآن في بلاد الصين التي ينتظر أن يسيطر الاسلام فيها على دين (ساكياموني) وهو دين بوذا . وقال مونطيط : الاسلام ظافر لا محالة في بلاد الصين وهو وان قل في أوروبا كثير في أفريقيا

٦٨ يمتد من سبار اليون إلى موزنبيق ويمر في صرا كشر . ويصل إلى السريس ويمتد من البحر الأحمر إلى المحيط الانطالطبق ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالى ويصل إلى الدرجة العاشرة من العرض الجنوى . وهو كثير الانتشار في وسط افريقيا وفي تنبكتو وسنغلو وكانو وكوكا ووداي وشاد وشارى ولوغوتى ولوغراتى

٦٩ وهل الاسلام دين عمومى : أجاب بنعم من حيث أصله وأما لطوائره عليه فقد كثرت الانباع ولكنها جعلت أتباعه مخالفين لاسلامهم إذ جعلوا للتوسط بينهم وبينه والقرآن ينهى عن ذلك . ومن عجائب الاسلام انه دين رحيم فهو يعد بالجنة أصحاب الاعمال الصالحة المختلفى الاشكال والألوان لافرق بين عباده وعالم وتال للقرآن الخ . وقد حرم المسكرات لحفظ المسلمين من غوائلها التى منها طوائف الفوضوية وأعلى شأن النفس الانسانية بالصالحات الخس . وهودين ذو بساطة يلائم كل نفس حتى أبسطها وهم الزوج بل الشهادة يعتاض عنها المسلم برفع السبابة الى السماء عند الاحتضار . لذلك فضله الناس عن الدين المسيحى كما قال (القس ماراشى) « لقد جرد الاسلام تعاليمه من الأحاجى التى فى الدين المسيحى . لذلك ينشر الاسلام . وليس لذلك الاسلام مبشرون كالدين المسيحى الذى يعرض على السود فينبذونه ويقبلون الاسلام بلا عرض . وعند خط الاستواء هناك اسلامية زنجية مثل : شارى ولوغونه وغيرهما . ولهم نظام سياسى يحمون به من جاورهم ويتدخلون بين القبائل ويدخل الناس فى دينهم أقواجا بالحسنى لا بالحرب . ومن الوسائط لذلك أن يتزوج المسلم من القبائل الوثنية فيكون ذلك السبب فى جذب الجيران الى اعتناق الاسلام . ولقد كان النبى ﷺ غير مغرم بالشهوات وكثرة نسائه كانت لتحيب تلك القبائل فى الاسلام . هكذا يفعل أولئك الزوج بالزوج من نساء جيرانهم . وهناك مزنة سمارية وهى مافى التوراة : من أن الله يبارك فى ابن الخادمة وهو اسماعيل فتخرج من صلبه أمة كبرى

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله - الخ . وفيها أربعة فصول من الفصل الأول فى الذكر وبيان أن فضائل الذكر عرفها الهنود قبل آلاف السنين وهذا من المعجزات . والقرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم

٧٢ فهؤلاء الهنود يقولون ان فى البدن فقرات ظهرية داخلها جبل شوكى موصل كل مانع إلى السماغ فتعلم الاشياء . ولكن هناك عجب الذنب وهو مركز عالم الدنيا والدين وكان هذا المثلث المصمت الذى فى آخر الفقرات قد كتب فيه « ان الانسان يحيط بالكائنات علما بقدر طاقته ويظل هذا العلم محجوباً عن العقل حتى يفتح بكثرة الذكر والفكر والعمل » ويصل للدماغ بواسطة الفراغ الذى يعتمد فى الفقرات بواسطة الأعصاب المبلغات العالم القليلة الدنيوية وتكرار ذكر الله مما يستعين على ذلك . ولكن ضبط النفس فى نظرهم (حبس الهواه داخل فى الرثة أو خارجاً مدة ما وتزيد بالتدريج يعطى النفس قوة عظيمة تجعله مسيطراً على قواه العقلية فهناك يصل لله تعالى وصولاً حقيقياً لانه إذا كان يزهى فى الدنيا . هذه آراؤهم على عاداتها . والمقصود منها أن تكرار الذكر كره قبلها قوم وهكذا عجب الذنب الذى ورد فى شريعتنا الغراء . وهو عجب وألف عجب . اذن هنا معجزتان الذكر وعجب الذنب . هؤلاء هم الذين كرون أما المسيحيون فهم يكررون كلمات التسبيح كلها باسم يداوى جراحات القلوب والعقل من الشكوك التى تعترض النفس كأن يقال : اذا كان الله رحيماً فم هذه الأمراض والموت والحروب وهكذا . فتكرار هذه التسبيحات أشبه بالدموات تنويماً مغناطيسياً عن الشكوك . ولكن العارفون

يقرؤون جميع العلوم فيها فيعرفون كون الله تعالى منزها عن المادة بالجبال والجلال والحكمة وكلمات التسييح كانتها أجسام والعلوم كانتها أرواح لها وأجسام الانسان والحيوان يعيش بها الحى وان كان لا يتقنها هكذا التسييح فهو نافع للتسييح بدون معنى كما يفتح جسم الحيوان له بدون فهم الجباب

٧٧ ومن عجائب الجسم الانساني الدالات عند الحكماء على تنزيه الله تعالى ما ستره في سورة فاطر ﴿ عند آية - والله خلقكم من تراب - من السورة الدموية والسورة الليمفاوية وأن الثانية تعطى الاولى قوة كانتها قلاع لجنود مخلوقة من المواد الدهنية حيوانية أو نباتية وبها يتم خلق السكرات البيضاء الفاتكات بالذرات المهلكات . وهى المكروبات فالذين يصغرون السمسم مثالا يحضرون جنود الأجسام الحيوان وأجسامنا وان كانوا لا يعلمون . هذا هو التسييح العملى

٧٨ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قوله تعالى - هو الذى يصلى عليكم - الخ . ولا جرم أن الصلاة من الله الرحمة فلو لا الرحمة ما كان نظام تلك السورات بانواعها وهكذا

﴿ الفصل الرابع ﴾ فى التحية والسلام . وهذا هو نهاية السعادة الانسانية فان نهاية العلوم لهذا النظام الهيب الامان من القطيعة والجهالة إذ يرى السورة الغذائية مثلا قد أعدت لها نحو (٤٢) آلة لسير الطعام مثل : الأسنان وأنواع اللعاب الست فى الفم والبنسكرياس والغدة الصفراوية والاحاض فى المعدة والامعاء وكما مريبات منتظمات . هنالك يدهش العاقل ويعلم علما ليس بالشك أن الرحمة لاحد لها وأن هذا الرحيم يهتدا بالسلامة من القطيعة بناء على ما علمنا من رحمة الهيبية . ثم بيان أن هذا التفسير كاف لذلك المقام وسيخرج به طائفة كبيرة من عقلاء النوع الانساني ويحشرون إلى ربهم وهم عارفون به أجل معرفة وهم آمنون

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ فى قوله تعالى - يا أيها النبى - إنا أرسلناك شاهدا وبشيرا ونذيرا - الى قوله - وسراجا منيرا - و بيان أن تشبيه النبى ﷺ بالشمس ليس كنشبيه النابغة النعمان بالشمس . لا آثار للنعمان . أما النبى ﷺ فانتا اذارأينا للشمس حرارة استخرجت بخار اطار فى الجوف فصار سحابة يرتفع عن الارض عند خط الاستواء ثم يقع عليها عند المدارين ثم يرتفع كرة أخرى عند المدارين ثم يرجع منه قسم الى خط الاستواء وقسم آخر منه يذهب الى الدائرتين القطبيتين ثم يرتفع ويحل محله هواء آت من القطبين وهكذا . فهكذا النبى ﷺ أشرق علمه فى القلوب لما أرسله الله تعالى فامتد شرقا وغربا . فالجيوش كالرياح والقرآن كالسحاب . وهذا السحاب نزل فى الاندلس مطرا علميا ومن هناك انتشر العلم فى أوروبا ورجع قوم منه الى الشرق يحاربونه أيام الحروب الصليبية وقسم توجه الى أمريكا فانتشر العلم بينهم فى مقابلة الرياح التى انقسمت عند المدارين شطرين شطرين واطر استمر صاعدا

وهنا فى صحيفة (٨٠) ضرب مثل لرياح وتقلبها بالاعب الذى قسم الملعب (١٨٠) قسما الخ وهذا المثل موضع بالرسم شكل (١) فى صحيفة (٨١) وكل هذا مقدمة لقياس انتشار الاسلام على انتشار الرياح حدوا القذة بالقذة . فاذا كانت الشمس حركت الرياح والمطر فى الكرة الأرضية كلها فهكذا شمس الاسلام حركت الأمم كلها للعلم شرقا وغربا ووصلت الحركة لليابان والصين . كل هذا باشراف شمس الاسلام فى بلاد العرب النبى ﷺ مشبه بالشمس والشمس بها حياة كل شئ ولكن فى المخلوقات ما حجب عنه الشمس غفلت فيه حيوانات ضارة ولا يقتلها إلا التعرض للشمس كاهو الطب الحديث . هكذا المسلمون اليوم دخلت عقولهم كثير من الآراء الضارة . فليرجعوا إلى نفس القرآن ثم نفس علوم الكائنات . هنالك تظهر عقولهم من الجهالات كما تظهر الارض من الحيوانات الذريات بتعرضها للشمس . هذا واقعد جلست فى

الخلاء نحو ساعتين معرضا الجسم لشمس فأقيمت العوالم كلها في عرس . طيور . مغردات وأصواء
ساطعات . رعوده كالدافع واطلاق البنادق في أعراسها والسحابات كجماعات مدعّين في ولائمها ومخافلاتها
فهذا عرس دائم كلي . أما ولائمنا ومظاهرها أفراحنا فانها وقتية وهي تشير لنا أن السعادة إنما تكون
بملاحظة الموجود الدائمة مظاهر أفراحه ومسرات أعماله . ثم إن كل فرد لو فكر لوجد أن هذه الشمس
وما تشتملها مسخرات له وحده كما أن غيره يرى هذا الرأي بالنسبة لنفسه لأن كل امرئ يتخذه أمته كلها
والأمم الأخرى تبع لها . وهكذا السموات والأرضون ولا جرم أن الابداع في هذا النظام جعل كل واحد
يتسنى له أن يقول هذا النظام لي

٨٩ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ورسالة السيد ناصر الدين « دينيه » المسلم الفرنسي والمصور الشهير
الذي مات وهو يبلغ من العمر ٧٠ سنة وقد أحب الاسلام حبا جيا وجمع وأوصى أن يدفن في بلاد
الجزائر . قد أعظم أمره المسلمون والحكومة الفرنسية جميعها . وقد ألف تاريخا لحياة نبينا ﷺ ولام
أوروبا على اضمارها الشر للشرقيين . ويقول « إن المسيحية لم يرقها الأنايس ليسوا منها كاليهود أو الذين
خرجوا على الكنيسة والفضل للعرب في نهضة أوروبا . وقد تباعد الأوروبيون اليوم عن المسيحية
تباعدا تاما

٩٢ الاسلام لا يبالي إلا بالاعتقل وينفذ خوارق العادات فهو بهذا خالف جميع الأديان . المسلمون أشد الناس
تسامحا والمسيحيون اليوم يتعلمون التسامح من المسلمين أن المسلم يعظم عيسى والمسيحي يقدم محمدا . إن
أصل عزيتنا العالمية فضلها للنبي العربي . ومن فضائل الاسلام منع الخمر وأنه لا واسطة بين الله وعباده
ولا يسأل الإنسان الا عن نفسه . والله له عند المسيحيين شكل رجل هرم لحيته بيضاء وعند المسلمين
هو مقدس - وليس لله عند المسيحيين الا أقل الصلاة أما أكثرها فأنما هي للآل والام والروح القدس
وزوج الأم وقلب يسوع المقدس : وفي الاسلام علو الهمة . أما المسيحية فن ضرب فيها على خده الأيمن وجب
عليه أن يدير خده الأيسر وفي الاسلام المساواة ومسايرة الطبيعة . وتعدد الأزواج تدعو اليه طبيعة
الوجود وقصر الزواج على واحدة أحدث في المسيحية الدعارة وكثرة العوانس والابناء غير الشرعيين
ومن عاش مع المسيحيين من المسلمين تعلم منهم الفسوق والفجور . والصلاة في الاسلام ذات بساطة
لا تكلف فيها وعند المسيحيين فيها تكلف كثير . والاذان أمره عجيب فهو أدعى إلى الاصغاء له من
الناقوس

٩٧ المؤتمر الديني الدولي لخدمة السلام العام . رجال الأديان في أمريكا عقدوا اجتماعا للسلام العالمي وكل ممثل لدين
يدين لتعاليم دينه في السلام العام . وقد حضر الاجتماع (٦٠) عضوا الخ

٩٨ الكلام على حالة العميان في مصر وسؤال تلك الجمعية للحكومة المصرية في أمر العميان وهل لهم اعانة
وكم عددهم ؟ وبكم ساعدتهم الحكومة ؟ وما أنواع مصنوعاتهم ، وما الرائج في السوق منها ؟ وهكذا .
وهذا كله من السلام العام الذي كان المسلمون أحق به لأنهم أول من نشروا التعليم العام وبسببهم
انتشر في الأرض

١٠٠ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا - الخ . معنى - وجعلها الإنسان -
من القاموس . لطيفة عامة للسورة كلها

١٠١ تفسير سورة سبأ . تفسير البسملة وبيان أن رجة الله في هذه السورة موجهة إلى المسلمين من حيث
انه يذكرهم بأهم خلت في بلاد اليمن كانوا ذوي علم وجدّ وتشهير ، فن العار أن يكون المسلمون أدنى

- منهم منزلة وأضعف رأيا وأقل عملا . ومن رحمته التي في البسملة أيضا أنه أبان بقصة داود وسليمان عليهما السلام كيف يكون شكر النعم كما أفاد بقصة سبأ كيف يكون كفرانها ، ومنها أيضا أنه حذر المسلمين من تصديق ما تلقوه الأرواح في زماننا على يد المستحضرين
- ١٠٢ ﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها . وبيان حكم فوائده السور كالحمدلة وكالطروف الهجائية (الم) وهكذا وأن الحمد في الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة كل لحكمة خاصة ، والكلام على أرجل الحيوان وعددها بمناسبة السور
- ١٠٤ ههنا ﴿ ثلاثة فصول الأول ﴾ في تفسير الألفاظ مع الإيجاز ﴿ الثاني ﴾ جعل السورة ستة مقاصد ﴿ الثالث ﴾ في معجزات القرآن في هذا الزمان بالعلم الحديث ﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ وذكر السورة كلها مشكلة قبل ذلك
- ١٠٧ ابتداء تفسير الألفاظ
- ١١١ الكلام على محاجة الكافرين والمعاندين الخ من قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء - إلى آخر السورة
- ١١٣ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن هذه السورة ستة مقاصد
- ١١٤ المقصد الأول والثاني والثالث من أول السورة إلى قوله - رجز أليم - وبيان أن السورة ابتدئت بالحمد توطئة لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان عليهما السلام الذي استوجب شكر النعمة عليهما
- ﴿ المقصد الرابع ﴾ في التهديد والوعيد للمستعززين ﴿ المقصد الخامس ﴾ وفيه غرضان : بيان أدوار ملك بني إسرائيل الثلاثة بمصر وفي حكم الشيوخ ودرر عظمة الملك أليم داود وسليمان موازنة ملك سليمان بملك سبأ
- ١١٦ ﴿ المقصد السادس ﴾ الاستقلال والحرية في الآراء . الاغترار بالرؤساء . الضلال بالغنى
- ١١٧ ﴿ جوهرتان ﴾ في آية - الحمد لله - وآية - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وبيان أن الناس في أول أمرهم يعشقون الصور الجيلة ثم الصناعات الانسانية ثم الصناعات الكونية هذه ثلاث درجات . ومن الدرجة الثانية ما نراه من تراحم وتوارد الزاثرين الأجانب من سائر أنحاء العالم يشاهدوا بهجة الجبال الصناعية في مقبرة (توت عنخ أمون) مثل السرير الذهبي وآنية من مرمر وأخرى مثلها ، ونوع من حلى الصدر وصندوق الملابس وهكذا . هذه نماذج جمال الصنعة الانسانية المناسبة لعقول الناس في الأرض . المثال الرابع أعلى مما تقدمه وهي الصنعة الإلهية . فهذه ليس يغرم بها إلا قليل لعظمتها وإن كانت مبدولة لشكل أحد . انظر لحشركى الجراد والنحل في الضر والنفع كأنه يقال ان لم تعقلوا النحل لنفعه فاعقلوا الجراد للضره ، هنا خير وشر فاذا لم تعقلوا النافع أفلا يذكركم الضر بأن النوعين يسيران بقانون واحد من حيث نظام الجسم ونظام المملكة وتوزيع الأعمال ، وأي فرق بين النحلة مع مملكتها وبين الأرض وأتباعها والشمس وسياراتها والمجموع العصي في الانسان وأعضائه فالأعضاء والسيارات والحشرات كلهن مطيعات للأوامر الصادرة من مركز الرئاسة ، هذا معنى قوله - له ما في السموات - الخ
- ١٢١ صورة المجموعة الشمسية
- ١٢٢ صورة ملكة النحل والأرض وجسم الانسان من حيث أن هذه الممالك قد اتحدت في أن لكل مركز راسة وأتباع يطيعونها من النحلات والأرضات والسيارات وأعضاء الانسان

١٢٤ كل من خلق في صناعة وشاهد شيئاً منها أدرك سرّها وعرف فاعلمها لأن صنّعه متشابهة كما اتفق للعالم الانجيزي المستشرق الذي أدرك طبقات الكتاب السودانين المقتولين بسبب معرفته بطبقات الكتابة والشعر والنثر في أدوار اللغة العربية ، هكذا يفعل لعارف بجوانب هذه الدنيا اذا اطاع على بدائع الجسم والكواكب والحيوان فانه يقول فاعلمها واحمد لسريان النظام المتحد في الجميع . هذا هو سرّ قوله - له مافي السموات - الخ على سبيل الحصر ، فالحصر هنا كحصر الخازن في الصناعة إذ يرى صنعة رجل فيفسها له لعلها بأسلوبه في العمل ، ومثل المجموعة الشمسية المجرة والمجرات الأخرى والسدم فسكها من هذا القليل نظام محكم متشابه . هذا معنى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - الشمس كالدمجاجة وكالأوزة ترجع لها صغارها ولم يحجب الله عن نظام تحله بنظام سير شمسها إذ يحسبه بالثانية ونصف الثانية ولا يشغله حساب الخسوف والكسوف بال دقيقة والثانية (والمواعيد المحددة لكل ٧٠ خسوفا وكسوفا (١٨) سنة و (١١) يوماً) عن عيون النحلة التي تسكون (٤٠٠) و عيون الدبابة (٤٠٠٠) كل عين منها مستقلة

١٢٨ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ - يعلم ما ينج في الأرض - الخ ولنبدأ بالبحث في الأرض ونبين الصور التي رسمها بعض العلماء في أدوار فهمها المختلفة مثل انها كسياط (شكل ٦) أو كشجرة (شكل ٧) أو مجموعة على اثني عشر عموداً (شكل ٨) أو كالاسطوانة (شكل ٩) أو مكعبة (شكل ١٠) أو كروية تحيط بها جبال (شكل ١١) أو ان الجبال ترتفع في القطب الشمالي فتصل السماء (شكل ١٢) أو هي بحارة كبيرة مستديرة على أربعة أفيال (شكل ١٣) أو يضاهية (شكل ١٤) أو كرة مفرطحة (شكل ١٥) كجبة لقوطة (الطماطم) أو تشبه القنب (شكل ١٦) أو كتل الكمثرى (شكل ١٧) أو هي من عدة كرات متداخلة بينها فواصل وهي خمس مملوءة بالهواء والسكان وكل سطحين للكرة مسكونان ولها فتحتان عند القطبين وقطر الفتحة في انقطب الشمالي أربعة آلاف ميل وفي القطب الجنوبي ستة آلاف ميل (شكل ١٨) و (١٩) والمارشال (جاردنر) سنة ١٩١٣ يقول « إن الأرض مجوفة وسمك طبقتها التي نعيش عليها (٨٠٠) ميل وهي مفتوحة عند القطبين وفي داخلها شمس (شكل ٢٠) والفتحة (١٤٠٠) ميل أو هي على شكل هرم (شكل ٢١) »

﴿ المقام الثاني ﴾ فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم

١٣٣ الغربية إما سوداء جلها الغرين (الطيني) وإما نبتية وإما بركانية ، فالسوداء كأرض بلاد النيل جلها الطيني لا تحتاج الى سقي كثير بخلاف الرملية وضدها البركانية في الولايات المتحدة الهزات الخفيفة والزلازل التي تبلغ (٣٠) ألف في السنة لا يشعر الناس بها تحدث ارتفاعاً وانخفاضاً نشأة البركان الذي هو جبل مخروطي تخرج منه مواد مصهورة وحجم بركانية . وقد يثور البركان فتكون سحب من بخار ومن تراب بركاني يظلم الجو ، مثل بركان كركتوا سنة ١٨٨٣ خسف بذلك ثلثاً الجزيرة فلـ بحر عظيم محل الجبال العالية بعمق ألف قدم وهلاك (٣٦) ألف نسمة و (٣٠٠) قرية وارتفع الغراب (٢٠) ميلاً

١٣٥ أما الفحم فهو مخزون قديم في الأرض ومنه يكون انتراسيت والفحم البخاري وفحم الكوك وهكذا وهالك صورته في الأرض (انظر شكل ٢٢) و (شكل ٢٣) زيت البترول في بلاد القوقاز والولايات المتحدة وغيرها (شكل ٢٤) فيه صورة الأعشاب في مدة الفحم الحجري

١٣٨ (شكل ٢٥) فيه ما تفرع عن الفحم من السكوك والقطران والنفث وزيت القار والنفث وغار المشادر والأصباغ وهكذا ، وهذه في الرسم نحو (٩٠) نوعا تقريبا

١٣٩ تفصيل بعض ما في هذا الشكل مثل الزيت الطبيعى والكبروسين والبراتين والفازولين

١٤٠ والبنزين والريفولين

١٤١ مجال العلم في قوله تعالى - وما يخرج منها - مثل الينابيع المحجرة بسبب ما فيها من الجبر المذاب في الماء كغابة هليوبوليس المسكونة من ينابيع حارة فيها أذيب الرمل ومثل الصخور الروسية الكيميائية من ذوبان صخور جيرية أو من صخور الملح التي ترى في (تشكوساوا كيا) وهناك مدينة منجوعة من الملح ، ومثل الصخور الطينية والرملية والجيرية وهكذا ، والصخور المتحولة بسبب الضغط والصخور النارية . أنواع الصخور المتحولة المائية كالاردواز محولا عن الطين ، والنارية كالنيس من الجرانيت وكالصخور المائية تكون عضوية كالجير والفحم وكيميائية كالملح ورسوبية كالطين والجبر الرملى ثم النارية بركانية كالبارزات وباطنية كالجرانيت

١٤٢ ﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾ . الزلازل والبراكين والنافورات . السواحل الطالعة كساحل المحيط الأطلسى الغربى وهو المجاور لأمريكا المكون من صخور رسوبية حديثة العهد وفيه كهوف ومغارات أصليا من تحت أمواج البحار وكذلك القواقع والأصداف وسواحل أوروبا الغربية آخذة في الهبوط التدريجى تحت سطح الماء ، فبقي الرومان في أيرلنده غارت الآن تحت مستوى ماء المحيط

١٤٣ الجبال تكون غالبا على حافة المحيطات الكبرى وعند تجمع القارات وتخرج بسبب التواء الأرض من أضعف الجهات وقد برزت جبال الألب من قار البحر في أزمنة حديثة . الأنهار تجلب للبحار موادًا تسكون بها جبالا جديدة في باطن الأرض بدل الجبال التي تبرز بالزلازل أو بحركة القشرة الأرضية وحركة القشرة بسبب الدوران الذي يغير شكل الأرض وهذا التغير البطيء اليوم يكسر الصخور ولذلك ﴿ سببان ﴾ جذب الأرض . وضغط الطبقات العليا . وكلما كان الصخر أسفل كان أثقل وبالعكس . والجبل في خروجه من البحر بالعوامل العظيمة يكون أسفله أعلى وأعلى أسفل . ففي البحر تكون الطبقات النارية أسفل ويعلوها ثلاث طبقات أعلاها أخفها وأثقلها أسفلها طبعًا . ومتى ارتفع الجبل كان الأعلى على الطبقة النارية التي هي أثقل الجميع وتليها الطبقات الأخرى . فالأسفل يكون أخف والأعلى يكون أثقل عكس وضعها في البحر

الأخاديد الغائرة . الهضبات المرفوعة . الجبال المختلفة . الزلازل كزلازل مصر (سنة ١٩٢٦ م) وزلازل (سن ترانسكو) و (لشبونته) و (مسينا) و (اليابان) الذي هلك فيه (٢٠٠) ألف نفس

١٤٥ باطن الأرض عند القطبين مملوء فخما به يكون القطب الشمالى ملئى بالخطوط الهوائية . ومن عجائب أن باطن الأرض كما أن فيه فخما من أشجار طمرتها الرمال قديما هكذا فيه كهرومان وهو الذى فيه قوة كهربية كان قديما ينزل كاللبن من أشجار عظيمة قد انقرضت وتجمد وهو في شمال ألمانيا يستخرج من الأرض التي طمره فيها من أزمان

١٤٦ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في مبحث الجن وسيل العرم . ومبحث الجن مذكور في الكلام على حشرة الأرضة وهي التي أكلت منسأة سليمان عليه السلام . وهذه الحشرة حكومتها منظمة تنظيما مدبها تعريف الأرضة وانها عمياء غيباء الخ

١٤٨ سياستها فوق تناول العقول وأنواعها (١٥٠٠) والمشهور نحو (٤٠) نوعا فقط ومساكنه إما أسراب

تحت الأرض أو بيوت ظاهرة تعاون عليها (٤) أمتار وتكون كالقالب السكر فاعتده (٣٠) قدما
 ١٤٩ (شكل ٢٦) قرية الأرض وتكون تلك المساكن في أفريقية الوسطى وفي كونغو والبلجيك فيعاو
 المنزل الى (٨) أمتار ولا يقطعها الناس إلا بالديناميت وهي تجعل الخشب قوتا لها مهضوما وفضلاتها
 تصالح لها طعاما

١٥٠ والأرض تطرد الانسان وتبنى مساكن في أرضه كما بنت في استراليا (١٦) قرية في مساحة (١٣٥)
 مترا ولها مهندسون وجنود يصنعون لها كل ما تريده (انظر شكل ٢٧) وهو رسم الأرضة العاملة
 (شكل ٢٨) الجنود وعدو الأرضة هي النملة ، والجنود الأرضية ثكنات تعود اليها بعد هزم عدوها
 ولكل قرية عدد من الجنود لا يزيد وما زاد يقتل بطريق سياسي خاص ، ولهذا الحشرات طرق بها
 يفهم بعضها بعضا ، ألا ترى انها المملكة تكون في أشجار كثيرة وهي تابعة لعرش ملكة واحد ولها
 أصوات موسيقية خاصة تشارك فيها المملكة كلها وهن جميعا يتمايلن الى الامام والخلف ويدوم عدو
 ساعات مع فترات قليلة . والملك والمملكة في حجرة خاصة وهي أعظم جثة منه

١٥٣ متى أن فصل الشتاء تفتح المنافذ المحرمة فتفتحها طول السنة في ساعة خاصة . وتخرج حشرات من هذه
 المملكة ذات أجنحة تعد بالملايين وتنشئ في الجو ما يشبه السحاب بمنظر جيل قصير المدى وكل ذكر
 يبحث عن أنثاه فهو مشهد جميل ولكنه سريع العطب إذ يهبط هذا الجيش كله الى الأرض حالا وما
 أسرع ما تنقض عليه المصافير والحيات والهرم والكلاب والفئ والخنزير في أكل تلك الغنائم التي خرجت
 لأعراسها فصارت هي نفس المآدب لغيرها

(شكل ٢٩) وهو رسم أرضة بالغة بسطت جناحها

١٥٤ تحرب حشرة الأرض للأرض إذ هي تناسل بسرعة مدهشة ولولا البرودة لغطت الأرض كلها وهي
 تفتك بما عند الانسان من ملابس ومسكن وغيرها . فمدينة جامستون دخلها نوع من هذه الحشرة
 ففعل فيها ما فعله الزلازل وجزائر الانبيل الفرنسية منعها هذه الحشرة عن مغالبة الانجليز لأنها خربت
 المنازل . النحل في جنة والأرضة في جهنم لأنها محبوسة عمياء تحت الأرض . ان لها شريعة قاسية
 لا غفران فيها فالعامل الذي لا يعمل يقتل وهكذا

١٥٥ حشرة الأرض تقدمتنا بلايين السنين وقد كان في أوروبا قديما فاختفى في الأرض فعصى على ما يظهر
 ولعلنا نحن ننتظر مستقبلا مثل هذا متى بردت هذه الدنيا . إن هذه الحشرة تعرف كيف تنظم الذكور
 والجنود من حيث إيجادها بقوة إلهية . أما نحن فلا . ولونتسلي للانسان ذلك لكان ذلك سببا في انه
 يكون فيه الأذكاء النادرون الذين يعلموننا من العلوم ما تجهله الآن

خطاب للمسلمين وكيف درس القوم حشرة الأرضة وأنتم لم تدرسوها وهي في القرآن

(المقام الثاني) - فلما خرت تبينت الجن - الخ وبيان أن العزائم والدعوات السكفوية وغيرها تذكر
 فيها أسماء الشياطين فيها نوع من العبادة . وبيان أن الأرواح الصغيرة تكذب وأن الروحانية لا يصح
 أن تكون بابا للرزق ولا علم للأرواح بالمستقبل في الكشف الحديث

١٥٨ (تذكرة) الكلام على آية - فلما خرت تبينت الجن - الخ وبيان ما قاله الرجل الهندي بمصر وأن

البرلمان يعمرسته . وأن المعاهدة مع الانجليز تتم وأن هذا القول يقتضي علم الأرواح لا وثوق به
 ١٥٩ وأن الخبر بهذا أرواح صغيرة . وأنه هو كان أحب فتاة فلما بعدت عنه تفكر فيها فظهرت أمامه بقوة
 الروحانية فلما ماتت وهي صغيرة جلس مع الناسا يقرؤون آيات من القرآن في الخلوات (٤٠) يوما بلا كل

ففسخ لهم الأرواح التي كانت تظهر لهم بهيئة وحوش . وبيان أن هذه الأرواح ناقصة . وأن هذا العمل لم يخلق الإنسان لأجله في الدنيا وأنه لا يرقى هذا الهندى ولا كل من فعل مثله الخ . وأن هذه الأحكام قالها الشيخ الديبغ والشعراني والخوادم إذ أجمعوا أن من فتحت له أبواب الأخبار بالغيث ونحوها فهو مبخوس الحظ شهواني شهوة دنيوية وربما دخل جهنم

١٦٢ قوة الإرادة تنتج أعمالاً خارقة للعادة مثل الهنود الذين اشتبه عنهم أنهم ينامون على المسامير ولا يألمون ، ولقد ظهر (طهرا بك) في لندن أمام (٤٠) طبيباً انجليزيا وغرر سكيناً حادة في جسمه . ونام على المسامير ووقف رجل ضعيف على صدره ثم نزل ووضع حجر كبير مكانه . ووقف رجلان يتناوبان ضرب هذا الحجر حتى تكسر ذلك الحجر على صدره وقام معافى ، كل هذا أظهر أن الهنود ليسوا خادعين وأن هذه قوة ارادة نادرة

١٦٤ (المبحث الثاني) في سبأ وسيل العرم الخ . وبيان أن المسلمين اليوم أشبه باليقيمين اللذين حفظ الله لهما كنزهما بأقامة الحائط عليه إذ ألهم الخضر ذلك حتى بلغا أشدهما فاستوليا عليه ، هكذا المسلمون دفن الله لهم كنوزا وعالوما في بلاد سبأ وأنزل عليهم مطرا تركوه سدى ، فهذهوذا اليوم قد أرسل لهم الفرنجية سرا فكشفوا ماخبأه الله في بلادهم بأشارة علماء ألمانيا وغيرها ، فإذا لم يفكروا بعد الآن فإن الله لهم بالمرصاد والأرض أرضه والملاك ملكه

١٦٦ مخالف اليمن التي يحكمها الأقبال أي الملوك الصغار ، والمخلاف يشتمل على مخافد أي قصور حوطلا مساكن يحكمها أذواء (جمع ذو) وإذا تغلب رجل على مخالف يسمى ملكا فهو ملك على هؤلاء الأقبال الحاكمين هؤلاء الأذواء ، وملك الملوك هو التابع أي ملك يحكم ملوكا . إذن هنا أربع درجات : أذواء أقبال ، ملوك ، تبابعة

١٦٧ (خریطة مدينة مأرب بعد خرابها) وهي عاصمة سبأ وهي نفسها تسمى (سبأ) وهي المعنية بالبلدة الطيبة في الآية

١٦٨ الخياط والخبط في تاريخ تلك البلاد ، وبيان أن المؤرخين ليس عندهم دولة اسمها سبأ ولكن الكشف الحديث كشف ذلك موافقا للقرآن مخالفا للتاريخ المشهور ، وهكذا سد العرم كان الناس يشكون في أمره وفيما كتبه عنه الهمداني حتى ظهر اليوم بالكشف ورسمت خريطة كرامت هنا في هذا التفسير وهذا من أجل المعجزات النبوية .

١٦٩ كان الناس يشكون في وجود سد العرم حتى تمكن المستشرق (ارنو) من معرفته ونشر في المجلة الاسيوية سنة ١٨٧٤ وزاره هاليفي وغلازر ، ووجدوا صدق وصف الهمداني له في كتابه « وصف جزيرة العرب » و « الاكليل » . وههنا بيان الميزاب الشرق والأودية التي تصب فيه وجبل السراة وغيرها وهكذا ميزاب مور ووادي أذنه الذي تسير منه المياه الى ما بين الجبلين وهما الباق الأيمن والأيسر ١٧٠ رسم سد العرم وكيف ينصرف الماء منه ، والسد عرضه (١٥٠) ذراعا وطوله ثمانمائة ذراع ، وثلاثة الغربي وهو الأيمن باق والثلاثان الباقيان تهتما ، والأيسر عرضه عند القاعدة (١٥) ذراعا وطوله (٢٠٠) ذراعا

١٧٢ خريطة بلاد العرب

١٧٣ خريطة سد مأرب أو سد العرم

١٧٤ عجائب القرن العشرين ، وبيان أن ذكر سد العرم يذكرنا بطوفان نوح عليه السلام وبما حصل

في مصر سنة ١٩٢٩ م وما حصل في أمريكا سنة ١٩٢٧ م و بأن منعه فرض كفاية وأن ذلك الفرض عند بعض العلماء أفضل من فرض العين لأنواع فوائده ، و بيان أن نهر المسيسي أنار على الجسور فقطعهما وأن هذا النهر سنة ١٩١٣ م ففرض على مقاطعة (الاهيو) نفقت البلاد (٢٤) مليوناً من الجنيهات ، فأما في سنة ١٩٢٧ م فقد خرج البحر عن مجراه وأغرق سبع ولايات وارتفع على الأرض (٨) أمتار

١٧٦ (شكل ٢٣) مياه المسيسي ترتفع على الجانبين وشكل (٢٤) نسف أحد جوانب المسيسي
١٧٧ بيان اشتراك الشعب كله في دره الخطر ، وأن مئات ألوف من الناس باتوا بالأموى ، وأن الحكومة أغاثتهم بفيلقين من الجيش وبلغت الخسائر مائتي مليون ، ثم جاء الخوف على مدينة (نيو أورليانس) العظيمة ففسدت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً ونفذت الحكومة في سبيلها خمسمائة ألفاً من السلاح و (٧٥) ألف كيلومتر ، وكان هذا الهدم بعد محاربة الأهالي للحكومة بأنواع السلاح ومنها المتروليوز والقنابل ، ثم تمته الكلام على أسناد اليمن ووضح من بنو أسد العرم

١٧٩ الأسناد وانها تبلغ في العدد مئات والذي بنى سد العرم أولاً سمع على ثم ابنه يشمر ثم ابنه كرب ايل ثم دمر على ذرح ملك سبأ ثم يدع ايل دنار ، وقد تهتم مراراً وأصلح ، ولما ملك الأحباش اليمن ظهرت لهم كتابة عليه سنة ٥٣٩ م وسنة ٥٦٥ م ونص إحدى الكتبتين التي كتبها أمير الحبش « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه الخ » وفيه تاريخ تغلب ذلك الملك على الخارجين عليه

١٨٠ ﴿ تذكرة ﴾ فيها إيقاظ المسلمين الى هذه النعم الخبوءة في أرضهم ، وكيف عرف قيمتها الوثنيون ولم يعبا بها المسلمون ، وهذا في الحقيقة انتكاس ، فأين شكر النعم إذن وقد أهملناها

١٨١ ﴿ جوهرة ﴾ في آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - وأن أمم الاسلام اليوم استيقظوا وأحسن العرب والعجم بما يصيبهم من الخطر ، وأن المسلمين كانوا في القرنين الأولين يرضعون من أفلاقي النبوة ثم في القرون التي بعدها صاروا أيتاما وأوصياؤهم أمراء وشيوخ إن صلحوا صلحت الأمة والعكس بالعكس ، مثال ذلك محمد بن تومرت وهو الذي اعتبروه مهدياً وكان رجلاً حسن النية قضى على دولة المرابطين وأندأ دولة الموحدين في القرن السادس الهجري ، وكسر عبد المؤمن نائبه جيوش (علي بن ناشفين) الذي اشتغل بالعبادة قياماً وصياماً وترك الرعية تحت رحمة النساء اللاتي كن يحمين اللصوص وقطاع الطرق ، وعبد المؤمن هذا رأى رؤيا تدل على انه يتغلب على الملك مع انه كان معلماً صبية ، ومحمد بن تومرت قابل الامام الغزالي أولاً ولما توجه الى (السوس) أخذ يعظ الناس ويدكرهم وجعل له شيعة أولهم عشرة هم المهاجرون الأولون وبعدهم جماعة اسمهم الحسون وهؤلاء أشبه بمجالس الشورى والنواب ، وأخذ يظهر الكرامات حتى اعتقدوه كما فعل ابن الصباغ وأوهمهم بأن ملكهم باق الى آخر الزمان وانهم يفتحون فارس والروم ويقتلون الدجال . وأكثر هذا في قصيدة رجل من أهل الجزائر أولها

١٨٤ سلام على قبر الامام الممجد : سلالة خير العالمين محمد

وهي مذكورة هنا (٢٤) بيتاً

١٨٥ الكلام على أبي يعقوب يوسف وعلى ابنه يعقوب الذي أهان ابن رشد وعلى ابنه محمد وابنه يوسف والمأمون من هؤلاء وهو الذي نسخ سياسة المهدي وقتل أرباب المشورة وأذل رجال الدولة واستعان عليهم بالنصارى فلم تقم لهم بعدها قائمة وأذل المأمون المذكور محمد بن هود

١٨٦ هنالك تفرقت الدولة شذرمندر . وبيان أن ابن تومرت استعمل رجلا من أصحابه في طريقة الجذب و اظهار الكرامات و ادعاء أن النبي ﷺ علمه العلوم و أطلق لسانه ، فقسم الأمة الى قسمين : أصحاب الجنة و أصحاب النار بمقتضى قاعدة سرية يعرف بها المصدقون بالهندي المعصوم و المكذبون ثم أمر أصحاب الجنة بقتل أصحاب النار و أخذ نسائهم و أموالهم و بعد ذلك شغلهم المهدي بالحراب حتى لا يحققوا عليه بقتل رجالهم

١٨٧ ذكر امتحان هذه السير و الأحوال ، و أن الكلام على المهدوية تقدم في أول سورة الحج و أن أكثر أم الاسلام تركوا مواهبهم و اتسكوا على شيوخ جهلاء كما اتسكت العزلة على اطعامنا أيها فسكان قصصها عظما بالنسبة لنظيرتها الفزلة في البداية ، فحمد بن تومرت و كثير من مشايخ الصوفية نفهم مؤقت و ضررهم أكثر ، إذن لتعلم الأمة كلها رجلا و نساء ، و القرآن أبان هذا بهجلى السامري الذى غلب ذهبه و خواره على انقلاب العصا حية ، فالقرآن في ناحية و جمهور المسلمين في ناحية ، و ما مثل الشيوخ الجاهلين و البقر المعبود عند البراهمة و شيوخ البراهمة إلا كمثل الدود الذى يأكل لحم الميتة إذ لا معطل في الوجود ، و المسلمون الذين في الهند لم يقدروا على إزالة خرافات أهل البلاد فجاء احتلال البلاد ليزيل بعضها آخر ، و على المسلمين في المستقبل أن يزاولوا ما بقى

١٨٨ جمال العلم و مهجة الحكمة في ذم التقايد ، وفيه ذكر انه لا يليق بالمسلمين (الذين لا يفرقون بين الأمم كما تفعل أوروبا و أمريكا اليوم) أن يفعلوا فعل البراهمة ، و المسلمون السابقون هؤس على عقولهم أناس ادعوا الاخبار بالغيب و لكن الأمة اليوم قد فتحت لها باب العلم

١٨٩ ﴿ حديث الهند ﴾ و بيان انها أمة بلغ الرقى فيها أعلاه في بعض الأفراد و في مؤخرتها أناس لا يزالون في أخريات الأمم كعهد الفطرة الأولى و الانجليز يحكمون (٢٤٧) مليون و جميع السكان (٣١٩) مليون و الباقون (١٢) ولاية ، و الأهالى عشرون عنصرا لغاتهم (٢٢٢) و كتبائهم (٥٠) نوعا و لكل كتابة من (٢٠٠) حرف الى (٢٥٠) حرفا و البلاد إما حارة جدا و إما باردة بردا شديدا و قد توات علمها الفتوحات ، فن (سير و ستريس) المصرى الى الفرنسيين فالانكليز الذين لهم هناك (٦٠) ألف جندي و ثلاثة آلاف موظف و رجال الشرطة أربعة آلاف و الاوروبيون (٢٠٠) ألف و هم براهمة و مجاهدون و فلاحون و السودرا المحقرين و الطبقة الأولى عالة على الجميع بالانوات للولود و الميت و غيرهما و البقر المقدس مليون و نيف و الشحاذون و الأولياء و غيرهم نحو ستة ملايين ، كل هؤلاء عالة على الأمة ، و هناك البغاء المقدس و عدد الأرامل في الهند ثلاثون مليونا و البنات يموت منهن في سن الطفولة بسبب زواجهن ثلاثة ملايين و نيف . و قد سن تشريع جديد للزواج يخفف ما تقدم و بيان أن طبقة السودرا لا مقام لها في الهند و لكن التشريع الجديد رفعها نوعا ما . و أعمال البراهمة يشبهها أعمال ابن الصباح و كثير من رجال الصوفية الجاهلاء . و نظير ذلك ما يكون في بعض طيور بمصر لها (٤) رؤساء متى أهلكن أصبح الظير كله في قبضة القانصين

١٩٣ ﴿ نور على نور ﴾ الكلام على البراهمة في آية - ولوترى إذ الظالمون موقفون - الخ و أن الله الذى نظم عيون النمل و الذباب لم ينفل عن أهل الهند إذ جعل لهم بقرا و براهمة يطوفون عليهم كأنهم أصنام متحركة و لم يعطهم إلا على مقدار عقولهم حتى يستعدوا للاسلام فيما بعد متى حان الوقت و هذا البقر المقدس له نظير عند جهلة المسلمين إذ يطلقون عجولا باسم الأولياء بمصر قبل توفى المسلمين . و يفعل مثل ذلك أيضا (أغا ممنون) باتباعه

١٩٦ الفصل الأول في بيان المضار الحادثة في بلاد الهند بسبب سوء التقاليد وشرح أمر الزواج وتخفيف ضرره . وبيان نسبة الأرامل الى غيرهن وبند العادات القديمة من قتل من مات زوجها وإذا عاشت فلا بد من زواجها اليوم بالقانون الجديد وأن هناك ألف أرملة لا يزيد سنهن عن سنة واحدة و (١٩٦)

ألف أرملة لا يزيد سنهن عن خمس سنوات وهن محرومات من الزواج بالقانون القديم
١٩٨ الفصل الثاني في نماذج من الكتب الإسلامية التي تعزى الماوك بالخداع وحبائل النصب ليقيموا على الشعب وهو كتاب (سر العالمين) المنسوب للغزالي كذبا وأن هذا الكتاب يأمر بانظار الزهد والكرامات . ثم يظهر الداعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرب مثلا بابن الصباح وبالمؤمن أخي الأمين بن هارون الرشيد . وبيان أن الولي هو الذي لانه الحياة الدنيا ويحب لقاء الله . أما الكرامات وخوارق العادات فما هي إلا امتحانات للناس . وتبيان حديث المسيح الدجال . وأوت خوارق العادات على يديه امتحان للناس

٢٠١ إن العلم والعمل صعبان على الناس وما أسهل الراحة والنوم والكسل والجهل والاكتفاء بالكرامات وتقبيل الأيدي وما أشبه ذلك . أولاد كثر الناس أن المسيح الدجال رمز لهذه الطائفة التي اغترت بهذه الأمور . وخوارق العادات قد تصدر على أيدي الجهلاء وهم غافلون كالشيخ سليم بالصعيد وله حادثة جرت مع أحد مستشاري محكمة الاستئناف وقد سألتني وسأل صديقي حسن باشا جلال فأخبرت بأن مارآه من اخضرار زجاجة الرائحة من الاسكندرية أمر جائر عقلا وذكره ابن سينا اجبالا وذلك قبل الاطلاع على علم الأرواح الحديث

٢٠٢ (أشعوذة أم علم؟) (هوديني) رجل أوروبي في زماننا يدفن نفسه في الأرض على عمق بعيد ثم يخرج وفعل ذلك في كل دولة وأخذ يهزأ بالسجون جيعها وخزائن الحديد التي تقفل عليه فيخرج حالا بحضور وزراء الأمم وعظماؤها وهو القائل : « هذا سر لوعرفه غيري لأضر بالناس اذا لم يكن أمينا » وهذا يؤيد قول علماء الاسلام « إن خوارق العادات لا تختص بالأولياء بل هي عامة »

٢٠٣ فعلى المسلمين أن يذروا تلك الطريقة العتيقة ويفسكروا في أمبراطور اليابان الذي ورث صناعة الاختفاء عن الشعب وإيهامه . فلما علم أن ذلك يضر بالأمة رجع عنه وعلم الأمة كلها

(المهديون وبعض شيوخ الطرق والمسلمون) ليفعل المسلمون بعد ظهور هذا التفسير ما فعله صديقنا (اللورد هيللي) الانجليزى (الذي لما اطلع على أن الألمان كشفوا في بلاد الآشوريين أن ابن الله البكر صلب كما صلب المسيح . وتلك الكتابة وجدت قبل المسيح بألاف السنين) إذ قال « أى الابنين أتبع : الابن القديم . أم الابن الجديد ؟ لأفكرهما معا وأتبع الاسلام » هكذا ليقول المسلم بأى المهديين أقتدى . أبا المهدي السودانى . أم ابن تومرت الخ . كلاه بل أتبع نفس القرآن وأنا أبشر المسلمين بأن هذه الطبقة ستظهر بعد ظهور هذا الكتاب

٢٠٥ ذكر حادثة دالة على ذم التقليد في الطب وهي المذكورة في سورة الشعراء وأن رجلا رأى هرة لدغتها أفعى فتمرغت في نبات « رعرع أيوب » وانها كلما لدغت تمرغت فيه . ولكن لما قطعها مات . وأيضا يقول : « ان لعاب القط يمنع من السم » فكذب هذا كماوى في مصرنا في عصرنا وأثبت أن هذا النبات وهذا الربق لا يبدفعان السم ولا يشفيان منه . فكتاب ابن أبى أصيبعة والمصرى الذى ادعى هذا كلاهما مخطئ

٢٠٦ الحياة الاجتماعية وقبرم أوروبا من حروفها الكتابية وقول القوم إن حروفهم كثيرة تضع نصف

الوقت في الكتابة والكتابة المختلة فائدتها ضئيلة . أما الحروف العربية فهي أقرب الى المختلة ولا تصحح الوقت . إذن أوروبا تحب ترك حروفها ومصطفى كمال يقترب منها وأيضا قلد أمان الله خان مصطفى كمال في قتل علماء الدين المعارضين فزال ملكه فهو تقليد محزن ، ومن الأحرار الذين تركوا التقاليد المستر (سكلافالا) العضو الشيوعي أقام مظاهرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) الذي أشعل الفتنة في أفغانستان ضد (أمان الله) فهذا الانجليزى حر ولكن أمثاله قليل في سبب العدل

٢٠٨ ومن بهذا التقليد في الزراعة أن الأشجار والزرع تنمو في نفس الماء في حياض وتوضع في الماء أقراص محتوية على العناصر السبعة التي يتغذى منها النبات ، وبهذه الوسيلة يمكن أن يظهر القمح والورد وأمثاله في أزمان قليلة وبنقود قليلة ، وبهذه الوسيلة أيضا يمكن الزرع في الصحارى والقفار وسطوح المنازل ويزيد المحصول نصف قيمته ويخلص من الآفات العارضة للزرع في نفس الأرض . أزهر الورد بهذه الطريقة في (٨٠) يوما . وزاد محصول البطاطس (٥٠) في المائة والنباتات الغذائية زاد محصولها مائة في المائة ، وبهذا يمكن أن يعيش ملايين من الناس على محاصيل في أرض لا تبت الآن سوى الشوك الح

٢١٠ وأى نبع أو بحر في أرض فقراء يكفي ماؤه لغذاء أناس في أرض فقراء اليوم ، وسطوح المنازل تغطي بالزرع في الحياض ، وبالجملة فهذا انقلاب عظيم في حياة أهل الأرض

٢١١ ﴿تذكرة﴾ في أن الصيام للرياض مع الجلوس في الشمس بطرق خاصة يمنع فقر الدم ، وهذا المناسب انه ﷺ سراج منير والقرآن يجب أن يكون نهرا للسلمين يزيل خرافاتهم ويجعلهم مغرمين بالعلوم العقلية كما ان ضوء الشمس يشفي الأبدان مع الصوم ﴿والتذكرة الثانية﴾ أن قوله تعالى - يعلم ما ياج في الأرض - الخ يدخل فيه القطران الذي يستخرج منه مئات الألوان الزاهية التي بها اغتر بعض الأمم الاسلامية فوق عليهم آثار قوله تعالى - سرايلهم من قطران - وهذه أشبه بجنة المسيح السجال التي تكون لنا جهنم وهذا عجيب في القرآن ، والاستدلال على ذلك بقول بعض العقلاء ان التفاهت على الملابس الأجنبية يورث العبودية في هذه الدنيا

٢١٢ ﴿خاتمة السورة﴾ وانها مبتدأة بالنعيم الجزيلة وأن هنا أمتين شرقتين أمة اليهود وأمة العرب . أما أمة اليهود أيام سليمان وداود عليهما السلام فقد شكرت النعمة ، وأما أمة سبأ فانها أعرضت فهلكت وأعقب ذلك بتعمير المقلدين وانهم لا ينفعهم الاحتجاج بالتقليد . وقد أرسل الله سيدنا محمدا ﷺ وسكن أتباعه أرض الله ومنها سبأ ، والحجة اليوم قائمة على أهل هذا الزمان وانهم لم يقوموا بالمحافظة على النعم في ديارهم فلم يحاولوا للماء سدودا ويستخرجوا ما في أرضهم من الجحائب فان أعرضا فان الله لا يرضى بذلك والأرض له هو سبحانه فهو يعطيها لمن يستخرجون كنوزها أيا كانوا والله لا يهلك الأمم في الدنيا اذا كانوا مصاحين لأرضه ، ألم تر أن اليابان والصين لما كانتا جاهلتين أذهما أهل أوروبا ، فلما أخذنا في اصلاح بلادهما فرت أوروبا من ديارهم - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

٢١٥ الانسان ونهضة الاستعمار وأن الأمة العاملة تبحث عن الأرض التي نام أهلها عن اتقان العمل فيها فتسخر أهلها لمصالحتها وتارة يستوطنونها . فعلى أهل اليمن وسائر بلاد العرب أن يأخذوا حذرهم ويستخرجوا كنوز أرضهم التي كنزها الله لهم . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين

بشرى

نرفها الى السادة الشافعية

بهون الله تعالى تم إعادة طبع كتاب طالما اشتاق
الطلاب لرؤياه بعد احتجابه عدة سنين . وكاد لا يوجد إلا في
خزائن الخاصة مثل الكنز الثمين مع تعطش القلوب لرياه والأبصار
لمرآه ألا وهو

بشرى الكريم

بشرح

مسائل التعليم

تأليف

العلامة الكامل والهامم الفاضل الشيخ سعيد بن محمد
باعشن على مقدمة الامام الولى الزاهد الشيخ عبد الله
ابن عبد الرحمن بافضل الحضري فى فقه مذهب الامام
الشافعي رضى الله عنهم ووقفنا بهم أجمعين

ولتمام النفع وضعنا بهامشه المقدمة الحضرية المذكورة . وهو
واقع فى جزأين مطبوعا طبعا متقنا ومصححا بغاية الاعتناء

